في الأسلوبية التعبيرية (1)
الجاحظ نموذجا (2)

بحث : محمد رشاد الحمزاوي

1 - مدخل :

إن النظر في الأسلوبية وصلاتها وإشكالاتها يستوجب بالضرورة من دارسها أن يكون ذا معرفة (*) باللسانيات الحديثة وعلى بينة من مدارسها المختلفة ومفاهيمها ومقاييسها وتطبيقاتها باعتبار الصلة الوثيقة بين العلم الأم والعلوم المتفرعة عنه خشية الدراسات الجانبية المستبدة اليوم بالمؤلفات العربية المتعلقة بالأسلوبية. ولقد أهتممنا من زمان ومازلنا بالأسلوبية وقضاياها وصلتها بالمعجم لأسباب كثيرة منها :

أ) سبق رصيدنا المعجمي العربي التراثي إلى طرح قضية الأسلوبية بكل وضوح دون أن ينبه قبلنا (3) على ذلك أدباؤنا ونقادنا من السابقين واللاحقين. فلقد أعتنى بها جار الله الزمخشري في معجمه «أساس البلاغة» الذي يعتبر في رأينا أول معجم أسلوبي من نوعه في العربية وحتّى في لغات كثيرة لأنه ركّز فيه النص المعجمي على عنصرين أساسيين أولهما معياري تقعيدي أطلق عليه مصطلح «الحقيقة» وثانيهما أسلوبي وسمه بمصطلح «المجاز» مؤيداً في ذلك «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (4)، ومناقضاً مفهوم

---

(1) تعتبر هذه النظرية أم النظريات الأسلوبية الغربية المعاصرة لصاحبها شارل بالي (Ch. Bally).

(2) المؤمل أن نطبق لها على نص من نصوص الجاحظ في وصف بخل أحد أهل خراسان - ينظر كتاب البخلاء تحقيق طه الحاجري، ط.5، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص ص 24-26.

(*) يحسن أن نذكر بأن أوائل التونسيين الذين ولجوا ميدان اللسانيات قبل غيرهم هم : محمد رشاد الحمزاوي، وعبد المجيد عطية وحسن الصادق الأسود. وشارك الأولان في ترجمة مصطلحات كتاب اللسانيات للأستاذ مارتني (Martinet).

(3) محمد رشاد الحمزاوي : النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي - مؤسسات ابن عبد الله للنشر والتوزيع. تونس 1999، ص ص 155 - 161، حيث يعرض لنظرية المعجم الأسلوبي الزمخشري.

(4) أبو عبيدة معمر بن المثنى : مجاز القرآن، وهو يعتبر من أمهات الكتب التراثية في الموضوع الذي يعنينا والذي لم يحظ إلى يومنا هذا بدراسة أسلوبية كاملة.

المجاز التقعيدي كما تصوره ابن حجر العسقلاني في نقده «الأساس» في كتابه «غراس الأساس».

والملاحظ أن الزمخشري كان واعيا بالقضية لأنه اعتمد في نصه على الجملة في مظهريها العميق والسطحي (5) مما يوحي بأنه سبق ابن هشام في اعتبارها مخبراً يتلاقى فيه الكلام الاخباري العادي بالإنشائي الأسلوبي منه وما يتميز به من اختيارات لفظية أساسها معجمي ومن علاقات نظمية مجازية متنوعة «خوارجية» منها ينطلق الإبداع والجمال.

ب) اهتمامنا منذ الستينات بقضية الأسلوبية في نطاق المؤسسات اللغوية العربية المعاصرة باعتبار ما خصصنا لها في رسالتنا الجامعية من عناية (6) تناولت منزلتها في مداولات مجمع اللغة العربية الذي قاربها (7) بالخصوص من خلال مفهوم التضمين (8) التراثي. فكان بذلك شاهدا على المعركة الحديثة القائمة بين «المعياريين الصفويين» و«الأسلوبيين التطوريين»؛ ويمثل الأولين منهم الشيخان أحمد الإسكندري ومحمد الخضر حسين (9) اللذان يقابلهما من الصف الآخر الشيخ عبد القادر المغربي (10) ومحمد كرد علي (11)، فضلا عما أيد الحزبين من أتباع إلى يوم النّاس هذا (12).

ج) مبادرتنا منذ السبعينات وفي نطاق كلية الآداب بالجامعة التونسية بتدريس موضوعين أكادميين تراثيين لهما صلة وثيقة بالأسلوبية المعاصرة، طمعا في البحث عند جذورها العربية، وذلك من خلال «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى ومن خلال «التضمين» عند ابن جني على وجه الخصوص لنبين أن مصطلح «المجاز» يؤدي مفهوم

---

(5) حسب مفهومي هذين المصطلحين عند اللساني التوليدي الأمريكي شومسكي.

(6) محمد رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بيروت 1988 : الأسلوبية والنحو التربوي، ص ص 375-392؛ وقد صدر أصل هذا العمل سنة 1975 بالفرنسية بتونس.

(7) عالجها المجمع أوّلا من خلال لجنة الألفاظ والأساليب وقد نشر أعمالها في سلسلة خاصة بها.

(8) محمد رشاد الحمزاوي : المرجع السابق، ص 132، 347، 357، 365.

(9) الشيخ محمد الخضر حسين : دراسات في اللغة وتاريخها، دمشق 1960، ص 130-138.

(10) الشيخ عبد القادر المغربي : أ) عثرات اللسان، دمشق 1949؛ وقد عالج فيه الأسلوبية الصوتية على وجه الخصوص؛ ب) الاشتقاق والتعريب (ط. 2، القاهرة، 1947) حيث تناول أثر الأساليب المعرّبة في الأساليب العربية المعاصرة.

(11) محمد كرد علي : أ) أفعال للاستعمال : مجلة مجمع القاهرة، 277/3-289؛ ب) تطور الألفاظ والتراكيب والمعاني، مجلة مجمع القاهرة، 30/7-37.

(12) أحمد العوامري : بحوث وتحقيقات، مجلة المجمع، 138/1-169؛ أحمد حسن الزيات : لغتنا في أزمة، مجلة المجمع، 45/10 - 48.

«العدول» (13) العصري في كثير من وجوهه، وقد أطلق عليه بعضهم مصطلحات الانحراف والانزياح والمجاوزة (14)، الخ؛ وأن مفهوم «التضمين» يؤدي ما سماه بعضهم «بالمعاني الحافة» (15) في مستوى الدلالة وغيرها من المستويات النحوية. وقس على ذلك من مفاهيم أخرى يمكن تأديتها بما يكافئها في التراث من «انتفاضات» أسلوبية خنقتها الفصاحة الفصحاء والبلاغة الواحدة المطلقة.

د) تأكيدنا على مفهوم النص المعجمي العربي وما يتطلبه من عناصر أساسية لاستقامته واستكماله لاسيما في ضبط مواصفات المعجم العربي المعاصر (16)، ولقد نزلنا فيه التعريف الأسلوبي (17) منزلة تشهد على دوره من المرحلة المتحركة والمتجددة من اللغة عموما ومن نصوصها الإبداعية خاصة.

هـ) غياب دراسة عربية أسلوبية فيها منفعة ومتعة تؤرخ وتصف وتيسر النظريات الأسلوبية الغربية الحديثة وتشفي غليلنا، وذلك بتطبيقها على نصوص عربية متنوعة. فلقد جاءت أغلب الدراسات العربية الأسلوبية المعاصرة، باستثناء القليل منها (18)،

---

(13) وقد اعتمده حازم القرطاجني في «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، تونس، 1966.

(14) لقد تسبب المصطلحان الأسلوبيان الفرنسيان Ecart و Déviation في بلبلة مفهومية تولدت منها مصطلحات معيارية سلبية منها ما ذكرنا. ومنها ما أورده فتح الله سليمان في كتابه الأسلوبية، القاهرة، 1990، ص 44. وهي الانزياح، والتجاوز، والاختلال، والإحاطة والمخالفة، والشناعة، والانتهاك، وخرق السنن، والعصيان، والتحريف وما شاء الله من الألفاظ التائهة على قدر مواقف أصحابها من المصطلحين الغربيين.

(15) كان لمصطلحي Connoter و Connotation الدلاليين الأسلوبيين صدى عند معاصرينا. فترجمهما القرمادي وعبد الله صولة بـ«حفت» و«حاف بـ» و«المعاني الحافة»، وعبر عنهما مجمع اللغة العربية بـ«ضمن وتضمن وتضمين» المعتمدة عند النحويين والبلاغيين والأدباء ولها صلة وثيقة بما نحن فيه.

(16) محمد رشاد الحمزاوي: النظريات المعجمية العربية، ص 19 - 32؛ ينظر «في النص المعجمي وأسسه».

(17) نفسه ص 24؛ انظر كذلك محمد رشاد الحمزاوي: ظاهرة المعجمية، القاهرة 1996، ص 96-99.

(18) (أ) الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، تونس 1981- وهو عمل تطبيقي، لكن الروح البلاغية فيه غالبة، إن لم تكن مستبدة.

(ب) سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، الكويت 1980. وهو يتميز بوضوحه ودقته وبتطبيقاته على نصوص عربية مصرية.

(ج) عبد الله صولة: «مدخل الى دراسة أسلوب طه حسين، من مقولة «الاسلوب هو الإنسان» إلى مقولة «الإنسان هو الاسلوب»، ضمن: مائوية طه حسين، بيت الحكمة - تونس 1993، ص 169 - 205، وهو مواصلة لدراسته حول أسلوب طه حسين من خلال دعاء الكروان. وعنده نلمس اتصالا عصريا بالأسلوبية وبانتفاضاتها ومقارباتها

خليطا متداخلا(19)، أو انطباعية(20) أو شبه منتظمة (21) أو جزئية معقدة (22) أو رديئة الترجمة (23) لا تساعد على إدراك أصول هذا العلم ومراحل تطوره من خلال مدارسه الغربية المتتابعة(24)، مما يستوجب السعي إلى الإسهام في التعريف بها والتطبيق لها بوجوه مختلفة حسب الإمكان (25)، مع التأكيد على ما بين المعجمية والأسلوبية من صلة رحم طبيعية وحميمة إذ لا يمكن للأسلوب أن يستقيم إن لم يفترض مهاداً رصيداً معجميا «حقيقة» منه ينطلق الاختيار والاستبدال (26) ليستحيل إلى «مجاز» نظمي (27) فيه محنة وبدعة. أفليس الأسلوب سلب الحقيقة ونزْعَها منها والتجوز فيها ؟

وعلى هذا الأساس يحق لنا أن نتساءل : كيف تصور بالي (Bally) الأسلوبية من منظوره الجديد من خلال نظرية الأسلوبية التعبيرية ؟

---

(19) شفيع السيد : الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، القاهرة 1986. تتاطع فيه البلاغة وخليط من الأسلوبيات دون مخرج عربي واضح، فضلا عن غياب تطبيقات لها على نصوص العربية.

(20) جمال الدين الألوسي : طه حسين بين أنصاره وخصومه، بغداد 1973. وهو يمثل لمظاهر من النقد الانطباعي.

(21) الهادي الطرابلسي : تحاليل أسلوبية، تونس 1992. وفيه معادلات نحوية وبلاغية لا تخلو من صرَامة.

(22) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب - تونس 1977. وهو يمثل مقاربة ريفاتير البنيوية. وقال فيه الطرابلسي (خصائص الأسلوب في الشوقيات ص 530) : «أنه غير هين على المتعلم المبتدئ» وفي ذلك كفاية. وسنعود إلى هذا العمل من حيث تبليغه محتوى نظرية ريفاتير إلى العربية في مناسبة أخرى.

(23) أحمد إبراهيم درويش : اللغة العليا - النظرية الشعرية مترجما عن Le haut langage لـ Jean Cohen. وفيه تلفيق وتضليل في مستوى الأمانة والترجمة. ولقد خصصنا له دراسة بجريدة القدس 6-1999/12/7.

(24) لا توجد دراسة عربية شافية متواصلة تعرفنا بأهم المدارس الأسلوبية الغربية متسلسلة متطورة من خلال (1) الأسلوبية التعبيرية؛ (2) الأسلوبية الذوقية؛ (3) الأسلوبية الوظيفية؛ (4) الأسلوبية التلفظية؛ (5) الأسلوبية التوليدية ... الخ.

(25) سبق لنا أن سعينا بعجالة في تعريف الأسلوب بمجلة المعجمية، 4(1988)، ص ص 7-10. وأملنا أن نعرض للنظريات الأسلوبية في عمل متسلسل حسب طرق مختلفة سواء بطرح أهم مبادئها أو بترجمة نصوصها الأساسية مع التطبيق لها على العربية، كما هو الشأن هنا بالنسبة للنظرية الأسلوبية التعبيرية بالاعتماد على أهم نصوصها.

(26) الشاعر أو الكاتب مدعو في أداء قصده إلى الاختيار من قائمة معجمية. فهو في خيار بين : قمر، وبدر، وكوكب الليل؛ وبين أحب، وهوى، وهام وتيم ... الخ.

(27) المبدع يتصرف في نظم اللغة لأداء أغراض متعددة. مثال ذلك اعتماد التقديم والتأخير للتأكيد على مفاهيم دون أخرى في مثال «إياك نعبد وإياك نستعين» خروجا عن الاستعمال العادي وتخصيص العبادة لله دون غيره مخلصا له الدين. وفي هذا التقديم رؤى ومواقف مقصودة.

2 - الأسلوبيّة التعبيريّة :

إن هذه النظريّة التي وضعها شارل بالي [28] هي أول نظرية أسلوبية حديثة قد تميزت بميزات أساسية مترابطة لا بد من التأكيد عليها. ومنها أن صاحبها بادر إلى :

أ) وضع علم جديد مصطلحا [29] ومفهوما ومحتوى دعاه «الأسلوبية» وولده من اللسانيات السوسيريّة [30] على أساس أنه امتداد لها وفرع منها.

ب) تقيد هذا العلم بمعايير اللسانيات. ومعنى هذا أن الأسلوبية تهتم بدراسة الأسلوب إن لم نقل بالأساليب **دارسة علمية** تخضع لمعايير العلوم الصحيحة (المشاهدة والوصف والتجربة) والاهتمام بها **لذاتها ولحد ذاتها** (بموضوعية لا تقصي ولا تحابي أساليب دون أخرى لأسباب عقدية أو سياسية أو ثقافية نخبوية... الخ) والسعي إلى **استنباط قوانين عامة** صالحة لكل اللغات ولكل الأساليب درءا للأحكام العاطفية والانطباعية[31]. ولقد سمى أسلوبيته بالأسلوبية التعبيرية مؤيدًا ذلك بقولة «إن القسم الأسلوبي الحقيقي من دراستنا يشمل **السمات العاطفية** من الأحداث التعبيرية، **والوسائل** التي سخرتها اللغة لتوليدها، **والصلات** المتبادلة القائمة بين تلك الأحداث، وكذلك كامل **النظام التعبيري** الذي تتركب عناصره منها» [32]، وذلك في

---

(28) لساني سويسري (1865 - 1947) من تلامذة فردنان دي سوسير واضع اللسانيات الحديثة : نشر مع زميله سشهاي A. Sechehaye أعمال معلمهما «دروس في اللسانيات العامة» Cours de linguistique générale سنة 1916 وحفظاها من الغبن، فكانت فتحا عظيما في تاريخ الدراسات اللسانية الحديثة. من مؤلفاته : Précis de Stylistique, 1905 (مختصر في الأسلوبية) و Traité de Stystique Française, 1909-1910 (مقالة في الأسلوبية الفرنسية) و Le Langage et la vie, 1926 (اللغة والحياة). انظر مزيد من المعلومات Le Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, 1982, I/1007.

(29) P. Guiraud : La stylistique, Paris, 1954 حيث يعيد الكلمة إلى أصلها الأول اليوناني واللاتيني والإيطالي... الخ Stylo، Stylus، Stiletto ويعني به أساسا العمود أو السارية وما لهما من أشكال معمارية متنوعة مبتدعة غايتها جمالية.

(30) انظره في مكانه من Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse 1982 السابق الذكر.

(31) توفيق الزيدي : مفهوم الأدبية في التراث النقدي، تونس 1985، وفيه عرض ممتاز لوجوه الأحكام العاطفية والانطباعية وأشكالهما في مستوى «الأدبية» التراثية. وانظر كذلك محمود طرشونة : «صورة طه حسين في مرآة خصومه»، ضمن : مائوية طه حسين، بيت الحكمة - تونس 1993، ص 57 - 93. وهو مقال مهم في هذا الشأن يعكس الأحكام العاطفية والانطباعية لا سيما في الأدب المعاصر وأساليبه.

(32) P. Guiraud et P Kuentz : La stylistique, Paris, 1975. p.20 وقد أوردا فيه مبادئ النظريات الأسلوبية مع التطبيق لها على نصوص.

مستوى الصوت والشكل والنظم والدلالة والبلاغة.. .الخ كما سنرى ذلك في مستوى التطبيق لهذه النظرية. ويمكن أن نستقرئ ذلك من اللغة مستعملة عند مجموعة معينة أو عند الفرد المتكلم أو عند الأديب كاتبا أو شاعرا يسخر اللغة تسخيرا مقصودا ومتواصلا «و يطوعها على وجه الخصوص لغاية جمالية» (33) مثله مثل الرسام والموسيقار. إلا أن هذا المقصد «يختلف تماما عن مقصد الفرد الذي يتكلم لغة الأمومة. وفي هذا ما يكفي لنميز بين الأسلوب والأسلوبية» (34) التي تجد في لغة الأمومة معينا على وضع منهجياتها وتقنياتها العلمية. «وعلى هذا الأساس نقول إن أحسن ما يمكن أن تبدأ به الأسلوبية هو الاعتماد على لغة الأمومة، وذلك في شكلها العفوي، ونعني بها اللغة المقولة» (35).

ولا شك في أن بالي يؤكد من جديد في مستوى الأسلوبية موقف أستاذه دي سوسير في اللسانيات وذلك بالدعوة إلى دراسة الزمني الآني الحاضر من اللغة (36) ولا سيما في شكلها المحكي المقول الذي يسميه الصفويون عندنا «العامي» (36). فهو عنده منبع اللغة الأدبية و«المعبر العفوي عن الفكر» (37). باعتبار أن كل لغة ابتدأت لهجة فأصبحت لغة لأسباب ليست من ذاتها بالضرورة (38) وعلى هذا الأساس فإن بالي يميز بين اللغة **الطبيعية واللغة الأدبية واللغة الأسلوب العفوية المقولة** وما لها من سمات عاطفية تعبيرية.

وهنا يبدأ الخلاف بين بالي وأصحابه من أمثال كرسو (Cressot) (39) وبرونو (Bruneau) (40) اللذين أكدا على إمكانية بناء الأسلوبية على اللغة الأدبية - وذلك ما شاع ودام واتصل إلى يومنا هذا بحجة أن العمل الأدبي اختيار ينشأ «عمدا» وعن «وعي»، في

---

(33) نفسه ص 22.
(34) نفسه.
(35) نفسه.
(36) نفسه. وهو ليس بالضرورة «العامي» في اللغات التي تقبل التطور وتترابط فيها لغة المقول والمكتوب عادة. وهو ما يعبر عنه بالسنكروني Synchronique، لأنه قابل للمشاهدة والقياس متصل بالإنسان في دأبه، شاهد عليه خلافا للتاريخي Diachronique التطوري وما وراء غابره من غيبيات ووثائق متلوفة وتأويلات لا تسلم من العقائديات، لا سيما إذا استحال نموذجا لا يخرق.
(37) نفسه.
(38) أم العربية لهجة قريش التي أصبحت لغة معيارية لأسباب عقدية وسياسية وحضارية. وذلك شأن الفرنسية النابعة من لهجة توران (Touraine) والإسبانيةمن لهجة قشتالة (Castille) العسكرية ... الخ
(39) P. Guiraud et Kuentz السابق ص 26-29.
(40) نفسه ص 23-26.

انتظامه ونصوصه ما يساعد أكثر من غيره على استخلاص قوانين عامة مستقرة «تتحكم في اختيار المعاني والصلة القائمة بين التعبير الأدبي والفكر» (41). وعسانا نركز في بحثنا هذا على اللغة أدبية وعفوية. ولقد ضرب لنا بالي أمثلة عن السمة أو الطابع العاطفي الأسلوبي من خلال أمثلة تطبيقية (42) تعتمد على :

أ) **الشحنة العاطفية** (43) : سواء في مستوى الصوت أو المفردة أو العبارة. فالأسلوب متميز ومتنوع في نطق الجيم فصيحة أو مصرية في «أنت يا جميل !!» وكذلك شأنها منطوقة «ياء عمانية» في «أنا جيت يا غالي !». ولقد سبق لكبار شعرائنا القدامى أن بحثوا عن هذه الشحنة المقصودة كما هو الشأن في قول الأعشى :

ولقد غدوت إلى الحانوت يتبعني　　　شاو مشلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

نكأننا بالشحنة العاطفية «متغزلة محتشمة» في صيغة الجيم الفصيحة وهي «حميمية شبقية» في لهجتها المصرية. أما الياء فتكاد تكون «متلطفة بريئة» في النطق العماني. وأصبحت الشين السداسية في مختلف صيغها شنشنة ووقعا ورقصا وفرحا ومرحا وخفة وسرعة و... وحسب مزاج المرسل إليه وخياله ومعلوماته ومنطقه وبيئته.

ونلاحظ نفس الظاهرة في مستوى المفردة عندما نتجاوز صيغتي المبالغة «نَهِمٌ» و«أكول» اللتيْن أصبحتا عاديتين إلى صيغة جديدة جاحظية وهي «أكيل» الواردة في البخلاء «وإن جليس السوء خيرمن أكيل السوء لأن كل أكيل جليس وليس كل جليس أكيلا. فإن كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة، فمع من لا يستأثر علي بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة، ولا يلتهم كبد الدجاجة، ولا يبادر إلى دماغ رأس السُّلاءة، ولا يختطف كلية الجدي... الخ» (44).

والملاحظ أن الجاحظ قد عوج عنق مادة «أكل» إلى «أكيل» تجاوزا لـ «أكول» ثم مطاوعة لجليس حتى تتم السجعة الموسيقية من خلال استبدال معجمي صرفي مختار عن قصد للزيادة في الشحنة العاطفية الأسلوبية المطلوبة وما وراءها من تهكم وسخرية وضحك. لاحظ كذلك تكرار أكيل وإدراجها في مقولة منطقية متمنطقة للتهكم من هذا القياس الشكلي السائد عند المعياريين ممن يرفضون العدول وأصنافه.

---

(41) نفسه.

(42) لقد سعينا إلى أن نعوّض أمثلته الفرنسية بأمثلة عربية للتقريب.

(43) وهي ما عبر عنه بالي بـ : L'Intensité affective.

(44) الجاحظ : البخلاء، ص [illegible].

أمّا ابن فارس في المقاييس فإنه رفع، في مستوى المعجم ومحور الاستبدال، في درجة الشحنة العاطفية بأن عبر عن صنف هذا الأكول بصيغة «هبلع» (45) التي **«تتميز عاطفة»** انطلاقا من تركيبتها لأنها حسب ابن فارس منحوتة من هلع وبلع فضلا عن وزنها فعلل الذي يدل مثل غيره من الرباعيات على التفخيم أو التحقير أو السخرية أوالعطف. وللغة المحكية كنوز لا تنفذ في هذا الميدان قد استغلها المسرح العربي الفكاهي المعاصر وعجز عن اعتمادها مسرح الفصحى خشية حوشيتها وغرابتها أو عاميتها.

إن الشحنة العاطفيّة حسب بالي ستكون على قدر ما يطرأ على آليات اللغة من تضخيم أو تغيير أو تحريف أو مبالغة أو تجديد (46) وذلك ما تميز به أسلوب «الأكيل» و«الهبلع» من نوعية في الدرجة الكمية والكيفية.

في مستوى العبارة تزداد الشحنة قوة عندما تلتقي اللغة الأدبية باللغة العفوية كما جاء في نص للإتليدي (47) «قالت: ماذا أصاب زوجي؟ قال: بلع أضراسه (48) أي مات» (49). هنا «فصّح» الكاتب العبارة العفوية دون أن يهون فيها عن قصد واحتواها بـ«أي مات»، فزاد في شدة التناقض وأوحى بالضحك في مقام الفاجعةُ فيه تنتظر متخفية. فتلاقت شحنات لغوية عاطفية غنم منها الأسلوب كثيرا معنى ومبنى فيهما تصرف مقصود وتمتع بهما القارئ وانتفع (50).

ومن الحالات ما يمكن أن يعبر فيه عن نفس الشعور - وبالأحرى عن الحب - بأسلوبين مختلفين أحدهما عفوي والثاني أدبي لا يمكن أن نفرط فيهما لما لكل منهما من خصائص لغوية متميزة من ذلك قول طفل لأمه «أنا بحبك أد الدنيا» باللهجة المصرية، يقابله قول عمر الرائع في محبوبته :

---

(45) محمد رشاد الحمزاوي : نظرية النحت العربية، دار المعارف سوسة، 1998، ص 45- 59 و 163.

(46) P. Guiraud et Kuentz السابق ص 109 (grossissement, rénovation, déformation)

(47) محمد الصالح بن عمر : النص الفكاهي في الدرس النحوي، تونس 1995 ص 52. وهذا أول كتاب في النحو سعى إلى أن يبني جفاف الدرس النحوي وقحطه على أسلوبية عاطفية نصية تخرجه من الظلمات إلى النور. ويا ليت نموذجه تعدد وازداد.

(48) نفسه. والعبارة مأخوذة من «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس» للإتليدي.

(49) ولعلها في لغة الإتليدي العفوية المصرية : بلع «دروسه» وفي التونسية «زروسو».

(50) لقد اعتمد هذا الأسلوب بالخصوص البشير خريف في قصصه ورواياته، وطوعناه في إنتاجنا الأدبي قصة ورواية ومسرحا ومزجنا فيه الأدبي بالعفوي عن قصد وعن وعي سنعود إلى التفصيل فيهما.

قالـوا تحبُّها ؟ قُلْـتُ بهـــراً عـدد الرمـل والحصـى والتـراب !

ويهمّنا من الـقولين النثري والشـعري - على اختـلاف شخص حبهمـا - أنهما عـبرا عن مفهـوم «قدر الحب» ونصيبه عند المحب حسب وجهين من التشبيـه فيهما تقـارب وتباعد ثريّن لغة وعاطفة (51). **وهنا يظهر الخلاف بين البلاغة والأسلوبية فبقدر ما تدعونا البلاغة إلى «كيف يجب أن نكتب ونعبر»** في حدود تشبيه وجوهُ مقننة مقيدة شكلا وعددا لا يمكن الخروج عليها، فإن الأسـلوبية تتبنى أساليب البلاغة من دون أن تتقيـد بها ولا تعتبرها مطلقة أزلية. فهي تدعونا إلى أن نتساءل : **«لم نكتب خلافا لما يجب أن يكتب ؟»** ، رائدها في ذلك استكشاف وجوه جديدة لبلاغة متطورة تكون على قدر تطور الإنسان وفكره وواقعه، وما يستلزم من وسائل لغوية مستحدثة بالضرورة للتعبير عنها خشية التكرار وعـدم التـلاؤم مع تطوره ومصيـره. ولا شك في أن الأسلوبيـة، مـثلهـا مثل البـلاغـة التقليديـة، لا تستغني عن تعاملهـا وتفاعلها (52) مع علوم أخرى لهـا بها صلة حـميمـة مثل المنطق- والتـشبيـه من أركانه - وعلم الاجـتمـاع، وعلم النفس، والتاريخ والبيئـة لا سيـما الجغرافية اللغوية ومناخها. . . الخ. ولذلك تعتبـر الأسلوبية امتدادا للبلاغة غايتها أن تصبح **البلاغة بلاغات** تبلغ رسالة مـجتمـعات مخـتلفة كاخـتلاف عصـر الجاهلية عن عـصر الصـواريخ والأنترنـت. إن هذا البحث عن وجـود الأسلوبيـة البـلاغيـة يشـمل عند بالي ميادين أخرى منها ما يسميه :

ب) **النحو العاطفي** (53) : ينتقل بالي من ميدان المعـجم والصرف أي مما يسميه اللسـانيون بمحـور الاستبدال والاختـيـار الذي سبق أن طبقنا له إلى ميـدان محـور النظم ولتركيب (54) في نطاق الجملة والنص. فـما يعني بالعاطفـة النحوية الأسلوبية عنده ؟ يعـتبر أن الصلة بين النحو والأسلوبية مـتينة إلى حد يبدو من الصعب التـمييز بينهما لا سـيما وأن النحو مؤهل للتعـبير عن الشعور والعاطفة. إلا أن النحو العـادي «ليس سوى المنطق مطبقا على اللغة» (55). فهو يصبح أسلوبيا إن كـان مشحونا بعاطفة أو حساسيـة معينة، من شأنها

---

(51) شكري عياد : مدخل إلى علم الأسلوب، ص 55، وهو يحصر فيه الأسلوب في الصورة.

(52) الأزهر الزناد : دورس في البلاغة العربية - نحو رؤية جديدة، صفاقس 1992.

(53) وقد عبر عنه بالي بـ « La syntaxe affective ».

(54) ونعني بالمحورين مـا يعبر عنه بالفرنسيـة بـ Rapports Paradigmatiques و Rapports Syntagmatiques.

(55) P. Guiraud et P. Kuentz, p. 111.

أن تستوجب عدوله عن القاعدة القياسية لمقاصد متنوعة. فمن ذلك قوله تعالى: «ولا تأكُلُوا أموالهمُ إلى أمْوالكُمْ إنه كَانَ حُوبًا كَبِيرًا» (56).

نلاحظ أن فعل أكل تجاوز معناه الأصلي إلى معنى جديد يربط بينهما تشابه وهو الأكل مع قرينة مانعة وهو أن المال لا يؤكل ولا يهضم، مما يفيد بشعورين: شذوذ المقام واقتراف الذنب مع تغيير المقال بتعدية الفعل بإلى، موحيا بعدول في التركيب النحوي العادي، داعيا إلى البحث عن مدلول جديد لفعل «أكل» لا تعرفه اللغة. ولقد خرَّجَ النحويون والبلاغيون هذا الاستعمال،وهو كثير في القرآن الكريم (57)، على وجه التضمين باعتبار أن أكل ضمنت معنى «ضم» مما جوز تعديته بإلى. وفي هذا أثر النحو التقعيدي التعليلي الذي يرجع كل مظهر إلى نموذج قياسي وينفي الأسلوب ودوره في تطور اللغة ومعانيها (58) حتى وإن كان ذلك من أسلوب القرآن المتميز المعجز كما أشار إلى ذلك الباقلاني في إعجاز القرآن: «فهذا إذا تأملته، تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، أنه خارج عن العادة وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وأنه معجز، وتميز حاصل في جميعه» (59). ولقد اعتبر الكاتب الفرنسي مالرو الأسلوبية وعدولها أساس الفن بقوله «إن تاريخ الفن يتمثل في [التسجيل] للأشكال الموروثة» (60). وفي تاريخ اللغة، سواء كانت أدبيّة أو عفوية، آيات من الفن لا تنتهي عجائبها وحساسيتها وعواطفها التي تسخّرُ لها اللغة كنوزها (61)، وعلى المبدعين استكشافها، بحثا عن المتعة والمنفعة من خلال منظور جديد للبلاغة الأسلوبية الحديثة.

ج) **الإيحاء بالمهاد** (62) **الإجتماعي والثقافي**: للأسلوبية في نظر بالي أهداف طموحة لا تنحصر في رصد الشحنة العاطفية ووسائلها الإنشائية اللغوية فحسب بل تهدف إلى مد الجسور مع علوم أخرى، وبالأحرى البحث عن الايحاء بمهاد تلك

---

(56) سورة النساء الآية 2.

(57) وقد مثل لهذه الحالة على وجه الخصوص في «مجاز القرآن» لابن المثنى وفي مسألة نيابة الحروف بعضها عن بعض عند النحاة.

(58) لابن جني رأي مشهور مفاده أن الألفاظ تؤخذ من العرب والمعاني من المولدين.

(59) الباقلاني: إعجاز القرآن، القاهرة 1963، ص 15.

(60) P. Guiraud et P. Kuentz ص 130.

(61) المتمثلة في «مستعملها ومهملها» حسب نظرية الخليل المعجمية وهما يتجاوزان 12 مليون كلمة لم يبلغها لسان العرب ولا تاج العروس.

(62) وقد عبر عنه بالي بـ: L'évocation du milieu.

الشحنات، الاجتماعي منه والثقافي والنفسي حتى تكون رمزا وصورة كاملة عن الإنسان. فترسخ عنه في الذه ، ٩يمة إيحائية متميزة. فالكلام العفوي في نظرها أقدر من غيره على تصنيف بيه المتكلم والربط بين الأدب والواقع مع تحقيق تماثل بينهما على قدر مهم من المصداقية. ويشهد بذلك الخلاف القائم بين دعاة اللغة الفصحى واللغة العفوية في شأن الحوار في الرواية أو في المسرح العربيين المعاصرين. فدعاة الفصحى في هذا المستوى وفي منظور الأسلوبية التعبيرية يضحون بتلك القيمة الإيحائية المتفردة التي تتميز بعمق التعبير في سبيل قيمة ثقافية تاريخية جماعية تقتصر غالبا على التلميح الذي لا يسلم من السطحية أحيانا.

فلقد اعتمدنا مثلا في روايتنا «بودودة مات» لغة ذلك الطفل المشرد الذي يبيع سجائره مترنما :

هذه سواقر «لرتي» و«السرفين»   تنحي الضبطة والزكمة على المسلمين

إن هذه الترنيمة ومثيلاتها استعملها ذلك الطفل لبيع سجائره للاسترزاق وهو يجوب شوارع مدينة تالة حافي القدمين، رث الملابس. إنها أغنية حزينة حمالة وجوه، فيها إبداعه الشعري الفطري، وفيها جهاده من أجل الوجود وفيها إعلان تجاري عن بضاعته لا يقل فطنة عن إعلاناتنا العصرية الغازية المبهرة التي تعشت بالدنيا وتسحرت بالآخرة، وفيها مفاهيم دخيلة علينا مثل سواقر ج. سيقارو، ولرتي (RT = Régie Tunisienne) والسرفين (Surfines)، وهما نوعان من السجائر أولهما عادي، والثاني رفيع وقد انقطعا اليوم من السوق، وفيها توسل بالمسلمين والإسلام لبيع بضاعة أقل ما يقال فيها إنها داهية تزيد في الضبطة والزكام وتفتح الأبواب للسرطان، وفيها ذاكرة من زمان مضى وانقضى. . . وهي شهادة على مأساة أحد أبناء الشعب المعذبين في الأرض لو فُصّحتْ و«أدبت» لما أدت ما أدته بعفويتها ولقتلتها اللغة «الأدبية» التي يمكن أن تصبح أحيانا خطرا على العربية، كما أشار إلى ذلك الروائي العربي الكبير البشير خريف، وهو يراجه هذه القضية ويعانيها في رواياته وقصصه الرائعة.

هذه أهم مظاهر النظرية التعبيرية لصاحبها بالي، وقد تطورت إلى أسلوبيات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وغيرها. وقد أوردناها على ما لها وما عليها باعتبارها معرفة ومنهجا ومقاربة أدبية ثقافية للخطاب المبدع سواء أكان عفويا أم أدبيا، يحسن تطويعها لقراءة نصوصنا التراثية والحديثة التي يمكن أن تغنم منها. وذلك ما دعانا، زيادة على التعريف بها

إلى أن نطبق لها على نص من نصوص البخلاء للجاحظ حتى نربط الصلة بين التنظير والتطبيق للنص المذكور ونقربها من القارئ العربي.

3- قــــراءة نـــصّ الجـــاحـــظ :

النص المعني بالأمر يستوجب منا الملاحظات التالية :

(1) هو مختار من كتاب البخلاء (63)، روايةً عن إبراهيم بن السندي؛ تجري أحداثه في ربض الشاذروان ببغداد، بطله شيخ مصحح من أهل خراسان يمثل نموذجا من نماذج البخل المتنوعة. يوجد النص ملحقا بهذه الدراسة وترجى قراءته قراءةً متأنية لمتابعة قراءتنا له.

(2) القراءة الأسلوبية التي نقترحها تهدف إلى تجاوز القراءات الأدبية المحضة (64) أو الانطباعية (65) التي تتغنى بالأسلوبية دون أن تستثمر في شأنها حتى التراث العقدي والنقدي وقراءتهما. فلقد روي القرآن الكريم بروايات مختلفة وفسر بالمأثور والظاهر والباطن والعقل (66)، وجادل الشعراء النحاة حول العدول، من ذلك قول الفرزدق لأبي اسحاق الحضرمي النحوي «علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا» (67). والبحث عن

(63) الجاحظ : البخلاء ص ص 24-26.

(64) تنظر مقدمة طه الحاجري لكتاب البخلاء، وفيها معلومات وتحليلات تستحق الاعتبار، إلا أنه وصف أسلوب الجاحظ بأنه أسلوب «رشيق، سامي البلاغة ينبض بالحياة ويرشح بالنفحة الأدبية...».

(65) شفيع السيد : أساليب التعبير الأدبي -دراسة فنية، جامعة الامارات العربية المتحدة 1992، عمل جماعي شارك فيه بموضوع عنوانه «التصوير الفني في أدب الجاحظ» ص 341 - 385 حيث يقول في ص 355 في الأسلوب الجاحظي في نصنا المقترح «ويكشف أسلوب الجاحظ في هذا الصدد عن أنه علم شامخ من أعلام البيان في العربية يتصف بقوة العارضة، ويمتلك قدرة هائلة على تقليب المعاني وعرض الصور من جانبين متعارضين مع الاحتفاظ لكلّ منهما في الحالين بدرجة واحدة من التأثير والإقناع». وللمؤلف كتاب مخصص للأسلوبية المعاصرة ومنها الأسلوبية التعبيرية، لانجد لها أثرا في رأيه هذا. وهذه ظاهرة سائدة لا سيما في المؤلفات العربية على العموم والمشرقية على الخصوص، التي تلتفّ على ما يأتي من النظريات الحديثة لأسباب تجارية أو مهنية، وكثيرا ما تعجز عن التطبيق لها على نصوص عربيّة.

(66) فَسَّرَ القرآن وأوّلَ بالمأثور (ابن كثير) وبالظاهر (ابن حزم) وبالباطن (ابن عربي) وبالعقل (الرازي)... الخ وفيها كلها ثراء أسلوبي يستحق العناية للتأريخ للأسلوبية العربية واستكشاف أبعادها المستقبلية.

(67) كان رد الفرزدق هذا عندما عابه أبو إسحاق الحضرمي على «الخطأ» النحوي في بيته :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتًا أو مُجَلَّفُ

حيث مجلفٌ مرفوع معطوف على المنصوب مسحتا. فقال الفرزدق : «عطفته على ما يسوؤك وينوؤك. علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا»؛ وهو على صواب إن كان لذلك مبرر أسلوبي مقصود لغايات مدركة.

الأسلوب تأويل على شرط ألا يكون اعتباطيا ولا محايدا ولا بريئا بل يكون منهجا علميا وجماليا مبررا يتقيد بالنص وصحته ونسبته لصاحبه ووصفه وتحليله لذاته ولحد ذاته من خلال تجربته اللغوية ووسائلها المتميزة لغاية المنفعة والمتعة، دون أن يمنع ذلك من مقاربته مقاربة مضافة ثقافية حضارية يؤيدها النص وموحياته كما أشار إلى ذلك بالي.

(3) نصنا جاحظي أساسا، على أن ذلك لا يمنع - ونحن نبحث عن مميزات الأسلوب الجاحظي - أن نأخذ بعين الاعتبار أنه جاء رواية عن إبراهيم بن السندي وقد روى عنه الجاحظ في البخلاء والحيوان والبيان والتبيين والتاج، ويقول في شأنه «وكان فخم الألفاظ شريف المعاني». وجاءت روايته في نصنا حميمية إذ يقول أبو عثمان «وحدثني إبراهيم بن السندي قال»؛ و«وقال إبراهيم». وهنا يمكن لنا أن نتساءل: ما هو نصيب أسلوب إبراهيم بن السندي من أسلوب الجاحظ ؟ وهل الراوي والكاتب شيء واحد؟ وما عسى أن تكون منزلة أسلوب الجاحظ من كل هذا ؟ ذلك موضوع لا يشغلنا الآن باعتبار أن الجاحظ استعمل أسلوب الرواية للاتقاء في نصنا حسبما يبدو لنا لأنه عالج موضوعا متفجرا بطله البخيل شيخ من أهل الدين والورع.

(4) قراءتنا ستركز في منهجها على بنية كمية وهي الفقرة التي تكون وحدة متوسطة مترابطة يعتمدها الكاتب لتبليغ مفهوم أو رؤية فأكثر. أمّا التعبير عن أسلوبه فيها فنستشفه فيما سخر له من الشحنات اللغوية بجميع أصنافها (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وبلاغية) لأداء أبعاد فكرية وثقافية وحضارية وجمالية تكون رسالة الكاتب إلى المرسل إليه ليستفيد ويتمتع بالقبول أو بالرفض أو بالمجادلة . . . الخ، ويتركب نصنا من سبع فقرات سنقتصر على أهم مظاهرها دون الدخول في تفاصيلها وقراءاتها المتشعبة. فما هي مميزات أسلوبها تعبيرا وأداء وإيحاء ؟

الفقرة الأولى : [من] : «حدثني إبراهيم بن السندي. . . [حتى] ولا يشرب إلا ما لا بد منه». يقدم لنا الجاحظ في هذا المستوى بطلنا البخيل من خلال :

أ) شحنة عاطفية موسيقية تتمثل في السجعة المقصودة وأصواتها الموحية المختارة المتوافرة في هذه الفقرة دون أن تستبد بها. ويعبر عنها التناغم في زوجي **الشاذروان وخراسان**. . . . ومن **الرشا** ومن **الحكم بالهوى**. وفي المعطوفات بضمائر عودتها: في **إمساكه** وفي **بخله** وتدنيقه، وكذلك في رنة النفي وشدة الحصر وقطعيته : **لا يأكل إلا ما لا بد منه** ولا **يشرب إلا ما لا بد منه**. فنحن أمام شحنات تعبيرية تعلن بالصوت والرنين

والقطع غرابةَ أصل بطلنا وتناقض قوام خلقه مع عسر تقتيره وشدته.

ب) شحنة عاطفية معجمية صرفية تظهر في كثافة استعمال «كان» خمس مرات لتفيد بدوام حميد خلقه وبمحافظته على رديء إمساكه وتدنيقه، مما يوحي بشذوذ بخيلنا. فهو ملتزم بالعبادة خارج عن العادة.

ج) شحنة التشبيه الطارئة للتعريض بهذا التقي المصحح باستعمال غير منتظر لـ «**كذلك كان**» عوضا عن «**لكنه كان**» للاستدراك تعبيرا عن المقام الجديد المخالف لما سبق؛ إلا أن الجاحظ عدل عن «**لكن**» لـ «**كذلك**» التي تعادل وتسوي بين خلقين متنافرين. وكان من المفروض أن يكون صلاح خلقه على قدر كرم طبعه أكلا وطعاما. فقدم لنا شخصية منشطرة مزدوجة مما يضخم المناقضة ويبالغ في معادلة مشبوهة لغة ومنطقا. وذلك من باب التشويق والتعجب وغايتهما هنا السخرية والضحك من نموذج بشري اجتماعي يبدو معصوما لاستقامته وورعه وسعة علمه. فالفرصة متاحة للجاحظ المعتزلي العقلاني للتهكم على العجم من أهل خراسان وربض الشاذروان وعلى أهل الورع البخلاء ممن ذموا في القرآن الكريم [58] وفي الحديث الشريف، وفيه ما يناسب مقامنا: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» [59]. فنحن أمام نموذج نصفه بخل ونصفه خلق حسن. فما العمل؟ الاستغراب والضحك من مخلوق غريب مُنَصَّف. ويمكن أن نمثل لهذه الفقرة بما يلي:

أ) **مواصفات البخيل**:
- خلقه: كان.... كان.... كان....
- سلوكه: إمساكه، تدنيقه
- أكله: لا... إلاما....

الفقرة الثانية: [من] «غير أنه كان... [حتى] ومن هذا مرة». وفيها تظهر شحنات عاطفية لغوية عمادها العدد والكمية وتتعلق بطعم البخيل وتؤكد على مفهوم العزلة والتقتير والتعادل في الأكل خشية الإفراط فيه. ويدل على ذلك:

أ) **الإفراد المعجمي الغالب**: **الجمعة - صرة فيها ملح - صرة فيها أشنان... يمضي وحده - ويطلب موضعا وسط خضرة... ماء جار**... مرة... مرة... مرة. والغاية من هذه الإفرادية أن متعة البطن لا تجوز إلا في يوم الجمعة دون غيره، ودون رقيب ولا

(58) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ب. ت) بيروت مادة «بخل» وفيه نزلت آيات كثيرة.

(59) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث - لونسنك - مادة بخل.

رفيق، ملحُها مخفي في صرة وكذا أشنانها، في محيط جميل لا داعي لكثرته وتنوعه، الأكل فيه تعادل بين المأكولات. فالوحدة سائدة في كل حال وفي كل مكان تعبيرا عن الأخلاق « الأكلية» عند هذا الانعزالي الأناني المذواق التعادلي.

ب) **صيغ التثنية والجمع** : للتدليل على الحرص على الاقتصاد والتقتير : «**جرذقتان**» لا أقل ولا أكثر تردفان بجمع القلة «**قطع جبن**» وبجمع المؤنث السالم «**أربع بيضات لا بد منها**» و«**زيتونات**» على غرار أيام معدودات مبالغة في القلة والتقليل والدقة. ويمكن لنا أن نعبر عن هذه الفقرة بهذا الرسم :

2) طعام البخيل :
- العزلة : الجمعة، وحدة، شجرة... ماء
- التقتير : جرذقتان، قطع جبن... زيتونات
- التعادل : من هذا مرة ومن هذا مرة

الفقرة الثالثة : [من] «فإن وجد قيم... [حتى] ولا مأجور». وفيها تبرز مقاييس تعامل البخيل مع غيره ويسيطر عليها كذلك مفهوم الكمية. فمن مقاييسه إعطاء القليل : «**رمى إليه بدرهم**» وأخذ الكثير: «اشتر لي بهذا أو اعطني بهذا رطبا ... أو عنبا» مع المطالبة بالعدل والجودة : «**ولكن تجوّدْ لي**» مع الوعيد «**فإن المغبون لا محمود ولا مأجور**». وتظهر الشحنات اللغوية العاطفية في التهاون بالغير وبصيغ الأمر والوعظ والإرشاد، وكلها توحي بالأنانية الساذجة، وبشعور خاص بالحق وبالعدل. ويمكن أن نمثل لذلك :

3) مقاييس التعامل :
- إعطاء القليل : رمى إليه بدرهم
- أخذ الكثير : رطب - عنب
- طلب العدل والجودة

الفقرة الرابعة : [من] «فإن أتاه... [حتى] كل جمعة» ويلفت النظر هنا شحنتان لغويتان عاطفيتان عبر عنهما الجاحظ بأسلوب القلب في الجملة والتقليب في الكلمة أو بتكرار «ثم» متبوعة بأفعال تدل على آداب البخيل المتعلقة بأكله وصحته من ذلك أنه :

أ) لا يبقي ولا يذر : «**فإن أتاه به أكل كل شيء معه**» حتى عروقه « وكل شيء أتى به» **حتى مالا يؤكل**.

ب) القيام بطقوس روتينية آلية : نظافة ثم هضم ثم نوم ثم وضوء ثم مسجد ثمّ صلاة تنقلب فيها آدابه إلى دأب. فهو منهوم دؤوب يمثل له بما يلي :

النهامة : أكـــل كل شيء

4) آداب البخيل الأكليـة :

الدأب : غسل، مشي، نوم . . . .

ملاحظة هامـة : في الفقـرات الأربع السابقـة اعتمـد الجاحظ السـرد لغاية وصف البخيل وطقوس طعامـه وتعامله مع غيره ودأبه. فاستعمل فيهـا الأسلوب الإخباري غالبا دون أن يظل حيـاديا لأنه استغل شحنات لغـوية عاطفية فيها توترات وتشويقـات عنصرها الأسـاسي مرتكز على بنية التناقـضات التـي مكنته من أن يرسم صـورة البـخيل الإنسـاني الأزلي مع نفحات من بيئته ومحيطه تميزه خراسانيا مستلطفا مضحكا.

الفقرة الخامسة : [من] «قال إبراهيم. . . [حتى] ماردردت عليك السلام ». تتميز هذه الفقرة بكثـافة شحناتها اللغوية العـاطفية وتنوعها لأنه ركـزت على أساليب الإنشاء من جـدل واستـفهـام واستـنكار ولوم ودعاء وتعـددت فيـهـ الأصوات : صـوت إبراهيم بن السندي المبـاشر، ووراءه يتخـفى صوت الجاحظ وصـوت «أنا البخـيل» وصوت «أنت» الضيف المعتم، مما زاد في حدة التوتر خلافا لما سبق. فكانت على قدر الخصومة المفتعلة، وقد سخر لها الجاحظ طاقاته باستعمال :

أ) المفاجـأة النحويـة : «إذ مر به رجل». وقـد آلت إلى مفـاجأة وجودية زعـزعت عزلة البخيل ووحدته وطمأنيته وكسرت صمته فرد السلام على السلام مكرها.

ب) دعوة ودعاء «هلم عافاك الله» تحملهما جملة تلغرافية شكلية آلية منافقة.

ج) الاستفهام الزجري الوقح والوعظ في جمل متلاحقة مهاجمة، غايتها الإفحام والترهيب يشهد به على وجـه الخصوص استعمال لغة عفـوية «تريد ماذا» عوضا عن «ماذا تُرِيد» العادية المتأدبة.

د) التحـقير والعتـاب والاستعلاء : «لو ظننت أنك هكذا أحـمق ما رددت عليك السلام». ولقد استعـملت كل هذه الأساليب للتعبير عن نفسية البخـيل ومركباته : الخوف من الآخر، النفاق، الوقـاحة والجبن المستأسد، وغايتهـا الايحاء بأن مفهوم الضيـافة معدوم في معجم البخيل وذهنيته. ويمكن أن نمثل لذلك بما يلي :



الفقرة السادسة : [من] «الآيين. . . [حتى] فضلا كثيرا». الشحنات العاطفية هنا تعتـمد على توتر هادئ معـقلن. وغاية الجاحظ مـنها أن يقدم لنا لمحـة أخرى عن خطاب الإقناع عند هذا البخيل الخفي ومن ورائه تهكم مقصود على خطاب الأعاجم والمتمنطقين وعلى أسلوب السفسطائيين. وتظهر تلك الشحنات في :

أ) التلاعب بالضـميرين «أنا» و«أنت» وتكثيفـهما بتـرديد كل واحد منهمـا خمس مرات إلى حد استنفاد طاقة كل ما يحيط بهما ومحو أثره جملة وتفصيلا.

ب) اعتـماد جمل شرطيـة ساذجة المحتـوى تبدو معادلات مـتمنطقة يغلب عليـها القياس الشكلي الذي لا صلة له بما فيه الخصمان اللذان يبقى أحدهما صامتا.

ج) التركيز على صيغ متقاربة جرسا ووزنا في مستوى الكلمة أو الجملة مثل :

الكلام بالكلام - مقبول

الكلام بالفعَال - مرفوض

القول بالأكل - مذموم

للإيحاء بخطاب الإقنـاع بالبخل وقوانينه التي أشـار إليها الجـاحظ متهكمـا باستعـمال شحنة عاطفية مفاجئة تتمثل في كلمـة «الآيين» الأعجمية، وتعني العادة والقانون، تلميحا إلى أن البخل سلوك أعجمي خراساني. ويمكن أن نمثل لكل ما سبق بما يلي :

6) خطاب الإقناع بالبخل وقوانينه :

- الشقشقة : أنا . . . . أنت
- القياس الشكلي : أن . . . . . فـ
- التمنطق : مضيت أنت وقعدت أنا
- الفضل وقوانينه : كلام بكلام. . .

الفقرة السابعة : [من] «قال (إبراهيم السندي)... [حتى] استقام الأمر».

وتعود فيها القصة إلى الأسلوب الإخباري نسبيا مثلما يدل على ذلك صيغة المبني للمجهول «وقيل له» مع العودة إلى سحنة «الأنا» البخيلة الرافضة لـ «هلم» شعار الضيافة. وهو قانون رابع من قوانين البخل يستوجب أن نعدم «هلم» في معجمنا ونطردها منه. ويمكن أن نمثل لذلك بما يلي :

7) شعار الفضل عند البخيل : ——— لتسقط «هَلُمَّ» !!

4 - المسرواية الجاحظية : «أسلوب جديد» :

فما عسانا نستنتج من كل ما سبق بالنظر إلى أسلوب الجاحظ في هذا النص من منظور الأسلوبية التعبيرية المعتمدة هنا؟ الملاحظ أن الجاحظ عالج موضوعا صعب المنال يتعلق بالسخرية والتهكم على وجه العموم وبنموذج شيخ ورع حنفي على وجه الخصوص. ولقد أصاب في ذلك بأن سلط عليه آليات متنوعة مشحونة عاطفة : السجعة صوتا وموسيقى ووزنا وجرسا، العدول معجميا وصرفيا ونحويا، دلالية تقليبية تناقضية متمنطقة، مزج بين الوصف السردي الإخباري والتوتر الإنشائي الحواري، تصالح بين اللغة الأدبية واللغة العفوية في سبيل سهل ممتنع... الخ مما تبسطنا فيه فيما سبق. فهل يمكن أن نعتبر أن هذا الأسلوب هزلي جاحظي عام ينطبق على كل قصص البخلاء ؟ ذلك ما لا يمكن البت فيه إلا من خلال دراسة مقارنة بين أغلب تلك القصص. المهم في هذه القصة أنها أوحت إلينا بظاهرتين جاحظيتين تستحقان الاعتبار : أولاهما توحي بأن الجاحظ كان على علم بالمسرح اليوناني لأن بنية القصة المعنية تكاد تكون صورة عن مسرحية كوميدية يونانية وظفها الجاحظ فكانت عربية إسلامية، كأن عناصرها السبعة السابقة التي مثلنا لها، تشهد على أنها تحتوي على سبعة مشاهد تلتزم بالقواعد المسرحية الكلاسيكية الثلاث (Trois règles) وما إليها وهي : وحدة الموضوع ووحدة المكان ووحدة الزمان، وأبطال بسطاء يمكن أن يسخر منهم مع تدخل مخلوقات أسطورية لوجود حلول مرضية - خلافا للمأساة التي تستوجب أبطالا فرسانا نبلاء - لأزمات قائمة وذلك بضمان نهاية سليمة سعيدة. ولا شك في أن قصتنا الحاجظية تتوافق تماما مع ما نقترح إن اعتبرنا الشكل التالي تمثيلا لها :

وحدة الموضوع : البخل
وحدة المكـــان : البستـــان
وحدة الزمـــان : الجمعـة

عناصر الكوميديا اليونانيـة
وآثارها في قصة الجاحظ :

الأبطال بسطاء وسطاء : شيخ، قيم، ضيف
النهاية سليمة : خصومة كلامية وتوافق
المخلوقات الأسطورية : مغيبة

فلا ينقص هذه القصـة إلا حضور المخلوقات الأسطورية المغـيبة (Les Satyres)، وذلك عن قصـد عند الجاحظ لأسبـاب عقدية تـدعو إلى تجنب العناية في ميـدان الفن بما له صلة بالأوثان والأصنام والآلهة وأساطيـرها. وهنا نصل إلى الظاهرة الجاحظية الثانيـة وتتمثل في أن الجاحظ أبدع لـنا ضربا أدبيا وفنـيا جديدا أسَـمّيه «المسرواية» وهي مزج الروايـة بالمسرح أخذا بما يتفق بينهمـا وبين أخلاقيات مجتمع الجـاحظ. وذلك أسلوب جاحظي محدث دعمته شحنات نصه التعـبيرية. ولا شك في أن هذا النص الرائع مؤهل لأن يقرأ قراءات أخـرى حسـب نظريات أسلوبيـة مختلفـة لعلنا سنعود إليهـا، وحسـب مقـاربات أدبيـة واجتماعية ونفـسية وحضارية إضافية يمكن اعتمادها فـي مناسبات أخرى خارج الأسلوبية التعبيرية.

محمد رشاد الحمزاوي
جامعة تونس الأولى

كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري
بين المعجم العامّ والمعجم المختصّ

بحث :إبراهيم بن مراد

1 - تقديم : في المعجم العامّ والمعجم المختصّ :

نريد أن نمهّد للحديث في أسس التأليف المعجمي في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (ت. 282 هـ/ 895م) وفي صلتها بالمعجمية المختصّة، بالحديث في أسس التأليف المعجمي عامّة والفروق الأساسية بين صنفي المعاجم : العامّة والمختصّة، والفروق بين صنفي المفردات المكوّنة لتلك المعاجم : أي ألفاظ اللغة العامّة،والمصطلحات. فإن هذا التمهيد ييسّر لنا تنزيل كتاب النبات لأبي حنيفة تنزيلا صحيحا في المباحث المعجميّة العربيّة.

قوام «المعجم» إذن المفردات. والمفردات صنفان : فهي إمّا ألفاظ لغويّة عامّة منتمية إلى الكلام العامّ، وقابلة للتوظيف الأدبي الإنشائي في مقالات الخطاب، وإمّا مصطلحات، وهذه وحدات معجميّة مخصّصة مرجعة إلى مفاهيم دقيقة، وهي لذلك تختلف عن الصنف السابق - ألفاظ اللغة العامّة - من حيث الوظيفة والخصائص. فإن الوظيفة الأدبية التي تؤديها الألفاظ تنتج عن خصائص معيّنة فيها قد أكسبتها إيّاها خاصيّة «التّعميم». وأهمّ تلك الخصائص الاشتراك أو التعدّد الدلالي، والدلالة الإيحائية، والارتباط بمختلف السّياقات التي يخوّل لها الاستعمال الانتظام فيها. وأمّا المصطلحات فذات وظيفة اصطلاحيّة، وهذه الوظيفة تنشأ عمّا أُكْسِبَتْه المصطلحات من الخصائص إكسابا : وأهمّها أحاديّة الدلالة التي تنفي عنها الاشتراك، وذاتيّة الدلالة التي تنفي عنها الإيحائية، والخصوصيّة التي تنفي عنها التعميم، والانتماء إلى حقل مفهومي قابل للضبط والتحديد الدقيقين وليس إلى حقل دلالي معجميّ عامّ إذ تكوّن هذا الحقل الألفاظ. ذلك

أن المصطلحات لا تربطها بالموجودات التي في الواقع علاقات مرجعيّة مباشرة بل تربطها بها علاقات غير مرجعيّة. فإن العلاقات المرجعيّة إنما تكون بين الوحدات المعجميّة العامّة - أي الألفاظ - والموجودات لأنها علاقات بين دوالّ لغويّة ومداليل ذات وجود في الواقع هي المسماة مراجع، وتتنزل المعاني المستفادة من هذه العلاقات في «الدلالة المعجميّة العامّة». وأمّا العلاقات غير المرجعية فتكون بين الوحدات المعجميّة المخصّصة - أي المصطلحات - والموجودات، لأن الوحدات المعجميّة ترجع إلى مفاهيم، والمفاهيم وحدات دلالية مستقلة عن دلالات الوحدات اللغويّة مرتبطة بمقولات مفهومية هي أسماء أجناس كليّة تشتمل على طوائف عامّة تصنف تصنيفا هرميّا بالتدرّج من أعلى الهرمية إلى أسفلها، أي من الكلّيّ إلى الجزئي، وهذا التصنيف الهرمي دالّ على أن المفاهيم ذاتها كليّة وجزئيّة.

وما يعنينا ممّا سبق هو أن المصطلحات أو الوحدات المعجميّة المخصّصة مرجعة إلى ماهيات ذهنيّة مرتبطة بموجودات هي إمّا أشياء حسيّة وأهم ما يمثلها المواليد وهي أشخاص النبات والحيوان والمعادن وأعيانها، وإمّا مجردات مثل متصوّرات الفلسفة أو الرّياضيات. وإذن فإن المصطلحات تقع على الموجودات القابلة للتعيين أو للتحديد أو لهما معا، سواء كانت حسيّة ذات أعيان أو كانت مجرّدة متصورة. على أن قابلية هذه الموجودات لأن تقع عليها المصطلحات لا تدل على امتناع وقوع ألفاظ اللغة العامّة عليها أيضا. فإن الأسد في نظر عالم الطبيعة غير الأسد في نظر الشاعر أو الراعي؛ وكذا الماء، فإنّه في نظر الكيميائي غير الماء في نظر الفلاح ذي الأرض العطشى أو الراعي الذي يبحث لنفسه ولقطيع غَنَمه عن ورِْد. فإن الأسد في نظر عالم الطبيعة مولود طبيعيّ تحدّده خصائصه التمييزية والنمطيّة التي تدرجه في طائفة الثدييّات وفصيلة السنوريّات. أمّا بالنسبة إلى الشاعر والراعي فإن الأسد حيوان قد اشتهر بقوّته وشجاعته وبطشه المخيف. وكذا الماء فإنه في نظر الكيميائي جسم سائل ناتج عن تآلف حجمي بين الأوكسجين والهدروجين بنسبة 1 الى 2. أمّا بالنسبة إلى الفلاح أو الراعي فإن الماء هو السائل الذي يدفع غلّة العطش.

وإذن فإن الوحدة المعجميّة «أسد» مصطلح بالنسبة إلى عالم الطبيعة، وهي لفظ لغويّ عامّ بالنسبة إلى الشاعر أو الراعي، والوحدة المعجميّة «ماء» مصطلح بالنسبة إلى الكيميائي، وهي لفظ لغوي عامّ بالنسبة إلى الفلاّح أو الرّاعي. والوحدتان مصطلحان

لأنهما تعيّنان موجودين لكلّ منهما «حقيقة علميّة» تحدّدها خصائصه التميـيزيّة والنمطيّة، وهمـا لفظان عـامّان لأنهـمـا تحيـلان إلى مـرجـعين لهمـا دلالة إيحـائيـة في ذهن المتكلّم، تلصقهما بوجدانه وتلحقهما بالدلالة المعجميّة العامّة.

ويلاحظ إذن أنّ الوحدات المعجميّة تكون مـصطلحات وتكون ألفاظا لغويّة عامّة. على أنّ من الوحدات المـعجميّة ما لا يصلح إلاّ لأن يسـتعمل ألفـاظا لغويّة عـامّة، وهي الأفعـال والظروف والأدوات وجلّ الصـفات، ومن الوحـدات ما يصلح لأن يسـتعـمل ألفـاظا لغويّة عـامّـة ومصطلحـات، وهي الأسـماء كلّهـا، وما وظّف ليـقـوم مقـامهـا من الصّفات. فـإن الأسمـاء - من بـين أنـواع المقـولات المعـجمـيّة - أقـدر على اكـتسـاب المفاهيم [1].

والوحدات المعجميّة العامّة - أي الألفاظ - هي المكوّنة للمعجمـيّة العامّة، النظريّة - وقـوامهـا البحث النظري في عـلم المفردات - والتطـبيـقـيّـة وقوامـها البـحث في تأليف المعاجم اللغوية العامّـة؛ والوحدات المعجميّة المخصّصة - أي المصطلحات - هي المكوّنة للمعـجميّـة المختصّة، النظرية - وقوامـها البحث النظري في علم المصـطلح - والتطبيقـية وقوامها البحث في تأليف المعاجم المختصّة، أي المعاجم المشتملة على المصطلحات. وإذن فإن المعجم المختص هو الكتـاب الذي تدون فيه الوحدات المعجميّة المخصّصة المنتمية إلى علم من العلوم أو إلى فن من الفنون، أو إلى مجـموعة من العلوم أو من الفنون. ومنهج تأليفه مـبحث مندرج في المعجميّة المختصّة التطبيـقية مثلما أن منهج تـأليف المعجم اللغوي العام مـبحث مندرج في المعـجمـيّة العامّـة التطبيـقيـة. والمبحثـان أو المنهجـان يشـتركان في الأسس والأركـان العامّـة لكنهـمـا يختلفـان في عناصـر التطبـيق. فإن تـأليف الصنفين من المعـاجم يقـوم - منذ القـديم - علـى أسّين كـبيـرين هـمـا (1) الجمـع، أي تكوين المدوّنة المعـجمـيّـة، و(2) الوضع، أي إخراج المعـجم الكتـاب أو إنجازه أو التـأليف بين عناصـره فتصبح الوحدات المعجميّة المجمّعـة مداخل معجميّة ذات وظائف في كتاب مدوّن بعد أن كانت مجرّد مفردات تحملها جذاذات دون تصنيف مقصود.

والجـمع ذاته قائم علـى ركنين هما : (أ) المصـادر التي يعـتمـدها جـامع المدوّنة في

(1) ينظر حول الصنفين من الوحدات المعجمية وخصائص كل منهما : إبراهيم بن مراد : مسائل في المعجـم، ص ص 30-44 ؛ نفسـه : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 99-101، وص ص 124-130.

تكوين مادته المعجميّة، و(ب) المستويات اللغويّة التي تنتمي إليها الوحدات المعجميّة المجمّعة؛ والوضع أيضا يقوم على ركنين هما : (أ) الترتيب، أي الطريقة التي يختارها مؤلف المعجم في تبويب مداخل معجمه وتصنيفها، و(ب) التعريف، وهو ذكر السّمات المميّزة لمرجع أو لمفهوم مّا عمّا عداهما من المراجع والمفاهيم (2).

ويشترك المعجمان - اللغوي العامّ، والمختصّ - في أسّي الجمع - إذ يشتمل كلّ منهما على مادّة معجميّة مجمّعة - والوضع، إذ لابدّ - ليكون المعجم معجما بحق - أن تُتَناول المادّة المجمّعة بالمعالجة المعجميّة. ثم إن المعجمين يشتركان في الأركان الأربعة التي يقوم عليها الجمع والوضع، أي المصادر والمستويات اللغويّة، والترتيب والتعريف. لكن هذه الأركان في المعجم اللغوي العامّ تختلف عمّا هي عليه في المعجم المختصّ اختلافا غير يسير.

فإن المصادر في المعجم اللغويّ العامّ هي المصادر التي توفّر للمعجميّ المادّة اللغويّة الأدبيّة الفصيحة. وقد كانت في المعجميّة العامّة العربية القديمة خمسة : هي (أ) الشعر (الجاهلي والإسلامي الأول)؛ (ب) القرآن الكريم؛ (ج) الحديث النبوي؛ (د) المأثور من كلام العرب؛ (هـ) الرّواية عن الأعراب (خلال عصر الاحتجاج). وأمّا المصادر في المعجم المختصّ فهي المصادر التي توفّر للمعجميّ المادّة المصطلحيّة التي يبتغي تدوينها. ولم تعرف المعجميّة المختصّة العربية القديمة من تنويع المصادر ما عرفته المعجميّة العامّة. فإن المصطلحات التي عني القدماء بتدوينها في معاجم كانت إمّا فنية - مثل مصطلحات الفقه وعلم الكلام والفلسفة - وإمّا علميّة. وأهم الكتب التي جمعتها هي معاجم الطبّ والأدوية المفردة. وأهم مصادر معاجم المصطلحات الفنيّة كان عربيّا إسلاميّا. وأهمّ مصادر معاجم المصطلحات العلميّة كان أعجميّا يونانيّا أو عربيّا - في المراحل اللاحقة للقرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) - قد اعتمدت فيه المصادر الأعجميّة : فإن حركة الإنشاء العلمية العربية قد تأسّست على الترجمة، فكانت مصادر العلم الأساسية مصادر أعجميّة.

والمستويات اللغويّة في المعجمين - العامّ والمختصّ - أربعة : هي (أ) الفصيح؛ (ب) المولّد؛ (ج) العاميّ؛ (د) الأعجميّ المقترض. والفصيح مشتمل على الجاهلي

---

(2) ينظر تحليل موسع لأسي المعجم والأركان التي يقومان عليها في : إبراهيم بن مراد : المعجم العلمي العربي المختص، ص ص 60-147؛ نفسه : مسائل في المعجم، ص ص 02-08، و 131-135.

القديم والإسلامي المحدث من المفردات؛ والمولّد هو ما أحدث في العربية من المفردات بعد عصر الاحتجاج اللغوي في الحواضر؛ والعاميّ هو العربي الذي استعملته العامّة فحرفته؛ والأعجميّ المقترض هو ما أدخل العربية من اللغات الأخرى. وأقوى المستويات منزلة في المعاجم اللغويّة العامّة هو الفصيح، يتلوه الأعجميّ؛ وأضعفها منزلة المولد والعاميّ. وأقوى المستويات منزلة في المعاجم المختصّة المولّد والأعجمي المقترض، يتلوهما العاميّ؛ وأضعفها منزلة هو الفصيح. وغلبة الفصيح في المعاجم العامّة راجعة إلى تقيد المعجميين في جمع مادتهم بمعايير فصاحية صارمة. وغلبة المولد والأعجميّ في المعاجم المختصّة راجعة إلى أن المصطلحات تعبّر عادة عن المستحدث من المفاهيم والأشياء. والمستحدث يقتضي التعبير عنه إمّا بالمولّد في اللغة ذاتها باستعمال وسائل التوليد فيها، وإمّا باقتراض أدلة من اللغات مصادر العلم إذا فضّل المقترض على المولّد.

فإذا نظرنا في ركني الوضع - أي الترتيب والتعريف - وجدنا بين المعجم العامّ والمعجم المختصّ اختلافا أيضا. فإن الترتيب - في المعجم عامّة - ثلاثة أصناف تتفاوت في المنزلة والأهمية : أولها وأهمها هو الترتيب على حروف المعجم، وهو أنواع ذات ضروب؛ والصنف الثاني هو الترتيب بحسب المواضيع؛ والصنف الثالث - وهو نادر - هو الترتيب بحسب الأبنية. وقد اشتركت المعاجم العامّة والمعاجم المختصة في الصنفين الأول والثاني من الترتيب، لكن المعاجم المختصّة قد غلب فيها نوع بعينه من الترتيب على حروف المعجم هو ترتيب المداخل، أي المصطلحات، بكامل حروفها - أي دون اعتبار الأصلي والزائد فيها - بحسب أوائلها. وهذا النوع في الحقيقة أوفق لترتيب المصطلحات، وقد رأينا أن مقولة الاسم فيها أغلب، وأنّ المولّدات والأعجميات المقترضة في تلك الأسماء أظهر منزلة.

وأمّا الركن الثاني من الوضع - وهو التعريف - فإن الاختلاف فيه بين المعجم العامّ والمعجم المختصّ أكبر، فإن التعريف في جوهره عمليّة تمييزيّة لأنه يميّز بين الأدلة اللغويّة في خصيصتها الدلالية. لكن التمييز بين الوحدات المعجمية العامّة، أي الألفاظ، يختلف عن التمييز بين الوحدات المعجميّة المختصّة، أي المصطلحات. فإن التمييز بين الألفاظ تمييز لغوي خالص، ولذلك فإن التعريف المميّز لها يسمّى «تعريفا لغويّا»، ومجاله المعجم اللغوي العامّ. وهذا الصنف من التعريف يقتصر فيه على تبيان خصوصية اللفظ اللغوي وسماته المميّزة والمتميّزة بالنسبة إلى غيره من الألفاظ. وأمّا التمييز بين المصطلحات

فتمييز مفهوميّ، والمفاهيم تصوّرات لموجودات مجرّدة معقولة في الذهن أو لأشياء ذات أشخاص وأعيان. وارتباط التمييز بتحديد المفاهيم يجعل منه عمليّة لتحديد ماهية المسمّى. وهذا «التحديد الماهوي» يسمّى «تعريفا منطقيّا»، ومجاله إذن المعجم المختصّ. وقوامه الإخبار عن خصائص الموجود الذهني أو الشيء المسمّى في المعجم من نواح عدّة منها ما يتصل بخصائص تمييزيّة فيه ومنها ما يتصل بخصائص نمطيّة.

تلك إذن هي الفروق الأساسيّة بين صنفي المفردات المكوّنة للمعجم، أي ألفاظ اللغة العامّة والمصطلحات، والفروق الناتجة عنهما بين صنفي المعاجم : المعاجم اللغوية العامّة والمعاجم المختصّة. وقد مهدنا بالبحث في تلك الفروق لنبحث في صلة كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بالمعجميّة المختصّة. فإن الكتاب امتداد طبيعي لمرحلة التأليف في صفات الأشياء - أي لرسائل الصفات - وتتويج لها، وهذه الرسائل كانت رسائل لغويّة عامّة. على أن النظر المعمق في مادة كتاب النبات المعجميّة يدل على أنه كان ذا صلة وثيقة بالمعجميّة المختصّة، وهذا ما سنبينه في الفقرات التالية، بالبحث في أركان التأليف المعجميّ في الكتاب.

2 - ركنا «الجمع» في كتاب النّبات :

2-1. ركن المصادر :

تختلف مصادر المعجم اللغويّ العامّ - كما بيّنا من قبل - عن مصادر المعجم المختصّ اختلافا كبيرا. فإنّ مادة المعجم اللغويّ العامّ - وهي ألفاظ اللغة العامّة - تستمدّ من المصادر - المكتوبة والشفويّة - التي تعنى بكلام الناس العامّ، وقد بيّنا من قبل أن تلك المصادر كانت في المعاجم العربيّة العامّة القديمة خمسة أساسيّة هي (1) الشعر؛ (2) القرآن الكريم؛ (3) الحديث النبوي؛ (4) المأثور من كلام العرب؛ (5) الرواية عن الأعراب. وهذه الرواية تكون إمّا مباشرة - بالانتقال إليهم والأخذ عنهم - وإمّا غير مباشرة، بالنقل عمّن أخذ عنهم من الرّواة. وأمّا المعجم المختصّ فإنّ مادته - وهي المصطلحات - تستمد من المصادر التي توفر للمعجميّ مادّة العلم المصطلحية التي يبتغي تدوينها. وتلك المصادر - في المعجميّة المختصّة العربيّة القديمة - كانت إمّا مكتوبة - وهي الأغلب - أعجميّة مترجمة أو عربية إسلامية ذات مرجعيّات أعجميّة، وإمّا شفويّة ينهي إليها «البحث الميداني»، وأهم ما مثّله في الثقافة العلميّة العربيّة القديمة التعشيب الذي كان علماء النبات

يقومون به إمّا أثناء رحلاتهم العلميّة - مثل رحلة أبي العبّاس النباتي ابن الرومية ورحلة تلميذه أبي محمد عبد الله ابن البيطار - وإمّا في المواطن التي كانوا يقيمون بها. وقد كانوا - أثناء الرحلة خاصّة - يعاينون النباتات في مواضع إنباتها ويسألون الناس في البلاد التي يحلون بها عن أسمائها عندهم. ويلاحظ أن بين مساءلة العلماء الناس أثناء البحث الميداني ورواية اللغويين المباشرة عن الأعراب تشابها كبيرا.

والنظر في كتاب النبات لأبي حنيفة يبيّن أنّ مصادر الجمع عنده كانت مصادر لغويّة؛ أي أنه كان يحذو حذو المعجميين في عصره، ولذلك كانت مصادره الأساسية خمسة هي :

(1) الشعر : وقدأورد في مواد الجزء الأوّل من معجمه - وعددها 482 - تسعة وثمانين وأربعمائة (489) شاهد شعريّ لمائة وأربعة (104) شعراء جلّهم جاهليّ وبعضهم إسلاميّ لا يتجاوز عصر بني أميّة : فهم من شعراء عصر الاحتجاج اللغويّ الفصحاء (3).

(2) القرآن الكريم : وهو ضعيف المنزلة في الجزء الأوّل من المعجم إذ لم تتجاوز الشواهد القرآنية السبعة (4).

(3) الحديث النبوي : وهو أضعف منزلة من القرآن إذ لم يرد منه إلاّ ثلاثة أحاديث (5)، قد اكتفى المؤلّف في أحدها بالإحالة ولم يذكر نصّه.

(4) المأثور من كلام العرب : وفي الجزء الأول من الكتاب أربعة وعشرون أثرا، نصفها أمثال (6)، وتسعة من المأثورات عن العرب القدامى (7)، وثلاثة من أقوال

---

(3) ينظر في آخر الجزء الأول من المعجم الألفبائي (من الألف إلى الزاي - تحقيق برنهارد لوين Bernhard Lewin)«فهرست الشعراء» ص ص 220-222، و«فهرست القوافي» (ص ص 226-235)، والملاحظ أن المحقق قد رقم شواهد أبي حنيفة الشعرية من 1 إلى 489، وبعضها مكرر قد ورد في أكثر من موضع من الكتاب.

(4) ينظر : أبو حنيفة : النبات، 38/1، (ف32، آيتان)؛ 92/1 (ف 178)؛ 114/1 (ف239) ؛ 141/1 (ف299)؛ 150/1 (ف320)؛ 152/1 (ف325).

(5) نفسه، 21/1 (ف 5)؛ 83/1 (ف154)، ولم يذكر المؤلف هنا حديثا بل أحال إلى «خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وقوام الخبر حديث صحيح؛ 93/1 (ف182).

(6) نفسه، 31/1-32 (ف 16)؛ 37/1 (ف 29)؛ 44/1 (ف 63)؛ 60/1 (ف 92)؛ 78/1 (ف 146)؛ 103/1 (ف 223) ؛ 105/1 (ف 225)؛ 130/1-131 (ف 273)؛ 154/1 (ف 330)؛ 192/1 (ف 429)، وفيها مثلان؛ 197/1 (ف 445).

(7) نفسه، 40/1 (ف 41)؛ 83/1 (ف 152)؛ 100/1-101 (ف 219، وفيه ستة مأثورات)؛ 155/1 (ف 333).

الصحابة (8).

(5) الرواية عن الأعراب : والرواية عنهم في الكتاب صنفان :

(أ) بالأخذ عنهم مباشرة. وقد نبّه أبو حنيفة إلى الأخذ المباشر عنهم، بإخبارهم له أو سماعه عنهم. وهؤلاء الأعراب نوعان : نوع ذكر غُفْلاً غير معيّن قد أشار إليه أبو حنيفة بعبارات مثل «أخبرني أعرابيّ» (9) أو «سمعته من الأعراب» (10)؛ والنوع الثاني من الأعراب ذكر معيَّنًا بنسبته إلى قبيلته أو إلى موطنه. ومن الأعراب الذين أخبروه ونسبهم إلى قبائلهم أعراب ربيعة (11) وبني أسد (12) وعنزة (13) وكلب (14) وأزد السَّراة (15)؛ ومن الأعراب الذين نسبهم إلى مواطنهم أعراب زهران (16) وأعراب المجازة (17) وأعراب السَّراة (18) وأعراب عمان (19) وأعراب اليمن (20).

على أنّنا لا نعرف هل اتصل بهؤلاء الأعراب في مواطن إقامتهم ببواديهم بأن ارتحل إليهم فسمعهم وروى عنهم، أم إنه التقى بهم خارج مظانّهم، وخاصّة في العراق التي قضّى فيها فترة من حياته.

(ب) بالأخذ غير المباشر عنهم. وإذا كانت طريقة الأخذ المباشر المشافهة، فإن طريقة الأخذ غير المباشر كانت حسب رأينا النقل عن نصوص مدوّنة؛ وهذه النصوص هي الكتب أو الرسائل التي ألّفها اللغويّون السابقون لأبي حنيفة في صفات الأشياء - ومنها النبات - وكانت المادّة التي دوّنوها مرويّة عن الأعراب الذين ارتحلوا إليهم والتقوا بهم في مواطنهم ببواديهم وروَوْا عنهم. وإذن فإن هؤلاء اللغويين كانوا رواة عن الأعراب.

(8) اثنان لعمر بن الخطاب (نفسه، 34/1، ف 22)، و1/168، ف 376)، وقول لحباب بن المنذر الأنصاري (90/1، ف 173).

(9) نفسه، 43/1، (ف 58)، (ف 59)؛ 68/1 (ف 118)؛ 72/1 (ف 131) ... الخ).

(10) نفسه، 140/1 (ف 295).

(11) نفسه، 11/1 (ف2)؛ 24/1 (ف9)؛ 50/1 (ف 90) ... الخ.

(12) نفسه، 101/1 (ف 220)؛ 132/1 (ف 280). وقد يشير إليهم بعبارة «بعض بني أسد» (مثل : 34/1، ف22) أو «رجل من بني أسد» (مثل : 25/1، ف 9).

(13) نفسه، 181/1 (ف412)؛ 204/1 (ف470).

(14) نفسه، 118/1 (ف 245)؛ 179/1 (ف 408).

(15) نفسه، 204/1 (ف 471)؛ وقد نسب خبرا إلى «أعرابي من الأزد» (143/1، ف311) دون تخصيص للأزد : هل هم أزد السراة أم أزد عمان.

(16) نفسه، 179/1 (ف 409).

(17) نفسه، 158/1 (ف 341).

(18) نفسه، 69/1 (ف 120)؛ 132/1 (ف 281)؛ 141/1 (ف 300) ... الخ.

(19) نفسه، 150/1 (ف 344)؛ 160/1 (ف 377).

(20) نفسه، 166/1 (ف372)؛ 177/1 (ف 402).

وقد نقل أبو حنيفة ما رَوَوْه عنهم فكانت روايته - فيما نقله - غير مباشرة.

ومصادر الرواية غير المباشرة في كتاب النبات نوعان: الأول يمثله رواة قد ذكروا بأسمائهم. وأظهر هؤلاء أثرا وأسْيَرُهُم فيَ الكتاب ذكرًا أربعة: أولّهم بدويّ أعرابيّ فصيح نزل بغداد وأصبح لغويًا وألَّف، هو أبو زياد الكلابي (ت. حوالي 200 هـ/ 816م) (21)، وثانيهم هو أبو عمرو الشيباني (ت. 210 هـ/ 825م) (22)؛ والثالث هو الأصمعيّ (ت. حوالي 214هـ/ 829م) (23)؛ والرابع هو أبو نصر الباهلي (ت. 231هـ/ 847م) (24). ثمّ تتلو هؤلاء جماعة من اللغويين منهم من غلب عليه «علم اللغة» - أي المعجم - مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت. 210 هـ/ 825م) (25) وأبي زيد الأنصاري (ت. 215 هـ/ 830م) (26) وأبي عبد الله ابن الأعرابي (ت. 231 هـ/ 846م) (27)، ومنهم من غلب عليه النحو وكانت له مشاركة في المعجم، مثل يونس بن حبيب (ت. 182 هـ/ 798م) (28)، وأبي الحسن الكسائي (ت. 189 هـ/ 805م) (29)، وأبي زكرياء يحيى الفراء (ت. 207 هـ/ 822م) (30).

والنوع الثاني رواة لم يعينوا ولم يسموا بل أشير إليهم إشارات مختلفة منها «بعض الرواة» - (31) وهي الأغلب - و«بعض الثقات» (32) و«بعض المشائخ» (33) و«بعض علماء الأعراب» (34). وليس من شك عندنا في أن هؤلاء الرواة والمشائخ والثقات هم المشتغلون

---

(21) نفسه، 2/1، 3، 4، 5 (ف 1)؛ 11/1، 12 (ف 2)؛ 13/1، 17 (ف 4)؛ 23/1 (ف 8)؛ 25/1 (ف 9)؛ 27/1 (ف13). ولم يشأ محقق الجزء الأول من المعجم فهرسته لغلبة ذكره فيه.

(22) نفسه، 7/1، (ف 1)؛ 13/1، 17، 18، 19 (ف 4)؛ 23/1 (ف 9)؛ 28/1 (ف 13)؛ 31/1 (ف 16)... الخ؛ ولم يفهرسه المحقق أيضا.

(23) نفسه، 9/1 (ف 1)؛ 14/1، 16، 17، 18 (ف 4)؛ 28/1 (ف 13)؛ 55/1 (ف 89)... الخ؛ ولم يفهرسه المحقق أيضا.

(24) نفسه، 8/1، 9 (ف 1)؛ 18/1 (ف 4)؛ 27/1 (ف 12)؛ 31/1 (ف 15)؛ 35/1 (ف 24).. الخ؛ ولم يفهرسه المحقق أيضا.

(25) نفسه، 9/1، 10 (ف1)؛ 20/1 (ف 10)؛ 34/1 (ف 22)؛ 51/1 (ف 78).... الخ.

(26) نفسه، 18/1 (ف 4)؛ 32/1 (ف16)؛ 64/1 (ف 106)... الخ.

(27) نفسه، 2/1، 3، 4 (ف1)؛ 59/1 (ف 89)؛ 73/1 (ف 132، و 133)... الخ.

(28) نفسه، 60/1 (ف 92).

(29) نفسه، 7/1 (ف1)؛ 18/1 (ف 4).

(30) نفسه، 30/1 (ف14)؛ 59/1 (ف 89)؛ 91/1 (ف 176)؛ 96/1 (ف 199، و 201)... الخ.

(31) نفسه، 9/1 (ف1)؛ 13/1 (ف3)؛ 33/1 (ف 21)؛ 34/1 (ف22، و 23)؛ 35/1 (ف 24)... الخ.

(32) نفسه، 35/1 (ف 25)؛ 84/1 (ف 157).

(33) نفسه، 59/1 (ف 89).

(34) نفسه، 79/1 (ف 140).

بجمع اللغة وتدوينها من علماء اللغة سواء كانوا نحاة أو كانوا معجميين. وقد يكونون العلماء أنفسهم الذين ذكرهم بأسمائهم، وقد يكونون علماء آخرين أقل من أولئك منزلة فلم يشأ ذكرهم. ومن أهم الأدلة على ان الرواة من اللغويين أن جل ما نسب إليهم من الأقوال في الكتاب من باب التعليق اللغوي. بل إ أبا حنيفة قد يشير إلى «بعض الرواة» فيجعله في طبقة واحدة مع اللغويين (35).

وما يستنتج من حديثنا عن مصادر أبي حنيفة في كتاب النبات إذن هو أنها مصادر لغوية خالصة، وأن ليس من فرق بين مصادره ومصادر مؤلفي المعاجم اللغوية العامة مثل الخليل بن أحمد مؤلف كتاب العين أو أبي عبيد القاسم بن سلام مؤلف الغريب المصنف.

على أن النظر المعمق في مادة الكتاب يظهر جوانب خفية دالة على أن أبا حنيفة لم يقتصر في جمع مدونة كتابه على المصادر اللغوية الصرف. وأهم تلك الجوانب ثلاثة :

الأول نسميه «**استخبار غير الفصحاء من العرب**». ويبرز هذا الجانب في الكتاب أمران :

(1) الأخذ عن أهل الأمصار. وقد ذكر من الأمصار اثنين هما العراق والشام. فأما العراق فقد أخذ فيه عن أهل البصرة (36) وأهل الحيرة (37) وعن أنباطه (38) وهم معدودون من العجم؛ وأما الشام فلم يعين منه مكانا مخصوصا (39) بل أحال إما إلى رواة من أهل الشام - مثل قوله «أخبرني رجل من أهل الشام» (40) أو «أخبرني شيخ من أهل الشام» (41) - وإما إلى أهل الشام عامة. وهذا النوع من الإحالة مهم لأن أبا حنيفة قد نبه فيه إلى مخالفة أهل الشام لما اشتهر عند العرب الفصحاء من التسمية. من ذلك أن «الإجاص عند أهل الشام الكمثرى، ويسمون الإجاص المشمش» (42)، أي إنهم يطلقون اسم الإجاص على الكمثرى، أما الإجاص نفسه فيسمونه المشمش؛ كما أن ما يسميه العرب

---

(35) مثل قوله 201/1 (ف 402) : «ذكر أبو نصر [الباهلي] أن الزعبر المرو. وقال غيره من الرواة الزبغر».
(36) نفسه، 167/1 (ف 375)؛ و 189/1 (ف 425).
(37) نفسه، 178/1 (ف 408).
(38) نفسه، 179/1 (ف 408).
(39) حسب الجزء الأول من المعجم الألفبائي، فهو الذي اعتمدناه وحده في الاستقراء.
(40) أبو حنيفة : النبات، 17/1 (ف 4).
(41) نفسه، 185/1 (ف 422).
(42) نفسه، 41/1 (ف 49).

خوخا يسميه أهل الشام دراقن (43)، والكلمة أعجمية من أصل يوناني (44).

ويلاحظ إذن أن أبا حنيفة لا يتقيد في استخبار مصادره بالمعايير الفصاحية الصارمة التي كان علماء اللغة يتقيدون بها في جمع مدوناتهم. فقد كانوا يستنقصون من فصاحة أهل الأمصار، بل كانوا غير ميالين إلى الأخذ عن عرب أطراف الجزيرة أيضا مثل أهل اليمن وأهل عمان ويكادون يحصرون الفصاحة في وسط الجزيرة - منطقة نجد - وبلاد الحجاز.

الأخذ عمن سماهم «العلماء». فقد أحال في مداخل كثيرة من كتابه إلى جماعة ليسوا من الأعراب وليسوا من الرواة، إذ أشار إليهم بعبارات مثل «زعَم بعض العلماء» (45) و«ذكر بعض العلماء» (46) و«قال بعض أهل العلم» (47) و«زعم بعض من قد سمع العلم» (48) و«أخبرني رجل من أهل المعرفة» (49) و«أخبرني الخَبِرُ» (50) و«أهل العلم على ما وصفت لك» (51). ولا شك أنه لا يخرج علماء اللغة من «العلماء» (52)، ولكن العلم الذي يتعاطونه يختلف عن علم آخر كانت لأبي حنيفة به خبرة هو «علم الأوائل» أو «العلوم القديمة»، وهي العلوم اليونانية التي انتقلت إلى العربية بالترجمة، ومنها علم النبات. فالعلم إذن عند أبي حنيفة علمان: علم عربي ذو أصول ومصادر أعرابية، وعلم عربي ذو أصول ومصادر أعجمية. ولنا على الأخذ من مصادر هذا العلم الأعجمي في الكتاب شواهد كثيرة، سنرجع إلى بعضها بعد. ونكتفي هنا بالإشارة إلى اثنين منها:

الأول هو قول أبي حنيفة: «أخبرني رجل من أهل المعرفة أن الكرم الذي ينسب الناس إليه الصحاف هو شجر ليس بالسامق (53) ولكنه غليظ وله ورق مثل ورق الإجاص

(43) نفسه، 166/1 (ف 370)، وكذلك: ص 174 (ف 389).

(44) الكلمة يونانية أصلها «Dôraknion» - ينظر: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، 373/2 - 374 (ف 877).

(45) أبو حنيفة: النبات، 25/1 (ف9)؛ 62/1 (ف 95)؛ 108/1 (ف 232).

(46) نفسه، 140/1 (ف 311).

(47) نفسه، 52/1 (ف 82).

(48) نفسه، 133/1 (ف 287).

(49) نفسه، 19/1 (ف 4).

(50) نفسه، 21/1 (ف 5).

(51) نفسه، 119/1 (ف 287).

(52) فقد عد أبا عبيدة من العلماء في قوله: «وأنكره أبو عبيدة وأنكره غيره من العلماء» (نفسه، 26/1، ف 10).

(53) في الأصل «الباموق»، وقد حاول المحقق التعليق على هذه المفردة (تنظر ص 22 من مقدمة التحقيق) ورجح أن تكون فارسية دالة على نوع من أنواع الخشب، لكنه لم يجد لها أصلا. وهي تحريف لما أثبتنا، وتدل على ذلك فقرة «كرم» (ف 238/2، ف 945) في كتاب النبات.

(. . .). ينبت في جبال الدروب، دروب الروم» (54).

والثاني هو قوله : «وأخبرني الخبر أن الأرز ذكر الصنوبر وأنه لا يحمل شيئا ولكن يستخرج من أعجازه وعروقه الزفت ويستصبح بخشبه كما يستصبح بالشمع. ويقال لخشبه ذاك الذي يستصبح به الداذين، وهو كلام رومي، ويسميه أهل السراة المناور ويتخذونه من خشب المظ وخشب العتْم» (55).

ويلاحظ أن النباتين - الكرم الذي ينسب الناس إليه الصحاف والأرز الذي يستخرج منه الزفت ويتخذ خشبه في الإنارة - ليسا من نبات بلاد العرب وليسا من النبات الذي يستعمله العرب في أغراضهم. فإن الأول «ينبت في جبال الدروب، دروب الروم» وليس هو الذي يصنعون منه الصحاف بل يصنعونها من سبقان كرم ينبت بالسراة : «تغلظ ساقه عندهم غلظا شديدا» (56)؛ والثاني - حسب ما نسبه «لسان العرب» إلى أبي حنيفة - «ليس من نبات أرض العرب» (57) إذ هو - حسب ما ذكره أبو حنيفة نفسه في مادة «مظ» - أرز «يكون بالثغر من جبال الروم» (58). وليس هو الذي يستخرج العرب منه الزفت إذ الزفت عندهم يتولد عن القطران الذي يستخرج من شجر العرعر والعتم والتألب، بعد أن يصير «خضخاضا» (59)، وليس خشبه الذي يستصبح به - وهو يحمل اسما يونانيا هو «الداذين» (60) - هو الخشب الذي يستصبح به العرب، فإن لهم مكان الداذين «مناور» يتخذونها من خشب المظ وخشب العتْم. ولا شك أن العلم بهذين النباتين - وخاصة من حيث الإنبات ومن حيث الاستعمال - ليس من علم الأعراب ولا هو من علم الرواة الذين أخذوا عنهم، بل هو علم «أهل المعرفة» أو «الخبراء» بما يوجد في بلاد الروم من النبات. وقد يكونون من التراجمة من اللغة اليونانية أو من الأطباء الذين عاصرهم والتقى بهم في العراق.

(54) أبو حنيفة : النبات، 10/1 (ف4).

(55) نفسه، 21/1 (ف 5).

(56) نفسه، 17/1 (ف4).

(57) ابن منظور : لسان العرب، 40/1 (أرز). والنقل فيه عن أبي حنيفة. وقد ورد فيه : «. . . ويستصبح بخشبه كما يستصبح بالشمع، وليس من نبات أرض العرب» ولا توجد الجملة الأخيرة في النص المحقق.

(58) أبو حنيفة : النبات، 275/2 (ف 1028).

(59) ينظر أبو حنيفة : النبات (الملتقطات)، ص ص 500-501 (ف 1400)؛ وينظر : البيروني : الصيدنة، ص 311.

(60) «الداذين» كلمة يونانية أصلها «Dados» ومن معانيها «مشعل من خشب صمغي» و «خشب صمغي» و«خشب الصنوبر».

والجانب الثاني نسميه «**الاهتمام بالطب والأطباء**». والاهتمام بالطب عنده ظهر في عنايته بذكر الأدوية والمداواة. ولا شك أنه كان يعرف معرفة جيدة قيمة النباتات ومستحضراتها ومستخلصاتها في المداواة إذ النبات هو أحد المواليد الثلاثة التي اشتهر استعمالها في الأدوية المفردة في عصره، منذ تُرْجِمَ كتاب «المقالات الخمس» لديوسقريديس وكتاب «الأدوية المفردة» لجالينوس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). لكن غايته اللغوية المغلبة في تأليف الكتاب قد جعلت آثار تلك المعرفة خفية فيه. ويمكن أن يستدل على تلك الآثار بشواهد من الكتاب كثيرة. وهي نوعان :

الأول تمثله شواهد متصلة بالمداواة والعلاج. منها قوله عن «الحرمل» : «وقد يتخذ الحب الذي في سنفته للأدوية. وقد تطبخ عروق الحرمل فسيقاها المحموم إذا ماطلته الحمى» (61)؛ وقوله عن «الحماض» : «وهو ضربان : أحدهما حامض عذب، والآخر فيه مرارة (...). وبزر الحماض يتداوى به وكذلك بورقه» (62)؛ وقوله عن «الخروع» : «وقد يتخذ من حبه دهن يتداوى به الناس» (63)؛ وقوله عن «السعد» : «أرومة (...) تقع في العطر وفي الأدوية» (64)؛ وقوله عن «الورس» : «نافع للكلف طلاء، وللبهق شربا، ولبس الثوب المورس مقو على الباه، عن تجربة» (65).

والنوع الثاني تمثله شواهد متصلة بمصطلحات الأطباء النباتية، أي بالأدوية المفردة النباتية كما عرفت عند المؤلفين فيها. وهذا النوع من الشواهد قد يذكر فيه المصطلح فقط، وقد يذكر فيه المصطلح ومنافع النبات العلاجية. ومن أمثلتها قول المؤلف عن «العبب» : «يطلب منه ما لم يثقب فيدق ويضمد به الأوجاع فينفع. والعبب عند الأطباء الكاكنج» (66)؛ وقوله عن «العنصل» : «ويقع في الدواء ويقال له العنصلان أيضا. وأصوله بيض (...) والمتطببون يسمونه الاسقيل» (67)؛ وقوله عن «الغرز» : هو الأسل الذي يتخذ منه

---

(61) أبو حنيفة : النبات، 103/1 (ف 223).

(62) نفسه، 110/1 (ف 242).

(63) نفسه، 140/1 (ف 311).

(64) نفسه، 37/2 (ف 512).

(65) نفسه 334/2 (ف 1080).

(66) لم يرد الشاهد في الجزء الثاني من كتاب النبات. وهو موجود في كتاب الصيدنة للبيروني، ص 275.

(67) أبو حنيفة : النبات، 150/2 - 157 (ف 761). والإشقيل مصطلح يوناني أصله «Skilla» - ينظر : ابراهيم بن مراد : المصطلح الأعجمي، 84/2 (ف 188).

الغرابيل، ويسمى الغريز. يقع في الأدوية ويسميه الأطباء قنطوريون» (68)؛ وقوله عن «اللفاح» : «طيب الرائحة، ويوضع مع الرياحين، ويسمى بالفارسية السابيزك، أي التفاح الصغير. وهو يدخل في الأدوية ولا سيما أصله. والمتطبون يسمونه المغد» (69).

ولا شك أن من شواهد النوع الأول ما ينتمي إلى ما يمكن تسميته «الطب الشعبي العربي» أي العادات العلاجية التي توارثتها أجيال البدو والأعراب عن بعضها، وهذا نجده في الشواهد المنسوبة في الكتاب إلى الأعراب (70) وإلى الرواة (71)، ولكن لا نشك أيضا في أن من المنافع العلاجية التي نسبها أبو حنيفة إلى النبات ما أخذه من مطالعاته في كتب الأطباء. وهذا تدل عليه الشواهد التي لم تعز في الكتاب إلى أعرابي أو راوية، والشواهد التي ذكر فيها الأطباء ذكرا صريحا.

والجانب الثالث الدال على أن أبا حنيفة لم يعتمد في جمع مدونة كتابه على المصادر اللغوية الخالصة نسميه «**أثر مقالات ديوسقريديس**». وقد حاول بعض الباحثين مناقشة هذه المسألة من قبل (72) وانتهى إلى ترجيح عدم استفادة أبي حنيفة من كتاب ديوسقريديس. ونحن نرى أن من المبالغة أن ننفي استفادة أبي حنيفة من كتاب «المقالات الخمس» نفيا تاما. ونذهب إلى أن ديوسقريديس كان من مصادر أبي حنيفة. لكننا لا ندري هل كان مصدرا مباشرا أم كان مصدرا غير مباشر. وليس غريبا أن يطلع أبو حنيفة على «المقالات» في ترجمتها العربية التي أنجزت ببغداد في أواخر النصف الأول من القرن الثالث الهجري؛ فقد نقلها إلى العربية اصطفن بن بسيل وأصلحها حنين بن إسحاق في زمن جعفر المتوكل العباسي (232 هـ/ 847م - 247 هـ/ 861م) (73). وقد كان أبو حنيفة معنيا عناية كبيرة بعلوم الأوائل، أي علوم العجم، وخاصة بالهندسة والحساب وعلم الهيئة

---

(68) أبو حنيفة : النبات، 171/2 (ف 787).

(69) ورد في الجزء الثاني من كتاب النبات (ص 347، ف 1111) ضمن مادة «يبروح»؛ وقد نقله جامعه من كتاب الصيدنة للبيروني، ص 334.

(70) ينظر في الكتاب مثلا : 30/1 (ف 38)؛ 111/1-112 (ف 236).

(71) ينظر فيه أيضا : 60/1 (ف 92)؛ 111/1 (ف 235).

(72) ينظر محمد حميد الله في مقدمته للمقتطفات، ص ص 18-20؛ وينظر سزكين : تاريخ التراث العربي، 503/5-504، وقد اعتمد رأي زلبربرغ (Silberberg) الألماني، وهذا أيضا ذهب إلى عدم استفادة أبي حنيفة من كتاب ديوسقريديس.

(73) ينظر حول انتقال مقالات ديوسقريديس إلى العربية : إبراهيم بن مراد : دراسات في المعجم العربي، ص ص 227-270 ؛ نفسه : مقدمة تحقيق «تفسير كتاب دياسقوريدوس» لابن البيطار، ص ص 35-42.

والطب، وله فيها مشاركة في التأليف (74). ولا نظن أنه قد عني بتلك العلوم وألف فيها دون أن يطلع على مصادرها الأعجمية التي كانت معروفة في عصره. ولئن كان كتابه في النبات مندرجا في التأليف اللغوي في صفات الأشياء، فإن الجوانب العلمية الخالصة فيه دالة على أنه كتاب علم أيضا، والمشهور من كتب علم النبات الأعجمية في عصره هو كتاب «المقالات الخمس» لديوسقريديس، وقد نُظِرَ فيه إلى النباتات باعتبارها أدوية مفردة، أي باعتبار صلتها بالمداواة والعلاج. لكن تحليات النبات وتسمياته - اليونانية ثم العربية والفارسية في ترجمة الكتاب - قد جعلت من «المقالات» معجما مختصا في النباتات الطبية؛ وذلك وحده كاف في نظرنا لحث أبي حنيفة على النظر في ترجمة هذا الكتاب والاستفادة منها.

على أننا لم نعثر في الحقيقة إلا على ثلاثة شواهد في كتاب النبات لها صلة وثيقة بالمقالات الخمس. الأول والثاني متصلان بالتسمية النباتية، أي بالاصطلاح، والثالث متصل بالمادة العلمية.

والشاهد الأول هو «الخروع». فقد قال عنه : «وذكر بعض العلماء أنه يقال له السمسم الهندي» (75)، والسمسم الهندي ترجمة محرفة لما ورد في نص المقالات، فإن فيها في بداية القول في «الخروع» : «ومن الناس من يسميه سيصامن أغريون» (76)، و«سيصامن أغريون» هو السمسم البري، والتسمية التي ذكرها ديوسقريديس تطلق على الخروع في بلاد اليونان، وليس أبو حنيفة بمضطر إلى إقحامها في معجمه.

والشاهد الثاني هو «العنصل». فقد قال عنه أبو حنيفة : «هو بصل البر. له ورق مثل الكراث (. . .). ويسميه العامة بصل الفأر. ويعظم حتى يكون مثل الجُمْع. ويقع في الدواء. ويقال له العنصلان (. . .). والمتطببون يسمونه الاسقيل» (77). و«الاسقيل» أو «الاشقيل» بالشين هو المصطلح الذي «عرب» به اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق مصطلح «سقلا» (Skilla) اليوناني، الوارد في متن المقالات (78)، وأما «بصل الفأر» فقد

---

(74) ينظر حول العلوم التي عني بها أبو حنيفة ومؤلفاته فيها : ابن النديم : الفهرست، ص 86 ؛ سزكين : تاريخ التراث العربي، 8/302-305.

(75) أبو حنيفة : النبات، 1/140 (ف 311).

(76) ديوسقريديس : المقالات، ص 430 (ف 4-113).

(77) أبو حنيفة : النبات، 2/156-157 (ف 701).

(78) ديوسقريديس : المقالات، ص 224 (ف2-170).

ورد في عبارة تصدرت الفقرة هي : «ومن الناس من يسميه بصل الفأر»، وليست هي من نص مؤلف المقالات إذ لا وجود لها في نصها اليوناني (79)، بل هي من إضافة المترجمين. وإذن فإن «بصل البر» مصطلح عربي فصيح. وأما «إشقيل» و«بصل الفأر» فأولهما يوناني مقترض وثانيهما عربي عامي، ولم يأخذهما أبو حنيفة عن الأعراب أو عن الرواة بل من ترجمة «المقالات الخمس» العربية.

وأما الشاهد الثالث ففيه نقل من كلام ديوسقريديس عن «اللاذن». فقد قال أبو حنيفة : «اللاذن واللاذنة ضرب من العلوك. وقال هو دواء بالفارسية. وقيل : هو ندى يسقط في الليل على الغنم (80) في بعض جزائر البحر» (81). واللاذن - بالذال والدال أيضا - صمغ يستخرج من أحد أنواع «القستوس». ونص قول ديوسقريديس فيه هو : «وقد يكون صنف آخر من القستوس ويسميه بعض الناس ليذون، وهو شجيرة شبيهة بالقستوس غير أن ورق هذه أطول وأشد سودا ويحدث له شيء من رطوبة يلزق (82) بيد اللامس لها في الربيع (. . .). ومن هذا الصنف من القستوس يكون الدواء الذي يقال له اللاذن. فإن المعز ترعى من ورقه ويلزق (82) بها من رطوبته هذه لأنه شبيه بالدبق، ويتبين ذلك في أفخاذها وفي لحا التيوس منها» (83). ويلاحظ أن «الرطوبة» الواردة في نص ديوسقريديس قد أصبحت «ندى» في نص أبي حنيفة، وأن «المعز» و«التيوس» في نص الأول قد أصبحت «الغنم» في نص الثاني. أما «جزائر البحر» فلا شك أنها من إضافة أبي حنيفة باعتبار أن نص ديوسقريديس يوناني وأن ما يتحدث عنه واقع في بلاد اليونان، وهي من جزر البحر.

والشواهد الثلاثة التي ذكرنا كافية في نظرنا لتدل على أثر ترجمة «المقالات الخمس» العربية في كتاب النبات لأبي حنيفة. ثم هي دالة - مع الشواهد الأخرى التي ذكرنا قبلها - على أن مصادر أبي حنيفة لم تكن مصادر لغوية عامة فقط بل كانت مصادر علمية أيضا. وذلك يعني أن غايته من تأليف كتابه لم تكن لغوية خالصة، بل كانت غاية علمية أيضا،

(79) ينظر : P.A. Dioscuridis : De Materia Medica. Libri Quinque.Ed. Max Wellmann, Berolini, 1907-1914 (3 vols., I/237, N° II, 171).

(80) في الأصل «العنم» بالعين المهملة، وهو تحريف.

(81) أبو حنيفة : النبات (المنتخبات)، ص 326 (ف 1301). والنقل فيه عن مخصص ابن سيده، ويضاف إليه لسان العرب، 3/ 301 (لذن)، والشرح فيه غير معزو، و«العنم» فيه هي «الغنم» بالغين.

(82) في الأصل «يلذق» بالذال، وهو تحريف.

(83) ديوسقريديس : المقالات، ص 91 (ف 1-104).

وأن معجمه - لذلك - لم يكن لغويا عاما محضا بل إن ميل مؤلفه إلى المعجمية المختصة كان كبيرا أيضا.

2 - 2. المستويات اللغوية :

تصنف المستويات اللغوية في المعجم عامة إما بحسب خاصيتي التعميم والتخصيص في المداخل المجمعة، وإما بحسب درجة المداخل من الفصاحة. فإذا صنفنا المستويات بحسب التعميم والتخصيص كانت اثنين : تنتمي إلى الأول ألفاظ اللغة العامة التي تدون في المعاجم اللغوية العامة، وتنتمي إلى الثاني الوحدات المعجمية المخصصة أي المصطلحات التي تدون في المعاجم المختصة. وإذا صنفناها بحسب درجة المداخل من الفصاحة كانت أربعة قد سبق ذكرها هي (1) الفصيح؛ (2) المولد؛ (3) العامي؛ (4) الأعجمي المقترض. وهذه المستويات الأربعة توجد في المعجمين العام والمختص، لكن الفصيح والأعجمي في المعجم العام أغلب، والمولد والأعجمي والعامي في المعجم المختص أغلب.

والتصنيف بحسب التعميم والتخصيص مفض عامة إلى تمايز ظاهر بين المعجم العام والمعجم المختص. فإن ألفاظ اللغة العامة تنتمي إلى كل أصناف المقولات المعجمية : أي الأسماء والأفعال والصفات والظروف والأدوات. وأما المصطلحات فإن الغالب فيها الأسماء إذ الأسماء أقدر على تعيين الموجودات وحمل المفاهيم، وتتلو الأسماء الصفات إذا أقيمت مقام الأسماء، وقد تستعمل الأدوات في الاصطلاح أيضا إذا عوملت معاملة الأسماء كما فعل القدماء في «الليس» و«الكم» و«الكيف». أما الأفعال - لدلالتها على الأحداث والحالات المتغيرة - فلا يمكن أن تتخذ للاصطلاح، إلا نادرا، إذا استعملت في التسمية خاصة.

فإذا نظرنا في «كتاب النبات» معتبرين في مداخله خاصيتي التعميم والتخصيص، أمكن لنا توزيع مداخله على ثلاثة أصناف مقولية : (1) صنف الأسماء؛ (2) صنف الصفات؛ (3) صنف الأفعال.

والأسماء في الكتاب ثلاثة أنواع، هي :

(أ) أسماء تحملها موجودات حسية معينة، هي أعيان النبات وأشخاصه، ومثالها «الأراك» (84) و«الإسحل» (85) و«الأثأب» (86) و«الأثل» (87).. الخ.

(84) أبو حنيفة : النبات، 1/2 (ف 1).
(85) نفسه، 1/11 (ف 2).
(86) نفسه، 1/12 (ف 3).
(87) نفسه، 1/13 (ف 4).

(ب) أسماء لا تُعَيِّن موجودا مخصوصا بل تشترك فيها موجودات كثيرة، فهي أسماء أجناس متضمّنة. ومثالها «البقل» وهو «كل عشبة تنبت في بزر ولم تنبت في أرومة باقية» (88)، و«البزر» وهو «حب جميع النبات» (89)، و«الحصد» وهو «ما جف من النبات فأحصد» (90). . الخ.

(ج) أسماء لا تُعيِّن أشخاص النبات ولا تدل على جزء من أجزائه أو خاصية من خاصياته أو حالة من حالاته، بل هي أسماء عامة تطلق على أشياء أو ظواهر ذات صلة بالنبات، في استعماله خاصة. ومثالها «البرزين» وهو «المشربة تتخذ من القيقاءة، وهي قشر الطلعة» (91)، و«الجذى» - جمع «جذوة» - وهي «أصل العود الغليظ تبقى في طرفه النار» (92)، و«الخمر» وهو «كل ما واراك فخمرك من شجر أو غيره (. . .)، ومنه قيل لما خمر العقل من الأشربة وغمره خمر» (93).

والصفات في الكتاب ثلاثة أنواع أيضا مثل الأسماء :

(أ) صفات تحملها موجودات حسية معينة هي نباتات بعينها. ومثالها «الإقماعي» وهو «نوع من العنب» (94)، و«الخشيناء» وهي «بقلة تفترش على الأرض» (95)، و«الدهماء» وهي «عشبة خضراء عريضة الورق» (96)، و«الذفراء» وهي «عشبة خبيثة الرائحة ترتفع مقدار الشبر» (97).

(ب) صفات لا يختص بها نبات بعينه بل تشترك فيها أنواع أو أجناس أو فصائل من النبات لأنها تظهر خاصية مشتركة فيها أو حالة من الحالات التي تكون عليها. ومثالها «المجنون» وهو «من الشجر كله والعشب ما طال طولا شديدا» (98)، و«الحشي» وهو «اليابس من النبات كله» (99)، و«الذاوي» وهو «من النبات ما أخذ في الجفوف ولما

(88) نفسه 1/63 (ف 105).
(89) نفسه، 1/66 (ف 108).
(90) نفسه، 1/114 (ف 240).
(91) نفسه، 1/63 (ف 105).
(92) نفسه، 1/91 (ف 177).
(93) نفسه، 1/153 (ف 333).
(94) نفسه، 1/45 (ف 68).
(95) نفسه، 1/163 (ف 353).
(96) نفسه، 1/174 (ف 390).
(97) نفسه، 1/179 (ف 409).
(98) نفسه، 1/99 (ف 214).
(99) نفسه، 1/140 (ف 294).

يجفَّ» (100)

(ج) صفات عامة جدا ذات صلة ضعيفة بالنبات ذاته بل هي مشتركة بين النبات وغيره من الأشياء. ومثالها «الثليب» وهو «كلأ عامين، أسود» (101)، و«الخضر» وهو «كل خضراء» - ومنه النبات - (102)، و«المدخول»، وهي صفة للطعام أو التمر إذا فسدا: «إذا فسد الطعام أو التمر قيل دخل، فهو مدخول» (103).

وأما الأفعال فلم نجد منها في جزئي المعجم إلا فعلا واحدا هو «أدْبَى». فقد نقل أبو حنيفة عن أبي زياد أنه «يقال أدبى العرفج إذا خرج فيه أمثال الدبا في عيدانه» (104). فهو إذن فعل يتيم. ولا شك أن مبرر إيراده هو اختصاص نبات يعينه به هو «العرفج».

وإذن فإن الأسماء والصفات هي المكونة لمادة كتاب النبات. وقد رأينا أن الأسماء والصفات ثلاثة أنواع تتدرج جميعها من التخصيص إلى التعميم. فإن ما انتمى إلى النوع (أ) منها هي مصطلحات علمية حقيقية لأنها تعين ماهيات نباتية حقيقية، وما انتمى منها إلى النوع (ب) أقل تخصيصا من النوع الأول لكنه منتم إلى علم النبات لأنه متعلق هو أيضا بموجودات نباتية وإن لم تكن مخصصة. وأما النوع (ج) فلا تخصيص فيه ولا علاقة له بالنبات المحض، ولذلك فإن الوحدات المعجمية المنتمية إليه تعد ألفاظا لغوية عامة. على أن وحدات هذا النوع المعجمية قليلة العدد في الكتاب. فإن النوعين (أ) و(ب) هما المكونان لجل مادة المعجم. وهذا يدعم ما ذهبنا إليه من قبل عن غاية أبي حنيفة من تأليف كتابه. فإنها لم تكن غاية لغوية خالصة كما قد تدل عليها مصادره اللغوية العامة، بل كانت علمية أيضا.

وما ذهبنا إليه يدعمه النظر في تصنيف المستويات اللغوية في كتاب النبات بحسب درجة الوحدات المعجمية من الفصاحة. وقد رأينا من قبل أنّ المستويات اللغوية في المعاجم اللغوية العامة والمختصة أربعة هي (1) الفصيح، (2) المولد، (3) العامي، (4) الأعجمي المقترض؛ وأن المغلب منها في المعجم العام العربي القديم اثنان هما الفصيح ثم الأعجمي الأدبي الذي استعمل في النصوص الفصيحة؛ وأن المغلب منها في المعجم المختص

---

(100) نفسه، 1/ 183 (ف 416).

(101) نفسه، 1/ 84 (ف 155). وهو كلأ قد اختزن مدة عامين حتى اسود.

(102) نفسه، 1/ 150 (ف 320).

(103) نفسه، 1/ 178 (ف 403).

(104) نفسه، 1/ 178 (ف 404).

العربي القديم - وقد درسنا معاجم الطب والصيدلة خاصة (105) - ثلاثة هي المولد والأعجمي والعامي. على أن الفصيح فيها قد بقي ذا أهمية لكن هذه الأهمية أقل بكثير مما هي عليه في المعاجم العامة. فإذا طبقنا هذا التصنيف على كتاب النبات وجدناه ينتمي إلى المعاجم اللغوية العامة. فإن المستويين المغلبين فيه هما الفصيح ثم الأعجمي المقترض. والفصيح فيه تمثله الوحدات المعجمية العربية التي اعتمد أبو حنيفة في جمعها على المصادر اللغوية العامة التي ذكرناها من قبل، وخاصة على الأعراب والرواة الذين نقلوا عنهم. وقد أحصينا عدد المداخل الفصيحة في حروف الجزء الأول من المعجم - وهي أحد عشر من الألف إلى الزاي، وعدد المداخل الجملي فيها 482 مدخل - فوجدنا خمسة وعشرين وأربعمائة (425) مدخل، أي بنسبة 88.18%. وهذه الوحدات كما ذكرنا من قبل هي إما وحدات معجمية مخصصة لأنها تُعيِّن نباتات بعينها، وإما وحدات معجمية لم تخلص من التعميم لأنها محيلة إلى بعض ما يتعلق بالنبات من الصفات أو الخصائص، وإما وحدات معجمية عامة لأنها ضعيفة التعلق بالنبات المحض.

ويتلو الفصيح في المنزلة الأعجمي. وقد أحصينا الأعجمي في مداخل الجزء الأول أيضا - وقد اقتصرنا عى المقترضات من اللغتين الفارسية واليونانية لصدق عجمتها، وأهملنا المقترضات من اللغات السامية لاشتراك العربية معها في الأصل عادة، وقد نسبنا هذه المقترضات إلى المستوى الأول، أي الفصيح (106) - فوجدنا ثلاثة وخمسين (53) مدخلا مقترضا، أي بنسبة 11%، منها أربعة أربعون (44) من اللغة الفارسية، ونسبتها 83%، وتسعة مداخل من اليونانية، بنسبة 17%.

والمقترضات الفارسية - مرتبة ألفبائيا - هي التالية (والرقم الأول بعد المفردة في القائمة التالية والقائمة التي تليها يحيل إلى الجزء الأول من كتاب النبات، والعدد السابق للخط المائل هو رقم الصفحة، والعدد التالي له هو رقم الفقرة؛ وأما الرقم الثاني الموضوع بين معقفين فيحيل إلى فقرات كتابنا «المصطلح الأعجمي»، فإن جل مقترضات أبي حنيفة مذكور فيه. فإذا كانت المفردة مما لم نذكره، أحلنا في التعاليق إلى مراجع أخرى:

(1) اترج، ص 40، ف 40 [59]؛ (2) أشنان، ص 51، ف51 [189]؛

(105) ينظر : إبراهيم بن مراد : المعجم العلمي العربي المختص، ص ص 39-67، وص ص 84-103.

(106) تنظر مقدمة المحقق (برنار لوين)، ص 21.

(3) أقحوان، ص 29، ف 14 [234] ؛ (4) ألنجوج، ص 39، ف 39 [2013] ؛ (5) أنب، ص 38، ف 30 [106]؛ (6)أنبج، ص 45، ف 69 [306] ؛ (7) باذنجان، ص 66، ف 115 [405] ؛ (8) بارنج، ص 51، ف 79 [415] ؛ (9) برني، ص 63، ف 100 [107] ؛ (10) بسباس، ص 59، ف 90 [475] ؛ (11) بشام، ص 46، ف 72 [486] ؛ (12) بقم، ص 52، ف 82 [504] ؛ (13) بلسكاء، ص 62، ف 97 [518] ؛ (14) بنفسج، ص 62، ف 94 [558] ؛ (15) بهرامج، ص 60، ف 91 [564] ؛ (16) بهرم، ص 54، ف 86 [563] ؛ (17) تامول، ص 72، ف 131 [636]؛ (18) ترنج، ص 69، ف 124 [59] ؛ (19) جـــــادي، ص 97، ف 204 [701]؛ (20)جرجر، ص 89، ف 170 [108] ؛ (21) ؛ جــزر، ص 94، ف 186 [715] ؛ (22) جساد، ص 97، ف 203 [719] ؛ (23)، جل، ص 92، ف 179 [728] ؛ (24) جلبـان، ص 97، ف 207 [731] ؛ (25) جلوز، ص 99، ف 216 [740] ؛ (26) جوز، ص 86، ف 165 [755] ؛ (27) جيسوان، ص 96، ف 198 [109] ؛ (28) حمحم، ص 125، ف 257 [843] ؛ (29) خربز، ص 166، ف 371 [820] ؛ (30) خرفي، ص 156، ف 339 [825] ؛ (31) خرنباش، ص 162، ف 352 [829] ؛ (32) خشسبرم، ص 166، ف 372 [110] ؛ (33) ؛ خلنج، ص 165، ف 366 [840] ؛ (34) خمخم، ص 158، ف 342 [843] ؛ (35) خيري، ص 159، ف 346 [853] ؛ (36) خـــيـــــزران، ص 145، ف 310 [855] ؛ (37) خيسـفوج، ص 165، ف 365 [856] ؛ (38) دباء، ص 172، ف 384 [875] ؛ (39) دودم، ص 171، ف 382 [905] ؛ (40) رانج، ص 199، ف 454 [939] ؛ (41) ربـزق، ص 199، ف 453 [945] ؛ (42) رنـد، ص 185، ف 422 [953] ؛ (43) زرجون، ص 203، ف 467 [979] ؛ (44) زعبر، ص 201، ف 462 [993].

وأما المقترضات اليونانية في الكتاب فهي التالية : (1) أرز، ص 45، ف 70

---

(107) ينظر : ادي شير : الألفاظ الفارسية المعربة، ص 21.

(108) نبه أبو حنيفة نفسه إلى عجمتها، فقال : «الجرجر الباقلي، وأصله فارسي». وتنظر مقدمة المحقق، ص 26.

(109) تنظر مقدمة المحقق، ص 27.

(110) نفسه، ص 32.

[106] ؛ (2) ألوه، ص 39، ف 40 (111) ؛ (3) بر، ص 64، ف 106 [434] ؛ (4) ترمس، ص 72، ف 130 [649]؛ (5) تنوب، ص 128، ف 128 (112) ؛ (6) دراقن، ص 174، ف 389 [877] ؛ (7) دفلى، ص 169، ف377 [893]؛ (8) دقل، ص172، ف 385 (113)؛ (9) رنز، ص 197، ف 443 [106].

ويلاحظ إذن من عدد المقترضات الفارسية واليونانية في مداخل الجزء الأول أن منزلة الأعجمي المقترض في الكتاب ضعيفة، رغم أن العصر الذي ألف فيه كتاب النبات كان عصر التأثير العميق لكتاب «المقالات الخمس» لديوسقريديس و «الأدوية المفردة» لجالينوس، وقد كان لذلك التأثير أثر ظاهر في مؤلفات الأطباء الذين عاصروا أبا حنيفة وعنوا بالأدوية المفردة النباتية، نذكر منهم مثلا أبا الحسن علي بن ربن الطبري (ت. حوالي 250هـ/864م) مؤلف «فردوس الحكمة في الطب» وأبا زيد حنين بن إسحاق (ت. 260 هـ/ 873م) مؤلف «العشر مقالات في العين»، وأبا الحسن ثابت بن قرة (ت. 288 هـ/901م) مؤلف «الذخيرة في علم الطب». ومن أسماء النبات المشهورة التي اشتركوا في ذكرها وليس لها ذكر في كتاب أبي حنيفة الخمسة التالية، وكلها من اليونانية : (1) أسارون ؛ (2) افتيمون ؛ (3) أفربيون ؛ (4) أفيون؛ (5) أقاقيا (114). ولا شك أن إهمال أبي حنيفة لمثل هذه الأسماء النباتية المشهورة في عصره بين الأطباء راجع إلى غلبة المنزع اللغوي عليه وتغليبه في تأليفه لثقافة الأعراب والرواة في النبات على ثقافة العلماء الذين كانوا يأخذون عن المصادر الأعجمية.

وذلك المنزع اللغوي هو الذي ترجع إليه غلبة منزلة المقترضات الفارسية على منزلة المقترضات اليونانية. فإن اليونانية كانت في نظر العلماء المعاصرين لأبي حنيفة تعد اللغة الأعجمية بحق، وكانت بالنسبة إليهم اللغة المرجعية لأن أهم مصادرهم في الأدوية المفردة النباتية مصادر يونانية. أما أبو حنيفة فإن اللغة المرجعية بالنسبة إليه كانت الفارسية. ويوجد

---

(111) ابن ميمون القرطبي : شرح أسماء العقار، ص 34 (ف 318)، وتعاليق المترجم (مايرهوف)، ف 318.

(112) نبه أبو حنيفة نفسه إلى عجميتها بقوله : «منابته جبال دروب الروم، وهو اسم أعجمي»، والمفردة من اليونانية «Pituinê».

(113) ينظر : إبراهيم بن مراد : الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة، ص 199-200 (ف 211).

(114) ينظر حولها فردوس الحكمة للطبري، ص 40، 406، 407 و414؛ أما العشر مقالات لحنين فينظر فيه فهرس مصطلحات الأدوية المفردة، (ص ص 209-227)، ص 209؛ وينظر في الذخيرة لثابت بن قرة فهرسه العام (ص ص 1-43)، ص 1-3. والأسماء الخمسة مذكورة في كتابنا المصطلح الأعجمي، ف 134، 201، 1302، 228 و232.

في الكتاب بعض المظاهر الدالة على أنه كان ينزلها في كتابه تنزيل العلماء اللغة اليونانية في كتبهم، ونخص بالذكر من تلك المظاهر ثلاثة :

(1) التنبيه إلى عجمه المقترضات من الفارسية. فإنه كثيرا ما يشير إلى نسبة الأعجمي الفارسي إلى لغته. ومن أمثلة ذلك قوله عن «الباذنجان» : «هو اسم فارسي» (115)؛ وعن «البرني» : «وأصله فارسي» (116)؛ وعن «البهرامج» : «البهرامج فارسي» (117)؛ وعن «الخرفي» : «الخرفي معرب، وأصله فارسي» (118).

(2) الشرح بالفارسية. فإنه قد يشرح الأسماء العربية أو الأعجمية أحيانا بأسماء فارسية. ومن أمثلة ذلك قوله عن «الحبق» : «وهو الفوذنج بالفارسية» (119) ؛ وعن «الخرفي» : «واسمها بالفارسية الخلر» (120)؛ وعن «الدخن» : «الدخن الجاورس بالفارسية» (121)؛ وعن «الدلب» : «الدلب الصنار، فارسي معرب، وقد جرى في كلام العرب» (122).

(3) الإحالة إلى اللغة الفارسية. فإن ماهية المسمى عنده قد تحدد بتحديد تسميته باللغة الفارسية، فتكون الفارسية مرجعا في الاستعمال. ومن أمثلة ذلك قوله عن «أصابع القينات» : «هي الريحانة التي تسمى بالفارسية الفرنجمُشْك» (123) ؛ وعن «الجلبان» - وقد عده عربيا - «الجلبان من القطاني (. . .) وهو الذي يسمى بالفارسية الخرفي، وهو الخلر أيضا» (124)؛وعن «الجيش» : «أرانيه بعض الأعراب فإذا هو النبت الذي يقال له بالفارسية شلميز» (125)؛ وعن «الحرشف» : «وأحسبه الذي يسمى بالفارسية الكنكر» (126)؛ وعن «الحزاء» : «والحزاء فيما رأيت الأعراب يشيرون إليه النبتة التي تسمى بالفارسية الدوراو» (127).

---

(115) أبو حنيفة : النبات، 1/ 66 (ف 115).
(116) نفسه، 1/ 63 (ف 100).
(117) نفسه، 1/ 60 (ف 91).
(118) نفسه، 1/ 156 (ف 335).
(119) نفسه، 1/ 119 (ف 247).
(120) نفسه، 1/ 156 (ف 339).
(121) نفسه، 1/ 178 (ف 405).
(122) نفسه، 1/ 171 (ف 383)، والصنار هو الفارسي وليس الدلب.
(123) نفسه، 1/ 41 (ف 47).
(124) نفسه، 1/ 97 (ف 207).
(125) نفسه، 1/ 98 (ف 208).
(126) نفسه، 1/ 112 (ف 237).
(127) نفسه، 1/ 111 (ف 235).

ويلاحظ إذن مما تقدم أن الأعجمي - حسب الموقف الفصاحي الخالص - لا يرقى إلى منزلة العربي المحض. لكن هذا العربي غير قادر وحده على سد الخانات المعجمية الفارغة في اللغة، فكان الاقتراض لذلك لازما، ثم إن من ذلك العربي - على فصاحته- ماهو مجهول، صعب التحديد، إما بالنسبة إلى المؤلف نفسه وإما بالنسبة إلى القارئ وإما بالنسبة إليهما معا. لذلك وجب تحديده بما هو أعرف منه، وليس هذا الأعراف هو اليوناني الذي نجده عند المؤلفين في الأدوية المفردة، بل هو الفارسي الذي كان شائعا بين الرواة من اللغويين، وخاصة الموالي منهم.

فإذا بحثنا بعد هذا في المستويين الباقيين، أي المولد والعامي، وجدنا منزلتيهما ضعيفتين جدا. فإن عددهما معا أربع مفردات : اثنتان مولدتان، واثنتان عاميتان، ونسبتهما معا 0,82%. والمفردتان اللتان تبينا أنهما مولدتان هما (1) حمص [128]؛ و(2) حوك [129]؛ والمفردتان اللتان تبينا أنهما عاميتان هما (1) بلسن [130] - وهي «لغة لأهل الشام» [131] - و(2) حباقا، وهي «لغة حيرية» [132] أي بلغة أهل الحيرة.

وإذن فإن ما ذكرناه عن الأعجمي - من حيث تقصيره عن بلوغ درجة العربي الفصيح في الأهمية- يقال عن المولد والعامي أيضا. لكن هذين المستويين كما لاحظنا لا يرقيان إلى مستوى الأعجمي أيضا. فمنزلة الأعجمي والمولد والعامي في كتاب أبي حنيفة مخالفة لمنزلتها في المعاجم العلمية المختصة -وخاصة معاجم الأدوية المفردة- التي بدأت تظهر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أي عصر أبي حنيفة. وإذن فإن تصنيف المستويات اللغوية بحسب درجتها من الفصاحة في كتاب النبات يظهر انتسابه إلى المعاجم اللغوية العامة. لكن للأعجمي فيه مظاهر تقربه في الحقيقة من المعاجم المختصة. ومن أهم تلك المظاهر تفسير العربي بالأعجمي، واعتبار الأعجمي مرجعا في تحديد ماهية المسمى باللغة العربية. وهذا الموقف من الأعجمي كان غالبا في المعاجم العربية المختصة. فإذا أضفنا هذا الموقف من الأعجمي في كتاب النبات إلى غلبة التخصيص التي تبيناها في تصنيف المستويات اللغوية بحسب التعميم والتخصيص في الوحدات المعجمية، أمكن لنا

(128) نفسه، 1/ 125 (ف 255). وقد أشار ابن دريد في الجمهرة (1/ 543) إلى أنها مولدة.

(129) أبو حنيفة : النبات، 1/ 130 (ف 292). وقد أشار ابن دريد في الجمهرة (1/ 565) إلى أنها من المولد.

(130) أبو حنيفة : النبات، 1/ 66 (ف 113).

(131) ابن دريد : الجمهرة، 1/ 340.

(132). أبو حنيفة : النبات، 1/ 119 (ف 248)؛ وينظر فيه أيضا : 1/ 178 (ف 408).

الإقرار بما بين كتاب النبات والمعجمية المختصة من صلات وثيقة.

3 - ركنا «الوضع» في كتاب النبات :

3 - 1 - ركن الترتيب :

ذكرنا من قبل أن الغالب من أصناف الترتيب في المعاجم العامة والمعاجم المختصة صنفان هما (1) الترتيب على حروف المعجم، و(2) الترتيب بحسب المواضيع، وأن الغالب من أنواع الترتيب على حروف المعجم في المعاجم المختصة هو ترتيب المداخل بحسب أوائلها باعتبار كامل حروفها المكونة لها، فإذا طبقنا هذا التصنيف على كتاب النبات -بأجزائه الستة- وجدنا أبا حنيفة يتبع الصنفين من الترتيب : الترتيب بحسب المواضيع -أو الحقول الدلالية- في الأجزاء الأربعة الأولى، والترتيب على حروف المعجم في الجزئين الخامس والسادس، أي في معجم أسماء النبات.

فقد قسم الأجزاء الأربعة الأولى إلى أبواب (133) يمكن توزيعها على أربعة حقول كبرى هي (1) أصناف النبات (مثل الشجر والعشب والنخل والكرم والكمأة والقطاني والزرع والنبات الطيب الريح ... الخ) ،(2) منابته، أي مواضع إنباته (مثل الجبل، والسهل، والرمل، والماء) ؛ (3) وظائفه في الاستعمال (مثل الرعي والكلإ والدباغ والسواك والخضاب والإيقاد وصنع القسي والحبال والخمر والنبيذ... الخ)؛ (4) أجزاء النبات وفروعه (مثل العروق، والأوراق، والقشر، واللحاء والعلوك، والصموغ... الخ). والتصنيف الذي ارتآه أبو حنيفة ليس بعيدا عن التصنيف الذي ارتآه ديوسقريديس لكتابه «المقالات الخمس». فإن المقالة الأولى منه في الأفاويه والأدهان والطيب والصموغ والثمار والشجر الكبار؛ والثانية في الحيوان والحبوب والبقول والأدوية الحريفة من النبات؛ والثالثة في أصول النبات وأصناف العشب والعصارات والبزور ؛ والرابعة في الحشائش والأصول النباتية البسيطة ؛ والخامسة في أصناف الشراب والأدوية المعدنية (134). على أن أبا حنيفة لم يحكم تصنيفه فكانت الأبواب متداخلة غير متتابعة تتابعا محكم التبويب بحسب المجالات أو الحقول على ما رأينا في «مقالات» ديوسقريديس. فقد فصل العالم

---

(133) حاول حميد الله تبويبها في مقدمة «ملتقطاته»، ص ص 20-40. وقد جمع في ملتقطاته هذه مادة مهمة جدا من الأجزاء الضائعة، اعتمادا على نقول المتأخرين عنها.

(134) تنظر المقالات : ص 127، 237، 301 و373. وينظر كتابنا : المعجم العلمي العربي المختص، ص 132.

اليوناني «الترتيب بحسب المواضيع» على «الترتيب بحسب حروف الهجاء» لأنه رأى في الترتيب على الحروف مدعاة إلى التفريق «بين المتفقة في الأجناس والأفعال» من الأدوية (135). فقد أراد رذن أن يجمع في كل مقالة الأدوية المتفقة في الأجناس والأفعال. أما أبو حنيفة فلم نجد له غاية أو مقصدا من المقاصد. وقد يكون عبر عن مقاصده في مقدمة الجزء الأول الضائع من كتابه. ومهما يكن من أمر اضطرابه وإخلاله فإنه كان أدق قولا وأوسع معرفة وأشمل وصفا من علماء اللغة السابقين له في الاهتمام بالنبات مثل الأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. فقد فق إذن -في تصنيف المادة النباتية بحسب المواضيع- علماء اللغة الذين عنوا بالنبات. لكنه لم يبلغ مبلغ ديوسقريديس في إحكام التبويب وتوزيع النبات على الأبواب بحسب اتفاقها في الأجناس أو في الوظائف أو في الأجزاء والفروع.

وأما الجزآن الخامس والسادس فقد جمع فيهما أبو حنيفة أسماء النبات ورتبها على حروف المعجم. وقد اختار الترتيب بحسب أوائل المداخل التي عدها كلها أسماء. وقد نبه إلى اختياره هذا وعلله في مقدمة الجزء الخامس بقوله : «نرى أن نجعل تصنيف ما نذكر منها على أوائل حروف أسمائها وإن اختلط جِلّ الشجر فيه بدِقّه واختلط أيضا الشجر بالأعشاب ها وغير ذلك من أصنافها التي قد جنسناها فيما سلَف، وصنفناها لأن وصفنا إياها نبتا نبتا سيلحق كل واحد منها بجنسه عند من فهم عنا ما قدمنا وما أخرنا. ونجعل تصنيف ذلك على توالي حروف المعجم كما تواليها العامة إن شاء الله. وتصنيفها على حروف أوائلها أحب إلي من تصنيفها على حروف أواخرها. وإنما آثرنا هذا التصنيف لأنه أقرب إلى وجدان المطلوب وأهون مؤونة على الطالب من كل تصنيف سواه فيما نرى» (136).

ولا شك أن هذا الضرب من الترتيب أوفق لرغبة الجمهور لما فيه من تسهيل، وأدق من حيث المنهج في تصنيف المادة المصطلحية في المعجم المختص نظرا إلى انتماء جُلّ تلك المادة إلى مقولة الاسم، ومن الأسماء ما هو جامد وما هو مشتق. ثم إن تطبيق هذا الضرب من الترتيب أيسر إذ يكفي المعجمي فيه أن يراعي تتابع الحروف في المداخل: أوائلها وثوانيها وثوالثها وما يليها.

---

(135) ديوسقريديس : المقالات، ص 8 و9.
(136) أبو حنيفة : النبات (تمهيد المحقق، 6/1).

لكن أبا حنيفة فيما يبدو قد أخذ بالمبدإ ولم يتقيد بالمنهج. فخالط عمله لذلك بعض مظاهر الاضطراب. وأهم تلك المظاهر:

(1) اعتبار الحرف الأول دون غيره مما يليه من حروف المدخل في الترتيب. ولذلك سمى كل باب من أبواب المعجم «باب ما أول حروفه...» مثل «باب ما أول حروفه الألف» (137) و «باب ما أول حروفه الباء» (138)، أو مثل «ومما أول حروفه التاء» (139) أو «ومما أول حروفه الثاء» (140). ونمثل لهذا المظهر من الاضطراب بترتيب المداخل العشرة الأولى من باب الألف، وهي: أراك - إسحل - أثأبَ - أثل - أرز - أشكل - آء - ألاء - أرطى - آس (141). ولا شك أن دقة المنهج تقتضي أن يكون ترتيب المداخل العشرة كما يلي: 1 - آء؛ 2- آس؛ 3-أثأب؛ 4-أثل؛ 5-أراك؛ 6-أرز؛ 7-أرطى؛ 8-إسحل؛ 9-أشكل؛ 10-ألاء.

على أن هذا المنهج المضطرب كان متأثرا بجمع المادة أحيانا. فإن أبا حنيفة قد يأخذ من مخبر واحد علما بأكثر من نبات واحد، وعوض أن يوزع أسماء تلك النباتات -إذا كانت مبدوءة بحرف واحد- على مواضعها في الباب بحسب ما يقتضيه تتالي حروفها فإنه يوردها متتابعة. من ذلك أنه نسب في باب الخاء إلى أعرابي واحد الخبر عن ثلاثة نباتات أوردها متتابعة. هي (1) خلص، وقد قدمه بقوله: «أخبرني أعرابي أن الخلص...» (142)؛ خرنباش، وقد قدمه بعبارة: «وأخبرني...» (143)؛ (3) خشيناء، وقد قدمه بـ «وأخبرني» (144) أيضا. وقد نسب في الباب نفسه الخبر عن خمسة نباتات إلى راوٍ واحد، هي (1) خراط؛ (2) خفج؛ (3) خضف؛ (4) خسف؛ (5) خريع (145). ويلاحظ أنه قد أورد ما نسبه إلى الأعرابي ثم إلى الراوي من النبات دون تقيد بدقة ترتيب أسمائها سواء فيما بينها أو في علاقتها بمداخل الباب كله.

(2) الخلط بين نظام الجذر ونظام البنية التامة في الترتيب. فإن اتباع الحرف الأول

---

(137) نفسه، 1/2.
(138) نفسه، 1/40.
(139) نفسه، 1/66.
(140) نفسه، 1/75.
(141) نفسه، 1/2-26 (ف ف 1-10).
(142) نفسه، 1/102 (ف 351).
(143) نفسه، 1/102 (ف 352).
(144) نفسه، 1/103 (ف 352).
(145) نفسه، 1/104 (ف ف 357-361).

في ترتيب المداخل على حروف المعجم يقتضي الأخذ بأحد نظامين : إما نظام الجذر بأن تبوب المادة المعجمية بحسب مداخل رئيسية هي الجذور ومداخل فرعية هي الجذوع المتولدة عن الجذور، وإما بنظام البنية التامة، أي بأن تبوب المادة المعجمية بحسب بنية مداخلها دون اعتبار للأصلي والزائد فيها. وهذا النظام كما ذكرنا أوفق لترتيب الأسماء، وهو الذي أرتضاه أبو حنيفة لمعجمه وطبقه. فإننا نجد فيه «الإعليط» (146) -وهو من «علط» (147) -و «الإغريض» (148) -وهو من «غرض (149) -و«الإقماعي» (150) -منسوبا إلى «الإقماع» (151)،وهو من «قمع» (152) - في «باب ما أوله ألف»، ونجد «التَّذنُوب» (153) وهو من الذنب ، من «ذنب» (154) -و «التعضوض» (155) -وهو من العض، من «عضض» (156) - في باب التاء. لكن أبا حنيفة لم يتقيد بهذا النظام في كامل معجمه. فقد يختلط عليه الأمر فيتبع نظام الجذر. من ذلك أنه ذكر «الإخلاع» -وهو مصدر- في باب الخاء (157)؛ وذكر «أدبَى» - وهو فعل - في باب الدال (158) ؛ وذكر «المجزع» (159) و «المجنون» (160) - وهما صفتان - في باب الجيم؛ وذكر «المدخول» - وهو صفة أيضا- في باب الدال (161). وكان عليه أن يعامل «الإخلاع» و«أدبَى» معاملة «الإقماعي» فيوردهما في باب الألف ؛ وأن يعامل «المجزع» و«المجنون» و«المدخول» معاملة «التذنوب» و«التعضوض» فيرتبها بحسب أولها ويثبتها في باب الميم.

(146) نفسه، 1/ 17 (ف 17).
(147) ينظر لسان العرب، 2/ 861 (علط).
(148) أبو حنيفة : النبات، 1/ 32 (ف 19).
(149) ينظر لسان العرب، 2/ 978 (غرض).
(150) أبو حنيفة : النبات، 1/ 43 (ف 68).
(151) أورد صاحب لسان العرب المصطلح - منسوبا إلى أبي حنيفة - مفتوح الهمزة «أقماعي» (3/ 165، قمع)، فعد إذن منسوبا إلى الجمع، أي الأقماع. ويبدو أن أبا حنيفة قد اختار كسر الهمزة وأن فتحها قراءة ثانية، نذلك ما يستفاد من ملاحظة أوردها حميد الله في ملتقطاته، في نقل عن مخصص ابن سيده: «ومنه الإقماعي، الألف منه مكسورة، وقيل الأقماعي» (ص 403 ف 949).
(152) ينظر التعليق السابق.
(153) أبو حنيفة : النبات، 1/ 71 (ف 126).
(154) ينظر لسان العرب، 1/ 1079 (ذنب).
(155) أبو حنيفة : النبات، 1/ 68 (ف 120).
(156) ينظر لسان العرب، 2/ 886 (عضض).
(157) أبو حنيفة : النبات، 1/ 155 (ف 384).
(158) نفسه، 1/ 178 (ف 404)
(159) نفسه، 1/ 95 (ف 189).
(160) نفسه، 1/ 99 (ف 214).
(161) نفسه، 1/ 178 (ف 403).

ويلاحظ إذن أن أبا حنيفة قد خالف معاصريه إذ اتبع في كتابه صنفين من الترتيب هما الترتيب الموضوعي في أجزاء الكتاب الأربعة الأولى والترتيب على حروف المعجم في الجزئين الخامس والسادس. فقد جدد إذ جمع بين الصنفين من الترتيب وحاول أن يطور المنهجين فتوسع في تجنيس النبات والإحاطة بما يتعلق به في أبواب الأجزاء الأربعة الأولى، واتبع حروف المعجم في ترتيب الجزئين الأخيرين معتبرا في المداخل أوائلها ولم يعتبر فيها أواخرها (نظام التقفية) أو مخارجها (النظام الصوتي) : وقد ابتغى بذلك كله رغبة في التيسير والإفادة. وقد كان عمله -في صنفي الترتيب المتبعين فيه- بداية مهمة لما ستكون عليه المعاجم العلمية المختصة.

3 - 2 - ركن التعريف :

صنفنا من قبل التعريف في المعجم إلى تعريف لغوي مجاله المعجم اللغوي العام، وتعريف منطقي مجاله المعجم المختص، وبينا الفرق بين الصنفين : فالتعريف اللغوي عمية تمييز بين دلالات الوحدات المعجمية العامة أي الألفاظ من حيث هي أدلة لغوية، والتعريف المنطقي عملية تميز بين المفاهيم التي تحملها الوحدات المعجمية المخصصة، أي المصطلحات.

لكن هذا التصنيف الصارم لا يمكن أن تستجيب له الوحدات المعجمية التي اشتمل عليها كتاب النبات لأبي حنيفة لأنه لم يكن معجما لغويا عاما بالمعنى التام ولم يكن معجما علميا مختصا بالمعنى الدقيق. فقد جمع الكتاب بين الألفاظ اللغوية العامة والمصطلحات وكانت منطلقات أبي حنيفة فيه لغوية وعلمية، لكن المنطلقات اللغوية كانت أظهر. وقد بينا أثر هذا الازدواج في الغاية من التأليف في تصنيف مادة المعجم اللغوية بحسب خاصيتي التعميم والتخصيص ؛ فهي متكونة من وحدات معجمية اسمية ووصفية منها وحدات مخصصة تخصيصا تاما لأنها تُعَيِّن موجودات حسية هي أعيان النبات ووحدات متعلقة بالنبات لكنها لا تعين موجودا نباتيا مخصوصا بل تشترك فيها موجودات كثيرة، فهي إذن بين التعميم والتخصيص ؛ ووحدات ضعيفة الصلة بالنبات بل هي مشتركة بين النبات وغيره من الأشياء، وهذه وحدات عامة بحق، فهي ألفاظ وليست مصطلحات.

ووجود الوحدات المخصصة والوحدات العامة في الكتاب منبىء بوجود صنفي التعريف - اللغوي والمنطقي- فيه. والصنفان موجودان في الكتاب بالفعل. لكنهما متأثران - معا - بثلاثة عوامل، هي :

(1) التداخل الكبير بيهما. فإن الإخبار عن خصائص الشيء - وهو قوام التعريف المنطقي - قد يختلط بالإخبار اللغوي الخالص؛

(2) تأثر وصف المؤلف للنبات بالقدر الذي بلغه من العلم عنه من مصادره الشفوية أو المكتوبة. فإن أكثر معوّل أبي حنيفة في تحلية النبات كان على المخبرين من الأعراب وعلى الرواة وليس على معايناته الشخصية. فليس في الكتاب ما يدل على أنه كان يعَشِّبُ. بل كان الغالب عليه النقل. وقد يكتفي أحيانا في إثبات اسم نبات ما بما يجده عند أحد الشعراء أو الرُّجَّاز (102). ولهذا العامل أثر بين في حجم نص التعريف: فإنه قد يطول وقد يقصر بحسب ما يبلغه من مصادره من علم؛ ثم إن لهذا العامل أثرا مهما أيضا في صنف التعريف: فإن ما يلقاه أبو حنيفة عند المخبر أو الراوي قد لا يتجاوز الإخبار اللغوي الخالص، وقد يصف له النبات وصفا موسعا ويحلّيه تحلية ضافية. والإخبار اللغوي المحض ينشأ عنه التعريف اللغوي، والتحلية النباتية الموسعة ينشأ عنها التعريف المنطقي؛

(3) وصف أبي حنيفة لنباتات كثيرة في أبواب الأجزاء الأربعة الأولى قبل أن تدون في المعجم. ولتجنب التكرار فإنه يكثر من الإحالة إلى تلك الأبواب.

فإذا تتبعنا الصنفين من التعريف في مادة الكتاب المعجمية، باعتبار أثر العوامل الثلاثة التي ذكرنا، خرجنا بما يلي:

1 - التعريف اللغوي: وفي الكتاب منه أنواع كثيرة، أهمها -فيما بدا لنا- خمسة هي:

(أ) التعريف اللغوي العام: وهو تعريف يعتنى فيه بالمفردة المدخل من حيث هي لفظ ذودلالة معجمية عامة أو ذو مفهوم قد غلب عليه التعميم حتى صار مشتركا بين دلالة اللفظ العام ومفهوم المصطلح الخاص. وأظهر ما انتمى إلى هذا النوع من التعريف التعريفات التي اقترنت بمعرف عام مثل «ما» أو «كل». ومن أمثلة ما اقترن بـ «ما» قول أبي حنيفة عن «الخفض»: «الخفض ما كان من عجم النبق وما يشبهه كالزعفران ونحو ذلك» (103)؛ وقوله عن «الحتي»: «الحتي ما حت عن المقل إذا أدرك وأكل» (104)؛ وقوله

---

(102) ينظر مثلا حديثه عن «الحص» (نفسه، 1/130، ف 271)، وقد اعتمد في ذكره على عمرو بن كلثوم الذي ذكره في معلقته؛ وعن «الخندم» (نفسه، 1/140، ف 290)، وقد أخذه من قول أحد الرجاز.

(103) نفسه، 1/140 (ف 295).

(104) نفسه، 1/127 (261).

عن «الخشي» : «والخشي من النبات ما يبس» (165)؛ ومن أمثلة ما اقترن بـ « كل» قوله عن «الأشب» : «[هو] كل دغل ملتف من الشجر» (166)؛ وقوله عن «الباكور» : «الباكور كل ما أسرع إدراكه فسبق من كل الثمار. . . » (167)؛ وقوله عن «البعل» : «كل شجر أو زرع لا يسقى فهو بعل، وهو العذي [أيضا]» (168).

(ب) التعريف العلاقي : وهو نوع يعرف فيه المسمى -وهو المدخل المعجمي الذي قد يكون صفة- بوحدة معجمية اسمية أو بنص تفسيري قصير هو المرادف لها وللمسمى. وينبني التعريف على جملة من العلاقات تكون بين المعرِّف -وهو النص المسند إلى المدخل المعجمي- والمعرَّف وهو الشيء أو الموجود المسمى. ولهذا النوع من التعريف في الكتاب ضروب، أهمها الأربعة التالية:

(1) تعريف بحسب العلاقة للغوية الترادفية، وذلك بأن يعرف المسمى بحسب ما بينه وبين المعرِّف من التطابق في التسمية، وهذه العلاقة تكون عامة إما بين مسمى خاص ومعرِّف عام، وإما بين مسمّى عام ومعرِّف خاص، وإما بين مسمّى ومعرِّف متكافئين في التعميم أو في التخصيص، وإما بين مسمّى ومعرِّف متكافئين بالتقابل، لانتماء أحدهما إلى لغة وانتماء الآخر إلى لغة ثانية. ولم نجد من هذه العلاقات اللغوية الترادفية غالبا في الكتاب إلا العلاقة الأولى أي العلاقة بين مسمى خاص ومعرِّف عام. ومن أمثلتها فيه قول المؤلف : «الإحريض هو العصفر» (169)؛ وقوله «البلسن هو العدس» (170)؛ و«التقرد [هو] الكرويا» (171)؛ و«الجرجر [هو] الباقلى» (172)؛ و«الجساد هو الزعفران» (173)؛ و«الحبن [هو] شجرة الدفلى» (174).

(2) تعريف بحسب علاقة الجزء بالكل. وفيه يكون المعرَّف - أي المسمى- محتويا تندرج تحته مسميات جزئية قد تكون مدونة في الكتاب مداخل مستقلة وقد تكون غير مدونة. والعلاقة الدلالية بين المسمى المعرَّف والمسميات الجزئية علاقة اشتراك. على أن

(165) نفسه، 1/ 155 (ف 335).
(166) نفسه، 1/ 44 (ف 63).
(167) نفسه، 1/ 54 (ف 88).
(168) نفسه، 63 (ف 99).
(169) نفسه، 1/ 32، (ف 18).
(170) نفسه، 1/ 66 (ف 113).
(171) نفسه، 1/ 74 (ف 137).
(172) نفسه، 1/ 89 (ف 170).
(173) نفسه، 1/ 97 (ف 207).
(174) نفسه، 1/ 194 (ف 437).

هذا الضرب في الكتاب ليس متواترا. ومن أمثلته تعريف أبي حنيفة «الثامر» بقوله : «زعم بعض الرواة أنه اللوبياء في بعض اللغات ، والثامر كل شجر خرج ثمره» [175]؛ وقوله في تعريف «الثوم» : «ذكر بعض الثقات أنه يقال للحنطة الثوم والفوم - تبدل الفاء ثاء. والثوم هذا الثوم الذي يجعل في القدر، ومنه بري مثل ما من البصل» [176].

(3) تعريف بحسب علاقة الانتماء التصنيفي. فيكون المسمى المعرَّف منضويا والمعرِّف محتويا، باعتبار تبعية الأول للثاني في التصنيف الهرمي ؛ وهذا الضرب أيضا ليس مطردا في الكتاب، ومن أمثلته قول أبي حنيفة في تعريف «الجلوز» : «الجلوز عربي، وهو ضرب من البندق، والبندق فارسي» [177]؛ وقوله في تعريف «الدوالي» : «الدولي جنس من أعناب أرض العرب» [178].

(4) تعريف بحسب علاقة الشبه. أي أن المسمى يُعَرَّفُ بحسب ما بينه وبين المعرِّف من الشبه، وذلك يعني أن المعرِّف أشهر من المعرَّف وأوضح مفهوما. ومن أمثلة هذا الضرب قول أبي حنيفة عن «الحثيل» : «زعم أبو نصر أن الحثيل شجر يشبه الشوحط، والحثيل من شجر الجبال، ينبت مع النبع وأشباهه» [179]؛ وقوله في تعريف : «الخشسبرم» : «أخبرني أعرابي يمان قال : عندنا الخشسبرم وهو يشبه المرو، وهو من رياحين البر» [180].

(ج) **التعريف التقريبي** : وقد سميناه تقريبيا لأن أبا حنيفة يقارب الدلالة العامة أو المفهوم لكنه لا يدقق القول ولا يحيط بالخصائص، وذلك ما يجعل التعميم غالبا على النص التعريفي ويدرجه في التعريف اللغوي. وليس مصدر التقريب الرغبة في الايجاز أو تعمد الإقلال من الإخبار عن المسمى المعرف. بل يكون عادة ضعف المعرفة بذلك المسمى: إما لأن النبات قد ذكر لأبي حنيفة ولم يوصف له، وإما لأنه وجد الحديث عنه في بعض مصادره منقوصا، وإما لأنه وقف على اسم النبات في بعض الشعر ولم يجد له وصفا. ومن أمثلة هذا النوع قوله في تعريف «البلسكاء» : «ذكر بعض الرواة أنه نبت

---

(175) نفسه، 1/ 82 (ف 150).

(176) نفسه، 1/ 84 (ف 156).

(177) نفسه، 1/ 99 (ف 216). على أن الجلوز عند القدماء هو البندق ذاته وليس ضربا منه - ينظر كتابنا : المصطلح الأعجمي، 2/ 233 (ف 642)، و2/ 314-315 (ف 740).

(178) أبو حنيفة : النبات، 1/ 177 (ف 399).

(179) نفسه، 1/ 100 (ف 218).

(180) نفسه، 1/ 166 (ف 372).

يتعلق بالثوب فلا يكاد يفارقه» (181)؛ وقوله في تعريف «الحندم» : «الحندم شجر حمر العروق، الواحدة حندمة؛ قال الراجز ووصف إبلا : «حمرا ورمكا كعروق الحندم»، ولم يحل لنا» (182)؛ وقوله في تعريف «الخفج» : «وذكر [بعض الرواة] أن الخفج بقلة شهباء لها ورق عراض» (183)؛ وقوله في تعريف «الرقمة» : «ذكر أبو نصر أن الرقمة من أحرار البقل، ولم يصفها بأكثر من هذا ولا بلغتني لها حلية» (184).

(د) **التعريف الوهمي** : وهو نقيض السابق من حيث العلم بخصائص المعرَّف. فإن المسمى يكون مشهورا معروفا حتى يعتقد أبو حنيفة -وغيره من المؤلفين القدامى في المعجمية العامة والمعجمية المختصة- أنه غير مُحْوِجٍ إلى التعريف، ويكتفى فيه بالقول عادة إنه «معروف» انطلاقا من توهم أن القراء جميعهم يعرفون المسمى المعرف، وهذا التوهم هو الذي جعلنا نسميه وهميا. ومن أمثلة هذا النوع في كتاب النبات قول أبي حنيفة في تعريف «التفاح» : «التفاح معروف، وهو بأرض العرب كثير» (185)؛ وقوله في تعريف «الحماحم» : «الحماحم عربي، وهي ريحانة معروفة، والواحدة حماحمة» (186)؛ وقوله في تعريف «الخس» : «الخس هذه البقلة المعروفة. وزعم بعض الرواة أنها من الأحرار» (187).

(هـ) **التعريف الإحالي** : والمسمى في هذا النوع يعرف بالإحالة إلى موضع آخر في الكتاب قد أنعم فيه القول في المعرَّف. وهذه الإحالة ضربان : إما إلى مواد الجزئين الخامس والسادس أي المعجم، وإما إلى أبواب الأجزاء الأربعة الأولى، وهذا الضرب هو الغالب. ومن أمثلة الضرب الأول قول أبي حنيفة في «الاعليط» : «الاعليط وعاء ثمرة المرخ. وسنذكره مع المرخ» (188)؛ وقوله في «الجميز» : «وهو ضربان ولكليهما تين يؤكل، وقد وصفنا ذلك في باب التاء، في ذكر التين» (189)؛ ومن أمثلة الضرب الثاني قوله في «البنفسج» : «اسم عجمي، وقد جرى في كلام العرب، وقد وصفناه في باب النبات

---

(181) نفسه، 1/62 (ف 97).
(182) نفسه، 1/140 (ف 296).
(183) نفسه، 1/104 (ف 358).
(184) نفسه، 1/198 (ف 448).
(185) نفسه، 1/85 (ف 160).
(186) نفسه، 1/139 (ف 288).
(187) نفسه، 1/155 (ف 336).
(188) نفسه، 1/32 (ف 17).
(189) نفسه، 1/80 (ف 171).

الطيب الرائحة» [190]؛ وقوله في «الحمص» : «الحمص عربي ، وما أقل الكلام على بنائه من الأسماء، وقد وصفناه مع سائر القطاني في باب الزرع» [191].

والأنواع التي ذكرنا من التعريف اللغوي هي المغلبة في المعاجم اللغوية العامة، مع ميل فيها إلى ذكر الشواهد من مصادر الجمع الخمسة التي ذكرنا قبل، والإكثار منها. ولم يكن أبو حنيفة أقل من أولئك المعجميين ميلا إلى ذكر الشواهد، لكن شواهده كثيرا ما تدل على رغبته في التوسع في الإخبار، وهذا التوسع هو الذي ميز في كتابه بين التعريف اللغوي والتعريف المنطقي الذي يعد قوام التعريف في المعجم المختص. على أن غلبة الأنواع التي ذكرنا من التعريف اللغوي في المعاجم اللغوية العامة لا يعني خلو المعاجم المختصة منها. فقد وجدنا في المعاجم المختصة العربية القديمة والحديثة جل تلك الأنواع [192] ولم يخرجها ذلك عن المعجمية المختصة. وإذن فإن وجودها في كتاب النبات لأبي حنيفة ليس غريبا ما دامت منطلقاته الأساسية لغوية وعلمية، فهي إذن تقوي صلته بالمعجمية العامة لكنها لا تضعف من صلته بالمعجمية المختصة التي يقويها أكثر وجود التعريف المنطقي فيه.

2 - التعريف المنطقي :

التعريف المنطقي إذن تعريف موسع لأن الغاية الأساسية منه هي تحديد ماهية المسمى بذكر خصائصه المميزة له. وقد تفطن أبو حنيفة إلى أهمية خصائص المسميات فبحث عنها وحاول الإحاطة بها. وهو يسمي ذكر تلك الخصائص «وصفا» أو «صفة» و«تحلية» أو «حلية». وقد تجاوز - بإقراره وصف النبات وتحليته في التعريف - طرق المؤلفين في النبات الذين سبقوه من اللغويين، إذ ظهر في كتابه ما نسميه «الفقرة النباتية» [193]؛ وهذه «الفقرة» هي قوام التعريف المنطقي عنده.

والفقرة النباتية في كتاب النبات منبنية على أربعة أركان : هي (1) التعريف اللغوي المحض ؛ (2) التعريف العلمي بخصائص النبات؛ (3) التعريف بمنافع النبات؛ (4)

---

(190) نفسه، 1/ 62 (ف 94).

(191) نفسه، 1/ 125 (ف 255).

(192) ينظر إبراهيم بن مراد : المعجم العلمي العربي المختص، ص ص 130-147؛ نفسه : مسائل في المعجم، ص ص 149-152.

(193) قد تحدثنا من قبل عن «الفقرة النباتية» عند أبي حنيفة - ينظر : إبراهيم بن مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ص 204-205. وينظر له أيضا : المعجم العلمي العربي المختص، ص ص 29-31.

التعريف بمواضع إنباته. على أن هذه الأركان ليست قارة أو متواترة في المداخل التي لم يعرَّف فيها النبات تعريفا لغويا بحسب الأنواع الخمسة التي سبق ذكرها، ثم إنها -إذا اجتمعت في الفقرة الواحدة - ليست دائما على الترتيب الذي ذكرنا. وإذن فإن من «الفقرات النباتية» في كتاب النبات ما هو تام ومنها ما هو منقوص. ونسمي الفقرات التامة «تعريفا منطقيا موسوعيا». وأما الفقرات التي أسقطت منها الأركان (1) و(3) و(4) أو أحدها أو اثنان منها وكان الركن (2) فيها قائما فنسميها «تعريفا منطقيا بسيطا». وهذا النوع من الفقرات -أي التعريف المنطقي البسيط- أكثر ظهورا في الكتاب من الفقرات المشتملة على التعريف المنطقي الموسوعي.

ومن أمثلة التعريف المنطقي البسيط المشتمل على ثلاثة أركان نذكر قول أبي حنيفة في تعريف «أم وجع الكبد» : «أخبرني أعرابي أنها بقلة من دقِّ البقل، تحبها الضأن. لها زهرة غبراء في برعمة مدورة، ولها ورق صغير جدا أغبر. وسميت أم وجع الكبد لأنها شفاء من وجع الكبد والصَّفَر، إذا غض بالشرسوف يسقى من عصيرها» (194)؛ وقوله في تعريف «أرث» : «الأرث شوك شبيه بالكعر إلا أن الكعر أسبط منه ورقا. وله قضيب واحد في وسطه، في رأسه مثل الفهر المصعنب المدور غير ألا شوك فيه، وإذا جف تطاير ليس في جوفه شيء. وهو مرعى للإبل خاصة تسمن عليه غير أنه يورثها الجرب، ومنابته غلظ الأرض» (195). ويلاحظ في التعريف الأول أنه قد اشتمل على الأركان (2) و(1) و(3)، وأن الثاني قد اشتمل على الأركان (2) و(3) و(4).

وأما التعريف المنطقي الموسوعي المشتمل على الأركان الأربعة فمن أمثلته قول أبي حنيفة في تعريف «الأسل» : «قال أبو زياد : الأسل من الأغلاث. وهو يخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك إلا أن أطرافها محددة، وليس لها شعب ولا خشب. وقد يدقه الناس فيتخذون منه أرشية يستقون بها وحبالا. ولا يكاد ينبت إلا في موضع فيه ماء أو قريبا من ماء. والأسل تتخذ منه الحصر، واحدته أسلة. وقال بعض الرواة مثل قول أبي زياد، وقال يتخذ منه بالعراق الغرابيل. قال وإنما سمي القنا أسلا تشبيها به في طوله واستوائه ودقة أطرافه (...). وعن الأعراب : الأسل هو الكَوْلان، وسمعت بعض بني أسد يقول : الكُولان، فيضم» (196)؛ ومنها أيضا قوله في تعريف «الرقع» «الواحدة

(194) أبو حنيفة : النبات، 1/ 43 (ف 59).
(195) نفسه، 1/ 43 (ف 56).
(196) نفسه، 1/ 34 (22).

رقعة. أخبرني أعرابي من أهل السراة قال: الرقعة شجرة عظيمة كالجوزة، ساقها كساق الدلبة، ولها ورق كورق القرع أخضر، فيه صهبة يسيرة، ولها ثمر أمثال التين العظام كأنه صغار الرمان. لا ينبت في أضعاف الورق كما ينبت التين ولكن من الخشب اليابس ينصدع عنه، وله معاليق وحمل كثير جدا. يزبب منه أمر عظيم، تقطر منه القطرات. قال: ولا نسميه جميزاء ولا تينا، ولكن رقعا. قال: وساق الرقعة هشة يقطعها الفأس بأهون السعي. قال: ونقطعها في الجدب فنعلف الماشية ورقها. قال: ورأيت منه بالشام شيئا. والرقعة حب كحب التين وهي غليظة القشر غير أنها حلوة طيبة يأكلها الناس والماشية، وكثيرا ما تنبت مع العرعر في الجبال فتراها تساوي العرعر»[107].

على أن الأركان الأربعة في المثالين المتقدمين لم تتتابع تتابعا دقيقا، ولم تتخلص من التداخل والتكرار. فإن التعريف في المثال الأول (= أسل) متكون من خمسة عناصر ظهرت فيها التحلية (الوصف العلمي) ثم الوظيفة (أي منافع النبات) ثم مواضع الإنبات ثم المنافع من جديد ثم التعريف اللغوي، وإذن فإن تتابع الأركان في هذا المثال الأول كان على الصورة التالية: (2) + (3) + (4) + (3) + (1). وأما المثال الثاني (=الرقع) فإن العناصر المكونة للتعريف فيه تسعة إذ بدىء بالتحديد اللغوي الذي تلاه الوصف العلمي ثم ذكر المنافع ثم التحديد اللغوي من جديد ثم الوصف العلمي من جديد ثم المنافع مرة أخرى ثم رجع الوصف العلمي فالمنافع، ثم ختم بذكر موضع الإنبات. وإذن فإن تتابع الأركان في هذا المثال الثاني كان كما يلي: (1) + (2) + (3) + (1) + (2) + (3) + (2) + (3) + (4).

ولا شك أن منشأ هذا الاضطراب هو محاولة أبي حنيفة التقيد بأقوال المخبرين ليظهر أمانته في النقل ويدلل على أهمية مصادره في الرواية، وقد كان يكثر من نسبة الأقوال إلى أصحابها كما لاحظنا في تعريف «الرقع» الذي أسند فيه القول إلى الأعرابي المخبر وكرر فعل «قال» خمس مرات. وقد كان بإمكانه أن ينسب القول إلى مخبره مرة واحدة في أول التعريف ثم أن يصوغ هو التعريف صوغا يراعي تتابع الأركان المكونة للفقرة النباتية وتكاملها في مواضعها من النص. ولو فعل ذلك لخرج عن مناهج اللغويين وأخذ بمناهج العلماء في التعريف المنطقي.

(107) نفسه، 1/198 (ف 446).

فإن التعريف المنطقي في عصره كان معروفا في المعاجم العلمية المختصة، العربية أو المترجمة، وخاصة في معاجم الأدوية المفردة وأهمها كتاب «المقالات الخمس» لديوسقريديس، وكتاب «الأدوية المفردة» للطبيب الفيلسوف البغدادي ثم القيرواني إسحاق بن عمران (ت. 279هـ/892م). وقد أقام العالم اليوناني التعريف بالأدوية - المداخل - على أركان ثلاثة تكاد تكون قارة في الكتاب كله، هي (1) التعريف اللغوي بالدواء؛ (2) الوصف العلمي الدقيق لبنية الدواء وخاصة إذا كان نباتيا ؛ (3) خصائص الدواء ومنافعه العلاجية. وقد تطورت هذه الأركان في كتاب ابن عمران فأصبحت خمسة : هي (1) التعريف اللغوي ؛ (2) ذكر طبيعة النبات من حيث القوة والدرجة ؛ (3) الوصف العلمي الدقيق؛ (4) ذكر الخواص العلاجية من حيث المنافع والمضار؛ (5) ذكر أبداله (أي الأدوية التي تقوم مقامه) في حال انعدامه [108].

ويلاحظ في ما سميناه «الفقرة النباتية» في كتاب أبي حنيفة -وهي المكونة للتعريف المنطقي فيه بنوعيه، اللغوي والموسوعي- أثر أركان التعريف المنطقي الذي ظهر في كتب من سماهم «الأطباء» أو «المتطببين». فإن الأركان الثلاثة الأساسية الأولى في فقراته -وهي (1) و(2) و(3)- لها ما يطابقها في «مقالات» ديوسقريديس ثم في كتب المؤلفين العرب الذين حذوا حذوه ونهجوا نهجه في التأليف. لكن أبا حنيفة لم يشأ -فيما يبدو لنا- أن ينتمي إلى «علوم العجم» في تأليفه في النبات وأن يأخذ بمناهج العجم فيه، بل أراد التعبير عن انتمائه إلى «العلوم الإسلامية» فاحتذى حذو اللغويين في التأليف المعجمي : جمعا ووضعا. إلا أنه لم يقطع الصلة بالعجم وعلومهم فكانت لهم في كتابه آثار خفية قد مزجت في كتابه بين المعجمية العامة والمعجمية المختة.

4 - الخاتمة :

لقد بين لنا البحث في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري أنه معجم يتنزل في المعجمية العامة العربية لكنه ذو صلة وثيقة بالمعجمية المختصة، فامتزجت فيه خصائص التأليف في المعجمية العامة بخصائص التأليف في المعجمية المختصة. فإن مؤلفه قد غلب مناهج اللغويين المؤلفين للمعاجم العامة، في الجمع وفي الوضع على السواء. لكنه -دون

(108) ينظر حول منهج ديوسقريديس وابن عمران : إبراهيم بن مراد : المعجم العلمي العربي المختص، ص ص 33-37، وص 44.

الخروج عن الإطار اللغوي- قد خالف معاصريه من مؤلفي المعاجم العامة وقارب المؤلفين للمعاجم المختصة، فخص مجالا بعينه بالتأليف هو النبات وخصص لهذا المجال موسوعة كاملة ذات ستة أجزاء بينما هو لم يحظ في مؤلفات اللغويين بأكثر من رسالة مفردة. ثم إن أبا حنيفة قد نوع منهج التأليف فجمع بين التأليف الموسوعي في أجزاء كتابه الأربعة الأولى والتأليف المعجمي العادي في الجزئين الخامس والسادس؛ وقد خص في الجمع الأسماء والصفات فدونها واختار من الترتيب أيسره في المعجم الألفبائي فاتّبع في إثبات المداخل في معجمه تتاليها بحسب أوائلها ورسمها بحسب نطقها، وقد أخذ في التعريف بمناهج اللغويين فكان الكثير من تعريفاته لغويا، لكنه قد أدخل في التأليف المعجمي مفهوم «الفقرة» التي كانت قوام التعريف المنطقي في كتابه. وفي المظاهر التي ذكرنا كلها تجاوز لأعمال المؤلفين في المعجمية العامة وتطوير للتأليف المعجمي في العربية. وهذا التطوير قد خرج بالكتاب عن المعجم اللغوي العادي إلى المعجم الذي يمتزج فيه العلم باللغة. فليس هو إذن بالمعجم اللغوي العام بالمعنى التام، وليس هو معجما علميا مختصا بالمعنى الدقيق. بل هو معجم وسط بين المعجم اللغوي والمعجم المختص، قد توفرت فيه من الأول خصائص في الجمع والوضع، وتوفرت فيه من الثاني خصائص في الجمع والوضع أيضا، فامتزج فيه -لذلك- المبحثان: المعجمية العامة والمعجمية المختصة.

إبراهيم بن مراد
كلية الآداب بمنوبة
جامعة تونس الأولى

من المعجم العربي إلى معاجم
لغات شبه الجزيرة الإيبيرية اللاتينية الأصل

بحث : فيديريكو كورينتي

إن المعتنين بالمعجمية - والاستاذ الحمزاوي المهدى إليه هذا البحث إلى جانب سائر الأبحاث المكونة للعدد المخصص لتكريمه من مجلة جمعية المعجمية بتونس، من أشهرهم وأكثرهم انتاجا ومقدرة - ليسوا جمّا غفيراً، وذلك لأسباب شتى، لعل أهمها أن الصبر الذي وصف في الذكر الحكيم بالجميل، وهو خير زاد للعبد في الدنيا، لم يرزق منه الجميع نصيبا متساويا أو كافيا للقيام بما يكتب له من أوجه النشاط. فلا يمكن ان يؤلف معجما إلا من كان حظه من تلك الفضيلة أوفر بكثير من المعتاد، لأن وضع المعاجم يقتضي قضاء سنين متوالية من الانكباب على عمل شاق رتيب لا ترى له نهاية في الأفق القريب، ممل في الغاية القصوى، أطول من ليالي السهد وأجفى من البعد. وهو مع ذلك جهد غير مضمون وصيد غير مأمون. فرب طالب لهذا المقصد لم يكفه له الأجل المحتوم، أو نُهِكَتْ قواه قبل إصابة الهدف المروم، لا أَشْهَدَ بذلك من قلة المعاجم المؤلفة في جميع لغات العالم بالنسبة إلى عدد المصنفات الموجودة من انواع أخرى بما فيها اللغويات في كلّ أبوابها، كالكتب في النحو والقواعد إلخ. ولا غرو، فإن مؤلفي القواميس بمثابة عمال الطرق يقدمون خدمة كبيرة قائمين بعمل مرهق قلما يُلْتَفَتُ إليه ويُمْدَحُ أثره كما هو أهله، لأن المنتفعين بثمرة جهودهم مع طول تعودهم على هذه المرافق لا يكادون ينتبهون إلى أنها ليست جزءا من الطبيعة وأنّها ما كانت لتُوجَدَ لولم يضعها إنسان رأى من الحسبة أن يضحي ببعض حياته في سبيل تيسير عمل الآخرين، وقد لا يعود عليه من ذلك التعب غير الأجر في الآخرة ومآخذ النقاد في الدنيا.

ونحن، كما يتبين من القرائن، ممن قفا هذا الأثر وسلك هذا المسلك، ولم نعقد عزيمتنا على أن نُعَدَّ من الأبطال في هذه الحلبة، ولكن المقادير أبت غير إكراهنا على خوض غماره، عندما عهد إلينا بتدريس العربية في إسبانيا، ولم يوجد معجم إسباني عربي ولا عربي إسباني إذّاك، فاضطررنا إلى تأليفهما على وجه الاستعجال، ثم وقع اختيار تخصصنا في آداب العوام بالأندلس من أمثال وأزجال إلخ، فاقتضى ذلك ثانية وضع كتب قواعد لهجتهم ومعجم كلامهم العامي، وكأن حياتنا محبوسة على وضع المعاجم، مع أنها ليست إلا أدوات مساعدة على النشاط الهام الذي هو البحث في اللغة والأدب ! إلا أننا استفدنا من تلك المشقة بعض الاستفادة، واستنتجنا من هذه الدراسات مثلا أن اللغة ولهجاتها، أية كانت، ليست عبارة عن أنظمة مختلفة غير متصل بعضها ببعض من وجه نظر تزامني، وليست بمثابة أمٍّ وبنات مستقلات عنها، وإنما تكوّن شبكة من العلاقات المتبادلة بين جماعات من الناطقين الخاضعين لقوانين التطور بما فيه من تقدم في الغالب ومن تخلف وانتكاس أحيانا، فعسى أن تتخلف الأم وتتقدم البنت أو العكس بالعكس، وقد تكمن أسرار اللغة في لهجاتها ولا تكشف إلا بعد الاطلاع على جميعها. وقد أدلينا برأينا هذا في محاضرة ألقيناها في 17 نوفمبر 1989 بمناسبة المؤتمر الدولي عن المعجم التاريخي العربي المنعقد بتونس، تحت عنوان «دور العامية في المعجم التاريخي العربي»، فحواها أن تأليف مثل هذا المعجم على وجه متكامل فعال لن يتم على غير أساس جميع المعلومات المعجمية العربية المتوفرة، سواء منها القديمة والحديثة والفصيحة والعامية، إذ أن الكثير من ألغاز الفصحى لا يوجد حلها إلا في اللهجات، وليس معنى ذلك أننا نقترح استبدال اللهجات الإقليمية باللغة المشتركة، ولا نراه من الصواب أصلا، إلا أن علم اللغة وتقصّي حقائقها لا يمكن ان يقفا عند حدود معايير الفصاحة، بل لا يمكن التعمق في هذا الميدان لمن لم يكن مطلعا على الفصيح وغيره وأسباب حدوثهما.

ولما كان آخر أبواب قصتنا الشخصية المعجمية وضع معجم للألفاظ العربية الأصل المقتبسة في لغات شبه الجزيرة الايبيرية الرومنسية، أي القشتالية والبرتغالية والغليسية والقطلانية ولهجاتها الصغرى، وهو نشاط قد سبقنا اليه أساتذة عباقرة من أمثال دوزي (Dozy) الهولندي وشتيگر (Steiger) السويسري وغيرهما، فإننا تمكنا عن طريق هذا

العمل أن نفيد من خبر سابقينا وأن نقطع أشواطا جديدة، مضيفين بعض الإضافة إلى الفهارس المتداولة لدى طلاب هذا العلم إلى الآن، مصححين لعدد من الأخطاء الرائجة إلى اليوم فيها، وأن نهتدي إلى فوائد ومبادئ مستحدثة تقرب تَفَهُّمَ زوايا المشكلة المظلمة فيما يتعلق مثلا بأحوال العربية أيام الفتوحات الإسلامية الأولى وما تميزت به بعض القبائل دون غيرها من خصائص لغوية في الأصوات والصرف والنحو والمعجم، وفي هذا كله منافع متعددة لمن طلب العلم الشامل لماضي اللغة العربية وأن يتمثل به، إن إراد أن يتكهن بمستقبلها.

فلما عرض علينا صديقنا العزيز وزميلنا المحترم ابراهيم بن مراد، الوارد اسمه في مراجع بعض كتبنا، المشاركة ببحث في هذا العدد، ولم يحسن بنا الاعتذار، مع قرب الأجل المسموح، لما يربطنا به وبالدكتور الحمزاوي من الصداقة الوثيقة والتقدير الصريح، بدا لنا أن ننتهز الفرصة لنقدم للقارئ العربي المعتني باللغويات المهتم بمثل هذه القضايا الهامشية كالعلاقة بين الفصحى واللهجات وتأثير العربية في لغات جيرانها وتأثرها بها، ملخص آرائنا فيها، ظنا منا بأنه قد يجد بعض المنفعة في الاطلاع على أهم ما حصلناه من النتائج والمعلومات الجديدة في معجمنا هذا الذي أنهينا تأليفه في الأيام الأخيرة ونتوقع صدوره في غضون عدة أشهر، مع عونه تعالى.

وقد أطلعتنا دراستنا للمقتبسات العربية في لغات شبه الجزيرة الإيبيرية اللاتينية الأصل على عدة حقائق لغوية وتاريخية واجتماعية وعمرانية، منها ما قد ثبت في المراجع التاريخية والأدبية، فلم تأت معلوماتنا في هذه الحالة بغير تأكيده، ومنها ما كان مجهولا أو مشكوكا في صحته، فعُرف بفضلها أو صار يقينا لأول مرة بحجج تتضمنها تلك المقتبسات من خصائص تنم عن طباع لا ريب في صحة نسبتها إلى بعض القوم، ومن ظروف لا يشك في تولدها من حوادث مشهورة، وقد تتعلق كثرة هذه المعطيات في مكان وزمان معينين أو قلتها فيهما بتوزع عناصر سكن الأندلس المختلفة على اختلاف نواحيها، أو بسرعة اندغامها في الأغلبية المحيطة بها، إلخ، كما سيتبين فيها يلي من الكلام.

وإذا اتبعنا ترتيب الوقائع التاريخية، فإن أول ما تطلعنا عليه دراسة تلك المقتبسات

المعجمية أن الغزاة العرب في الفوج الأول، أي أصحاب طارق وموسى، مع كونهم أقل من البربر بكثير، كانت لهم اليد الطولى في تدبير الأمور وتنظيم دولة الإسلام وجماعته بالأندلس، يتجلى ذلك من سيطرة لغتهم على المسلمين قاطبة وقلة الألفاظ البربرية المقتبسة في لغات شبه الجزيرة الايبيرية الرومنسية، مثل اگرْگيت بمعنى الحربة، تحولت إلى gorgo-to بالقطلانية وgorguz بالقشتالية وgurgez بالبرتغالية؛ وتگزلْت بمعنى الرمح القصير المميز لأهل العدوة، تحولت إلى tragacete بالقشتالية وإلى tragazeite بالبرتغالية؛ وزَغاية المعربة، اسم آلة للرمي، من أغ، بنفس معنى اللفظة السابق ذكرها، وتطلق على مزاريق البربر، تحولت إلى azagaya بالقشتالية وإلى atzagaia بالقطلانية وإلى zagaia بالرتغالية؛ وافْراگ بمعنى سرادق السلطان، تحولت إلى alfaneque بالقشتالية والبرتغالية معا وإلى alfanec بالقطلانية؛ وأمْگودي بمعنى المجموع أو المتراكم من كل شيء، تحولت إلى mogote بالقشتالية بمعنى التل وإلى almogote بها أيضا بمعنى الطابور من الجنود؛ وتابودا بمعنى البوط من النبات تحولت إلى tabua بالبرتغالية، وتْفيا بمعنى اللحم ثم مرقه، تحولت إلى atafea في القشتالية بمعنى اللون من الطعام المسمى تفايا في المغرب العربي؛ وتاگْرا بمعنى الإناء المتخذ من قرْعَة مجوفة يابسة، تحولت في البرتغالية إلى tagra بمعنى مكيال معروف من نوعه، إلى غير ذلك قليل لا يتجاوز كله بضع عشرة كلمة، في حين ان المقتبسات العربية الأصل في هذه اللغات بنفسها تعد بالمئات، كما هو مشهور. نستنتج من هذا أن معظم الغزاة البربر، وإن حافظوا على لهجات لغتهم الأصلية، خلاف ما زعم بعض من تعرض لهذه القضية وقد أثبتنا عكسه بهذه الشواهد المعجمية ولم نسبق إلى ذكر مثل عددها، فإنهم كانوا قد تعربوا نوعا ما. ولم يتبادر إلى عقولهم انتواء التفاهم مع أهالي الأندلس ولا مع المسلمين العرب، بل ولا مع إخوانهم البرابر من قبائل أخرى إلا بالعربية، كما هو شأنهم إلى اليوم؛ وهو السبب الرئيسي الذي حال دون نشوء لغة بربرية مشتركة، على الرغم من اندماجهم على طول القرون في دول موحّدة كدول المرابطين والموحدين والمرينيين، ومن كونهم أثناءها أغلبية سكان المغرب. فإنّ اللجوء إلى العربية حينذاك وإلى لغات أجنبية أخرى في الماضي والحاضر كان أسهل لغالبهم من إيجاد اللفظ المشترك بين لهجاتهم المتباينة على درجات مختلفة، المتفرقة من واحة سيوة بغربي مصر إلى أواسط أفريقيا وأقاصي

غريبها، في هدف التقريب بينها وتفاديا لفوارقها، كما فعل رواة العرب في الجاهلية، الذين أحدثوا لغة الشعراء الفصحى على هذه الوتيرة عن طريق تفضيلهم للشائع استعماله من الكلام وتجنيبهم للوحشي منه، أي اللغات الغريبة في اصطلاحهم.

ثم أثبتت دراستنا لهذا الموضوع أيضا أن الغزاة العرب الذين دخلوا شبه الجزيرة الإيبيرية فاستوطنوها ما نطقوا هم بدورهم بلغة موحدة فيما جرى بينهم من الحديث اليومي، فضلا عن الفصحى الخاصة حينئذ كاليوم بأغراض الخطابة والكتابة، وإنما تحدثوا بلهجاتهم العربية القديمة الراجعة إلى أصول قحطانية أو عدنانية على جانب من الاختلاط فيما بينها وبالدخيل من اللغات المجاورة، الذي كثر رواجه وتخلله لكلام أكثر العرب بطبيعة الأمر نتيجة للتجارة والحرب والتبشير منذ آلاف من السنين قبل الإسلام. فظلت أحوال أولئك الغزاة وأنسالهم المولدين كذلك إلى أن طال بها العهد فتطورت تلك اللهجات الوافدة وامتزجت ثانية فيما بينها وحتى بلغة الأهالي الرومنسية بعض الشيء، فتحولت إلى لهجة عامية أندلسية لا تكاد تختلف في جميع أنحاء جزيرتهم إلا فيما قل شأنه؛ ونجحت نجاحا اجتماعيا لا مثيل له في المغرب ولا في المشرق، إذ لم ير الناطقون بها في أغراض حديثهم اليومي غضاضة في مجاوزة ذلك الحد واستعمالها لأغراض أدبية هزلية كالأزجال والأمثال، على غرار قول الشعراء والعلماء الفصيح الخاص بجميع أغراض الجد، على جري العادة في العالم العربي كله. ولكن المقتبسات الراجعة إلى الفترة السابقة لتلاشي تلك الخصائص اللهجية العتيقة لا تزال تدل على أصول قبلية متباينة للغزاة الأول، نضرب مثلا لها الألفاظ الرومنسية التي تنقل فيها الضاد باللام والدال، مثلا alcalde بالقشتالية والبرتغالية والقطلانية معا بمعنى رئيس البلدية وأصلها القاضي، و aldea بمعنى القرية بالقَشْتالية وأصلها الضيعة، وتقابلها aldeia بالبرتغالية، فمن البدهي أنهما مأخوذتان من كلام اليمنيين المشهورين بطول حفاظهم على الضاد الجانبية القديمة الباقية إلى اليوم في اللغات المهرية والجبّالية والسقطرية المتولدة من العربية الجنوبية المنقرضة. بخلاف شأن العدنانيين المسرعين إلى خلطها بالظاء على طريقة البدو إلى يومنا هذا، وقد تحولت إلى دال مفخمة في كلام الحضر، عملا بالنزعة التي حولت الحروف اللثوية إلى نطعية فيه؛ وكذلك في نظرنا شأن الجيم التي كالكاف في اصطلاح سيبويه، أي غير المعطشة في

الاصطلاح الحديث، وكانت مميزة لليمنيين أيضا وما انفك بعضهم متمسكين بها إلى الآن، ونجدها منعكسة في بعض تلك المقتبسات مثل cofaina أو gofaina في بعض لهجات القشتالية بمعنى الجُفَيْنَة، أي الجفنة الصغيرة وهي أصلها، و hámago إسم مادة مُرَّة في بعض خلايا النحل بالقشتالية تقابلها ágamo بالبرتغالية و àmec بالقطلانية، وأصلها في العربية الخمج، وتُفَسِّرُ هذه الظاهرةُ الصوتية ايضا اسم مكان بمصب نهر إبرُه بالقرب من مدينة طرطوشة الشهيرة قد استغلق اشتقاقه على جميع من تصدى لشرحه، مع ترجيح أصله العربي نظرا للفظه، وهو Alfacs بالقطلانية و Alfaques بالقشتالية، ولم ينتبهوا إلى شكله الطبيعي وهو عبارة عن حاجز رملي متكون من تراكم الطمي، وليس أصله بالطبع غير الحاجز العربي مع تحويل الزاي في آخر الكلام إلى سين، وفقا لقاعدة صوتية مطردة في القطلانية، ثم مع مماثلة الحرف الذي قبله وتحوله إلى كاف.

ثم إن هذه المقتبسات تطلعنا ايضا على أن عربية الغزاة لم تخل من بعض الاختلاط بالعجمية، أي اللغة اللاتينية الدارجة في شبه الجزيرة الايبيرية قبل الفتح الإسلامي، التي ظلت مستعملة إلى أواخر القرن السادس الهجري، مع تقلصها التدريجي الاجتماعي والجغرافي واختلاطها هي الأخرى بالعربية، حسبما أشرنا إليه أخيرا بمناسبة بحثنا حول خرجات الموشحات والأزجال في كتابنا الصادر بمدريد سنة 1998 تحت عنوان «أشعار عامية بالعربية والرومنسية في الأندلس». وأما تأثر العربية في الأندلس بالعجمية، فإنه منعكس في اكتسابها لأصوات كالباء والجيم والكاف الفارسية، وفي عدم تفرقتها بين المخاطب والمخاطبة في الأفعال والضمائر، وهي مميزة باقية في بعض اللهجات المغربية الشمالية إلى الآن، موروثة عن الأندلسيين المهاجرين؛ وفي احتوائها على عدد من الألفاظ العجمية الأصل أو الهجينة، منها اللُب عوض الذئب، والشُقر عوض الحَمُ، والشُقور عوض الفأس، وهي عجمية صميمة من أصولها اللاتينية lupus وsocer وsecuris، والرَقَدون للكثير النوم، والزَنَّير للكثير الزلل بمعنى الزناء، والسَرْوَك بمعنى شجرة السرو، وهي عربية مزيدة بلواحق عجمية ذات وظائف مدلولية خاصة.

ولما كانت العربية العامية لغة التحادث لدى جميع سكان الأندلس من الملل الثلاث، أي المسلمين والذميين من نصارى ويهود، فلا غرو أنها متداولة في جميع

المعاملات فيما بينهم ومع أهل دار الحرب، إذ لم يتكلم بغيرها التجار والسفراء والمهاجرون والغزاة والأسارى وسائر من كان عليه أن يخرق الحدود القائمة بين دار الإسلام ودار الحرب؛ ولم يتعلم غيرها ايضا أكثر العلماء الأوربيين الذين قصدوا أحيانا عواصم الأندلس طالبين لعلوم شتى كالفلك والتنجيم والفلسفة والطب والصيدلة والهندسة والرياضيات إلخ، يتبين ذلك في الصيغ العامية للغالب من المقتبسات العربية في لغات أوروبا لا سيما منها الاصطلاحات العلمية. والاعتراف بهذا الواقع أمر مهم جدا بل ضروري، إذ كان سابقونا إلى هذه الدراسات كثيرا ما يعتمدون صيغا فصيحة فقط، فمنعهم عدم إدراكهم للأحوال اللغوية الواقعة من إرجاع المقتبسات في كثير من الأحيان إلى أصولها العربية العامية الصحيحة، سواء كانت صميمة أو مختلطة بعناصر عجمية أو محرفة من جراء الاتصال بالعجم والبربر، وربما نسبوها نسبة خطأ. نضرب مثلا لذلك ما ذهب إليه معظم الباحثين من أن كلمة alazán القشتالية المقابلة بـ alazão بالبرتغالية بمعنى الأصهب من الخيل مشتقة من الأزعر بالعربية، لجهلهم أن البربر، وهم أخص الناس بتربية الخيل في المغرب والأندلس، يقلبون الصاد زايا في كلامهم؛ أو ما ارتآه العلامة المشهور دوزي من أن كلمة acebuche القشتالية، وتقابلها azambuja بالبرتغالية، هي بربرية الأصل، وليس الأمر كذلك على الرغم من وقوعها في لهجات هذه اللغة، بناء لما أثبته الأستاذ الألماني كونتس (Kuentz) في مقالة منشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1935 من أنها مجرد اسم تدليل للزعبج أو الزغبج بمعنى الزيتون البري أو العُتُم، وليست في البربرية غير مقتبسة؛ ولنفس السبب فات جميعهم أن كلمة tarabilla القشتالية المقابلة بـ taramela بالبرتغالية، بمعنى القطعة الخشبية المنبهة على انقطاع الطاحونة الهوائية عن العمل لزوال الريح أو تعطل الآلة، إنما هي لفظة الطرب العربية مزيدة بلاحقة التصغير العجمية، تدل على النغم الرتيب الحادث أثناء تشغيل الرحى. ومنهم على عكس ذلك من عسى أن ينسب إلى العربية ما ليس منها بالفعل، كزعم بعضهم ان كلمة canana القشتالية بمعنى حزام الخرطوش مشتقة عن الكنانة، أي جعبة السهام للرامي، ولا يصح ذلك مع تقارب الأصوات، لتباعد المدلولين النسبي، والاختلاف في شكلي الشيئين، علاوة على أن هذه الكلمة العربية لا يثبت استعمالها في لهجات المغرب والأندلس أبدا، وأن ألفها ما كانت

لتخلو عن الإمالة خلاف اللفظ القشتالي المذكور، وتخمينا أنه أمريكي الأصل، ومما يزيدنا اقتناعا بهذا الرأي أن لا ذكر له بالفعل قبل أواخر القرن الماضي.

ونحن نرى لمعجمنا التأصيلي هذا فائدتين مختلفتين. أولاهما أن المعتنين باللغات الرومنسية الإيبيرية يستطيعون الآن بفضله أن يكونوا على يقين لأول مرة من الأصول الصحيحة لعدد لا بأس به من مفرداتها، وثانيتهما أن هذا التأليف يتيح لدارسي العربية ولهجاتها القديمة والحديثة على أساس هذه المعطيات المضمونة الاطلاعَ على سعة المعجم العربي المنقول من جزيرة إلى جزيرة، وعلى وقوع بعض الألفاظ وسقوط البعض الآخر من الاستعمال في لهجات أقاصي الغرب الإسلامي، وعلى قياس مدى تطور ذلك المعجم صوتا ومدلولا، كما يطلعهم على أهمية ظواهر التولد والاختلاط بالدخيل، وهي معلومات ثمينة عن أحوال العربية في طور مبكر جدا من أطوار تاريخها وعن ميول تطورها قديما وحديثا، خصوصا فيما يتعلق بأوضاع الازدواجية وعواقبها الاجتماعية التي انعكست في الأندلس بسرعة لا مثيل لها في سائر أصقاع حوزة لغة الضاد، وذلك لأجل العناصر التاريخية والجغرافية والاجتماعية المعروفة التي قضت بازدهار العامية وآدابها قبل وقوع ذلك في أقطار عربية أخرى بقرون.

ولعل أهم نتائج هذه الدراسة المعجمية، على صعيد النظرية اللغوية، أن البحث في مستويات اللغة الثلاثة، أي الفونولوجيا والتصريف والتركيب كثيرا ما ينحصر في نطاق كل لغة على حدة على وجه تزامني، بحيث لا يمت اللسان الواحد بصلة إلى ثان من هذه الوجهة إلا على سبيل المقارنة، في حين أن دراسة المعجم تتجاوز ذلك القدر عادة وتتسع إلى ما وراءه لأن الألفاظ تتطور ويتأثر بعضها ببعض، وقد تُقتبس وتعيش عيشة جديدة مختلفة في اللغة المقتبسة لها، فتكون لها قصص معقدة تختلط فيها بقايا الماضي وبواكير الحاضر، فالتأصيل علم متصل أيما اتصال بالعلوم التاريخية والاجتماعية يطلعنا على أسرار وأخبار لا يُعثر عليها في الكتب والمستندات.

فيديريكو كورينتي
جامعة سرقسطة - اسبانيا

فتنة الخطإ والصواب

بحث : ابراهيم السامرّائي

1 - في خطإ الاعتماد على النحاة دون اللغويّين :

أقول : عرض الخطأ أو التجاوز اللغوي بكل فروعه للغّات عامة، ومازلنا نرى المعنيين بالمسائل اللغوية يبسطون القول في هذا. لقد بدأ اللغويون هذا الدرس في منتصف القرن الثاني للهجرة، وكانت لهم فيه وقفات وأقوال. ثم بدا لهم في القرن الثالث أن يتوسعوا، وزاد هذا في القرون التي تعاقبت، فكان لنا مصنفات حبسها أصحابها على الخطإ، وإصلاحه أو تصحيحه.

لقد فات أولئك المتقدمين ما أثر عن أبي عمرو بن العلاء فيما حكاه يونس بن حبيب، قال : «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلاّ أقلّهُ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير» (1). وجاء أيضا من كلامه فيما رواه الأصمعي : «سمعت أعرابيا يقول : فلان لغوب (2) جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟». قال أبو عمرو : «فحملَهُ على المعنى، وقد جاء ذلك كثيرا في كلامهم» (3).

قلت : لقد هرع اللغويون في دأبهم في التصحيح وتوهّموا انهم يملكون العربية وفاتهم أنهم لم يدركوا ذلك وقليل ما هم. لقد فاتهم أن يدركوا ما بين أيديهم من شعر ونثر وجهلوا الكثير من القرآن ومن الألفاظ الإسلامية، وكان في اختلافهم في هذا دليل على أنهم لم يطمئنوا الى الصواب، غير أنهم توهّموا غير هذا فذهبوا في تصحيحهم وإصلاحهم (4).

---

(1) الأنباري : نزهة الالباء (ط. مدينة الزرقاء، في الأردن)، ص [illegible].

(2) المصدر السابق ص [illegible] و«اللغوب» بمعنى أحمق.

(3) المصدر السابق.

(4) من هذا «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (طبع ببغداد)، و«إصلاح المنطق» لابن السكّيت.

وقد اهتم اللغويون بالتصحيح متعقبين أقوال النحاة، ومن هذا قول ابن قتيبة (5) :

«وإذا نسبتَ إلى اسم مصغّر كانت فيه الياء أو لم تكن، وكان مشهورا ألقيتَ الياء منه، تقول في جُهَينة ومُزَينة : جُهَنيّ ومُزَنيّ، وفي قريش : قُرشي، وفي هُذيل : هُذلي، وفي سُلَيم : سُلمي إلاّ ما أشذوا، وكذلك إذا نسبت الى فَعيل أو فَعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا اكتفيت منه الياء مثل : رَبيعَة وبَجيلة وحَنيفة تقول : ربَعي وبَجَلي وحَنَفي، وفي ثَقيف ثَقفي، وفي عتيك عَتَكي، وإن لم يكن مشهورا لم تحذف الياء في الأول ولا الثاني».

أقول : ذكر قول ابن قتيبة هذا مصطفى جواد - رحمه الله - في كتابه «المباحث اللغوية في العراق» فقال : «ولذلك يجب ان نقول : بديهيّ وغريزيّ وقبيليّ وطبيعيّ» (6). وأيّد قوله هذا بما أثبته من أقوال أهل الأدب واللغة فقال : قال أبو حيان التوحيدي في بعض أخبار مقاريوس : «ثم أقبل على زيموس وقال له : ما أبعد شبه معدنك من المعادن الطبيعية» (7). وقال الجاحظ : «الكرم الغريزيّ» (8).

أقول : إنّ هذا الذي درج عليه جمهرة المعربين في النسب إلى ما فيه الياء مما ورد على فعيل وفَعيلة وحذفهم للياء دون أن يدركوا ما قيل في ذلك من أقوال أهل العلم، كان بسبب ما أثبته النحاة في إطلاق القاعدة. وهذا يدل على أنهم لم يستوفوا الاستقراء. ومن هذا ذَهَابُ المعاصرين إلى تخطئة النسب إلى الجمع والصواب لديهم ان النسب إلى المفرد، وهذا مأخوذ من قول النحاة الذي أثبتوه فاعتمده مصنّفو الكتب التعليمية في عصرنا.

لقد نبّه على هذا مصطفى جواد وأشار إلى كلام الفصحاء فقال : قال الجاحظ : «لو شئنا أن نقول إن سهر الكلب بالليل ونومه بالنهار خصلة **ملوكيّة** لقلنا، ولو كان خلاف ذلك لكانت الملوك بذلك أولى» (9).

أقول : وجاء في «فقه اللغة» للثعالبي في تفصيل حركات اليد : «... فإن مد يده نحو الشيء كما يمدّ الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا بها في الحفرة فهو السَّدْوُ، والزَّدْوُ لغة صبيانية في السدو» (10).

---

(5) أدب الكاتب (ط. السلفية)، ص 209.

(6) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد 1965).

(7) الامتاع والمؤانسة، 2/ 38.

(8) رسائل الجاحظ، ص 6.

(9) الحيوان، 1/ 283.

(10) فقه اللغة (ط. اليسوعيّة)، ص 182.

أقول : وقد درج أهل التصحيح في عصرنا على هذه القاعدة التي ثقفوها في الكتب التعليمية فقالوا : القانون الدَّوْلي، والبنك الدَّوْلي، والعلاقات الدَّوْليّة، وكان ينبغي أن يقال في كل ذلك الدُّوَلي والدُّوَلية والنسب إلى الجمع هو المراد. وقد سمعنا قديما : الأنصاري والشعوبيّ والملوكي. وفيما نسب إلى ما يتصل بالحرف والصناعات، وبيع المواد عرفنا : القُدوري والأمشاطي والمغازلي والمحاملي والجلودي وغيرها.

وكأن أهل التصحيح سمعوا مصطلح «الأصولي» و«الأصولية» في الصحافة المعاصرة فسكتوا. أقول : و«الأصولي» و«الأصولية» في صحف عصرنا غير «الأصولي» القديم. لقد أراد المعاصرون بـ «الأصوليّ» الملتزم بالإسلام التزاما شديدا، وكأنهم أرادوا به المتعصّب للإسلام، ولكنهم هربوا من ذكر الحقيقة وذهبوا إلى ضرْب من التعمية (11).

أقول : إنّ «الاصوليّ» في كتب الرجال وصف أو نعت للرّجل العالم بـ «أصول الفقه»، فأين هذا مما نحن فيه ؟

ولا بد أن نعود إلى القاعدة النحوية التي تقيّد النسب إلى المفرد وليس إلى الجمع، وفي هذا غلّط الحريريّ في كتابه «درّة الغواص» خواصّ عصره لاستعمالهم «الصُّحُفيّ» نسبة إلى جمع «الصحيفة» لمن يقتبس من الصحف فقال (12) : «ويقولون لمن يقتبس من الصّحف صُحُفيّ مقايسة على قولهم في النسب الى الأنصار أنْصاريّ والى الأعراب أعرابيّ، والصّواب عند النحويين البصريين أن يوقع النسب إلى واحدة الصّحف وهي صحيفة فيقال صَحَفيّ كما يقال في النسب إلى حَنيفَةَ حَنَفي لأنهم لا يرون النسبَ إلاّ إلى واحد الجموع كما يقال في النسب الى الفرائض فَرَضِيّ والى المقاريض مِقراضيّ اللهمّ إلاّ ان يجعل الجمع اسما علما للمنسوب إليه فيوقع حينئذ النسب الى صيغته كقولهم في النسب إلى قبيلة هوازن هوازني والى حيّ كلاب كلابيّ والى مدينة الأنبار أنباري والى بلدة المدائن مدائني. فأمّا قولهم في النسب الى الأنصار أنصاري فإنّه شذّ عن أصله والشّاذ لا يعتدّ به. وأمّا قولهم في النسب الى الأعراب أعرابيّ فإنهم فعلوا لإزالة اللبس ونفي الشبهة إذ لو قالوا فيه عربيّ لاشتبه بالمنسوب الى العرب، وبيْن المنسوبين فرق ظاهر».

---

(11) أقول : ومن هذا الذي يراد به التعمية ما نجده في صحف عصرنا من قولهم : «تحريك الأسعار» والمراد به «رفع الأسعار». وقولهم «التحفّظ على فلان» والمراد حبسه وسجنه وغير هذا.

(12) درّة الغواص في أوهام الخواص، ط. ليبزيغ 1871، ص ص 152-153.

أقول : إن هذا الذي تشبّث به البصريون لا يمكن أن يكون لهم حجة في إثبات الجواز إلى المفرد، والصواب أن المعرب يذهب إلى حاجته التي يتبيَّن فيها الإفهام. وقد يكون لي أن استشهد بما هو «دُوَليّ» في لغتنا المعاصرة، فإنه يشير إلى ما يكون بين الدول وليس فيما يخصّ دولة واحدة. ومن ذلك قول الشهاب الآلوسي في «شرح الطرّة» (13) «. . . ثم إن المانعين استثنوا صورا منها أن يكون الاسم المنسوب إليه علما كأبناء للبلدة المشهورة وهي اليوم بلافع، و«فرائض» علم للعلم المشهور، ومنها أن يغلب على شيء حتى يلحق بالعلم كأنصار لغلبته على أنصار النبي (ص) في الأوس والخزرج، وهم إما جمع نصير أو ناصر».

ومن ذلك أيضا قول ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (14) : «وينسب إلى الجمع إذا كان حرفة كالأمشاطي والمحامليّ والجواليقيّ ومثله الحصري والخرائطيّ والأنماطي والأكفاني وغير ذلك».

أقول : وذهب مصطفى جواد في تصحيحاته إلى أن النسب إلى الجمع صحيح لما فيه من فائدة الإفهام، واستظهر بما وجده لدى أهل العلم فقال : «التذاكري» هو بائع التذاكر وقد قالوا : «الرسائلي» للذي يحمل الرسائل؛ وكذلك الساعاتي، وهو علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المعروف.

أقول : إن أهل التصحيح لم يأخذوا بما هو معروف في استعمال الكتاب، بل تبعوا أقوال النحاة الأوائل بصريين وكوفيين. وهذا ما فعله الحريري في «درة الغواص» الذي أثار رد اللغويين الذين لم يتقيدوا بما فرضه أوائل النحويين. وكان ينبغي لأهل التصحيح أن يُبعِدُوا عنهم ما سُطِّرَ في كتب النحو، وينظروا إلى استعمال اللغويين والنحاة في الكتب غير النحوية. لم ينظروا مثلا في لغة المبرّد في «الكامل» و«الفاضل»، ولم ينظروا في «الفائق» للزمخشري. وكأن هؤلاء قد وجدوا أن العربية واسعة، ومنهم الامام الشافعي الذي أدرك ضيق اللغويين والنحويين في باب التوكيد. فقد ورد من كلامه في «المواهب الفتحية» : جاء عامّةُ القوم، وأخذ عامّةَ المال، وبقي عامّةَ النهار (15).

فكأنّ النحاة الذين سطروا في كتبهم ما عرفناه من قواعد النحو والصرف غير

---

(13) شرح الطرة (ط. دمشق 1301)، ص 303.

(14) معجم الأدباء، ط. دار المأمون، 4/ 31-32.

(15) المواهب الفتحية، 1/ 47.

مزودين فيما ذهبوا فيه بكثير مما ورد في كلام أهل اللّسن والفصاحة. وإذا كان هذا قد حصل فكيف يتصدى مصحح قديم فيصحح ، تمدُ على ما قرّره النحويون ؟ لقد قال النحاة مثلا بعدم جواز وصف ما يكسّر من الجمع بـ «فَعْلاء» فلا يقال مثلا : «صحائف بيضاء» لأن الصواب «صحائف بيض»، وكأنهم تبعوا في استقرائهم ما ورد من قوله تعالى «ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحُمر مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سُودٌ» (10)، وفاتهم أن طرفة بن العبد من شعراء الجاهلية قال :

وفيهم رأينا الغيم فيه كأنّه سماحيق ترب وهي حمراء حَرْجَفُ

والمسألة بالخيار، وفي العربية سعة، وهذا جائز مثل أن يأتي الوصف لما هو مجموع جمعا كقول الأعشى :

الواهب المئة الهجان وعبْدها عوذا تُزَجّي خلفها أطفالها

وقد جاءت «المئة الهجان» موصوفة بـ «فعلاء» في قول الحطيئة :

الواهب المئة الهجا ن معا لها وَبَرٌ مظاهرْ

دهماءَ مدفأة الشتا ء كأنّ بركتها حظائر

ومن هذا الذي ذهبوا فيه الى التخطئة وهو صحيح بدلالة وروده في قول امرئ القيس :

تبيت لبوني بالقُريّة أُمّنًا وأسرحُها غبّا بأكناف حائل

تلاعبُ أولادَ الوعول رباعُها دُوَيْنَ السماء في رؤوس المجادل

مكلّلةً حمراء ذات أسرّة لها حُبُكٌ كأنّها من وصائل

وإذا قال باعث بن صريم وهو ممن أثبتهم أبو تمام في «حماسته» :

وكتيبة سُفْع الوجوه بواسل كالأُسْد حين تذبّ عن أشبالها

قد قدتُ أول عنفوان رعيلها فلففتها بكتيبة أمثالها

فوصف «الكتيبة»، بـ «سفع»، فقد وصفها حسان بن ثابت بـ «خضراء» في قوله:

لمّا رأى بدْرا تسيل تلاعه بكتيبة خضراء من بَلْخَزرج

2 - في ما حمل على اللحن لدى الأوائل وله ما يفسّره:

لا أريد باللحن هنا التجاوز على العربية نحوا وصرفا، وذلك لأن الكثير من هذا قد عرض لـلّغات عامّةً ونبّهوا عليه. ولكني أريد به البعد في استعمال الكلمة عن دلالتها

(10) سورة فاطر، الآية 27.

والذهاب بها إلى طرائق لا نعرفها في طرائـق المعربين في القرنين الأول والثاني. وقد تكون مبتعدة عن عربية التنزيل والمشهور في الحديث الشريف.

ومن الطبيعي أن تكون عـربية الذين أسلموا في القرون الأولى من غيـر العرب غير ما نعرف من عربية إخوانهم من المسلمين العرب، وأن تكون الأصوات العربية فيها معدولة عن حقائقها اللغوية.

ولا أعرض هنا لما أثبته الجـاحظ من قول أحد تجّار الدواب وقد باع المسلمين دوابّ رديئة فاستنطقه الحجاج عن ذلك فأجابه : «شريكانُنا في هوازها وشريكانُنا في مداينها وكما تجيء نكون»، أي ان هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليـه من رداءة من شركائه في بلادهم الأهواز والمدائن [17].

ومن الطبيـعي أن يحمل المسلمون الجـدد شيئا حـمل الضيم على عربيتـهم. وقد يكون من هؤلاء من كانت أمهاتهم غير عربيات وأباؤهم عرب. وينبغي ألا نغفل أن يكون شيء مما عـرض للعربيـة من ابتعـاد من الصواب بسـبب ما عـرفه المجـتمع الإسـلامي في القرنين الأول والـثاني من العبـيد الرقـيق والجواري غـير العربـيات. لقد عـرفنا من هذا من الصحابة الأوّلين بلال بن ربـاح أوّل من رفع الأذان في عهد رسول الله وهو عبـد حبشي لا بد أن يكون ذا لكنة حبـشية. وذكر الجاحظ ان سـحيم عبد بني الحسـحاس كان يرتطن لكنة «أجنبية» وكان يقـول : «سَعرت» بدلا من «شعرت» [18]. وفي الأغاني أنه روي عنه قوله : «أهسنت» بـدلا من «أحسنت» [19]. وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء [20] وابن جني في «سرّ الصناعـة» كما أفـدت مما في خزانة الأدب [21] : انه كان يقـول : أحسنْكُ بدلا من أحسنتُ. والكاف ضمير للمفرد المتكلم في الحبشية.

ولعلنا ندرك مـا عرض لعربـية أهل البصـرة من فسـاد إذا وقفنا على تأثيـر الفارسـية وظهـورها في اسـمـاء البلدان والمواضع والأنهـار [22]، ومجـيئهـا مختـومة بالألف والنون للنسب كما في مهلّبان وأميَّتان وعبادان وغيرها [23].

---

(17) الجاحظ : البيان والتبيين 1/ 88؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار 2/ 100.

(18) البيان والتبيين، 1/ 32.

(19) الأغاني، ط بولاق 20/ 2.

(20) الشعر والشعراء، ص 241.

(21) خزانة الأدب، 2/ 257، عن كتاب «العربية» ليهان فك، (ترجمة النجار)، ص 13.

(22) ياقوت : معجم البلدان، 1/ 647.

(23) أقول : مازال في البصرة شيء من هذا في «مهيجران» وهي مهاجران، ويوسفان وغيرهما.

على أن هذا لم يمنع أن يكون أولئك الداخلون أصحاب فصاحة، والجاحظ يشير مثلا إلى موسى الأسواري ويصفُهُ فيقول : إنه كان من أعاجيب الدنيا، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فيجلس العرب عن يمينه، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربية، ثمّ يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يُدرَى بأي لسان هو أبين (24).

ولم تسلم عربية أهل الكوفة مما عرض لها من ضيم، فقد عرفت هذه المدينة أفواجا من غير العرب اتخذوها موطنا لهم بعد عصر الفتوحات الأولى. إنهم بقية الجيش الفارسي بقيادة رستم في حرب القادسية. ولقد أشار الجاحظ إلى هذه العربية الجديدة وذكر جملة ألفاظ فارسية استعملها الكوفيون وشاعت بينهم. فقد قال : يقولون : «خيار بدلا من قثّاء، وباذروج بدلا من الحوك (وهي البقلة الحمقاء أو الرجلة)» (25).

لقد عرفت عربية المصْرَيْن هذا الدخيل الفارسي وعم في سائر ما حواليهما من الحواضر والمواضع. واذا عرفنا أن العرب الأوائل قد عرفوا الدخيل أدركنا أن الفرزدق الشاعر قد عرف الشطرنج لعبة فاستعمل «البيذق» في إحدى نقائضه لجرير فقال :

ونحن إذا عَدَّتْ تميم قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق

منعتك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لذرعي بيذق في البيادق

وقوله هذا يشير إلى اتقانه هذه اللعبة التي من رسومها تقدّم البيذق الى الرقعة الاخيرة فيتحول الى وزير. إن هذا «البيذق» لم تسلم منه لغة جرير التي ورد فيها بمعنى ما هو ساقط مرذول فقال :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا اذ مهرجعثن مثل حُرّ البيذق

إنه أشار الى أنّ مهرجعثن أخت الفرزدق هو «مهر المثل» وليس مهرا يشار إليه في عقد النكاح.

ولم تنج عربية بلاد الشام من الدخيل الرومي، ولا عربية مصر مما هو قبطي.

وقد كان التجاوز على المشهور السائد من العربية يعرض لأهل العلم. فقد عاب الجاحظ قراءة الحسن «وما تنزّلت به الشياطون»، وعدّها خطأ.

---

(24) البيان والتبيين 1/ 139.

(25) المصدر السابق 1/ 10

3 - في تصحيحات المحدثين :

ثم انصرف اللغويون الى الاشارة الى أي تجاوز على العربية كما ورد هذا في «درة الغواص» للحريري. غير أن آخرين من أهل العربية قد اختلفوا فذهبوا إلى أن الحريري قد ضيّق الأمر وحجّر واسعا ووجدوا أن كثيرا من تخطئته غير صحيح. ومن هؤلاء ابن الخشاب.

ثم مضى أهل اللغة في تصحيحاتهم حتى جاء المعاصرون فأكثروا في هذا، وكان منهم من تصدّى لتصحيحات أصحابه فأشار إلى «ما زعموه خطأ» وهو صحيح. وكان هذا المصحح هو مصطفى جواد الذي رد أقوال أسعد خليل داغر وأقوال الكرملي في كتابه «المباحث اللغوية في العراق». ثم كان لمصطفى جواد جهد كبير آخر في التصحيح لما يعرض لاقوال المعربين في الصحف وغيرها. وقد جمعها في كتاب له في جزأين وسمه بـ«قل ولا تقل». لقد وقف المعنيون باللغة وقفة خاصة من أقوال مصطفى جواد، وكأنه جنح على رأيهم الى المبالغة في التخطئة فكان آخر من ردّ عليه الأستاذ صبحي البصام في كتاب له وسمه بـ «استدراك على كتاب قل ولا تقل».

أقول : وإذا كان الأستاذ مصطفى جواد، وهو من هو في سعة ما له من أخبار يحفظها ويستظهر بها، قد عرض له شيء ذهب فيه إلى الصواب مشيرا إلى وجه الخطأ في استعمال المعربين،فعرض له شيء من التجاوز، فكيف نقول في الآخرين الذين مضوا عيالا عليه وعلى من سبقه إلى أيام الحريري ومن تقدّمه.

هذا هو الاستاذ البصام يعرض لتصحيحات أستاذه مصطفى جواد ويبين أن ليس فيها مما ظنّ خطأ. إن هذا يعني أن أصحاب التصحيح قد تعجلوا المسيرة وفاتهم على سعة معارف بعضهم كمصطفى جواد الذي ينفرد من بين هذه الطائفة، ومع هذا فقد عرض له ما يعرض للمتعجلين، فكيف بنا مع الذين يُقَمِّشُونَ فيسطون على ما كتبه غيرهم؟

أقول : ولم يدرك أهل التصحيح أن الدَلالة في الكلمة قد تتغير فَيُبْدَأُ فيها بالعدول عن أصلها فيكون هذا المعدول استعمالا جديدا لشيوعه. ولا أراني أحمله على الغلط لوروده الكثير في لغة الصفوة وليس في لغة العامة.

ولنضرب مثلا على هذا بالفعل «اسْتُهْتِرَ» الذي كان يدل على الولوع بالشيء، وهذا الولوع قد ذُهِبَ به شيئا فشيئا إلى ما هو غير مقبول. لقد قالوا مثلا : هو مُسْتَهْتَر

بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه. وفي حديث ابن عمر: «اللهم إني أعوذ بك أن أكون من المستَهْتَرِين»(26)، وقد قيل في تأويله: إنه كثير الأباطيل.

وجاء في «شرح نهج البلاغة» في صفة الملائكة «ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته»(27). وجاء في شعر ابن الدمينة:

أحب هبوط الواديين وإنني لمُسْتَهْتَرٌ بالوَادِيَيْن غريب(28)

غير أننا نجد هذه الكلمة قد جَنَحَ بها إلى ضدها ولا يمكن حملها على ألفاظ الأضداد لان ما عُدَّ من الأضداد قد قيد بهذا في كتب الأضداد وهو قديم في العربية. إننا نجد فيما يرويه ابن تغري بردي في حوادث سنة 642 هـ قوله: «وفيها قتل القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد (...) قال أبو الظفر في «تاريخه» [هو مرآة الزمان]: قيل إنه كان فاسد العقيدة دهريا مُسْتَهْتَرًا بأمور الشريعة يخرج سكران»(29). قال مصطفى جواد: فان كان هذا كلام أبي المظفّر يوسف بن قزاغلي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة 654 هـ فهو غلط محض منذ أواسط القرن السابع الهجري(30).

أقول: وليس لنا أن نعزو هذا إلى الغلط لأننا نجده فاشيا في نعت الرجال لدى أهل العلم من الخاصة وليس في لغة عوام الناس.

لقد ذكر مصطفى جواد ما ورد في معنى «الاستهتار» الذي جدّ في العربية منذ قرون ومنها: «جاء في أخبار شهاب الدين يحيى السهروردي الفيلسوف قتيل حلب: كان الشيخ فخر الدين المارديني يقول: ما أذكى هذا الشاب وأفصحه، لم أجد أحدا مثله في زماني، إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوّره واستهتاره وقلة تحفظه»(31).

وجاء في سيرة السلطان خليل بن قلاوون المماليكي سلطان مصر والشام أن الأمير بيدراً الواثب على السلطنة شرع يعدد ذنوب السلطان خليل وإهماله أمور المسلمين واستهتاره بالأمراء(32).

وجاء في أخبار أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي، قال حفيده هلال بن

(26) انظر مادة «هتر» في لسان العرب.

(27) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، 2/149-150.

(28) ديوان ابن الدمينة شرح محمد الهاشمي البغدادي. وقد صُحِّف «المشتهر».

(29) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ط. حيدر آباد)، 8/751.

(30) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد 1961).

(31) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، 2/167.

(32) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ط. السعادة بمصر)، 1/302.

المحسّن ابن الصابي : «وعاد أبو اسحاق الى خدمة عزّ الدولة بختيار بن معز الدولة، وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب التي تضمّنت الوقيعة والاستهتار عليه» (33). وهذا يشير الى أن «الاستهتار» قد انحرفت دلالته في أواسط القرن الخامس وفيه توفي هلال بن المحسّن ابن الصابي (34).

أقول : وقد جاء كثير من أبناء عصرنا هذا ممن ليسوا من أهل العلم فراحوا ينقلون ما عده الأوائل غلطا دون أن يعرفوا الاستدراكات الكثيرة، فتجدد القول بالغلط وحدث معه غلط هؤلاء الذين تصدوا لهذه الصنعة وهم ليسوا من أهلها.

ابراهيم السامرائي
الجامعة الأردنيّة

(33) معجم الأدباء لياقوت (ط. دار المأمون)، 1/ 230-231.

(34) أقول : وكأن الذهاب الى هذا المعنى الجديد في الفعل «استهتر» الى ما يشبه الضدّ هو استحداث جديد. ذلك أن الفعل في استعماله القديم كان مما بني الى ما ندعوه في عصرنا المجهول فكانوا يقولون : استُهْتِرَ بالشيء، نظير قولهم سُقِطَ في يَدِه، وحُمّ وغيرهما، وأما الآخر الذي استحدثوه فهو فعل مبنيّ لمعلوم نظير استَسْلَمَ.

المفردات في غريب القرآن

للراغب الأصفهاني (ت502 هـ / 1108م)

دراسة معجميّة

بحث :حلمي خليل

مقـدمـة :

ظاهرة غـمـوض المعنى وإبهـامـه، من الظواهر اللغـوية التي أولتـهـا النظرية اللغـوية المعاصرة اهتمامًا ملحوظًا، حتى عدّها بعض عـلماء اللغة المعاصرين إحدى خصائص اللغة الإنسانية.

غـير أن علمـاء المسلمين من اللغـويين والبـلاغيين والفـقـهـاء والمتكلمين، كـان لهم فضل الريادة في الالتـفات إلى هذه الظاهرة، وكان للفـقهاء والمتكلمين والمفسرين دراسات لغوية خالصـة، حول غموض المعنى سواء في المفردات أو في التـراكيب ليس في اللغة أو الكلام البـشري فحـسب، بل في القـرآن الكريم أيضا. ولم يمنعـهم إيمانهم المطلق بإعـجاز القـرآن عن البحث في هـذا الجانب منه، لأنهم - وخـاصـة الفقـهاء - كـانوا ينطلقـون من استنباط الحكم الشرعي من النص القرآني، والحكم الشرعي بطبـيعته أمر يخاطب العقل لا الوجدان، ولذلك كانت لهم في ذلك معايير لغوية نظرية وتحليلية لاستنباط هذا الحكم.

وقد بدأت هذه الدراسات حول المعنى وإبهامه فـيما أُطلق عليه «غريب القرآن» وقد نهض به ابن عبـاس (ت 68 هـ / 687 م). غـير أن أمر البحث في الغـريب لم يقف عند هذه الحدود البـسيطة التي نراها في تفسير ابن عـباس، وإنما مع تطور حياة المسلمـين العقلية والاجتماعية ودخول أمم وشعوب غـير عربية اللسان إلى الإسلام، أخذت حياة المسلمين تتجه إلى لون من التـعقيد، في الوقت الذي أخذ تفـسير القرآن وبيان مقـاصد آياته، بُعْدًا عقـائديًا عند أصحـاب الفرق الإسـلامية. ومن ثم أصبـح ما كـان يسمى بغـريب القرآن، ويتصل أكـثر ما يتـصل بالمفردات وشـرح معناها، يتجـه إلى لون من الدراسات أبعـد غورًا

سواء على مستوى المفردات أو التراكيب، فظهرت مصطلحات أخرى بـجوار مصطلح الغريب تدل على غرابة المعنى وغموضه مثل : المُشكل والمتشابه وغيرهما، وكلها تشير إلى درجات من الغموض والإيهام، لأسباب لغوية أو غـير لغوية مثل عدم المعرفة بكلام العرب الذين القرآن الكريم بلسانهم.

ومن ثم كثُرت كتب الغـريب وتعدَّدَت المؤلفـات في المُشكل والمُتشـابه، وتصدى للنهوض بذلك من العلمـاء اللغويّون وغيـر اللغويين. ثم مالبثت أن اتسـعت دائرة البحث في الغريب فتجاوزت القرآن إلى اللغة العربية بأسرها فوضعت كتب في غريب اللغة.

وكان لهـؤلاء العلماء معاييـر لغوية وغير لـغوية في تحديد مصطلح «الغـريب» سواء في القرآن أو في اللغـة، وتراكمت هذه الدراسات على مـدى خمسـة قرون حين وضع الراغب الأصفهاني(1) مـعجـمه «المـفردات في غـريب القـرآن» وقد أفـاد الراغب من هذا التراث الضخم في شـرحه لمفردات وتراكيب القرآن، حيث مـزج في صناعة هذا المعجم بين عمل اللغويين والمعجميين والبلاغيين والفقهاء والمفسرين والمتكلمين وقرّاء القرآن.

ولكي نكشف عن بناء هذا المعـجم من حيث هو مـعجم من المعـاجم المختـصَّة، قسمت هذا البحث إلى أقسام ثلاثة :

---

(1) هو أبو القاسم الحسين بن المفضل، المشهور بالراغب الأصفهاني، وأغلب الظن أنـه ولد بأصفهان وإليها نُسب، ولا يعرف متى ولد على وجه الدقة، ولا أين تلقى علومه ومن هـم أساتذته، ولكن يظهر من مؤلفاته التي وصلت إلينا أنه كان لغويًا وفقيـهًا ومفسرًا وأديبًا وقارئًا دارسًا لكتب الحكمة والمتكلمين وأصـحاب الفرق الإسـلامية. وقـد كان يظَنُّ أنه من المعتـزلة أو الشيـعة حتى وصـفه الفـخـر الرازي (ت 606 هـ / 1209 م) بأنه من أهل السُّنة وقـرنه بالغـزالي (ت 505 هـ / 1111 م). ويبـدو أنه كان يطبق في حياته العلمية حـديث النبي عليـه الصلاة والسـلام : «الحكمة ضـالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها»، وهو ما حققه في المفردات كما سنرى من خلال هذا البحث.

وقد توفي على أرجح الأقوال عام 502هـ / 1108 م. ومن آثاره التي وصلت إلينا :

1 - الذريعة إلى أحكام الشريعة، ط. القاهرة 1889م.

2 - محاضرات الأدباء ط. القاهرة 1300 هـ.

3 - المفردات في غـريب القرآن، ط، القاهرة 1324 هـ. ثم طبع مـرة أخرى بتحقـيق محمد سـيد الكيلاني، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1381 هـ / 1961م، وهي النسخة التي سنعتمد عليها في هذا البحث.

4 - تفصـيل النشأتين وتحـصيل السعـادتين، تحقيق الدكـتور عبـد المجيـد عمر النّجـار بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1988.

حول حياة الراغب انظر :

1 - السيوطي، بغية الوعاة، 297/2

2 - الزركلي، الأعلام، 255/2.

3 - مقدمة محقق «المفردات»، ص 3-4.

تناولت في القسم الأول منها، مصطلح «غريب القرآن» من حيث دلالتهُ وتطورها منذ أن نهض بهذا العمل ابن عباس، متوقفًا عند أعمال ابن قتيبة (ت 276هـ / 889م) صاحب تفسير غريب القرآن، ومُشكل القرآن، ثم أصحاب الموسوعات في علوم القرآن مثل : الزركشي (ت794هـ / 1392م) والسيوطي (ت 911هـ / 1505م)، وقد حاولت أن أتلمس رأي الراغب في الغريب والمشكل والمتشابه من خلال المعجم، وانتهيت إلى أن مصطلح «غريب القرآن» مصطلح عام Collective term يدل على غموض المعنى سواء في المفردات أو التراكيب وله درجات حددها العلماء مثل المشكل والمتشابه.

أما القسم الثاني من هذا البحث فقد توقفت فيه عند بناء معجم المفردات من حيث الجمع والوضع وحاولت أن أتلمس أيضًا مصادر الراغب بالنظر في أسماء العلماء الذين ذكرهم في المعجم.

وفي القسم الثالث تناولت طرق شرح المعنى عنده وخاصة الشرح بالسياق اللغوي أو الاجتماعي، حيث برزت مهارة الراغب اللغوية في استدراكاته على بعض اللغويين والنحاة في كثير من دلالات آيات القرآن ومفرداته.

وهذه الدراسة المعجمية «للمفردات» هي في المقام الأول محاولة لإبراز أهمية هذا المعجم وتفرده بين المعاجم المختصّة في التراث المعجمي العربي، من حيث دقة الشرح وطرقه المتنوعة ومعاييره خاصة في صياغة الراغب الفريدة للمعنى العام لكل جذر إذا ما قُورن عمله بعمل ابن فارس (ت 395 هـ / 1005م) في معجم مقاييس اللغة. ومع ذلك فالمعجم مازال يزخر بجوانب أخرى تحتاج إلى دراسات مفردة مثل المسائل الصرفية والنحوية ودورها في شرح المعنى.

أولاً : غريب القرآن :

مصطلح «الغريب» سواء في التراث اللغوي والبلاغي أو في علوم القرآن والحديث، مصطلح جامع Collective term، يدل على معان كثيرة، تختلف باختلاف المعايير Criteria المستخدمة في تعريفه أو تحديد مدلوله خاصة بما له صلة بالفصاحة(2)، وقد

(2) حول اختلاف القدماء والمحدثين حول دلالة هذا المصطلح، انظر على سبيل المثال :

(أ) عند القدماء :

1 - ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن، المقدمة : ص 3-5.

2 - المبرد : الكامل، 42/1، 53، 55، 59، 8/2، 103، وفي مواضع أخرى كثيرة من هذا الكتاب.

3 - ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة، ص 51، 57 - 59، 63-65. ...

استخدم العلماء في ذلك معايير لغوية وأخرى غير لغوية، ومعاييرهم اللّغوية هي.

1 - الغمـوض في دلالة اللفظ، وهو درجـات تبدأ بالغـريب وتنتـهي بـالمشكل والمتشابه، ويكون هذا الغموض في الكلمة المفردة وفي الكلام.

2 - التنافر الصوتي في تركيب اللفظ المفرد.

3 - الاستعمال عند أبناء اللغة Native speakers أو غير أبناء اللغة.

4 - الكلمات التي تنتمي إلى إحدى اللهجات العربية القديمة.

5 - الكلمات التي اقترضتها العربية من اللغات الأخرى.

أما المعايير غير اللغوية، فتتمثل في معيارين هما:

1 - ذوق المستعمل للغة مطلقًا.

2 - مدى معرفة اللغة وخاصة استيعاب مفرداتها.

أما مصطلح «غريب القرآن» فالأمر فيه قد يكون أكثر مثالاً وتحديداً من مصطلح الغريب بعامة، إذ لم يصل علماء غـريب القرآن والحديث بين الغريب والفصاحة عند دراستهم هذا النوع من الغريب لأنهم انطلقوا في دراستهم غريب القرآن من التسليم بإعجاز القرآن وفصاحته. يقول ابن منظور (ت 711 هـ / 1311م): «الغريب الغامض من الكلام؛ وكلمة غريبة، وقد غَرُبَتْ، وهو من ذلك»(3).

ويقول التهانوي (من علماء القرن الثاني عشر الهجري) بعد أن ذكر دلالات

---

4 - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المدخل (غ ر ب) ص 350، والمدخل (ش ب هـ) ص 254، 455

5 - ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، المقدمة، 1/4 - 5.

6 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/ 201-203.

7- السيوطي: المزهر، 1/183 - 239.

8 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 1/57.

9 - الشريف الجرجاني: التعريفات، ص 80.

10 - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/1250 - 1252 حيث جمع كل ما قيل حول المصطلح في التراث العربي.

(ب) عند المحدثين:

1 - محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة، ص 13-23، 123-137، 143-150 حيث تناول المصطلح في البيئات العلمية المختلفة بما له من صلة باللغة والبلاغة.

2 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 337-338.

(3) لسان العرب، المدخل (غ ر ب)، 2 / 132.

مصطلح الغريب ودرجاته : «ومنه غريب القرآن وغريب الحديث، وهذا غير مُخِلٍّ بالفصاحة»(4).

ولا شك أن نزول القرآن الكريم كان تتويجًا لما وصلت إليه العربية من نضج، حيث عكست ألفاظه وتراكيبه الخصائص اللغوية التي وصلت إليها هذه اللغة، بل لقد أضاف القرآن إليها زادًا جديدًا، وأظهر قدراتها في التعبير والتصوير، ومن ثم أجمع الباحثون قديمًا وحديثًا على أن أهم حدث في تاريخ هذه اللغة هو نزول القرآن وظهور الإسلام.

ولم يكن المسلمون الأوائل - والنبي ما زال بين ظهرانيهم - في حاجة إلى شرح ما جاء به القرآن من ألفاظ وتراكيب، ترتبت عليها أحكام، إذ كان النبي يقوم بذلك، وهو أيضًا من أبناء اللغة، وإنما احتاجوا إلى ذلك بعد أن تعقدت الحياة الإسلامية بدخول أجناس وثقافات، فلَمْ تَعُدْ العربيةُ سليقةً.

فالقرآن - مثلاً - لم يذكر التكاليف العملية أو الأحكام الدينية المترتبة على دلالات بعض الألفاظ مثل: الأذان والصلاة والزكاة والحج والركوع والسجود والمؤمن والكافر وغيرها من الألفاظ الإسلامية، ناهيك بصفات الذات الإلهية(5)؛ وإنما اكتفى في أمر الصلاة والزكاة بقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» (البقرة، 43)..

ومن ثم كانت إحدى المهام التي أناط بها اللهُ الرسولَ «البيان» لما جاء في القرآن من معان ودلالات لم يكن العرب يعرفونها في أوضاعها الجديدة، قال تعالى : «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل، 44).

أمّا فيما عدا ذلك، فقد اعتمد العرب على سليقتهم في فهم معاني القرآن، فهم أبناء اللغة، وقد نزل القرآن على طريقتهم في الكلام. يقول أبو عبيدة (ت210هـ / 825م): «فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي، أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه»(6).

غير أن هذه السليقة العربية لم تبق على حالها، فبعد وفاة الرسول وفي أقل من قرن

---

(4) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1250/2.

(5) ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن، اشتقاق أسماء الله وصفاته، ص 6 - 20.
وانظر أيضًا : أبو حاتم الرازي : الزينة في الألفاظ العربية الإسلامية، 50/1 وما بعدها و32/2، 49، 56، 63، 70؛ ابن فارس : الصاحبي، ص 83-86؛ السيوطي : المزهر، 294/1-296.

(6) أبو عبيدة : مجاز القرآن، 8/1.

من الزمان، استطاع المسلمون فتح معظم بلاد العالم القديم، وكانت تسكن هذه البلاد قبل الفتح شعوب ذات لغات وحضارات مختلفة. وقد نتج عن هذا الفتح عمليات مزج قوية بين الأمة الغالبة والأمم المغلوبة وكانت العربية هي البوتقة التي انصهرت فيها هذه الأجناس واللغات والثقافات. كما أقبلت هذه الشعوب على تعلم العربية واتخذتها لسانًا، إمّا لدوافع دينية خالصة، وإما لدوافع دنيوية عملية، والنتيجة التي يخرج بها الباحث هي أن العربية لم تعد سليقة.

ولكن العرب بعد وفاة الرسول احتاجوا إلى المسألة عن معاني القرآن نظرًا إلى اختلافهم في معرفة كلام العرب. وإذا كان أبو عبيدة قد أشار إلى أن العرب كانوا يعرفون معاني القرآن ويدركون مقاصده، فإننا لا نستطيع أن نفهم من ذلك أن الرجل قد أراد عربا على وجه الحصر وإنما أراد - بلا شك - العرب بصورة عامة إذ من الواضح أنهم كانوا يتفاضلون في معرفة العربية وأساليبها، أو على الأقل في معرفة لهجات العرب ومستوى العربية الفصحى التي تتمثل في الشعر، ومن ثم أيضًا تفاضلوا في إدراك معاني القرآن ومعرفة دلالة ألفاظه.

وكان أكثرهم فهمًا له ومعرفةً لأسراره هذا النفر من الصحابة الذين لازموا النبي وسمعوا منه تفسير آيات القرآن، وهو ما اعتمدوا عليه في تفسير القرآن بعد وفاة النبي فيما سمي التفسير بالمأثور.

ومع ذلك، فمما يلفت النظر أن بعض الرواة والمؤرخين يذكرون أن بعض كبار الصحابة وهم من العرب الخُلّص مثل أبي بكر وعمر بن الخطاب كانوا أحيانًا يتساءلون أو يسألون عن بعض الكلمات التي جاءت في الاستعمال القرآني ولا يعرفون معناها.

فمن ذلك أنَّ أبا بكر سئل عن معنى كلمة «الأبّ» في قوله تعالى: «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» (عبس، 31)، فلم يعرف معناها وقال: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إنَ أنا قلت في كتاب الله بما لا أعلم»(8).

وأنَّ عمربن الخطاب قرأ - وهو على المنبر - الآية نفسها ثم قال: «هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ» ثم رجع إلى نفسه قائلاً: «إنّ هذا لهو التكلف يا عمر»(9).

ويعلق الزركشي على هذه الروايات بقوله: «وما ذاك بجهل منهما لمعنى كلمة: «الأبّ»، وإنما يُحتَملُ - والله أعلم - أنَّ الأبَّ من الألفاظ المشتركة في لغتهما أو في

(8) الزركشي: البرهان 295/1، وانظر أيضًا السيوطي: الاتقان، 115/1.
(9) الزركشي: البرهان، 1/ 295.

لغات، فخشيا إنْ فسراه بمعنى من معانيه أن يكون غيره، ولهذا اختلف المفسرون في معنى الأبّ»(10).

ولكن الرواة والمؤرخين يقصّون روايات أخرى عن تساؤلات عمر بن الخطاب حول دلالات بعض ألفاظ القرآن، في مثل قوله تعالى: «أَوْ يَأْخُذَهُم عَلَى تَخَوُّف» (النحل، 47)، فقد سأل - وهو على المنبر - عن معنى هذه الآية، فسكت النّاس. فقالَ شيخ من أهل هذيل: «هذه لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوّف التنقّص (. . .). فقال عمر: أتعرف العربُ ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم» (11)، ثم استشهد الشيخ ببيت من شعر أبي كبير الهذليّ يدلّ على أنّ التخوّف التنقّص. ثم تضيف الرواية أن عمر بعد أن سمع الشاهد على معنى «التخوّف» قال: «عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم» (12).

ومع ذلك فقد كان عمر - رغم هذه الروايات - كما يصفه ابن عباس من أروى الناس للشعر (13).

وشبهة الوضع تغلف هذه الروايات، إذ لا يعقل أن يسأل عمر بن الخطاب على المنبر وهو خليفة المسلمين عن معنى كلمة أو أخرى من كلمات القرآن خفى معناها عليه، ونحن نعلم أن بعض الرواة أعطوا أنفسهم الحق في وضع بعض الأحاديث التي تحض على طلب العلم فلعل هذه الروايات من هذا القبيل، إلا أن مثل هذه الروايات قد تدل بطريقة أو بأخرى على أن بعض الصحابة - غير عمر وأبي بكر - لم يكونوا على قدم المساواة في علمهم وفهمهم للقرآن، وتفاوت علمهم بمعانيه وكلماته بقدر تفاوتهم في الإحاطة بمفردات العربية؛ كما تدل أيضًا مثل هذه الروايات على أن عامة الناس كانوا في حاجة إلى من يشرح لهم مفردات القرآن ومعانيه بعد وفاة الرسول. فالمسلمون - كما نعلم - مندوبون لقراءة القرآن وفهمه وتدبر آياته، ومن ثم بدأت الخطوات الأولى في تفسير القرآن.

وكان من أوائل الذين نهضوا بهذا العمل عبد الله بن عباس ابن عم الرسول الذي

(10) المصدر نفسه، 1/295 - 296، وانظر أيضًا: المفردات في غريب القرآن المدخل (أب) ص 7-8 حيث حسم الراغب دلالة اللفظ استنادًا إلى اللغة.

(11) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 10/110، وانظر أيضا الراغب: المفردات، المدخل (خ و ف)، ص 161-162.

(12) القرطبي: الجامع، 10/111.

(13) المبرد: الكامل، 2/109.

يعزى إليه أنه أول من تكلم في غريب القرآن.

ومع ذلك فإن بعض الروايات كانت تنسب إلى عبد الله بن عباس أنه لم يكن يعرف دلالات بعض مفردات القرآن، وأنه قال: «كل القرآن أعلمه إلا أربعًا: غسلين وحنانًا وأواه والرقيم»(14).

ويبدو أن ابن عباس بالإضافة إلى التفسير بالمأثور الذي سمعه من الرسول قد التزم بالمنهج الذي أشار إليه عمر بن الخطاب، إذ نُسب إلى ابن عباس قوله: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه» وأنه قال أيضًا عن غريب القرآن «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»(15).

وهناك رواية أخرى لابن عباس تخص غريب اللغة بصورة عامة لا غريب القرآن وحده، قال: «إذا سألتموني عن غريب اللغة، فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»(16).

فإذا صحت هذه الروايات، فمعنى هذا أن البحث بدأ بغريب القرآن ثم ما لبث أن اتسعت دائرته ليشمل غريب اللغة.

ولم تقف الروايات التي رويت عن ابن عباس عند حدود الطريقة - أوقُل المنهج - الذي أشارت إليه الروايات حول غريب القرآن، بل أخذ ابن عباس في تطبيق هذا المنهج في شرحه لكثير من الكلمات أو العبارات القرآنية، ولعل من أشهر ما نسب إليه من ذلك، مسائل نافع بن الأزرق الخارجي (ت65هـ / 685م) الذي وصفه المبرد (ت285 هـ / 898م) بقوله إنه كان ذا نظر وتوغل وتعمق(17)، وهو ما لا يتفق وسؤاله عن كثير من الكلمات في القرآن بعضها واضح الدلالة لا يحتاج إلى تفسير أو شرح، ولكن يبدو أن نافعًا لم يكن يؤيد منهج ابن عباس في الاعتماد على الشعر الجاهلي في شرح دلالات ألفاظ القرآن، لأنه وصف ابن عباس بقوله: «هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به»(18).

---

(14) السيوطي: الإتقان، 115/1.

(15) المصدر السابق 157/1.

(16) الزركشي: البرهان، 293/1.

(17) المبرِّد: الكامل، 103/1.

(18) السيوطي: الاتقان، 121/1.

ويشير ابن الأنباري (ت328هـ / 940م) إلى ما يشبه هذا بقوله : «قد جاء عن الصحابة والتابعين كثير الاحتجاج على غريب القرآن ومُشكله، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك، وقالوا : إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث، وليس الأمر كما زعموا أنَّا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبين الحرف من الغريب من القرآن بالشعر لأن الله قال : «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًا» (الزخرف، 3) ثم يستشهد على ذلك بما نسب إلى ابن عباس من أقوال حول علاقة القرآن بالشعر(19).

ومما يدل على أن نافعًا لم يكن يسأل لجهله بدلالات بعض ألفاظ القرآن وإنما كان يريد - فيما يبدو - أن يتأكد من اطراد منهج ابن عباس في شرح الكلمات الغريبة وغير الغريبة، أنه كان يسأل أحيانًا - كما أشرت من قبل - عن كلمات لا يحتاج مثلُ نافع إلى شرحها، وهو ما لا يتفق مع ماوُصفَ به من أنه كان صاحب نظر وتَوغُّل وتعمق.

وقد نقل الفراء (ت207 هـ / 822م) بعضًا من شروح ابن عباس، كما كان يطبق منهجه في شرح الألفاظ بالاستشهاد عليها بالشعر(20).

كما نقل المبرد طرفًا من مسائل نافع بن الأزرق(21)، وذكرها ابن الانباري في كتاب الوقف والابتداء بإسناده(22) ونقلها السيوطي كاملة في الإتقان، وبلغ عدد الألفاظ التي سأل عنها نافعٌ ابنَ عباس أكثر من مائة وثمانين مسألة(23).

وكان نافع يسأل غالبًا عن دلالة لفظة مفردة، وأحيانًا عن معنى تركيب، غير أنها جميعًا لم تكن تتفق في درجة الغموض أو الغرابة، بل كانت تتفاوت تفاوتًا كبيراً بين الوضوح الذي لا يحتاج إلى تفسير أو شرح، والغرابة التي قد تحتاج إلى شيء من ذلك.

فمن ذلك على سبيل المثال سأل نافع عن :

* «عزين»(24) في قوله تعالى : «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ» (المعارج، 37)، ففسرها ابن عباس بقوله : «العزون حَلَقُ الرفاق».

* زَنيم(25) : «عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ» (القلم، 13) : الدعيّ.

---

(19) المصدر نفسه، 1/ 121.

(20) انظر الفراء : معاني القرآن، 17/2، 64، 66، 200.

(21) الكامل، 103/2.

(22) البرهان، 294/1.

(23) الاتقان 121/1-134.

(24) انظر : المفردات في غريب القرآن، المدخل (ع ز أ) ص 334.

(25) المصدر نفسه، (ز ن م)ص 215.

* سَرِيا (26) : «جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا» (مريم، 24) : الجدول.
* الوسيلة (27) : «وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ» (المائدة، 35) : الحاجة.
* «شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا»(المائدة، 48) : الشرْعة (28) : الدين، المنهاج (29) : الطريق.
* «وَرِيشًا» (الأعراف، 26) : الريشُ (30) : المال.
* حنانا (31) : «وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا» (مريم، 13) : ورحمة من عندنا.
* «فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا» (طه، 106) : القاع (32) : الأملس، الصفصف (33) : المستوي.
* «شُوَاظٌ» (الرحمان، 35) (34) : اللهب الذي لا دخان له.
* أفلح (35) : «قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ» (المؤمنون، 1) : فازوا وسعدوا.

كما شرح ابن عباس كثيراً من الكلمات ذات استعمال لهجي في لهجات بعض القبائل العربية، فمن ذلك في قوله تعالى :

* «أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ» (الرعد، 31) : ييأس (36) يعلم في لغة بني مالك.
* «بُورًا» (37) (الفرقان، 18): هلكى في لغة عمان.
* «لا يَلِتْكُم» (38) (الحجرات، 14): لا ينقصكم بلغة بني عبس.
* «مُرَاغَمًا» (39) (النساء، 100): منفسحًا بلغة هذيل.

أو تكون الكلمة مقترضة من إحدى اللغات الأجنبية في رأي ابن عباس فمن ذلك في قوله تعالى :

---

(26) المصدر نفسه، (س ر ي) ص 131.
(27) المصدر نفسه، (و س ل) ص 523-524.
(28) المصدر نفسه، (ش ر ع) ص 258.
(29) المصدر نفسه، (ن هـ ج) ص 506.
(30) المصدر نفسه، (ر ي ش) ص 207.
(31) المصدر نفسه، (ح ن ن) ص 133.
(32) المصدر نفسه، ص 282.
(33) المصدر نفسه، (ص ف ف) ص 282.
(34) المصدر نفسه، (ش و ظ) ص 270.
(35) المصدر نفسه، (ف ل ح) ص 385.
(36) المصدر نفسه، (ي أ س) ص 552.
(37) المصدر نفسه، (ب و ر) ص 65.
(38) المصدر نفسه، (ل ي ت) ص 456.
(39) المصدر نفسه، (ر غ م) ص 199.

* «لَن يَحُورَ»(40) (الانشقاق، 14): لن نرجع.

* «حُوبًا»(41) (النساء، 2) : إثما. وهما كما قال من الحبشية.

وهكذا مع كل سؤال عن كلمة أو عبارة كان ابن عباس يأتي بالشاهد من شعر العرب منسوبًا إلى كبار شعراء الجاهلية مثل: امرىء القيس ولبيد وأبو ذؤيب وعدي بن زيد وطرفة بن العبد، ومن المخضرمين مثل حسان بن ثابت، وكان أحيانًا يكتفي بقوله: «أمَا سمعت قول الشاعر» دون أن يذكر اسمه(42).

ومعنى ذلك أن ما اصطلح على تسميته بغريب القرآن ونهض بتفسيره ابن عباس ينتظم كلمات أو عبارات من مستويات لغوية متعددة هي :

1 - المستوى العام للعربية الفصحى التي نزل بها القرآن.

2 - كلمات ذات استعمال لهجي معين تختص به قبيلة معينة.

3 - كلمات أجنبية اقترضتها العربية من اللغات التي احتكت بها قبل الإسلام واستخدمها القرآن لأنها أصبحت جزءًا من الثروة اللفظية للغة العربية ليس باعتبار الأصل وإنما باعتبار الاستعمال، أي إنّها تاريخية باعتبار الأصل وآنية حسب الاستعمال.

وكانت الدلالة - كما رأينا - هي مدار البحث أو بعبارة أخرى هي نوع من الدراسة الدلالية لبعض كلمات القرآن استخدم فيها ابن عباس السياق لتحديد المعنى، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون «التحديد السياقي للدلالة» (43) (Contextual determination).

ويؤكد ذلك ويدعمه تعريف الزركشي لغريب القرآن بقوله: «هو معرفة المدلول ... أو هو تصيُّد المعاني من السياق»(44).

وقد يكون وجه الغرابة أو الغموض في المفردات الغريبة نتيجة لاستخدام القرآن لها بدلالات، خفيت على عامة الناس وبعض خاصتهم، لنقص في معرفتهم بكلام العرب أو لهجاتهم أو اللغات التي اقترضت منها العربية بعض الكلمات؛ أي أن منشأ الغرابة والغموض في الدلالة، نقص معرفة الناس بمفردات اللغة واستعمالاتها، ولذلك قال علماء

---

(40) المصدر نفسه، (ح و ر) ص 134، 135.

(41) المصدر نفسه، (ح و ب) ص 134.

(42) الاتقان، : 121/1، 128 - 129، 130-133.

واتظر أيضًا هذه الألفاظ في المفردات في غريب القرآن.

(43) Ducrot and Todorov : Encyclopedic Dictionary of Sciences of Language, pp. 236-237.

(44) البرهان، 291/1 - 292.

غريب القرآن وغريب الحديث إن ذلك لا يُخلُّ بالفصاحة، كما أشرت من قبل.

ومعنى هذا أن الغريب يقع في القرآن والحديث نتيجة لعدم إحاطة السامع أو القارئ بمفردات اللغة واستعمالها، وقد يقع ذلك من ابن اللغة أو من غير ابن اللغة وهو احد الأسباب التي عزا إليها علماء الأسلوب Stylistics غموض المعنى وخفاءه على السامع أو المُستَقْبِل(45).

ولذلك استخدم ابن عباس في تفسيره لمثل هذه الكلمات أو العبارات منهجًا يقوم على الرجوع إلى السياق اللغوي Linguistic context الذي استعملت فيه الكلمة أو العبارة، في كلام العرب الخُلَّص، لأن السياق كما أشار علماء اللغة، هو الذي يحدد دلالة الكلمة بدقة في كثير من الحالات، خاصة إذا كانت من قبيل المشترك اللفظي Homonymy كما سنرى فيما بعد. وهو انتباه مبكر من ابن عباس لقيمة السياق ودوره في رفع الغرابة عن دلالة الكلمة؛ ولعل هذا أيضًا ما جعل بعض الصحابة يتورعون عن الإقدام على شرح غريب القرآن اعتمادًا على علمه أو ذاكرته، ولذلك استقر هذا المنهج وانتقل إلى المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهو الحديث النبوي فيما عُرف بغريب الحديث، والمنهج الذي جمع بين غريب القرآن وغريب الحديث هو الرجوع إلى السياق.

وهو ما أفاض في الحديث عنه علماء اللغة وعلماء الأسلوب Stylistics المحدثون عندما بيّنوا صلة السياق بالمعنى ودوره في الكشف عن غموض بعض الكلمات والعبارات، وقد أقام عالم اللغة الانجليزي فيرث Firth على أساسه نظريته في دراسة المعنى(46).

غير أن مسألة غرابة بعض الكلمات أو العبارات وغموض معناها في النص القرآني لم تنته بانتهاء عصر ابن عباس وطبقته من الصحابة والتابعين، وإنّما اتخذت منهجًا أكثر عمقًا مع تطور الحياة العقلية للعرب والمسلمين بعد الفتح وخاصة في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وانتشار المذاهب والفرق ومحاولة كل فرقة تفسير القرآن بما يتفق ومقولاتها المذهبية ورؤيتها الفكرية، وقد تمثل كل ذلك فيما أطلق عليه مُشكل القرآن ومُتشابهُه، وهما مصطلحان يدلان أيضًا على نمطين من أنماط الغموض في المفردات والتراكيب.

---

(45) Turner, G.W : Stylistics, pp. 130-132.

(46) راجع : Leech, Geffry : Semantics, pp. 11-76.

وانظر أيضًا : Lyons, John : Semantics, vol. 2, p.570.

وقد أشار القرآن إلى مصطلح «المُتَشَابِه» وإلى مصطلح آخر مقابل له هو «المُحْكَمُ» وذلك في وصفه للآيات. قال تعالى: «هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ»(47).

ومعنى هذا أننا أمام ثلاثة مصطلحات تصف آيات القرآن من حيث الوضوح والغموض، ذكر القرآن اثنين هما: المُحْكَمُ والمُتَشَابِهُ، وذكر علماء القرآن والمفسرون الثالث وهو المُشْكِل، والسؤال الذي يُطرح هو ما علاقة هذه المصطلحات الثلاثة بغريب القرآن؟

أما «المُحْكَمُ» فأصله من الجذر √ح ك م الذي يدل على المنع، يُقال: أحكَمْتُ بمعنى رددتُ ومنعتُ، وسمي «الحاكم» حاكمًا لمنعه الظالم أن يَظْلِمَ، وحكَمَة اللِّجام: هي التي تمنع الفَرَس من الاضطراب(48).

وأما دلالته في الاصطلاح، فهي: ما أُحْكِمَتُه بالأمر والنّهي وبيان الحلال والحرام، ومن ثم فإن المُحكم، كما قال الزركشي: «هو ما وَضُحَ معْنَاهُ واستقل بنفسه بحيثُ لا يحتمل تأويلاً»(49).

أما «المتشابه» و«المشكل» فيحدد ابن قتيبة معناهما اللغوي والاصطلاحي، وطبيعة العلاقة بينهما بقوله: «أصل التَّشَابُه، أنْ يُشْبِه اللفظُ اللفظَ في الظاهر والمعنيان مختلفان. قال الله عز وجل في وصف ثمر الجنة: «وَأُتُواْ بِهِ، مُتَشَابِهًا» (البقرة، 25) أي مُتّفق المناظر مُخْتَلِفَ الطُّعُوم. وقال: «تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» (البقرة، 118) أي يُشبه بعضها بعضًا في الكفر والقسوة، ومنه يقال: اشْتَبَهَ عليَّ الأمرُ، إذا أشبه غَيْرَهُ، فلم تكد تَفْرِقُ بينهما، وشَبَّهْتَ عليَّ، إذا لَبَّسْتَ الحقَّ بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المَخاريق أصحاب الشُّبُهة لأنهم يُشَبِّهُونَ الباطل بالحق. ثم قد يقال لكلِّ ما غَمُضَ وَدَقَّ مُتشابهةٌ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشَّبه بغيره، ألا ترى أنه قيل للحروف المُقَطَّعة - في أوائل السُّوَر - متشابهة وليس الشك فيها والوقوف عندها لمُشَاكَلَتِهَا غَيرَها والتباسها بها»(50).

ومعنى هذا أن ابن قتيبة يرى أن المتشابه هو الغامض الدقيق المعنى أو هو الذي يحتمل أكثر من معنى(51).

(47) سورة آل عمران آية 7.

(48) لسان العرب المدخل: (ح ك م)؛ وانظر أيضًا المفردات المدخل: (ح ك م) ص 126 - 128.

(49) البرهان، 2/68-69.

(50) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 101 - 102.

(51) وانظر أيضًا مصطلح «التشابه» عند الراغب الأصفهاني في المفردات ص 253 - 255 حيث يفصل القول فيما أجمله ابن قتيبه وينقل عباراته أحيانًا. وانظر أيضًا القسم الثالث لهذا البحث حول المعنى المعجمي.

ويحدث ذلك نتيجة لأمرين هما :

1 - أن يكون اللَّفظُ واحدًا والمعنيان مختلفان، وذلك هو المشترك اللفظي (Homonymy) مثل كلمة «عين»، التي تدل على العين الباصرة، والجاسوس، وعين الماء، وعين الساحب، وعين المال . . . الخ.

2 - أن لا يشبه اللفظ اللفظ ومع ذلك فمعنى كلٌ منهما غامض لأنه يحتمل أكثر من معنى، وهو تعدد المعنى (Polysemy) وغالبا ما تحدد الصيغة والسياق المعنى، وذلك مثل استخدام المصدر بمعنى اسم الفاعل مثل «عدْلٌ» بمعنى «عَادل» و«زوْر» بمعنى «زائر» أو استخدام صيغة فعيل بمعنى مفعول مثل «قتيل» بمعنى «مقتَول» أو بمعنى «فاعل» نحو «حفيظ» بمعنى «حافظ».

وينظر بعض علماء اللغة إلى كل من المشترك اللفظي وتعدد المعْنى على أنهما ظاهرتان مستقلتان(52) بينما يجمع بينهما علماء آخرون على أنهما صورتان لظاهرة واحدة هي تعدد المعنى(53).

ويبدو أن ابن قتيبة كان يأخذ بالرأي الثاني، لأنه يُدخل «المُشْكل» في «المُتَشَابه». يقول : «ومثْلُ المُتَشابه المُشْكل، وسمى مُشْكلاً لأنه أشْكَلَ، أي دخل في شكل غيره، فأشبهه وشَاكله، ثم قد يُقال لكل ما غَمُضَ وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مُشْكلٌ»(54) ولعله يقصد أن ذلك قد يقع بسبب الاشتراك اللفظي أو تعدّد المعْنى أو اختلاَف اللفظ وتغير المعنى سواء بالمجاز أو غيره كما سنرى فيما بعد.

ويبدو أيضًا أنه كان يَعُدُّ «غريب القرآن» جزءًا من «مشكل القرآن» لأنه يقول : «وأفردت للغريب كتابًا كي لا يطول هذا الكتاب»(55).

ويؤكد ذلك قوله في مقدمة كتابه غريب القرآن : «نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العُلى ؛ فنخبر بتأويلها واشتقاقها، ونتبع ذلك ألفاظًا كَثُرَ ترددها في الكتاب، لم نر بعض السور أولى بها من بعض، ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله، إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابًا جامعًا كافيًا بحمد الله»(56).

---

(52) Zgusta, Manual of Lexicography, p. 60, p. 74.

(53) Lyons, op. cit, vol . p.550.

(54) تأويل مشكل القرآن، ص، 102. وانظر أيضًا : البرهان 1/60.

(55) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن، ص 32.

(56) ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن، ص 3.

ولذلك يشير دائمًا في كتابه «تفسير غريب القرآن» إلى كتابه «تأويل مشكل القرآن»(57).

ومعنى هذا أن غريب القرآن عند ابن قتيبة هو الغامض المعنى مطلقًا، فإذا دقَّ وغَمُضَ دخل في المشكل أو المتشابه، أي إن المشكل والمتشابه درجتان من درجات الغريب، وقد يكون ذلك لأسباب لغوية مثل المشترك اللفظي وتعدّد المعنى أو المجاز، أو لأسباب غير لغوية تتمثل في الجهل بمذاهب العرب في الكلام وافتنانها فيه(58).

وصدد هذا نجده لا يفرق في شرحه للغريب أو المشكل بين الحروف والكلمات والتراكيب إذ يقع الغموض فيها جميعًا بدرجات مختلفة(59) وذلك تطور في معالجة غريب القرآن منذ أن بدأ على يد ابن عباس الذي وقف عند كثير من المفردات وقليل من التراكيب.

وقد يؤكد اتجاه ابن قتيبة هذا ورؤيته لغريب القرآن على هذا النحو، موقف الراغب الأصفهاني في معجمه «المفردات في غريب القرآن»، والحقيقة أننا لا نجد رأيًا مباشرًا للراغب في هذا غير أنه يقول في المدخل (غ ر ب) من معجمه، بعد أن شرح الألفاظ القرآنية وغير القرآنية المشتقة من هذا الجذر: «وقيل لكُلِّ مُتَباعد غريب ولكل شيء فيما بين جنسه عديم النّظير غريب»(60)، وعلى هذا فُسّر قول النبي َ«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»(61).

ولم يقترب من الدلالة الاصطلاحية للغريب في المدخل (غ ر ب) غير أنه المدخل (ش ب هـ) يتناول مصطلح «المتشابه» كما تناوله ابن قتيبة أو قريبًا منه حتى أنّه يكاد يستعمل أحيانًا بعض عباراته يقول: «المتشابه من القرآن ما أشْكَلَ تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللفظ أو من حيث المعنى. فقال الفقهاء: المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده»(62).

---

(57) انظر على سبيل المثال، المصدر السابق ص، 37، 176، 187، 207، 261، 223، 249، 291، 340، 403، 436.

(58) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص: 9، 12، 86، 103، 32 وفي مواضع أخرى كثيرة من الكتاب.

(59) المصدر نفسه، صفحات، 196، 227، 299-310، 439، 565. وأنظر أيضًا شرح غريب القرآن، ص: 103، 118، 149.

(60) المفردات في غريب القرآن، المدخل (غ ر ب) ص 359.

(61) المصدر نفسه، ص 359.

(62) المصدر نفسه، (ش ب هـ) ص 254.

وبناءً على ذلك التعريف العام للمتشابه، يُقسم الراغب آيات القرآن إلى ثلاثة أضرب :

(أ) مُحكَمٌ على الإطلاق.

(ب) متشابه على الإطلاق.

(جـ) محكم من وجه، متشابه من وجه[63].

هذا من حيث درجات الوضوح والغموض مطلقًا، أمّا من حيث اللغة فهو أيضًا ثلاثة أضرب هي :

(أ) مُتَشَابه من جهة اللفظ فقط.

(ب) متشابه من جهة المعنى فقط.

(جـ) متشابه من جهتهما[64].

وطبقًا لهذه المعايير اللغوية يقسم درجات التشابه إلى :

(1) المتشابه من جهة اللفظ، وهو ضربان :

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، إمّا من جهة غرابتها، نحو : الأبُّ ويَزِفُّونَ[65]، وإما من جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين.

ومعنى هذا أن مصطلح «الغريب» عند الراغب ينصرف إلى الألفاظ المفردة إما بسبب خفاء المعنى وغموضه، أو لأنها من المشترك اللفظي Homonymy أو المشترك الدلالي أي تعدد المعنى[66] Polysemy. ومعنى هذا أيضًا أن «الغريب» هو جزء أو درجة من المتشابه، وهذا أيضًا هو موقف ابن قتيبة كما أشرت من قبل[67].

أما الثاني فيرجع إلى جملة الكلام المركب - كما يقول - من حيث اختصار الكلام أو بسطه وطريقة نظمه[68].

(2) المتشابه من حيث المعنى وليس من حيث اللفظ أو التركيب، وتندرج فيه صفات الله، وأوصاف يوم القيامة، لأن تلك الألفاظ - كما يقول - «لا تتصور لنا، إذ كان

---

(63) المصدر نفسه، ص 654.

(64) المصدر نفسه، ص 654.

(65) يَزِفُّونَ : أي يحملون أصحابهم على الزَّفيف وهو هبوب الرياح أي يسرعون، أنظر المفردات في غريب القرآن، ص 213.

(66) انظر في المفردات كلمة «الشرك» ص 260 وكلمة «شيء» ص 271.

(67) راجع هذا البحث، ص ص 110- 111.

(68) المفردات ص 254.

لا يحصل في نفوسنا صورة لما نُحسُّهُ، أو لم يكن من جنس ما نُحسُّهُ»[69].

(3) المتشابه من جهة اللفظ والمعنى جميعًا، وقد حصره في خمسة أضرب هي :

(أ) من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو قوله تعالى: «فَاقتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» (التوبة، 5).

(ب) من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو قوله : «فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم» (النساء، 3).

(جـ) من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ.

(د) من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو قوله تعالى : «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ» (التوبة، 37).

(هـ) من جهة الشروط التي يَصحُّ بها الفعل أو يَفسُدُ، كشروط الصلاة والنكاح[70]، وكل هذا يتصل بالسياق الاجتماعي أو المقام Context of Situation، كما سنرى فيما بعد[71].

أما من حيث مدى معرفة الناس أو علمهم بالغريب والمتشابه في القرآن فهو أيضًا على ثلاثة أضرب :

(أ) ضَرْبٌ لا سبيل للإنسان إلى معرفته أو الوقوف عليه، كوقت الساعة وخروج دابة الأرض وكيفية الدَّابة ونحو ذلك.

(ب) وضرب للإنسان سبيلٌ إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلَقة[72].

(جـ) وضرب متردد بين الأمرين، يجوز أن يختصَّ بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على مَنْ دونهم[73].

وهكذا نجد أن الراغب يكاد يخصِّصُ مصطلح «الغريب» للدلالة على الألفاظ المفردة التي خفي معناها لسبب لغوي أو غير لغوي، أمّا المتشابه فهو يقع في الألفاظ والتراكيب معًا. وفي جميع الأحوال فإن الغريب والمتشابه إذا استثنينا الأمور الغيبية التي أشار إليها، يمكن الوقوف عليهما والكشف عن معناهما بالسياق اللغوي أو الاجتماعي، ويتوقف

---

(69) المصدر نفسه، ص 254.

(70) المصدر نفسه، ص 255.

(71) راجع هذا البحث، ص ص 123-127.

(72) الأحكام الغَلَقة هي الأحكام المشكلة غير الواضحة الدلالة.

(73) الراغب، المفردات، ص 253.

ذلك على مدى معرفة الإنسان باللغة أو السياق الاجتماعي الذي نزلت فيه بعض الآيات.

وبناءً على ذلك فإن للغريب درجات يصل بها إلى المتشابه. وقد أخذ الراغب في تطبيق ذلك في معجمه عند شرح المعنى - كما سنرى فيما بعد - وهو ما فطن الزركشي إليه حينما وصف تصيُّدَه المعنى من السياق وبراعته في ذلك إلى درجة أنه كان يذكر قيداً زائداً على أهل اللغة والتفسير في بعض الألفاظ (74).

وقد مزج الراغب في صنيعه هذا بين عمل اللغويين والمفسرين والفقهاء، يدل على ذلك قوله في مقدمة معجمه: «إن أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن، العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللَّبِن في كونه أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن، هي لُبُّ كلام العرب وزُبْدَتُهُ وواسطتُهُ وكَرائمهُ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم» (75).

والحقيقة أن هذا المعجم - كما سنرى - من أجَل المعاجم المختصة في مفردات القرآن الكريم وأدقّها. ويكاد يقف بلا ندّ أو نظير من حيث الجمع والوضع والشرح.

ثانيًا : المفردات بين الجمع والوضع :

1 - المفردات ومبدأ الجمع :

لم يحدد الراغب الأصفهاني في مقدمة معجمه المصادر التي اعتمد عليها في جمع المادة اللغوية لهذا المعجم، غير أن القرآن الكريم كان هو المصدر الأول للمادة اللغوية التي عرّف بها وشرحها، وأعني بذلك المفردات أولاً ثم آيات القرآن التي شرح هذه المفردات من خلالها. يقول : «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مُسْتَوْفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي» (76).

ولا يدل ذلك على أنه أحصى ألفاظ القرآن لفظًا لفظًا، وإنما يبدو أنه استند إلى معيار خاص في اختيار الألفاظ التي شرحها، يدل على ذلك قوله: «وأُتْبِعُ هذا الكتاب(77) - إن شاء الله تعالى ونَسَأَ في الأجل - بكتاب يُنْبِئُ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى

(74) البرهان، 1/201 - 202.

(75) المفردات، المقدمة، ص6.

(76) المصدر نفسه، ص6.

(77) يقصد المفردات.

الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يُعْرَفُ اختصاص كلّ خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوته، نحو ذكره القلب مرة، والفؤاد مرة والصدر مرة. . . ونحو ذلك، فيما يعدُّه من لا يُحقُّ ويُبْطِل البَاطِلَ أنه باب واحد، فَيُقَدِّرُ أنه إذا فَسَّرَ : الحمدُ لله، بقوله الشكرُ لله، ولا رَيبَ فيه بلا شكّ فيه، فقد فسَّر القرآن ووَفَّاهُ التِّبيان»[78].

كما يشير أيضًا إلى أن الشرح في المفردات سيكون «حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب»؛ ثم يقول بعد ذلك مباشرة «وأحيلُ بالقوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على الرسالة التي عملتها مختصة بهذا الباب، ففي اعتماد ما حررته من هذا النحو استغناء في بابه»[79] وهذه الرسالة للأسف لم تصل إلينا.

ومعنى هذا أن عنصر الاختيار كان يوجه عمل الراغب فلم يتعرض للألفاظ المفردة المترادفة كما جاءت في القرآن وما بينها من فروق دقيقة ولكن أشار إلى ذلك[80]. كذلك لم يتوسع في شرح طبيعة العلاقة بين الألفاظ المستعارات والمشتقات، ولعله يقصد بذلك الألفاظ التي تغيرت دلالاتها وهي من أصل واحد، وكل هذا يدل على أن عنصر الاختيار والانتقاء كان يوجه عمله في جمع المادة اللغوية القرآنية لمعجمه، ولم يقصد استقصاء ألفاظ القرآن لفظًا لفظًا.

فإذا كان القرآن - كما رأينا - هو المصدر الأول للمادة اللغوية التي اعتمد عليها في تصنيف هذا المعجم، فإن كلّ ما يتصل بعلوم القرآن من القراءات والتفسير وكتب الغريب واللغة و النحو والصرف، فضلاً عن آراء بعض الفقهاء والحكماء والمتكلمين بل والصوفية، نراه مبثوثًا داخل هذا المعجم وموظفًا في الشرح، تدل على ذلك أسماء العلماء الذين أشار اليهم في صفحات «المفردات»، ولم يذكر أيًا منهم في مقدمته. فمن ذلك على سبيل المثال:

(أ) من القُــــــرَّاء :

1 - أُبي بن كعب (ت 30هـ / 650م)[81].

2 - عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ / 652م)[82].

(78) المصدر نفسه، ص 6.

(79) المصدر نفسه، ص 6.

(80) انظر على سبيل المثال المداخل : (ق ل ب) ص 411، (ف أ د) ص 386، (ص د ر) ص 276، (ح م د) ص 131، (ش ك ر) ص 265، (ر ي ب)، (ش ك ك) ص 265.

(81) المصدر نفسه، ص 215.

(82) المصدر نفسه، ص 9، 48.

3 - مجاهد (ت 104 هـ / 722م)[83].

4 - حمزة (ت156 هـ / 773م)[84].

(ب) مـن علمـــاء غـريـب القــرآن :

1 - عبد الله بن عباس (ت 68 هـ / 687م)[85].

2 - أبو عبيدة (ت 210 هـ / 825م)[86].

3 - ابن قتيبة (ت 276 هـ / 889م)[87].

(جـ) مــن اللغـــويـــــين والنحــــاة :

1 - الخليل بن أحمد (ت 175 هـ / 790م) [88].

3 - سيبويه (ت 180 هـ / 796م)[89].

2 - الكسائي (ت 189 هـ 805م)[90].

4 - الفراء (ت 207هـ / 822م)[91].

5 - الأصمعي (ت 216 هـ / 831م)[92].

6 - المبرد (ت 285 هـ / 898م)[93].

فضلاً عن بعض الإشـارات العامة إلى علماء اللغـة والنحو مثل قوله : «قـال أكثر أهل اللغة» [94] أو «بعض أهل اللغـة»[95] أو قوله: «قـال النحويون» أو «عند الـنحويين» أو «قال بعض النحويين»[96] ناهيك بأقوال المتكلمين والفقهاء والحكماء والصوفية[97].

(83) المصدر نفسه، ص 269، 430.

(84) المصدر نفسه، ص9.

(85) المصدر نفسه، صفحات : 81، 98، 104، 127، 201، 215، 398، 402، 430، 491.

(86) المصدر نفسه، صفحات 113، 175، 407، 437.

(87) المصدر نفسه، ص 49، 167.

(88) المصدر نفسه، ص 22، 31، 93، 173، 290، 296، 324، 402، 412، 479.

(89) المصدر نفسه، ص 9، 32، 308.

(90) المصدر نفسه، ص 338.

(91) المصدر نفسه، ص 48، 394، 455.

(92) المصدر نفسه، ص 535.

(93) المصدر نفسه، ص 32، 47، 109.

(94) المصدر نفسه، ص 85، 143، 158، 285، 293.

(95) المصدر نفسه، ص 86، 314، 388.

(96) المصدر نفسه، ص 439، 445، 459، 482.

(97) المصدر نفسه، ص 102، 120، 184، 271، 293، 298، 351، 430، 437، 437، 455.

كما استعان بأقوال كبار الصحابة في الاستشهاد والشرح مثل: أبي بكر الصديق (98) وعمر بن الخطاب(99) وعلى بن أبي طالب (100)

أما الاستشهاد بالحديث النبوي والشعر، فهو أكثر من أن يحصى، كما أفاد من المعاجم اللغوية إفادة كبيرة واقتبس منها الكثير كما سنرى فيما بعد. هذا عن الجمع في المفردات، فماذا عن الوضع ؟

2 - المفردات ومبدأ الوضع :

ويقصد بالوضع، ترتيب المداخل وترتيب المشتقات تحت المدخل الواحد. وسنبدأ بترتيب المداخل.

(أ) ترتيب المداخل :

أشار الراغب في عبارة قصيرة سريعة إلى نظام الوضع عنده من حيث ترتيب المداخل بقوله : «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي فتقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبراً فيه أوائل حروفه الأصيلة دون الزوائد»(101).

وبناءً على ذلك قَسَّم المعجم إلى «كُتُب» ثم رتب هذه الكُتُب حسب الترتيب الألف بائي، فبدأ بكتاب الألف(102) ثم كتاب الباء(103)... إلى كتاب الياء، مقدماً كتاب الواو على كتاب الهاء(104).

غير أن ترتيب المداخل في كل كتاب قد اختل عنده أحياناً لسببين:

1 - التزامه بصيغة الكلمة كما جاءت في الاستعمال القرآني، فلم يفرق بين الكلمات المشتقة وغير المشتقة، وكأنه يرى أن جميع الكلمات في العربية والقرآن لها أصل اشتقت منه(105).

---

(98) المصدر نفسه، ص 108، 342.

(99) المصدر نفسه، ص72، 120، 330.

(100) المصدر نفسه، ص 184، 237، 342.

(101) المصدر نفسه، ص 6.

(102) المصدر نفسه، ص 7-35.

(103) المصدر نفسه، ص 30-71.

(104) المصدر نفسه، ص 511 - 530.

(105) انظر على سبيل المثال المداخل (إلى)، (إنّ)، (أنا) ص : 22، 29، 32.

2 - رتب الألفاظ الناقصة المنتهية بالواو والياء دون الرجوع إلى الأصل[106].

أما من حيث الترتيب العام للمشتقات في كل مدخل، فلم يُشر الراغب الى ذلك شـأنه شأن مـؤلفي معـاجم الألفـاظ في التراث العـربي، ولذلك سنأخـذ المدخل (ع ج م) نموذجًا لمعرفة منهجه في ترتيب المشتقات مع الإشارة إلى بعض المداخل الأخرى.

(ب) ترتيب المشتقات :

يقول في المدخل : (ع ج م)[107] :

* العُجْمَةُ : خلافُ الإبانة.

* الإعْجَامُ : الَايهام.

* واستَعْجَمَتْ الدار : إذا بـان أهلُها ولـم يبق عَريبٌ، أي من يُبين جوابًا، ولذلك قال بعض العرب : خَرَجْتُ عن بلاد تنطق، كناية عن عمارتها وكون السكان فيها.

* والعَجَمُ : خلاف العرب.

* والأعْجَمُ : من في لسـانه عُجْمَةٌ، عربيًا كان أو غير عـربي اعتباراً بقلة فـهمهم عن العَجَم. ومنه قيل للبهيمة: عَجْماءُ.

* والأعْجَـميُّ : المنسوب إليه، قـال تعالى : «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْـجَمِينَ» (الشـعراء، 198)، على حـذف اليآت. وقـال : «وَلَوْ جَعَلْـنَاهُ قُرْءَانًا أَعْـجَمِيًا لَقَـالُواْ لَوْلاَ فُـصِّلَتْ ءَايَاتُهُ» (فـصلت، 44)، و«ءَأَعْـجَمِيٌّ وَعَـرَبِيٌّ» (فـصلت، 44)، و «لِسَـانُ الذي يُلحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ» (النحل، 103).

* وسُمِّيَتْ البهيمة عَجْمَاءَ، من حيث إنها لا تبين عن نفسها بالعبارة إبانة الناطق.

* وقيلَ : صـلاة النهار عَـجْمَـاءُ : أي لا يُجْهَـرُ فيهـا بالقراءة. وجـرح العَجْـمَاءِ جُبَارٌ.

* أعْجَمتُ الكلام: ضد أعْرَبْتُ.

*وأعْجَمْتُ الكتابة: أزَلْتُ عُجْمَتَها، نحو، أشْكَيْتُهُ : إذا أزَلْتُ شكَايَتَهُ.

* وحروف المُعْجَم : رُوي عن الخليل أنهـا هي الحروف المُقَطعةَ لأنها أعْجَـميةٌ. قال بعضهم : مـعنى قوله أعْجَميَّةٌ أن الحروف المتجـردة لا تدل على ما تدل عليه الحروف الموصولة.

---

(106) انظر أيضًا على سبيل المثال المداخل : (ح ش ي)، (ح أ ل) ص 136، 241 وفي كثير من المواضع الأخرى.

(107) المصدر السابق، كتاب العين، المدخل (ع ج م)، ص 323-324. وقد أعدت كتابة المشتقات على هذا النحو، حتى يَسهُلَ على القارئ متابعة ترتيبها، وهي ليست كذلك في المفردات.

* وباب مُعْجَمٌ : مُبْهَمٌ.

* والعَجَمُ : النَّوى، الواحـدة : عَجَمَةٌ، إما لاسـتتارها في ثِنْي ما هي فـيه، وإما بما أُخْفي من أجزائه بضغط المضغ، أو لأنه أُدْخِلَ في الفم حال ما عُضَّ عليه فَأُخْفي.

* والعَجْمُ : العَضُّ عليه.

وفلان صُلْبُ المَعْجَم أي شديد عند المُخْتَبَر.

من خـلال ترتيب المشـتقـات في هذا المدخل، نلاحظ أن الراغب كـثيراً مـا يضع المصادر على رأس المشتقات، وغالبًا ما يكـون المصدر مشروحًا بكلمة ضد أو خلاف، ثم يأتي بعد ذلك بالأفعال والأسماء وأحيانًا يأتي بالأفعال قبل الأسماء(108).

وقد يبدأ بالمصادر مشروحة بعـبارة جامعة محكمة (109) كمـا سنرى ذلك عند دراسة المعنى المعجمي، وقد يبـدأ بالأفعال خاصة الفعل الماضي المجرد ثم المزيد فالأسـماء فالأفعال مرة أخرى (110).

ولعل السبب في اضطراب ترتيب المشتقات على هذا النحو التزامه بصيغ الكلمات كما استعملها القرآن الكريم إذ كثيراً ما يبدأ بها، يدل على ذلك أنه لا يخوض فيما تخوض فيه معاجم الألفاظ من حشد المشتقات، ولذلك فإن عنصر الاختيار لما له صلة بألفاظ القرآن واضح في ذكره للمشتقات وترتيبها (111).

ثالثًا : المفـردات وشـرح المعنـى المعجمـي :

يرى بعض علمـاء المعاجم، أن علم المعـاجم النظري Lexicology هو ذلك الفـرع من علم المعاجم الذي يدرس المعنى المعـجمي Lexical meaning ويحلله، ويرون أيضًا أن هذه الدراسة تأتي في مقدمة الأمور التي يهتم بهـا المعجمي، لأن كثيراً من قراراته تتوقف - سواء بصـورة مباشرة أو غـير مباشـرة - على فهمـه لطبيعة هذا المعـنى ومن ثم الطريقة التي يتبعها في شرحه أو يتعامل بها معه في المعجم(112).

---

(108) راجع على سبيل المثال المداخل : (أ س ف)، (أ م ن)، (ب ت ك)، (ب ر ح)، (ج د ل)، (ح و ب)، ص : 30، 41، 134، 17، 25، وفي مداخل أخرى كثيرة.

(109) راجع على سـبـيل المثـال المداخل : (ع د ل)، (ع د م)، (ع م ل)، (ف ط ر) ص : 325، 332، 348، 382.

(110) راجع المداخل (ق ر أ)، (ك ت ب)، (ل ح ق)، (ل م م) ص : 401، 422، 448، 454.

(111) قـارن المدخل (ع ج م) في مـعـجم العين للخليل، 1/237-239، والمدخـل نفـسه عند الراغب ص 323 - 324.

(112) انظر : Zgusta, op.cit, p. 21.

غير أن المعنى المعجمي لا يتوقف في الحقيقة على الشرح أو التعريف وحده، من حيث علاقة اللفظ بالمعنى، وإنما هو محصلة لعلاقات أخرى اختلافية وائتلافيه تتصل ببنية الكلمة، خاصة في اللغات الاشتقاقية مثل اللغة العربية، وصدد هذا فإن نظرية المعجم ترى أن الوحدة اللغوية الأساسية في اللغة هي اللفظة المفردة وليست الجملة، إذ لا يمكن للجملة أن تكون صحيحة التركيب Well-formed sentence إلا إذا تحققت هذه الصحة في المفردات أولاً من حيث التأليف الصوتي والبنية الصرفية ثم الدلالة التي هي في الحقيقة محصلة الصوت والصيغة(113).

وسنرى كيف وظّف الراغب الأصفهاني - شأنه في ذلك شأن كثير من أصحاب المعاجم العربية - الكثير من المسائل الصرفية والنحوية عند شرحه للمعنى في هذا المعجم.

وكما أشرت من قبل فإن الراغب قد حرص على أن يضع المعنى العام أو أصل المعنى للمشتقات على اختلاف صيغها على رأس كل مدخل سواء استعمل في ذلك المصادر أو العبارات الجامعة متأثراً في ذلك بابن فارس (ت 395 هـ / 1005م) في معجمه مقاييس اللغة، مثال ذلك ما جاء في أول المدخل (ع ج م) :

* العُجْمَةُ ضد الإبانة، والإعجام : الإبهام.

هذا من حيث استخدام المَصادر وهو كثير كما أشرت من قبل. أما من حيث العبارات الجامعة أو التعريف العام للمعنى الأصلي، فهو أيضاً أكثر من أن يحصى. فمن ذلك على سبيل المثال :

* «الأبُ : الوالد، ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أباً»(114).

وفي المدخل (ب ر أ) يقول :

* «أصل البُرْء والبَراء والتَّبرّي : التَّفصّي مما يُكْرَهُ مجاورَتُهُ»(115)؛

وفي المدخل (تجارة) [هكذا] وليس (ت ج ر) يقول :

*«التجارة التصرف في رأس المال طلباً للربح»(116) ؛

وفي المدخل (ع ج ل) يقول :

---

(113) راجع : إبراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص 37 - 57، 106-114.

(114) المفردات، كتاب الألف، المدخل (أبا)، ص7.

(115) المصدر نفسه، كتاب الباء، ص 45.

(116) المصدر نفسه، كتاب التاء، ص 73.

* «العَجلَةُ: طَلَبُ الشيء وتَحَرِّيه قبل أوانه، وهو مقتضى الشهوة ولذلك صارت مذمومة في عامة القرآن» (117).

وهكذا في كثير من مداخل هذا المعجم، ونلاحظ أن هذه العبارات مُصوغة بدقة على طريقة التعريفات أو الحدود عند الفقهاء والمتكلمين، وقد يؤكد ذلك أنه كثيراً ما كان يقف أمام مصطلحات بعض الفرق الإسلامية ليصحح لهم سوء فهمهم لدلالة بعض الألفاظ القرآنية، مستنداً في ذلك إلى صيغة اللفظ واشتقاقه. مثال ذلك في المدخل (ج ب ر) يقول: «أصل الجبر: إصلاح الشيء بضَرب من القهر، يُقَال: جَبَرتُهُ فانْجَبَرَ واجْتَبَرَ، وقد قيل: جَبَرْتُهُ فَجَبَرَ، كقول الشاعر: «قد جَبَرَالدين الإلهُ فَجَبَرْ»، هذا قول أكثر أهل اللغة» (118).

غير أنه يقول بعد تحديد الأصل والمشتقات كما قال اللغويون: «وسُمِّيَ الذين يَدَّعُونَ أنَّ الله تعالى يُكْرِهُ العباد على المعاصي - في تعارف المتكلمين - مُجْبِرَةً، وفي قول المتقدمين: جَبْرِيَّةً وجَبَرِيَّةً.. فأما وصفه تعالى نحو: «الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» (الحشر، 23)، فقد قيل سمّي بذلك من قولهم: جَبَرْتُ الفقير، لأنه هو الذي يَجْبُر الناسَ بفائض نعمه، وقيل لأنه يُجْبِرُ الناسَ، أي يَقْهَرَهُمْ على ما يريد، ودفع بعض أهل اللغة ذلك من حَيْثَ اللفظ، فقال: لا يقال من أفْعَلْتُ فَعَّالٌ، فَجَبَّارٌ لا يُبْنَى من أَجْبَرْتُ، فأجيب عنه بأن ذلك من لفظ جَبْرَ في قوله: «لا جَبْرَ ولا تفويض» لا من لفظ الإجبار. وأنكر جماعة من المعتزلة ذلك من حيث المعنى، فقالوا - تعالى الله عن ذلك - وليس بمنكر، فإن الله تعالى قد أجْبَرَ الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية، لا على ما تَتَوَهَّمُهُ الغُوَاةُ الجهلة» (119).

ومثل ذلك نجده تحت المدخل (ق د ر) والمدخل (ق د م)(120) وغيرهما، مما يدل على أثر طريقة الفقهاء والمتكلمين في التعريف والتحديد للمعنى في هذا المعجم وعلى أن كثيراً من مصطلحاتهم تُؤلفُ جزءاً غير يسير منه.

ومع ذلك فإننا نجد طرق شرح المعنى المعجمي الشائعة في معاجم الألفاظ تظهر في هذا المعجم المتخصص في ألفاظ القرآن الكريم خاصة على مستوى الدلالة اللغوية لا القرآنية التي كان جل اهتمام الراغب مُوَجَّهاً إليها، من ذلك على سبيل المثال:

(117) المصدر نفسه، كتاب العين، ص 323.
(118) المصدر نفسه، كتاب الجيم، ص 85.
(119) المصدر نفسه، ص 85.
(120) المصدر نفسه، كتاب القاف، ص 394-397.

1 - الشـــرح بكلمـــة معـــروف :

وهو كثير، ومن أمثلته :

* البَرَصُ : معروف.
* البصل : معروف.
* الجراد : معروف.
* الجمل معروف(121).

2 - الشـرح بكلمـة خـلاف أو ضـد :

* العُجْمَةُ خلاف الإبانة.
* العَجَمُ خلاف العرب.
* الآجل ضد العاجل.
* الأنثى خلاف الذكر.
* البعد ضد القرب.
* الثبات ضد الزوال(122). وهو كثير.

3 - الشـــرح بكلمـــة واحـــدة :

* الإعْجَـــامُ : الإبْهَامُ.
* العَجَمُ : النَّـــوى.
* الأبُ : الوالد.
* الأذُنُ : الجارحة.
* الحصرُ : التضييق.
* الحضُّ : التَّحْريضُ.
* أصل الرَّجز : الاضطراب.
* الترادف : التتابع(123). وهوكثيرا أيضا.

4 - الشـــرح بأكثـــر مـــن كلمـــة :

* استَعْجَمَتْ الدار : إذا بان أهلها ولم يبق فيها عريب.
* الأعْجَمُ : من في لسانه عُجْمَةٌ، عربيّا كان أو غير عربي.

---

(121) المصدر نفسه، ص : 12، 27، 40، 53. وانظر أيضًا ص : 66، 78، 345، 405.

(122) المصدر نفسه، ص : 43، 50، 90، 107، وانظر أيضًا ص : 142، 244، 202، 457.

(123) المصدر نفسه، ص : 7، 14، 114، 120، 122، 187، 193.

* الإتْيَانُ : مجيء بسهولة.
* الأجل : المدة المضروبة للشيء.
* الأسَفُ : الحزن والغضب معًا.
* الإفْكُ : كل مَصْرُوف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه.
* الأمن : طُمَأنينَةُ النفس وزوال الخوف.
* الشرْطُ : كل حَكم معلوم يتعلق بأمر يقع بوقوعه(124).

5 - الشــــرح بالسيـــاق :

حينما قال علماء العربية القدماء «لكل مقام مقال» و«لكل كلمة مع أختها سياق» وقعوا في الحقيقة على عبارتين من جوامع الكلم، تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا في العربية وحدها، كما أدرك هؤلاء العلماء أن من طبيعة المعنى المعجمي التعدد والاحتمال والغموض، يدل على ذلك حديثهم عن المشترك الدلاليّ والترادف والتضاد وكلها تدل على تعدد المعنى للكلمة المفردة، وبالتالي تعدد احتمالات القصد منها، ومن ثم فإن استعمال الكلمة يكون في سياق معين، سواء أكان لغويًا Linguistic context أم اجتماعيا Situational context(125).

وقد أدرك الراغب الأصفهاني وظيفة السياق بشقيه اللغوي والاجتماعي في تحديد المعنى ورفع التعدد والغموض عنه، فيما أشرنا إليه من قبل عند تحديده لدلالة مصطلحي الغريب والمتشابه(126)؛ وفيما يلي نرى كيف وَظَّف الراغب السياق بشقيه اللغوي والاجتماعي في شرح المعنى المعجمي في المفردات.

(أ) السيـاق اللغـوي (المقـال) Linguistic context

وهو محصلة العلاقات والوظائف الصوتية والفنولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية في الكلمة أو الجملة، أي كل ما له صلة بالمبنى والمعنى سواء على مستوى اللفظة المفردة أو الكلام. وهذه الثنائية بين المبنى والمعنى أو الدال والمدلول تظهر في اللفظة المفردة وفي الجملة أيضًا، حيث يتكون الدال من تأليف صوتي عناصره الفونيمات التي تظهر في

---

(124) المصدر نفسه، ص : 8، 11، 21، 25، 75، 258، 327، 384.

(125) حول نظرية السياق ودورها في تحديد المعنى انظر : Firth, J.R : Papers in linguistics, p. 182, pp. 225-227; Hartmann and Stork : Dictionary of Lang. an Ling. pp. 51-52. ؛ محمود السعران : علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 309 - 312؛ نفسه : اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، ص ص 20-28.

(126) انظر هذا البحث، ص ص 109-114.

صورة وحدات مورفولوجية مختلفة البناء والصيغ.

أما المدلول فهو المعنى أو المفهوم الذي يصل الدالَّ من خلال علاقة ما مباشرة أو غير مباشرة بمرجع خارج اللغة[127] أي المجتمع المتكلم بهذه اللغة.

ومثل ذلك أيضًا على مستوى الجملة، إذ الكلمة هي الوحدة المصغرة المضغوطة من الجملة من حيث المبنى والمعنى.

ويتمثل المعنى اللغوي في الدلالة الأصلية أو المعنى العام للكلمة أو الجملة أو بعبارة أخرى هو محصلة هذه العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تتمثل في السياق اللغوي.

غير أن اللفظة المفردة وهي معزولة عن هذا السياق تكون قابلة لتعدد المعنى واحتماليته وغموضه، ولكنَّ وضعها في سياق لغوي معين قد يحدد لها معنى واحدًا وهي إحدى وظائف السياق اللغوي التي انتبه إليها عبد الله بن عباس مبكرًا وأفاد منها علماء اللغة والمعاجم ووظفها الراغب الأصفهاني في المفردات على نطاق واسع حيث نجد آيات القرآن الكريم تمثل جُل السياقات اللغوية المستخدمة في هذا المعجم من حيث كونه معجمًا متخصصًا في ألفاظ القرآن، كما نجد الحديث النبوي الشريف والشعر العربي والأمثال العربية القديمة.

من ذلك ما نجده تحت المدخل (ع ق ل) من سياقات لغوية مقتبسة من القرآن والحديث والشعر والأمثال يقول:

* العقل: يُقال للقوة المُتهيِّئَة لقبول العلم.
* ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل.
* ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه[128]:

العقـــل عقـــلان   مَطْبُـــوعٌ ومَسْمُـــوعُ
ولا ينفـــع مَسْمُـــوعٌ   إذا لم يـــكُ مَطْبُـــوعُ
كما لا ينفع ضوءُ الشمس   وضـــوء العيـــن مَمْنُوعُ

* وإلى الأول أشار سيدنا محمّد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بقوله: «ما خلق الله خلقًا اكرم عليه من العقل».

---

(127) راجع إبراهيم بن مراد: مقدمة لنظرية المعجم، ص 37. وانظر أيضا الفصل الثاني من الكتاب تحت عنوان: «المكونات المباشرة لنظرية المعجم» حيث يفصل القول فيما أجمل هنا، ص 37-57.

(128) يقصد عليًا بن أبي طالب، ويستشهد الراغب بأقواله كثيرًا، انظر: المفردات ص 52.

* وإلى الثاني أشار بقوله : «ما كسب أحدٌ شيئًا أفضل من عقل يَهْدِيهِ إلى هُدى، أو يَرُدُّه عن رَدِيء».

* وهذَا الْعقل هو المعنيُّ بقوله تعالى: «وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ الْعَالِمُونَ» (العنكبوت، 43).

* وكُلُّ مَوْضِع ذَمَّ اللّهُ فيه الكفَّارَ بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول نحو «ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ» إلى قوله : «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ» (البقرة، 171).

* وكل موضع رُفِعَ التكليفُ فيه عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول.

* وأصل العقل الإمساكُ والاستمساكُ كعَقْلِ البعير بالعقال وعقل الدواءِ البطن.

* وعَقَل لسانه : كَفَّهُ.

* والحصن : مَعْقِلٌ وجمعه معاقِل.

* وباعتبار عقل البَعير، قيل عَقَلْتُ المَقْتُولَ : أعطيته دِيَتَهُ.

* وقيل العِقال صدقة عام، لقول أبي بكر رضي الله عنه: «لو مَنَعوني عِقالاً لقاتلتهم عليه».

* ولقولهم : «أخذ النقد[129] ولم يأخذ العقال كناية عن الإبل»[130].

هذا مثال واحد يدل على استخدام الراغب للسياق اللغوي، كما يتمثل في القرآن والحديث النبوي والشعر والأمثال لرفع التعدد والغموض الناتج عن الاشتراك الدلاليّ في كلمتي : «العقل» و«العِقال» وغيرهما من مشتقات هذا الجذر، والأمثلة على ذلك كثيرة في المعجم[131].

(ب) السيـــاق الاجتمـــاعـــي (المقـــام) : Social context

وهو يتمثل في الملامح غير اللغوية التي تتصل باستخدام اللغة بصورة عامة ودلالة ذلك على الاستخدام بشكل خاص، أو بعبارة أخرى هو العلاقة بين البنية اللغوية والمجتمع المستخدم لهذه اللغة أو تلك اللهجة، حيث نجد كلمات وعبارات كثيرة ذات خصوصية اجتماعية لا يمكن لغير ابن اللغة أو اللهجة أن يدرك معناها دون أن يعرف

---

(129) النقد : صغار الغنم.

(130) المفردات، ص 341 - 342.

(131) انظر على سبيل المثال المداخل : (ح ج ج) ص 107 - 108، (ز ل ف) ص 214-215، (ز ن م) ص 215، (ش ر ط) ص 250 - 258، (ك س ب) ص 430-431، وفي مواضع أخرى كثيرة جداً.

سياقها الاجتماعي(132).

وقد أشار الراغب إلى ذلك في تفسيره لبعض أنماط التشابه من جهة اللفظ والمعنى في بعض آيات القرآن، يقول : «والرابع(133) من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو «إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ» (التوبة، 37) فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية»(134).

وبناءً على ذلك أخذ يوظف هذا السياق الاجتماعي في تفسير كثير من ألفاظ القرآن مثال ذلك :

* البَاهِلُ : البعير المُخَلَّى عن قيده، أو عن سمة؛ أو المُخَلَّى ضَرْعُها عن صِرَار. قالت إمرأة : أَتَيْتُكَ باهِلاً غير ذات صِرَار، أي أَبَحْتُ لَكَ جميع ما كنت أَمْلِكُهُ، لم أستأثر بشيء(135).

* قال تعالى : «هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ» (الفجر، 5).

قال المبرد : يقال للأنثى من الفرس حِجْرٌ، لكونها مشتملة على ما في بطنها من الولد.

* والحَجُورَةُ : لعبة للصبيان يَخطُّون خطًا مستديرًا.

* والأَحْجار : بطون من بني تميم، سُموا بذلك لقوم منهم أسماؤهم جَنْدَل وحَجَر وصَخْر(136).

* الحِقُّ من الإبل : ما استحق أن يُحمل عليه، والأنثى : حِقَّةٌ، والجمع : حِقاقٌ.

* وأَتَتْ الناقة على حِقِّها : أي على الوقت الذي ضُرِبَت فيه من العام الماضي(137).

* وقوله عزّ وجلّ : «ولا حَام» (المائدة، 103)، قيل هو الفحل إذا ضَرب عشرة أبطن، كأن يُقال : حُمِيَ ظهره فلا يُركب(138).

---

(132) راجع حلمي خليل : دراسات في اللغة والمعاجم، علم اللغة الاجتماعي عند الجاحظ، ص 259 - 277.

(133) يقصد النوع الرابع من المتشابه في القرآن الكريم.

(134) المفردات ص 255.

(135) المصدر نفسه، (ب هـ ل) ص 63.

(136) المصدر نفسه، (ح ج ر) ص 109.

(137) المصدر نفسه، (ح ق ق) ص 126.

(138) المصدر نفسه، (ح م ي) ص 133.

* وفي قوله : «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ» (القلم، 42)، من قولهم : كشفت الحرب عن ساق، وقال بعضهم : إنه إشارة إلى شدَّة، وهو أن يموت الولد في بطن الناقة فيُدخل المُذَمِّرُ يَدَهُ في رحمها فيأخذ بساقه فَيُخْرِجَه مَيِّتًا، قال فهذا هو الكشفُ عن الساق، فَجُعِلَ لكُلِّ أمرٍ فَظيعٍ(139).

* قال تعالى : «وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ» (المائدة، 4).

* الكَلاَّبُ، والمُكَلِّبُ : الذي يُعلم الكلب.

* والكَلْبُ : المسمار في قائم السيف.

* والكَلْبَةُ : سير يدخل تحت السير الذي تُشَدُّ به المزادة فيخرز به وذلك لتصوره بصورة الكلب في الاصطياد به (140).

6 - الصــــــرف والنحــو :

أولى الراغب مسائل الصرف والنحو عناية ملحوظة خاصة بما لها من صلة بشرح المعنى عند نطق كلمة في قراءة قرآنية أو إعرابها، أو لبيان إعلال أو إبدال، وكذلك استخدامات القرآن الكريم للحروف والأدوات من حيث الدلالة والعمل. فمن ذلك على سبيل المثال :

* الآل : مقلوب عن الأهْلِ، ويُصغر على أُهَيلٍ، إلا أنه خُصَّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزْمنَة والأمكنة، يُقال : آل فلان، ولا يقال آل رجل، وآل زمان كذا، أو موضع كذا، ولاَ يقال : آلَ الخياط، بل يضاف إلى الأشرف والأفضل. يقال : آل الله، وآل السلطان.

أمّا الأهْلُ فيضاف إلى الكل، يقال أهل الله وأهل الخياط كما يقال: أهل زمان كذا، وبلد كذا. ويُصَغَّرُ أُوَيْلاً.

ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصًا ذاتيًا ؛ إما بقرابة قريبة أو بموالاة، قال عز وجل : «وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ» (آل عمران، 33)، وقال : «أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ» (غافر، 46).

* أَوَل : يقال أوْلٌ لنا وأيل علينا، وأوَّلُ، قال الخليل : تأسيسُهُ من همزة وواو ولام، فيكون فَعَّلَ، وقد قيل من واوين ولام فيكون من أفْعَلَ والأول أفصح لقلة وجود ما فاؤه وعينه حرف واحد كددَن. فعلى الأول يكون من آل يئولُ، وأصله آوَلَ فادغمت

(139) المصدر نفسه، (س أ ق) ص 249. وانظر أيضًا المدخل (ل ش ف) ص 432.

(140) المصدر نفسه، (ك ل ب) ص 438.

المدّة لكثرة الكلمة. وهو في الأصل صفة لقولهم في مُؤنَّثه : «أُولَى» نحو «أُخرى» (141).

فالأوّلُ : هو الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه:

أحَدُها : المتقدم بالزمان، كقولك عبد الملك أولاً ثم المنصور.

الثاني : المتقدم بالرياسة في الشيء وكون غيره محتذيًا به، نحو الأمير أولاً ثم الوزير.

الثالث : المتقدم بالوضع والنِّسبة كقولك للخارج من العراق : القادسية ثم فَيد، وتقول للخارج من مكة : فَيد أولاً ثم القادسية.

الرابع : المتقدم بالنظام الصناعي نحو أن يقال : الأساس أولاً ثم البناء.

وإذا قيل في صفة الله هو الأول فمعناه أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء(142).

* البـــــاء :

يجيء إما متعلقًا بفعل ظاهر معه، أو متعلقًا بمضمر، فالمتعلق بفعل معه ضربان :

أحدهما : لتعدية الفعل وهو الجاري مجرى الألف الداخل للتعدية نحو : ذَهَبْتُ به وأَذْهَبْتُهُ، قال تعالى: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» (الفرقان، 72). والثاني: للآلة، نحو: قَطعه بالسكين.

والمتعلق بمضمر يكون في موضع الحال نحو خرج بِسِلاَحِهِ، أي وعليه السلاح أي ومعه السلاح.

* وربما قالوا تكون زائدة نحو : «وما أنت بمؤمن لنا»، فبينه وبين قولك : ما أَنْتَ مُؤْمِنًا لنا، فرق، فالمُتَصَوَّرُ من الكلام إذا نُصبَ ذات واحد، كقولك : زَيْدٌ خَارِج، وَالمتَصَوَّرُ منه إذا قيلَ : ما أنت بمؤمن لنا، ذاتان، كقولك: لقيت بزيد رجلاً فاضلاً، فإن قوله رجلاً فاضلا وإن أُريدَ به زيدٌ، فقد أُخْرِجَ في معرض يتصوّرُ منه إنسانٌ آخرُ، فكأنه قال : رأيت برؤيتي لك آخرَ هو رجل فاضل، وعلى هذا رأيت بك حاتمًا في السَّخاء، وعلى هذا «وما أنا بطَارِد المؤمنين» (الشعراء، 114).

* وقوله: «تَنْبُتُ بالدُّهْنِ» (المؤمنون، ص 20)، قيل معناه : تُنْبتُ الدّهْنَ، وليس ذلك بالمقصود، بل المقصود أنها تُنْبتُ النَّباتَ ومعه الدُّهْنُ، أي والدُّهْنُ فيه مَوْجُودٌ بالقوة. ونَبَّهَ بلَفْظِه بالدُّهن على ما أنْعَمَ به على عباده وهداهُم على استنباطه. وقيل الباء ها هنا

(141) المصدر نفسه، (أل) ص 30-31.

(142) المصدر نفسه، (أ و ل) ص 31-32.

للحال أي حَالُهُ أنَّ فيه الدُّهنَ. والسبب فيه أن الهمزة والباء اللتين للتعدية لا يجتمعان.

* وقوله: «وَكَفَى بِٱللَّهِ» (النساء، 79)، فقيل: كَفَى اللَّهُ شَهيداً، نحو: «وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ» (الأحزاب، 25)، الباء زائدة. ولو كان ذلك كما قيل لَصَحَّ أَنْ يُقال: كفى بٱلله المؤمنين القتال، وذلك غير سائغ، وإنما يجيءُ ذلك حيث يُذْكَرُ بعدهُ منصوب في موضع الحال كما تقدم ذكره. والصحيح أنَّ كفى هنا موضوع موضع اكْتَفِ، كما أن قولهم: أَحْسِن بِزَيْدٍ، موضوع موضع ما أَحْسَنَ. ومعناه اكتف بالله شهيداً.

وعلى هذا «وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا» (الفرقان، 31)، «وَكَفَى بِٱللَّهِ وَلِيًّا» (النساء، 45).

* وفي قوله: «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ» (البقرة، 195)، قيل تقديره لا تلقوا أيديكم. والصحيح أن معناه: لا تُلْقُوا أَنْفُسَكَمْ بِأَيْدِيكَم إلى التَهْلُكَة، إلا أنه حُذف المفعول استغناءً عنه وقصداً إلى العموم. فإنه لا يجوز إلقاء أنفسهم ولا إلقاء غيرهم بأيديهم إلى التهلكة.

* وقال بعضُهم: الباء بمعنى «من» في قوله تعالى: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ» (المطففون، 28)، و«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ» (الانسان، 6)، أي منها، وقيل: عَيْنًا يَشْرَبها والوجه أن لا يُصرف ذلك عما عليه، وأنَ العين هنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء بعينه، نحو: نزلت بعين، فصار كقولك مكان يشرب به. وعلى هذا النحو قوله: «فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ» (آل عمران، 188) أي بموضع الفوز(143).

على هذا النحو اللافت للنظر اعتنى الراغب بالظواهر الصرفية والنحوية بمالها من صلة بالكشف عن غموض المعنى وشرحه، وقد استدرك كثيراً على النحاة كما رأينا فيما عرضناه له من أمثلة، غير أن هذا المعجم يحتاج إلى دراسة متخصصة عن صلة الصرف والنحو بشرح المعنى، إذ لا تكاد صفحة من صفحاته تخلو من ملاحظة أو أكثر حول ذلك.

7 - المجاز:

وهو من الظواهر التي أولاها الراغب أيضًا عناية ملحوظة، فقد التزم بالإشارة إلى الدلالات المجازية، فنبّه على تحويل الدلالة ونقلها من المعنى الأصلي إلى معانٍ أخرى إما

---

(143) المصدر نفسه، ص 70 - 71. انظر أيضا أمثلة أخرى لقضايا الصرف والنحو في ص: 109، 305، 368، 410، 437، 475، 478، 540 وفي مواضع أخرى كثيرة.

بالتشبيه وإمّا بالاستعارة أو الكناية، وكثيراً ما كان يشير إلى الطريقة التي نقل بها المعنى، فمن ذلك على سبيل المثال :

* الخشوع : الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يُوجَدُ على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يُوجَدُ في القلب، ولذلك قيل فيما رُوي : إذا ضرع القلب خشعت الجوارح. قال تعالى : «وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» (الاسراء، 109)، وقال: «ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» (المؤمنون، 2)، «وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ» (الأنبياء 90)، و«وَخَشَعَت ٱلْأَصْوَاتُ» (طه، 108)، و«خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» (القلم، 43)، و«أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ» (النازعات، 9) كناية عنها وتنبيهًا على تَزَعْزُعِهَا(144).

قال تعالى: «وأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا» (الأنعام، 6)، و«يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا» (هود، 52). وأصله من: الدَّر والدِّرَّة. أي اللبن. ويستعار ذلك للمطر استعارة أسماء البعير وأوصافه، فقيل: للّه دَرُّهُ، ودَرَّ دَرُّكَ.

ومنه استُعيرَ قولهم لنسوق: درَّةٌ أي نَفَاقٌ، ومنه اشتق : «اسْتَدَرَّتْ المِعْزَى» أي طلبت الفحل، وذلك أنها إذا طلبت الفحل حملتْ وإذا حملتْ وَلَدَتْ وإذا ولدت دَرَّتْ، فكني عن طلبها الفحل بالاستدرار (145).

* قال تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ» (الأنبياء، 18)، أي يكسر دماغه، وحُجَّةٌ دامغَةٌ كذلك.

* ويُقَال للطَّلْعة تخرج من أصل النخلة فتُفْسدُهُ إذا لم تُقطع : دامغَة.

* وللحديدة التي تُشدُّ على آخر الرَّحْلِ : دَامغةٌ.

وكل ذلك استعارة من الدَّمْغ الّذي هو كسر الدِّمَاغ(146).

* قال تعالى : «وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ» (المدثر، 5)، قيل هو : صنم، وقيل : هو كناية عن الذنب، فسمَّاهُ كتسمية النَّدى شحما(147) ومثل ذلك كثير جداً(148).

وصفوة القول إنَّ «المفردات في غريب القرآن» معجم من المعاجم المختصة في ألفاظ القرآن الكريم، شرحها الراغب شرحًا لغويًا لكي يحدد المعنى العام لكل جذر وصاغ هذا التحديد في عبارات دقيقة، أما دلالات ألفاظ القرآن فاستخدم في شرحها مختلف

---

(144) المصدر نفسه، (خ ش ع) ص 148.

(145) المصدر نفسه، (د ر ر) ص 166.

(146) المصدر نفسه، (د م غ) ص 172.

(147) المصدر نفسه، (ر ج ز) ص 187-188.

(148) انظر على سبيل المثال ص : 54-55، 120، 143، 251، 262، 298، 335 وغيرها كثير.

طرق شرح المعنى وذلـك في ضوء المسائل الصـرفية والنحـوية التي تتصل بذلك، كـما لم يغــفل عن الدلالات المجـازيـة في مـقـابـل الدلالات اللغـويـة بما لهـا من صـلة في رفع الغموض عن معانيها، وبهذا يمثل هذا المعجم مرحلة النضج الذي وصلت إليه كتب غريب القرآن، ولولا هذا الاضطراب في ترتيب المداخل الذي التـزم فيه الراغب ببنية الكلمـة كما جاءت في القرآن، لكانت عناصر المعجم الكامل قد توافرت في هذا المعجم.

حلمي خليل
كليّة الآداب. جامعة الاسكندريّة

نظرات لغوية في موسوعة
أدبية بغداديّة

بحث :وليد محمود خالص

1 - منذ أن نشر المستشرق الانجليزي الشهير مارغليوث الجزء الأول من «نشوار المحاضرة» (1) مترجما إلى اللغة الانجليزية تحت عنوان «أحاديث قاضٍ عراقي» سنة 1922 من هذا القرن العشرين والكتاب تزداد أهميته، وتتناوله الجمهرة من العلماء والدارسين بالنظر والتّدبّر، وتلجأ إليه من خلال نصوصه الفريدة في استجلاء جوانب من التاريخ والحياة لم تعن بها مصادر التاريخ الكبرى، وأهملتها كتب الأدب هي الأخرى، وكأنّ مارغليوث لمس في الكتاب ومؤلفه ذلك الجانب الإنساني الشخصي الذي لم يجده في كتب أخرى، ورآه متحققا بأجلى صورة في هذا الكتاب، ولذلك اختار له عنوانا من عنده يظهر فيه بوضوح ذلك الجانب الذي ألمحنا إليه.

وكتابنا هو «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»، وذلك هو العنوان الذي اختاره له مؤلفه القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفى سنة 384 للهجرة؛ وقد قضى حياته في الطلب والدرس، وتولّى منصب القضاء، فاختلط بالناس، واقترب من همومهم وعرف ما يدور في مجالسهم، واكتنه أفكارهم وخبايا نفوسهم، ثمّ دوّن ذلك كلّه وجعله بين دفّتي كتاب، وهي جوانب لم تولها كتب أخرى اهتماما يذكر. وللتنوخي كتب أخرى غير النشوار منها الفرج بعد الشدّة، والمستجاد من فعلات الأجواد، وغير هذا، مما يشير إلى اهتمامات فكريّة وثقافية متنوعة. وليس القصد هنا تقديم مسرد واف عن حياته،

(1) من المفيد أن نشير هنا إلى أنّ مارغليوث نشر الجزء الأول من النشوار بصورته العربية عام 1921 بمصر، ونشر الجزء الثاني سنة 1931 بدمشق، ونشر الجزء الثالث سنة 1932 بدمشق أيضا. تنظر مقدمة تحقيق نشوار المحاضرة للأستاذ عبود الشالجي، 1/2، وعلى طبعته نعتمد في هذا البحث. وقد صدرت بثمانية أجزاء. وسنرمز إليه بـ «النشوار».

وآثاره، فليس هنا موضعه، كما إنّ الأستاذ عبود الشالجي رحمه الله قد أسهب في الحديث عن ذينك الأمرين في مقدمة تحقيقه النشوار. ويبقى أن نشير إلى أنّ النشوار هو أشهر كتب التنوخي، وأكثرها دورانا. فقد تحقّق فيه ما نستطيع أن نصف به مؤلفه بأنّه شاهد عصره بكلّ ما يحمله هذا التعبير من التصاق والتحام بالعصر وأهله وأحداثه، مع عناية بتدوين جوانب اجتماعية، ولغويّة، وثقافية لا نجدها في كتاب آخر ممّا يجعله بحقّ من أهم المصادر التي احتفلت بالجانب الآخر من الحياة، حياة الناس ومشاغلهم بعيدا عن التقسيم التقليدي للتاريخ المقترن بالزعماء أو قيام الدول وسقوطها.

2 - «أصل العنوان ما دلّ على الشيء» (2)، هذا ما تقرّره الدلالة اللغوية والمصطلحية معا للعنوان، وهي نزعة منهجية دقيقة ترمي إلى أن يكون عنوان الكتاب مشيرا إلى المضمون، ومعبّرا عنه تعبيرا مباشرا، وقد وجدنا تلك النزعة عند القدماء، كما لمسناها ملمحا أصيلا من ملامح المنهج العلمي عند المحدثين لا يتجاهله الدارسون، أو يتجاوزون عنه، وهكذا رأينا الثعالبي مثلا يصف كتابه سحر البلاغة بقوله: «ثم إنّ هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر (3) مترجم (4) بسحر البلاغة وسر البراعة، وأرجو أن يكون اسما يوافق مسمّاه، ولفظا يطابق معناه» (5)؛ أما الشريشي فيقول عن الناقد الكبير قدامة بن جعفر إنّه كان «بليغا (...) مجيدا، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة، وترجمته تدلّ على متضمّنه» (6). فدلالة العنوان على مضمون الكتاب كانت ماثلة في أذهان الكثرة من المؤلفين القدماء، وإن أهملها بعضهم فجاءت عنوانات كتبهم غائمة عامة، لا تشير إلى ما ضمّه الكتاب بين دفّتيه، ولعلّنا نخرج من ذلك كلّه إلى العنوان الذي اصطفاه التنوخي لكتابه، وهو «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»، فهل لهذا العنوان علاقة بمضمون الكتاب؟ تستوقفنا لفظة النشوار، فهي «ما تبقيه الدابة من العلف، فارسي

---

(2) إحكام صنعة الكلام، لعبد الغفور الأندلسي، ص 66.

(3) يريد بالكتب الأربعة عشر، الفصول التي يتكوّن منها كتابه، إذ كسره على أربعة عشر فصلا أو كتابا.

(4) يريد بـ «مترجم» معنونا، وكانت لفظة الترجمة عند كثير من القدماء تعني العنوان، وسنراها في نصّ الشريشي الآتي.

(5) سحر البلاغة، ص 6.

(6) شرح مقامات الحريري، 1/20.

معرب» (7)، فكأنّ النشوار هو ما بقي من المحاضرة والمذاكرة في ذاكرة المؤلف. وهو تصوير دقيق لخال الكتاب. ويقتضي ما ذكرناه أمران : أولهما أنّ مادة الكتاب هي أحاديث وأخبار سمعها المؤلف، وتلقفها من المجالس، وثانيهما أنّ ما دوّنه إنّما هو البقية الباقية في ذاكرته من هذا الذي سمعه. هذا مؤدى العنوان، ونرى المؤلف يقول : «هذه ألفاظ تلقفتُها من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس، وأكثرها ممّا لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر» (8). هذا جانب من المسألة، وهو المحاضرة والمذاكرة، فما بال النشوار إذن ؟ وأين موقعه ؟ يقول : «إنّي اجتمعت قديما مع مشايخ فضلاء، علماء أدباء، قد عرفوا أحاديث الملل وأخبار الممالك والدول، وحفظوا مناقب الأمم ومعايبهم وفضائلهم ومثالبهم، وشاهدوا كلّ فنّ غريب ولون طريف عجيب من أخبار الملوك والخلفاء والكتّاب والوزراء» (9). ثمّ يسرد مائة صنف ونيفا من هؤلاء الذين سيرد ذكرهم في كتابه مثل : «الفرسان والأمجاد، والورّاقين والمعلمين، وأهل الصوامع والخلوات، وأهل الخسارة والعيّارين، ولعاب النرد والشطرنجيين» (10)، وغير هولاء كثير، بيد أنّه يستدرك فيقول : «فلمّا تطاولت السنون، ومات أكثر أولئك المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن، ولم يبق من نظرائهم إلاّ اليسير الذي إن مات، ولم يحفظ عنه ما يحكيه، مات بموته ما يرويه» (11)، ثم يقول : «واتفق أيضا أنني حضرت المجالس بمدينة السلام في سنة ستين وثلاثمائة بعد غيبتي عنها سنين فوجدتها مختلّة ممّن كانت به عامرة، وبمذاكرته آهلة ناظرة، ولقيت بقايا من نظراء أولئك الأشياخ. وجرت المذاكرة فوجدت في حفظي من تلك الحكايات قديما قد قلّ، وما يجري من الأفواه في معناه قد اختل، حتى صار من يحكي كثيرا ممّا سمعناه يخلطه بما يحيله ويفسده، ورأيت كلّ حكاية ممّا أنسيته لو كان باقيا في حفظي لصلح لفنّ من المذاكرة ونوع من نشوار المحاضرة فأثبت ما بقي على ما كنت

(7) لسان العرب، 5/210، وينظر المعرب للجواليقي، ص 50، مقدمة التحقيق. وفي كتاب المعمرون والوصايا قول أبجر بن جابر لابنه : إذا قدمنا المصر فاستكثر من الصديق.. وإياك والخطب فإنها نشوار كثير العثار. ويعلق المحقق بقوله : والمراد أنّ الخطب فيها فضل كلام لا يؤمن الصواب فيه فيعثر اللسان. وفي كتاب فضل العرب لابن قتيبة يرد القول وفيه مشوار بالميم بدل نشوار، وقد حققت في هذه المسألة. ينظر المعمرون، ص 39، وفضل العرب، ص 199.

(8) النشوار، 1/1.

(9) المصدر نفسه، 1/1-2.

(10) المصدر نفسه، 1/1-2.

(11) المصدر نفسه، 1/3.

أحفظه قديما، واعتقدت إثبات كلّ ما أسمعه من هذا الجنس» (12). هذا إذن موقع النشوار، وموضعه في العنوان. هي بقايا ممّا سلم في الذاكرة التي كانت وعته كاملا في القديم فتفلّت بمرور الزمن، فلا مفرّ إذن من تدوين هذا الباقي خشية أن يصيبه ما أصاب الذي ذهب، وبهذا المعنى تستقيم القضية وتتضح، وينضوي هذا العنوان مع تلك العنوانات التي أرادها أصحابها دالّة على مضمون كتبهم.

3 - يزخر النشوار بالكثير من الجوانب السياسية، والاجتماعية، . والاقتصادية، والثقافية التي انفرد بذكرها، وهي بمجموعها تشير إلى العقلية الجمعية، والنسيج الاجتماعي المتشابك في ذلك الوقت. ولا يمكن تقديم تلك الجوانب في هذا البحث بل سنقصر قولنا على الجانب اللغوي في الكتاب. ونريد أن نُعْنَى من ذلك الجانب بمظهرين :

الأول هو اعتناء التنوخي بتدوين الأسماء الدّالة على ألوان من حياة الناس العامّة، الاجتماعية والاقتصادية. من ذلك تطرقه إلى بعض المآكل البغدادية مثل «السميذ» (13)، وهو الرغيف المصنوع من الدقيق الأبيض، وصار اسمه اليوم السميط، و«اللفّات» (14) بالفاء وهي لون من الطعام الناشف كاللحم أو الجبن أو البيض ملفوفا في رغيف من الخبز، وما يزال هذا اللون من الطعام يحمل هذا الاسم إلى اليوم. ولا يفوته تسجيل مجلس غناء عامر بأنواع من الجواري فيقول : «فخرج علينا جوار لم نر قطّ أحسن ولا أملح وأظرف منهن من بين عوّادة وطنبوريّة وربابيّة وصناجة ورقاصة وزفانة» (15)، فهذا يشير إلى مجلس كبير اختصّت فيه كل جارية بنوع من العزف على آلة أو الرقص بتوقيع معيّن. ويسجّل كذلك أسماء بعض القوارب التي كانت مستعملة بكثرة في نهر دجلة مثل «الحديدي» (16) و«الطيّار» (17)؛ كما إنّ له التفاتا إلى بعض المصطلحات التجارية والأوزان وهي من مظاهر الحياة الاقتصادية، مثل «الكرّ» (18)، و«الروز» (19)، و«الجريدة» (20)،

---

(12) المصدر نفسه، 1/ 10.
(13) المصدر نفسه، 3/ 190.
(14) المصدر نفسه، 5/ 234.
(15) المصدر نفسه، 2/ 174، والزفانة الراقصة التي تضرب برجلها على الأرض.
(16) المصدر نفسه، 2/ 197.
(17) المصدر نفسه، 1/ 26 و68.
(18) المصدر نفسه، 1/ 50، والكرّ جمعه أكرار : مكيال قيل إنّه أربعون أردبا، والأردب مكيال يسع أربعة وعشرين صاعا.
(19) المصدر نفسه، 1/ 73، والروز : فارسي، هو الوصل الذي يكتبه الإنسان بتسلّم المال.
(20) المصدر نفسه، 1/ 70 و71، والجريدة : هي القائمة التي تكتب فيها أسماء الناس أو الأشياء.

و«النقدة» (21) وغيرها، ولم ينس أن يصف إحدى لُعب الأطفال التي شاهدها بكثرة وهي «الدّوباركه» فيقول عنها : «هي كلمة أعجمية، وهي اسم للعب على قدر الصبيان يخلونها أهل بغداد في سطوحهم لليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها، ويخرجونها في زي حسن من فاخر الثياب والحلي، ويحلّونها كما يفعل بالعرائس، وتخفق بين يديها الطبول والزمور وتشعل النيران» (22)، وعلى هذا النحو يستمر التنوخي في تسجيل ما سمعه في المجالس من مظاهر الحياة المتنوعة ومشاربها المختلفة التي كانت تموج بها بغداد في ذلك الوقت.

والمظهر الثاني هو الاعتناء باللهجة البغدادية العامية الدارجة التي استعملها المؤلف في لغة الخبر، وخاصة في الحوار، وما يزال كثير من ألفاظ هذه اللهجة وتراكيبها مستعملة بدلالتها القديمة إلى الآن، وقد أشار الأستاذ المحقّق إلى مواضع من هذه اللهجة مع وصلها بالحاضر، كما أغفل الإشارة في مواضع أخرى، وعقّب عليه الدكتور إبراهيم السامرائي في تعليقاته النافعة التي علّق بها على الكتاب. فيقول مثلا عن هذا الأمر : «حسن أن يربط الأستاذ الشالجي بين المسمّيات القديمة والمستعمل منها في يوم الناس هذا» (23)، غير أنّه يدعو إلى التثبّت وترك التسرّع في النسبة إلى العامية لوجود التشابه فقط، فهو يعلّق مثلا على لفظة «الأوْلة» التي اعتبرها الشالجي بغدادية عامية بقوله : «من المفيد النافع من الناحية التاريخية التفات الأستاذ المحقق إلى النص على الاستعمال العامي، ووصفه بالبغدادي، ولكنّي أتساءل كيف يحقّ لنا الجزم أنّ الأوْلة بغدادية القرن الرابع الهجري، ولم ينصّ علماء اللغة الذين سجّلوا العامي والفصيح على وجود ذلك» (24)، وبعد أن يورد شواهد على أن الأوْلة فصيحة يقول : «وهذا يعني أنّ أوْلة لغة فصيحة، وليس من العامية في شيء، وعلى هذا يحسن بنا ألاّ نفزع إلى القول بالعامية قبل أن نجد في شوارد اللغة ما ذهب إليه العلماء المتقدمون» (25). وعلى هذا فنحن في عرضنا لهذا الموضوع

---

(21) المصدر نفسه، 3/ 133، والنقدة ما يؤديه التاجر نقدا سدادا لما ترتب عليه من ديون، وهو اصطلاح تجاري عباسي، وعلّق عليه الدكتور إبراهيم السامرائي بقوله وهذا من المصطلح الذي كان ينبغي أن يستفاد منه في عصرنا. ينظر مع المصادر، 2/ 201.

(22) النشوار، 2/ 223، وعلّق الدكتور إبراهيم السامرائي على لفظه «يخلّونها» التي وردت في النص بقوله : «إنّ قول المصنف : يخلّونها أهل بغداد من العامية القديمة التي مازلنا نسمعها في لغة العراقيين الدارجة المعاصرة»، ونجد مثل هذا في قول المؤلف، 2/ 101 : ويجون هؤلاء الخمير، أي يأتي، وهي عامية عراقية، وينظر النشوار، 1/ 222.

(23) مع المصادر، 2/ 177.

(24) المرجع نفسه، 2/ 179.

(25) المرجع نفسه، 2/ 179.

سنعمد الى الانتقاء أيضا كما فعلنا سابقا مع الاستضاءة بحواشي المحقّق وتعليقات الدكتور السامرائي.

يقول التنوخي : «فمما كان الغد جئت إلى أخي فوجدت أبا عيسى في صدر المجلس (. . .) وهو يأمر وينهى ويتكلم (. . .) وقد صار في السماء» (26)، و«صار في السماء» تعبير بغدادي مازال مستعملا يعني ارتفاع المحلّ والمكانة؛ ويقول : «وتحدثنا ساعة، ونهض أبو عمر، وقال لي سراً : جئني به، فتأخرت وونّسته، وحملته إليه» (27)، ويعلّق المحقّق : «ونّسته بمعنى آنسته لغة بغدادية» (28)، أي أدخلت السرور على قلبه وأزحت شيئا من الهمّ عنه؛ ويقول : «فسمعت أبا محمد يقول : (. . .) ما تدع جهلك والخيوط التي في رأسك» (29) ويعلّق المحقّق : والخيوط كناية بغدادية عن الجنون والحمق، مازالت مستعملة» (30)؛ ويقول : «وكان أبو القاسم شديد البرّ بأمّه فكان يتنغّض لها بالماء فضلا عمّا سواه» (31)، ولفظة «يتنغّض» مستعملة إلى اليوم يراد بها التذكّر الدائم عند ورود الأمور الحسنة من مآكل وغيرها، وغياب الشخص المحبوب كأنه يتمنّى وجوده ليأكل أو يسرّ بهذه الأشياء الحسنة؛ ويقول : «فقال المعتضد للفراش : هاتم أعمدة الخيم الكبار الثقال فجاءوه بها، وأمر أن يشدّ عليها شدّاً وثيقا فشدّ، وأحضروا فحما عظيما وفرش على الطوابيق بحضرته، وأجّجوا نارا» (32)، ويعلق المحقّق : «الطابوقة وجمعها طوابيق، وطابوق، هي الأجرّة العريضة المسطحة التي تفرش بها الأرض، والكلمة مستعملة إلى الآن في بغداد» (33)، وأضيف أنّها عراقية لا يختصّ بها أهل بغداد وحدهم، وفي المعرّب (34) أنّ هذه الكلمة ذات أصل فارسي هو «تابه»، ولها معان أخرى؛ وفي النصّ الآتي ثلاثة ألفاظ ما تزال مستعملة إلى اليوم، وهو : «فحمل الموفّق صريعا في حدّ التلف، بعد أن رمي بسهم، ونزع السهم، وكان مقطّنا، فبقي الزجّ في مكانه، وجمّع وانتفخ وأمدّ وأشرف على الموت» (35)، ويكتب المحقق : «قطّن : تعفّن وصار على وجهه قشرة مثل القطن (. . .) وجمّع يعني قاح واجتمع القيح في داخله (. . .) والمدة : ما تجمّع في الجرح من القيح، وهذه الكلمات ما تزال مستعملة ببغداد (36)؛ ويقول : «لم يكن يعرفني ولا

(26) النشوار، 1/ 44؛ وينظر، 2/ 113.
(27) و(28) المصدر نفسه، 1/ 71، وينظر، 2/ 147 و3/ 243.
(29) المصدر نفسه، 1/ 87.
(30) المصدر نفسه، 1/ 87 (الهامش).
(31) المصدر نفسه، 1/ 122.
(32) و(33) المصدر نفسه، 1/ 145. وينظر، 4/ 158.
(34) المعرّب، ص 430، من تعليقات المحقق.
(35) و(36) النشوار، 1/ 153.

أعرفه إلاّ بالوجوه» (37). وفي تعليق المحقّق «أنّ هذا التعبير، أي أعرفه بالوجوه لا يزال مستعملا في بغداد، يقال أعرفه بالوجه يعني أنّ معرفته به ضعيفة» (38). ويقول: «فجعلت الدراهم تحت بارية» (39)، ويقول المحقّق: «البارية هي الحصير المنسوج من القصب ولا يزال هذا اسمها في بغداد» (40). ومن المفيد أن نضيف هنا أنّ هذه الكلمة فارسية معرّبة أصلها «بوريا» وهو الحصير المنسوج (41)؛ ويقول: «يعرف بمحمد بن جعفر وكان حَرِكًا (42)، ويعلّق المحقق: «الحرك بفتح الحاء وكسر الراء الذكي وهذا التعبير مستعمل الآن في بغداد» (43)؛ ويقول: «وحملت الفرس إلى الشام (. . .) ودحت في البلاد» (44)، ودحت أي تجولت في البلاد على غير هدى أو طريق مرسوم، وما تزال مستعملة في بغداد؛ ويقول: «فكانوا يلتمسون منه المساحي وعدة حوائج» (45)، ويعلّق المحقق قائلا: «المساحي مفردها مسحاة وهي أداة يسحى بها كالمجرفة معروفة ببغداد بهذا الاسم» (46)؛ ويقول: «وجئت من غد إلى أبي السائب فكاد يحملني على رأسه» (47)، ويعقّب المحقّق قائلا: «يحملني على رأسه كناية بغدادية عن العناية التامة ولم تزل مستعملة» (48)؛ ويقول: «فقال له من حضر: ويلك ألست من الآدميين، تقتل هذا القتل ويفضي حالك إلى التلف وأنت لا تعترف» (49)، ويعقّب المحقق قائلا: «القتل في اصطلاح البغداديين يراد بن الضرب الموجع، يقول البغدادي: مسكت فلانا وقتلته يعني ضربته ضربا موجعا» (50)، ولعلّ اللفظة بهذه الدلالة أوسع من استعمال البغداديين فهي عامّة؛ ويقول: «كان في جواريّ ببغداد امرأة جميلة مستورة» (51)، ويعلق الدكتور السامرائي قائلا: «كان الأولى أن يعلّق الأستاذ المحقق على «مستورة» وهي من العاميّة البغدادية التي مازالت معروفة في لغة عصرنا هذا» (52)، والمستورة تطلق على المرأة الشريفة ذات السمعة الطيبة؛ ويقول أخيرا: «فقال لي [جدّ هبة اللّه بن المنجم] الذي كتب

---

(37) و(38) المصدر نفسه، 1/ 213: الهامش.
(39) و(40) المصدر نفسه، 2/ 219: الهامش، وينظر 2/ 13 و4/ 195 و6/ 82 و4/ 126.
(41) ينظر المعرّب، ص 159، من تعليقات المحقق.
(42) و(43) النشوار، 5/ 10.
(44) المصدر نفسه، 3/ 205.
(45) و(46) المصدر نفسه، 4/ 30.
(47) المصدر نفسه، 4/ 81.
(48) المصدر نفسه، 4/ 81.
(49) و(50) المصدر نفسه، 4/ 81.
(51) المصدر نفسه، 1/ 338.
(52) مع المصادر، 2/ 184.

الإحصاء : إنّا وجدنا له في جملة قماشه [ابن الجصاص] سبعمائة مزمّلة خيازر»(53)، ويعلّق المحقق قائلا : «المزملة عند البغداديين جرّة أو خابية خضراء في وسطها ثقب مركّب فيه قصبة فضة أو رصاص يشرب منها (. . .) وكلمة المزملة لم تزل شائعة في بغداد، وقد حرّفت فأصبحت مزمبلة، وتطلق على قصبة الحديد أو الرصاص التي ينصبّ منها الماء، والخيازر جمع خيزران»(54)، ويضيف الدكتور السامرائي قائلا : «إنّ المزملة اسم مفعول وسميت بذلك لأنها مغطاة بكساء للحفاظ على البرودة كما هي الحال الآن في بغداد لدى أولئك الذين يبيعون الماء البارد للسابلة وينادون عليه بـ «سبيل». إنّ الفعل «زمّل» معناه «غطّى» ومنه الآية الكريمة : «يا أيها المزمّل»(55).

والشواهد كثيرة جدًّا يصعب حصرها وهي تشير إلى حرص التنوخي على تدوين ما سمعه، وإثباته في الكتاب كما هو قدر الإمكان فقدّم بذلك خدمة جليلة للدرس اللغوي التاريخي لا يمكن الاستغناء عنها، وهو بصدد رصد الثبات والتغيّر الذي وقع للألفاظ والتراكيب على حدّ سواء.

إنّ هذه النظرات التي عالجنا الكتاب بموجبها تضفي عليه طبقات من الأهميّة بحيث تجعله ملاذ المؤرخ واللغوي والباحث الاجتماعي، بالإضافة إلى طرافة الأخبار التي يحفظها بين دفّتيه ممّا يجعل فيه كتابا متفرّدا بين كتب التراث يستحقّ العناية والاهتمام.

وليد محمود خالص
كلية الاداب - جامعة السلطان قابوس بعمان

---

(53) و(54) المصدر نفسه، 1/ 37.
(55) المصدر نفسه، 2/ 184.

جمـــع المدونـــة اللغـويـــة

بيـن القاعـدة والشـــذوذ

بحث : منية الحمامي

إن ثنائية القاعدة والشذوذ هي ثنائية جردها الدرس اللغوي العربي القديم وصاغها النحاة بعد أن استكملوا تقعيدهم للغة العربية واستنباط نظامها الداخلي وضبط منظومة قواعدها وأقيستها. ولا يمكن أن نفهم هذه الثنائية في تعالقها مع الدرس المعجمي والنحوي إلا إذا استكشفنا طبيعة الجهود التي مهدت للتقعيد والتقنين : إذ أن اللغويين العرب لم يتوصلوا إلى هذا الجهد التنظيري إلا بعد عمل وصفي استقرائي انطلق من ملاحظة اللهجات العربية في واقع استعمالها لرصد المطرد من الظواهر فيها، وإرجاع الجزئي إلى كلي جامع. ولكنهم وضعوا لهذا الوصف والاستقراء حدودا وضوابط وقفت به عند بعض اللهجات العربية الفصيحة مكانا، وعند حدود القرن الثاني زمانا. فمنطلق الجهود اللغوية العربية إذن لم يكن استنباط القواعد، ولا تبويب المعطيات اللغوية، وإنما جمع المادة اللغوية من أفواه مستعمليها. وهذا الجمع هو الذي اقتضى تلك الرحلات من اللغويين إلى البادية بحثا عن اللغة الفصيحة، وعن المتكلم النموذج.

إن المادة المجموعة قد خضعت لشروط وضوابط وضعها اللغويون، ولا يمكن أن نفهم هذه الضوابط والمقاييس إلا في ضوء الكشف عن الغاية التي ارتسمها جامعو اللغة لجهودهم. إذ أن ضبط ما يعرف بالمدونة اللغوي (le Corpus) يخضع للغاية التي يحددها اللغوي أو الواصف لعمله. فإذا كان وصف اللغة في الدرس اللساني الحديث يتأسّس على ضبط ما به تحقق وظيفتها المركزية وهي التواصل وتحقيق الفهم والإفهام، فإن ضبط المدونة لا بد أن يراعى فيه هذا المعطى، أي أن تكون المدونة المجموعة ممثلة لشروط التخاطب والتواصل والإبلاغ بين المستعملين. في حين أن منطلقات الوصف عند علماء اللغة العرب، في النحو والمعجم، كانت مختلفة تماما، إذ أن عنايتهم باللغة العربية وجمع مادتها وتدوينها كان الدافع الرئيسي إليها هو حماية النص القرآني الكريم من خطرين :

أ) من اللحن، أي أن يلحن المسلمون في تلاوته فيحرفوا معانيه ومقاصده.

ب) والخطر الثاني هو أن يصبح ألغازا ويستغلق فهمه على الوافدين إلى الدين الإسلامي.

ومن هنا تتحدد غاية الجهد اللغوي في ضبط فصاحة القرآن وضمان بيانه ووضوحه لمتعلميه، وهذه الغاية يصرح بها اللغويون في مصنفاتهم: «إن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة»(1).

لذلك كان من شروط المادة اللغوية المجموعة بالنسبة إلى علماء اللغة أن تكون ممثلة للغة القرآن، وكان على اللغوي أن يعتمد نماذج من اللغة العربية ذات قيمة تمثيلية ليس بالنسبة إلى مختلف أشكال الاستعمال اللغوي المتداولة في عصر التدوين والجمع وإنما بالنسبة إلى الخصائص الأسلوبية والدلالية والتركيبية للنص القرآني، والتي جعلت منه نصا معجزا. بل إن معجزته كانت من جنس ما اشتهر به قوم الرسول: البيان. من هنا نستنتج أن من الغايات الأولى والمقاصد التي حركت عملية الجمع عند اللغويين العرب هي تحصين النص القرآني من الخارج بإيجاد لغة ماوراء لغة النص - بمعنى (un métalangage) - تكون إطارا مرجعيا له يضيئه ويفسر ما استغلق على الفهم من ألفاظه ومعانيه وأساليبه.
واستتباعا لهذا المنطلق أقبل اللغويون على جمع المادة بفكرة مسبقة تتمثل في اعتبار صور الإنجاز اللغوي على ألسنة العرب ليست كلها في نفس المستوى من النقاء والفصاحة. وهي لذلك يجب أن ترتب في مراتب ودرجات وأن تصنف. وهذه الدرجات تضبط بالنسبة إلى القرآن إذ حمايته هي كما أسلفنا الهدف الأساسي من جمع المادة اللغوية وتدوينها. وقد أفضى التصنيف إلى تمييز صنفين من لهجات العرب: صنف لغته لا يشك في فصاحتها وهي النموذج ومصدر الاحتجاج والاستشهاد وصنف آخر لا يُطمأنّ إلى فصاحة لسانه وينبغي لذلك استبعاده وإقصاؤه من دائرة الحُجِّيَة.

وبذلك تراوح أخذهم عن القبائل بين إطلاق الأخذ عن لهجات بعض القبائل ورفض الأخذ عن لهجات بعض آخر. ومعروف أن أول من أحصى القبائل التي اعتمدت في جمع اللغة وتلك التي أخرجت من دائرة الاستشهاد هو أبو نصر الفارابي

(1) ابن جني: الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، 1952-1956 (3 أجزاء)، ج1 ص 245.

في كتابه «الحروف» إذ قال «فتعلّموا (2) لغتهم والفصيح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن اشدّهم توحّشا وجفاء وابعدهم إذعانا وانقيادا، وهم قيس وتميم وأسد وطيء، ثم هذيل. فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب. والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل مصر» (3). على أن ما نقل عن هذه القبائل لم يكن كله مشافهة وسماعا مباشرا من المستعملين بل شمل أيضا مروياتهم عن سابقيهم، وما كانوا قد دونوه وحفظوه عن أسلافهم، فنقله الرواة عنهم.

ما نضيفه بشأن هذه القبائل المعتمدة هو أن الضابط في اختيارها هو أساسا ضابط مكاني جغرافي، إذ روعي فيها موقعها الجغرافي فأفضل المواقع أن تكون وسط الجزيرة بعيدة عن الأطراف، لتكون بذلك في منأى عن الاختلاط بالقبائل الأخرى أو الأمم الأعجمية المجاورة. فبقدر ما تبتعد القبائل في موقعها الجغرفي عن الحدود تتصف لهجتها بالنقاء والفصاحة، وترتقي إلى مرتبة اللهجة «الحجة».

وكان من نتائج التقيد بهذا الضابط أن أهملت لهجات جملة من القبائل العربية، ولم تشمل عملية الوصف والاستقراء التي مارسها اللغويون إلا قسما من استعمال العربية، وليس كل العربية. ومعنى هذا أن هذه المادة التي ستعتمد مدونة لاستنباط القواعد منها هي مادة منقوصة لا تمثل كل العربية.

واختيار اللغويين لهذه القبائل واعتمادها مصدرا لجمع المدونة اللغوية وتصنيفها في درجة واحدة من الفصاحة قد استتبع ظاهرة أخرى هي ظاهرة الجمع والتحصيل للمادة اللغوية، دون تخصيص للنموذج (Le modèle)؛ ذلك أن علماء اللغة رغم ملاحظتهم لكثير من الاختلافات اللهجية بين هذه القبائل التي أخذوا عنها، وتسجيلهم لتلك الاختلافات، اعتبروها كلها حجة. ولم يجوزوا رد «لغة» (بمعنى لهجة) بصاحبتها لانها ليست أحق بذلك من رسيلتها. ولئن كان هذا الحكم مقبولا من وجهة نظر لسانية إذ لا مجال في اللسانيات للحديث عن تفاضل بين الألسنة في مستواها الفصيح أو اللهجي،

(2) يقصد علماء البصرة والكوفة الذين جمعوا اللغة بين سنة 90 و [illegible]هـ.

(3) أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1970، ص 147.

إذ أن مقياس التفاضل الوحيد هو قدرة كل لسان على تأمين وظيفة التواصل بين متكلميه؛ فإن منهج الدراسة والوصف يقتضي التمييز بين المستويات اللغوية وعدم الخلط بين لغة وأخرى في تدوين الرصيد المعجمي وفي التقعيد واستخراج المنظومة الداخلية لقواعد كل لغة. إن ظاهرة اختلاف اللغات واعتبارها مع ذلك «حجة»، تستدعي منا التوقف لمساءلة هذه المصادرة أو المسلّمة التي أخذ بها اللغويون وبنوا عليها وصفهم للغة العربية ووضعهم لقواعدها. ولقد وعى اللغويون كما أسلفنا، بالفوارق اللغوية الموجودة بين اللهجات العربية المعتمدة في التدوين، وتجلت هذه الفوارق في مستوى أصواتها أو صيغ كلماتها أو دلالات مفرداتها، وحتى بعض تراكيبها. لكنهم لم يتساءلوا هل أن هذه اللهجات المختلفة لا تخرج عن أن تكون صورا مختلفة للفصحى، أم إنها لغات قبائل لا علاقة لها بالفصحى بل هي أنظمة مستقلة عنها.

إن من الثابت اليوم، ومن منظور القراءة اللسانية في مقاربتها الزمانية التطورية (Approche diachronique / évolutive)، أنه قد حدث لبس في أذهان اللغويين إزاء هذين الاحتمالين، فما كانوا يعتبرونه «لُغَات» كان في الواقع لهجات،صهرتها فيما بعد لهجة قريش التي كتبت لها الغلبة، لكن اللغويين نظروا إليها على أنها صور مختلفة للغة الفصحى، وكان ذلك هو الأساس المقبول بالنسبة إليهم. فاللهجات في واقعها هي صور الإنجاز الكلامي المتداول في لغة التخاطب اليومي بين المتكلمين العرب بمختلف القبائل التي ينتمون إليها، ولكنهم كانوا إذا ما أرادوا أن يخرجوا اللغة اخراجا إنشائيا إبداعيا، يلجأون إلى تلك اللغة المشتركة بين جميع العرب : لذلك كانت لغة الشعر والخطابة وغيرها من ضروب الإنشاء لغة تكاد تكون موحدة بين القبائل العربية.

وإن خصيصة هذه اللغة المشتركة، أنها تختلف عن لغة التخاطب اليومي في القبيلة. وهي لغة وسطى قد نشأت بفعل جملة ظروف اقتصادية وثقافية قبل الإسلام وزاد الإسلام من انتشارها ورسوخها بفعل العامل الديني العقائدي، وجعلت من لهجة قبيلة عربية هي قريش ترتقي من المستوى اللهجي إلى المستوى الفصيح. فقد تركت هذه اللهجة - بحكم تلك العوامل الاقتصادية التي جعلت من الحجاز القطب الديني الذي يستقطب عرب القبائل الأخرى - الغريب، واقترضت بعض الظواهر من سائر القبائل بفعل ما قام بينها من علاقة تداخل وتأثر وتأثير في إطار ما يعرف اليوم لسانيا بـ «التداخل اللغوي»

(L'interférence linguistique). فقد كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية. وقريش يسمعون لغات العرب. فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به وصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ. وكانت تلك الظروف هي التي هيّأت لبيئة معينة في شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها ثم ازدهارها، والتغلب على اللهجات الأخرى.

إن جملة هذه العوامل قد أفضت إلى وجود مستويين في اللغة العربية: مستوى الفصحى التي تستعمل في إنشاء الشعر والخطابة وسياقات التواصل الرسمية والإبداعية، ومستوى اللهجة المتداولة في لغة التخاطب اليومي. ولكن علماء اللغة لم يميزوا بين هذين المستويين وما يقتضيه كل منهما من ضوابط في وصفه وتقنينه وضبط منظومة قواعده أي من منهج خاص في الدراسة والوصف والاستقراء. وقد كان من نتائج هذا الخلط بين الفصيح واللهجي أنهم اهتموا في دراستهم بمستوى واحد هو مستوى الفصحى. وقد وجه هذا الاهتمام رحلاتهم إلى البادية ومنهج أخذهم عن القبائل العربية، فاعتبروا لهجات البعض صورا مختلفة للفصحى، ولم يناقشوا هذه المسلّمة، أو يتّرلوا هذا الاختلاف في إطاره التاريخي من تطور اللغة العربية، ليدرس من هذه الزاوية مع البحث عن نماذج أخرى تمثّل الفصحى كالنص القرآنيّ والحديث النبوي والشعر العربيّ لاتخاذها مادة لغوية متجانسة تعتمد في استنباط منظومة القواعد للغة العربية الفصحى.

لكن جهود اللغويين كان يحركها دافعٌ رئيسيّ كما أسْلفنا، وهو الذي يفسر هذا الخطأ ويفسر ما وقع فيه الدرس اللغوي من مآخذ منهجية في مرحلة لاحقة. وهذا الدافع هو تحصين النص القرآني من الخارج بإيجاد لغة ما وراء لغته تضيئه، وتفك الالغاز عن ألفاظه ومعانيه. وهذا ما يجعل منظومة القواعد التي جردت من المدّونة اللغوية، قواعد لا تصف كل العربية وإنما تصف عربية أريد لها في نقائها وفصاحتها وخلوها من الظواهر النطقية الشاذة والغريبة، أن تكون حصنا للنص القرآني وإطار مرجعيا له.

ولكن هذه المدونة المعتمدة نفسها مع ما اقتضته من إقصاء لأغلب اللهجات العربية لم تكن مادة متجانسة، وإنما كانت مادة متباينة مختلفة باختلاف البيئات المستعملة فيها، ولكن ذلك لم يمنع اللغويين من إقرار الحُجّيّة لجميع هذه اللهجات والتسليم بأنها مع اختلافها كلّها حُجّة. وهو تسليم مطلق وصريح مثّل المخرج بالنسبة إليهم أمام عدم

تجانس هذه المادة اللغـوية المتعددة البـيئات والمسـتويات، ممّا أفضى في النحـو مثلا إلى كـثرة التـفريعـات على القواعـد العـامة، وتصنيف الظواهر التـي تستـعصي على الانضـواء تحت القاعدة العامة، إلى شاذة أو نادرة.

فإذا كـانت الظواهر المطردة، - أي الكثـيرة المسـترسلة نصـا وقاعـدة،وهي الظواهر المستعـملة والتي تدعمها القاعـدة، وتدعمها النصوص - مـوضع اتفاق،فإن الظواهر التي لم تلاحظ في الاستعمال أو النص ولم تدعمها القاعدة بل كانت تتناقض معها، هي ظواهر مردودة ومرفـوضة عند علماء اللغة. وقـد صاغوا لها مصطلح «الـشاذ». يقول ابن جنى «جعـل أهل علم العرب مـا استـمر من الكلام في الإعـرب وغيـره من مواضع الصنـاعة مطردا، وجعلوا مـا فارق ما عليـه بقية بـابه وانفرد عن ذلك إلى غيـره شاذا، حمـلا لهذين الموضعين على أحكام غيرهما» (+).

إن هذا التصنيف لكلام العرب إلى ثنائيـة (مطرد وشاذ) يتخللهـا صنف ثالث هو القليل، هو تصنيف نظري وغيـر دقيق، إذ لم يحدد كمّا واضـحا، للكثرة أو الاطراد، إذا بلغـته النصوص صـارت مطردة أو كثـيرة، وإذا نقـصت عنه عدت قليلة وإذا لم تبـلغه اعتبـرت شاذة، وهو غير دقـيق، لأنه يعرف المطرد بأنه «ما اسـتمر وتتابع» والشـاذ بأنّه «ما خالفه»،ولا يضبط الحدود الفاصلة بين الاطراد والشذوذ.

على أن الانطلاق من رصد الظواهـر المطردة، وإن كان منهجا سـليما لأن صيـاغة أحكام أو قـواعد عـامة تنسـحب على أغلب الظواهر، ينبـغي أن يسبق بمنهج استـقرائيّ للوقوف على الظواهر الشائعـة المطردة، ورصد ما بينها من قواسم مشتـركة وإرجاع الجزئي فيها إلى كلي جامع وتجريد القانون العام الذي يحكمهـا وجعله منسجما على ما شابهها من الظواهر، لا يتـغيـر في مواجـهة ظواهر قلـيلة أو نادرة. إن السمـاع كآلية من آليات جـمع المدونة، وكـمنهج مهّد لاستـنباط القـواعد كـانت بدايته الأولـى أخذا مـباشـرا عن المتكلم المستعمل، ولـكنه تحول تدريجـيا إلى آلـية للرواية أي لم تعد الصلـة مباشـرة بين الراوي والمتكلم بل توسطت بينهـما سلسلـة الأسانيد (الرواة)، ولا بدّ مـع كل راوية من أن تتغـيّر بعض المعطيات في المادة المنقولة، لأن هذه المرويات هي مسـموعات الجيل السـابق. وقد كان الانتقال من الأخذ المباشر للمادة اللغوية إلى الأخذ عن وسطاء هو المسلك الذي تدرج

(+) ابن جني : الخصائص، ج ١، ص ٩٧،

عبره اللغويون إلى استبدال أصل السماع بأصل آخر هو أصل القياس، وبذلك وقع القطع مع المصدر الرئيسي للغة والذي كان يمد الواضعين بمادة حية متغيرة ومتطورة : هو المستعمل، واستبداله بمصدر بديل هو النص أو المتن، ووقع التحول من اعتماد قياس النصوص إلى قياس التعليل.

إن آلية السماع مكنت اللغويين من الاعتماد على الاستعمال، لتجريد المعيار واستنباط القاعدة النظرية، لأن القاعدة النظرية باعتبارها تضبط حالات الاطراد، لا يمكن أن تستنبط دون أن تستند على الإنجاز العيني للظاهرة اللغوية أي على الحدث الكلامي، كما يمارسه المستعملون للغة. كما أن السماع قد وفّر مادة لغوية ضخمة، إذ كانت غايته في البداية هي جمع أكبر كمّ ممكن من المادة وتحصيله، ومن هنا نفهم غزارة التأليف المعجمي في القرون الأولى، وقد أفضى إلى ظهور معاجم مخصّصة، كمعاجم «الإبل» أو «الخيل»...

إن السماع كما اقتضى من اللغويين التعامل المباشر مع الناطقين المستعملين للغة، ورصد الظواهر المطردة العامة، وتمييزها عن القليلة والنادرة، قد أتاح لهم التوسل بالمنهج الاستقرائي الوصفي في جمع المدونة اللغوية من أفواه مستعمليها، وقد ميزوا في المدونة المجموعة بين ما يتصل بالمفردات أي بالرصيد المعجمي للغة العربية وهو في اصطلاحهم يؤخذ بالوضع والتلقين، وما يتصل بائتلاف المفردات والكلمات مع بعضها ويؤخذ بالقياس أي المستوى التركيبي النسقي : « لكن القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين : أحدهما مالا بد من تقبله كهيئته، لا بوصية فيه ولا تنبيه عليه، نحو حجر ودار (...) ومنه ما وجدوه يتدارك بالقياس، وتخف الكلفة في علمه على الناس فقننوه وفصّلوه إذ قدروا على تداركه»(6).

إن هذا الشاهد من الخصائص يكشف عن تفطن العرب منذ بداية تحصيلهم للمدونة اللغوية إلى وجود مستويين في النظام اللغوي للغة العربية : مستوى غير محدود أو هو منفتح وهو **المعجم**، وهو يكتسب مع اكتساب المتكلم المستعمل للغته داخل بيئته اللغوية الأم، ومستوى ثان يمكن ضبطه في قواعد لأنه مغلق أو محدود وهو التركيب أو النظام النحوي للغة العربية، وهو الذي يوفر للمتكلم جهد سماع كل الاستعمالات

(6) نفسه، ج2، ص 42.

اللغوية، إذ باستيعابه لعدد محدود من قواعد لغته، يمكنه أن ينتج ما لا نهاية له من الجمل التي تقتضيها حاجات التواصل المتجددة ويمكنه أن يفهم كذلك من الجمل ما لم يسبق له أن استمع إليه. ولذلك ميز اللغويون في النظام اللغوي بين ما يؤخذ سماعا وهو **اللغة** في اصطلاحهم أي **المعجم** (Le lexique)، وما يؤخذ قياسا وهو النحو أو التركيب : (La syntaxe)، وقد قال بعضهم : «إنما النحو قياس يتبع» (ابن الأنباري). إلا أن هذا التمييز لم يحجب عن اللغويين جانبا من النسقية (L'aspect systématique) يخضع له المعجم أيضا ويتصل ببنية الكلمة العربية ومختلف الصيغ التي تحكمها وهو ما يتصل بأهم خصيصة من خصائص اللغة العربية ونعني بها الاشتقاق بصنفيه الأصغر والأكبر كما استنه ابن جني وضبطه في خصائصه. وهذا ما يجعل بالإمكان إخضاع جزء من اللغة لآلية القياس : «إنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف نحو قولهم إن المصدر من الماضي إذا كان على وزن «أفعل» يكون «مُفْعَلا» بضمّ الميم وفتح العين نحو : «أدخلته مُدْخَلاً. ولو أردت المصدر من «أكْرمْتُه» على هذا الحد لقلت «مكْرَمًا»، قياسا ولم تحتج فيه إلى السماع، وقد كان ينبغي أن يقدم هذا العلم على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها، من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركّب، ينبغي أن تكون مقدمةً على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب» (6).

إن هذا الوعي الذي وجد عند اللغويين - بانتظام بنية الكلمة العربية، وخضوعها لنسق يمكن ضبطه وتقنينه والقياس عليه - هو الذي تأسست عليه جهودهم الأولى في التأليف المعجمي؛ فقد فتح بَابَهُ الخليل في معجمه «العين»، وكان المدخل الرئيسي إلى مادته المعجمية التقليبات الصرفية التي تطرأ على بنية الكلمة أو صيغتها والتي تولد دلالات جديدة تربطها صلة رحم بالدلالة الأولى للجذر، وبذلك كان كل مدخل معجمي إنما هو مشروع مفتوح لإمكانيات نظرية يمكن توليدها واشتقاقها من الجذر الواحد، دون أن تدخل كلها مجال الإنجاز الفعلي أو الاستعمال اللغوي عند المتكلم.

إن هذه الدلالات الكامنة في بنية الكلمة الواحدة هي التي تتيح للمتكلم توظيفها في سياقات التواصل المختلفة التي تقتضي استعمالات لغوية لامتناهية ولكن رصيدها

(6) ابن عصفور الإشبيلي : الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط. 4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ج1، ص ص 30-31.

اللغوي متناه، لأنه ليس بوسع المستعمل المتكلم أن يحيط بكل الإمكانيات النظرية التي يمكن توليدها من الجذور في معجم لغته، ولكنه باستيعابه لقوانين تقليبها واشتقاقها يمكنه أن يولّد من عدد محدود من الكلمات عددا لا متناهيا من الصيغ المشتقة منها بما يسد حاجات التبليغ : «إن ما كان من الكلام على فَعْلٍ فتكسيره على أَفْعُلٍ كَكَلْبٍ وأَكْلُبٍ وكعب وأكعُب، وفَرْخٍ وأفْرُخٍ، وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسيره في القلة على أفعال نحو جَبَلٍ وأجْبَال وَعُنُقٍ وأَعْنَاقٍ وإبِلٍ وآبال وعَجُزٍ وأعْجَاز. فليت شعري هل قالوا هذا ليعرف وحده، أو ليعرف هو ويقاسُ عليه غيره، ألا تراك لو لم تسمع تكسير واحد من هذه الأمثلة بل سمعته منفردا أكنت تحتشم من تكسيره على ما كسّر عليه نظيره ؟ لا بل كنت تحمله عليه للوصية التي تقدمت لك في بابه وذلك كأن تحتاج إلى تكسير الرجز الذي هو العذاب فكنت قائلا لا محالة : أرْجازٌ، قياسا على أحمال وإن لم تسمع أرجازا في هذا المعنى (. . .) ولا تحتاج أن تتوقف إلى أن تسمعه، لأنه لو كان كذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وعمل بها المتأخرون معنى يفاد» (7).

وإن هذا المنهج الاستقرائي الوصفي يوفر جهدا كبيرا كان من الممكن أن يبذل في ملاحظة الظواهر الغريبة أو النادرة أو الشاذة وهو الذي أفضى إلى ظهور ما يعرف بالقياس الاستقرائي أو قياس النصوص وهو قياس يستند إلى مدى اطّراد الظاهرة في النصوص اللغوية المعتمدة مروية كانت أو مسموعة. ويعتبر ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها ورفض ما شذ عنها من نصوص تثبت هذه الظواهر مهما كان مصدرها.

وهذا النوع الأول الذي مارسه النحاة يفيد المتكلم والمستعمل بما يقدمه له من كشف عن القواعد المطردة، وبهذا يمكنه من أن يتمثل المقاييس العامة التي يستند إليها في كل حدث لغوي أو فعل كلامي.

وإن المنهج الاستقرائي للقياس في المراحل الأولى للبحث اللغوي قد اقتضى من اللغويين :

أ) تحديد معنى الاطراد، والمسالك التي تنتهج لاستكشاف المطرد من غير المطرد.

ب) صياغة الظواهر العامة المطردة في قواعد جامعة كلية لا تقبل النقض أو الخروج عنها. وقد توسعوا في التقعيد نتيجة عاملين اثنين :

(7) ابن جني : الخصائص، ج2، ص ص 40-42.

1) العامل الأول : استخدام التأويل لتعديل ما يخالف القواعد الموضوعة من النصوص.

2) الثاني : تطور مفهوم الاطراد الذي لم يعد يحيل إلى ما هو شائع وتتضافر كل النصوص على تأكيده، وإنما إلى ما يوجد «غالبا» في «كثير» من النصوص.

إن قياس النصوص كان يستند إلى تتبع اطراد الظواهر وشيوعها ثم تطور ليحيل إلى تلك العملية الذهنية التي يتم فيها إلحاق بعض الظواهر أو النصوص ببعضها، فهو حمل لنصوص على نصوص أو لأحكام على أحكام أخرى. وما يقاس في النصوص هو :

أ) الصيغ : إذ تلحق الصيغ غير المنقولة بالصيغ والأقيسة المنقولة وتعامل معاملة ما تلحق به أي الأصل. فما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

ب) قياس الظواهر أو الأحكام : وهو قياس على القواعد لا على النصوص.

وقد ميز اللغويون والنحاة خاصة بين أصناف أربعة من القياس :

1) قياس الكثير المطرد على المطرد ؛

2) قياس المجهول على المطرد ؛

3) قياس المعروف على المشكوك في ثبوته؛

4) قياس المشكوك فيه على المشكوك فيه.

إن الأخذ بهذا القياس الشكلي المنطقي قد أفضى إلى طرد اللغويين لأحكامهم وتعميمها ورفضهم لما ناقضها حتى وإن كان من المرويات أو المسموع في لغة التداول في بعض اللهجات. ومن هنا ظهرت في النحو مقولة «الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه»، ولكن ما غاب عن أذهان النحاة العرب هو أن ما نعت بالشاذ أو النادر وغير المطرد من ظواهر لغوية، قد يكون صور إنجاز لغوي لإحدى اللهجات العربية التي أقصيت من دائرة الحجية ولم تعتمد في الاستشهاد بها زمن جمع المدونة اللغوية. وهذا ما جعل الدرس النحوي بعد أن مارس في مراحله الأولى منهجا استقرائيا وصفيا سليما، مبحثا معياريا تقعيديا : سلط المعيار حكما على الاستعمال بعد أن اشتق منه، وجرده من مختلف صوره وإنجازاته العينية.

وانطلاقا من هذه الحقيقة فإن تاريخ الدرس النحوي اتسم بالصفوية نسبة إلى مبدإ المحافظة على صفاء اللغة. إذ أن النحاة اعتبروا كل تغيير يطرأ على قواعد اللغة التي جردوها واستنبطوها من الاستعمال إنما هو فساد وخلل يصيب إطلاق قوانينها، وهو

شـذوذ لا بد من مقـاومتـه؛ وهو ما يفـسر كـيف تولد عن النظرة الصـفوية مـبدأ المقـاييس التقنينية التي تنطلق من الموقف الزجري لتتخذ من المعيار حق زجر الاستعمال وردع ظواهر التغيير فيه(8). وبهذا التـقدير ينعت الدرس اللغوي العربي النحـوي والمعجمي بأنه مـعياري (Grammaire Normative) إذ تأسسـت فيه تصـورات لطبيـعة الظاهرة اللغـوية على إعطاء الأولوية أو الغلبـة لـ «القـانون» و«القـاعـدة» و«النمط» و«الـسنن» و«المعـيار» فـي علاقـتـهـا بالاستعمال أو بما يشذ من الاستعمال عن هذه المستويات النمطية.

إن هذه البـدائل والمترادفات تختـزل في ثنائيـة المعيار والاسـتـعمـال وهي الثنائيـة المتحكمـة في الفكر اللغوي التـقعـيدي. وإذ نتَنَاولها فـإنّما نتَنَاولهـا من موقع اللسـانيات أي موقع وجهة نظر علم له سننه واستقلاله المعرفي وهو علم لا ينفي علم النحو ولا ينقضه، وإنما يختـلف عنه في مـقـاربتـه لنفس الموضـوع وهو الـلغـة. فـفي حين يرضـخ النحـو الاستعمـال للمعيار، فإن اللسانيات تقر لـلاستعمال بحق مراجعة المعـيار أو القاعدة. وذلك أن المعيار مرتبط عضويا بالاستعمال وأن الاستـعمال مرجعه المعيار بالضرورة. وليس الفصل إلا فصلا منهـجيا. هذه الإشكالية أو هذا التعـالق بين طرفي الثنائية يضعنا أمام القـضية الأم وهي أصل الوصف اللغوي أو منشأ وصف اللسان الطبيعي بدءا. إذ أن عـملية الوصف هي التي تجعلنا نواجه في الزمن التـقديري أو الافـتراضي وجهـي العملة الواحـدة (الوجه المعياري / الوجه الاستعمالي). فكل لسان طبـيعي هو سابق في وجوده لعملية وصفه، إذ وجود الشئ سـابق لعلم الشئ. وليس من لسان طبـيعي إلا وهو قابل للوصـف وللعقلنة أي أن يعقله الفكر البشري ويستنبط بنيته الداخلية.

وهذان المعطيان : تضمن اللغة لنظام داخلي قابل للعقـلنة من جهة واستعداد العقل لاستنباط النظام المعقلن للغة يتضافران على تحويل ثنـائية القاعدة والاستعمال إلى انصهار في عملية الوصف.

فالسابق مع الحاضـر: أي الاستعمال من حيث هو سـابق في الوجود لعلمه وهو النحـو يفضي إلى خـروج المعيار من الاسـتعمال، وبذلـك تتحول الـلغة إلى أداة واصـفة للغـة، وينبني النحـو على افتـراض لحظة زمنـية هي لحظة تقديرية باعـتـباره يفـترض فـيهـا مستنبط القاعدة أن الاستعمال الـلغوي قد توقف عن الحركة فيثبت بالوصف وتلك اللحظة

(8) عبد السلام المسدي : اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص ص 20-25.

الزمنية هي في تقدير النحاة القرن الرابع الهجري.

آنيا : البعد الآني : Synchronique في هذه اللحظة يكون المعيار أو القاعدة صورة أمينة للاستعمال وبهذا تقتضي تلك اللحظة الآنية إذعان المعيار للاستعمال والمعيار الذي يتأسس كحركة مضادة للإستعمال أي للتغير والتحول عبر الزمن، وبهذا يتحول النحو من علم وصفي إلى علم معياري يؤكد قانون ما يجب، ويتضمن الإقرار بأنه تقنين أو تقعيد مخالف لما هو بالفعل أو صائر بالقوة في اللغة الموصوفة.

وبهذا تتمايز اللسانيات عن الموقف المعياري إذ تدعو إلى أن يراجع النحو قواعده وأحكامه بحسب حركة الاستعمال، وبذلك نفهم كيف أن اللسانيات هي إقرار للنحو وتجاوز له في نفس الوقت، إذ تتضافر فيها الأبعاد الثلاثة التالية :

(1) البعد النشوئي : أصل الوصف اللغوي؛

(2) البعد الآني : بناء النحو ؛

(3) البعد الزماني : إطلاق القاعدة وسلطة المعيار النحوي.

إن الحقيقة التي بها نختم والتي تستند إلى أن وجود الشئ سابق لعلمه وبنوع من المقايسة نقول إن اللغة العربية قديما أو حديثا توجد مستقلة عن النحو الذي يصفها ويعقلن بنيتها ونظامها الداخلي ويستنبط قواعدها.

استتباعا لهذه المسلمة لاينتظر من أي نحو أو أي وصف لساني قديم أو حديث أن يصف اللغة العربية بما لا يدع مجالا للحاجة إلى وصفها مرة ثانية. ومهما كانت قيمة النحو الذي وضعه القدماء والجهد التقعيدي الذي مارسوه، فإن هناك حاجة إلى إعادة بناء أنحاء أخرى أي آلات أخرى تصف معطيات أخرى وتتنبأ بها، إضافة إلى أنها لا تحمل نفس الجهاز المفاهيمي أو النظري الذي استند إليه النحو العربي. وهي أنحاء بديلة لنسق قواعد القدماء من شأنها أن تمكننا من معرفة معطيات اللغة العربية الحديثة كما تمكننا من معرفة معطيات اللغة العربية القديمة والتثبت من المعطيات التي ضبطها النحاة العرب هل هي معطيات فعلية أم لا.

فإذا كان النحاة العرب قد حددوا ضوابط في اختيارهم للمعطيات اللغوية المعتمدة في الوصف، مما جعل هذه المعطيات غير تمثيلية بالنسبة إلى وصفهم وإلى مختلف صور الاستعمال اللغوي، فإنّهم مع ذلك قد صرحوا بأن ما يقدمونه من أمثلة تتنزّل منزلتين مختلفتين :

(1) بعضه من «كلام العرب» أي أخذ عن الأعراب وسمع عنهم.

(2) بينما البعض الآخر «تمثيل ولا يتكلم به» أي يؤتى به للتعليل دون أن يكون معطًى لغويًا في الاستعمال حقيقيا، وهو ما يجعل من هذه المعطيات اللغوية التي اعتمدها القدماء - إلى جانب كونها ناقصة أو غير ذات قيمة تمثيلية - معطيات زائفة أو موضوعة في بعض الأحيان أي من وضع النحوي الواصف.

وطبيعة اللغة الموصوفة هي التي أفضت إلى المأزق المنهجي في معالجتها، وقد جعل من النحو العربي نحوا لا يُقعِّد لكل العربية وإنما يقعّد لجزء منها.

منيـــة الحمامـي
كليـــة الآداب بمنوبـــة - تونـــس

ينطلق ابن فارس من منطلقات جعلها أساسا وركائز لصنعته المعجميّة، إذ يجعل هذا العمل قربة، وأنه إنما يعنى بشيء من علوم الشريعة التي ترفع صاحبها، وتكتب له الأجر والمثوبة عند الله.

فابن فارس في «الصاحبي» يرى أن اللّغة العربية : أصلها وفرعها، بل سائر علومها من خطّ، ونحو، وصرف، وعروض، ودلالة، توقيفٌ من عند ربّ العالمين، وقّف عليها أنبياءه نبيًا نبيًا، حتّى انتهى الأمر إلى نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وسلم) (1).

وقد كان لهذه النظرة أثر في عمل ابن فارس اللّغويّ والمعجميّ خاصة، إذ حرص على الثابت المسموع رواية، واطّرح ما غلب على ظنه نحلُه، حتّى قال : «فإن تعمّل اليوم لذلك متعمّل، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويردّه» (2) ، وحتى قال : «ولقد بلغنا عن أبي الأسود أن أمرأ كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود، فسأله أبو الأسود عنه، فقال : هذه لغة لم تبلغك، فقال له : يا ابن أخي، إنّه لا خير لك فيما لم يبلغني، فعرّفه بلطف أن الذي تكلم به مختَلَق» (3).

وهذا جعله يعتقد أن العربية أفضل اللغات وأوسعها، وقارنها بما يعرفه من لغات العجم في وقته. كما اعتقد أنّ لغة العرب لا يحيط بها غير نبيّ، وقد تابع في ذلك الشافعي في الرسالة (4).

وتحدّث في كتابه عن أوجه اختلاف لغات العرب (5)، وأنّ هذه اللغات متفاوتة في درجات الفصاحة، بل إنّ بعض اللّغات لم يتورع ابن فارس من نعتها بالذم، بعد أن جعل قريشا افصح العرب، وبالافصح نزل القرآن إجمالا، وإن وردت فيه كلمات من لغات قبائل أخرى (6).

هذا الاعتقاد هو الذي جعل ابن فارس يتشدّد في رواية اللّغة، حتى حصر مأخذها في ثلاث طرائق :

---

(1) أحمد بن فارس : الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر نشر عيسى الحلبي، القاهرة 6- 15.
(2) السابق ص 8.
(3) السابق ص 8 ؛ وانظر الخبر عند أبي الطيّب اللغويّ (ت 351 هـ/ 962م) في مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 27.
(4) انظر الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ / 820م) : الرسالة، تحقيق أحمد شاكر القاهرة، ص 42.
(5) ابن فارس : الصاحبي، ص 28 وما بعدها.
(6) السابق، 27-47.

1 - أن تؤخذ اعتيادا كالصبيّ العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات.

2 - أن تؤخذ تلقينا من ملقّن.

3 - أن تؤخذ سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويتّقى كلام المظنون... قال الخليل: «إنّ النحارير ربّما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللّبس والتعنيت»(7).

ثمّ قال ابن فارس: «فليتحرّ آخذ اللّغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة، والصّدق، والعدالة، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا، والله (جل ثناؤه) نستهدي التوفيق، وإليه نرغب في إرشاد لسبل الصدق»(8).

وجعل ابن فارس اللّغة حجّة فيما تصلح فيه للاحتجاج(9). وجعل العلم بها واجبا على كلّ متعلق من العلم بالقرآن والسنّة والفتيا بسبب، حتى لا غناء باحد منهم عنه، وفسّر هذا الواجب بانه علم أصول اللّغة، والسّنن التي بأكثرها نزل القرآن، وجاءت السنّة، فأما أن يكلّف القارئ أو الفقيه أو المحدّث معرفة أوصاف الابل، وأسماء السباع، ونعوت الأسلحة، وما قالته العرب في الفلوات والفيافي، وما جاء عنهم من شواذ الأبنية، وغرائب التصريف. فلا»(10).

وهذا نصّ عزيز، بإمكانه أن يضيء لنا الطريق كي نعرف ما يريد ابن فارس تقديمه للقارئ العربي في عمله المعجميّ، إنّه لا يرى ضرورة إلى الإحاطة بغرائب الألفاظ، وشواذّ الأبنية، ويرى أن تتجه العناية إلى ما هو أكثر دورانا واستعمالا في لسان العرب ولغتهم، خاصّة لغة القرآن والسنّة والكلام العالي من شعر ونثر.

إذا رجعنا إلى مؤلفات ابن فارس اللّغوية وجدنا فيها «كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين» وكتاب «مقدمة في النحو»، وهما كتابان يشيان باقتصار الدارس على ما يحتاج إليه ضرورة. كما نجد «متخيّر الألفاظ» وقد قال في مقدمته: «وإنّما نحلته هذا الاسم لما أودعته من محاسن كلام العرب، ومستعذب ألفاظها، وكريم خطابها، منظوم ذلك

---

(7) السابق، ص 48.

(8) السابق، ص 48.

(9) انظر السابق، ص 49.

(10) السابق، ص 50.

ومنثوره، ولم آل جهدا في الانتقاء، والانتخاب والتخيّر، وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام، وآثر الاختصاص بجيده، أو شاعر سلك المسلك الأوسط، مرتفعا عن الدون المسترذل، ونازلا عن الحوشيّ المستغرب، وذلك أنّ الكلام ثلاثة أضرب : ضرب يشترك فيه العلية والدون، وذلك أدنى منازل القول، وضرب هو الوحشيّ، كان طباع قوم، فذهب بذهابهم، وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأوّل، ولا ارتفع ارتفاع الثاني، وهو أحسن الثلاثة في السّماع، وألذّها على الأفواه، وأزينها في الخطابة، وأعذبها في القريض، وأدلّها على معرفة من يختارها» (11).

ثمّ قال : «فليعلم قارئه أنّه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه، ولمن يجود تمييزه واختياره، فأمّا من سواه فسواء هذا عنده وغيره، ونعوذ بالله من كلال الحد، وبلادة الطبع، وسوء النظر. وليعلم أنّ أوّل ما يجب على الكاتب أو الشاعر اجتباء السهل من الخطاب، واجتناب الوعر منه، والأنس بأنيسه، والتوحش من وحشيّه، فهذا زمان ذلك، ولن يتسنم أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ المغلق، والتّطلب للخطاب المستغرَب، وقد تحريت في هذا الكتاب الإيماء إلى طرق الخطابة، وآثرت فيه الاختصار، وتنكبت الإطالة» (12).

و«المجمل في اللّغة» كما يدلّ عليه عنوانه، ألّفه ليتلافى أمورا تقع حين نتعامل مع المعجم، ونرجع إليه طلبا لكلمة، أو بحثا عن معناها. قال ابن فارس : «إنّي لما شاهدت كتاب العين الذي صنفه الخليل بن أحمد، ووعورة ألفاظه، وشدّة الوصول إلى استخراج أبوابه، وقصْدَه إلى ما كان يطلع عليه أهل زمانه، الذين جبلوا على المعرفة، ولم يتصعّب عليهم وعورة الألفاظ، ورأيت كتاب الجمهرة الذي صنّفه أبو بكر بن دريد، وقد وفّى بما جمعه الخليل وزاد عليه؛ لانه قصد إلى تكثير الألفاظ، وأراد إظهار قدرته، وأن يُعْلِمَ الناظرين في كتابه أنّه قد ظفر بما سقط عن المتقدمين...» (13) إلى أن قال : «فإنّك لمّا أعلمتني رغبتك في الأدب، ومحبّتك لعرفان كلام العرب، وأنّك شاممت الأصول الكبار، فراعك ما أبصرته عن بعد تناولها، وكثرة أبوابها، وتشعب سبلها، وخشيت أن يلفتك ذلك عن مرادك، وسألتني جمع كتاب في ذلك، يذلّل صعبه، ويسهّل عليك

(11) أحمد بن فارس : متخيَّر الألفاظ، تحقيق هلال ناجي بغداد، سنة 1390 هـ / 1970م ص 43.
(12) السابق، ص 44.
(13) أحمد بن فارس : مجمل اللّغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، 1404 هـ/1984م، ص 75.

وعره، أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام قريب، يقلّ لفظه، وتكثر فوائده، ويبلغ بك طرفا ممّا أنت ملتمسه، وسميته مجمل اللّغة؛ لأني أجملت الكلام فيه إجمالا، ولم أكثره بالشواهد والتعاريف؛ إرادة الإيجاز، فمن مرافقه قُرْبُ ما بين طرفيه، وصغر حجمه، ومنها حسن ترتيبه، وفي ذلك توطئة سبيل مذاكرة اللّغة، ومنها أَمَنَةُ قارئه المتدبّر له من التصحيف»[14].

2 - في الغاية التعليميّة من التأليف المعجميّ :

ونحن - على هذا - نستطيع أن نقف على غاية ابن فارس من تأليف معاجمه الثلاثة؛ إذ تصبّ كلّها في غاية واحدة، وقصد واحد، هو الجانب التعليمي، وما يصحبه من تيسير في المادة، والوصول إليها، وما يصحبه من اختيار لما يحتاجه من هو في هذا الوضع، وهذه المكانة.

فـ «متخيّر الألفاظ» سلك فيه طريق اختيار الألفاظ السّهلة العذبة الفصيحة، وطراح الغريب النادر، والشاذ الشارد، وما يحتاج فهمه إلى شيء من المعاناة وتقليب وجوه القول، وكأنّه يقرّب لناشئة الأدب طبقا شهيّا، يختارون منه ما طاب وحسن من المفردات والتراكيب؛ ليدخلوها فيما ينشئون من أدب، شعرا كان أو نثرا، كتابة أو خطابة، وسلك بذلك مسلك المعاجم التي تعنى بالموضوعات، وهي طريقة تفيد في جوانب أكثر ممّا تفيده طريقة المعاجم اللّفظية، ولم يسلك مسلك التكثّر من الألفاظ، والعناية بالغريب، وتجريد الألفاظ، وإنّما اقتصر على نمط خاصّ يفيد في النّواحي العمليّة، من خلال الاستعمال والتركيب.

وأمّا «مجمل اللّغة» فقد سلك طريقا لاحبا متلبّبًا لتسهيل الوقوع على المادة اللغوية حين تطلب، بعد أن شعر ابن فارس وغيره من أهل اللّغة بصعوبة البحث في كتاب «العين» وما شبهه كـ «الجمهرة» فأخذ على نفسه عهدا بتقريب مادته، وتيسير الانتفاع من خلال طريقته في الترتيب على الحروف الهجائيّة، واقتصار مداخل المعجم على الجذور اللّغويّة بعد تجريد الكلم من الزّوائد غالبا، وهذه أيسر طريق على من يجيد تصريف الكلم، ويتقن قواعد الصّرف العربيّ، وطرائق ردّ الكلم إلى أصوله، وهو بهذه الطريقة تلافى ما يلاقيه الباحث في المعجم من عنت حين يهمّ بالرجوع إلى كتاب «العين»، وما

---

(14) السابق، ص 75-76.

كان على طريقته أو شابهه من المعاجم الّتي تتشاغل بالمهمل والمستعمل، حتّى يضلّ الباحث في متاهات التقليبات.

وقد سلك ابن فارس في ترتيب معجميه «المجمل» «والمقاييس» طريقا واحدة، واتّخذ الترتيب الألفبائي لحروف الكلمة : الأوّل، والثني، والثالث، ولم يراع الحرف الثاني، كما فعل الزمخشريّ في «الأساس» والفيّومي في «المصباح»، وانّما راعى الحرف الثاني بطريقة خاصّة، لم يُسبقْ إليها؛ إذ جعل الحرف الثاني هو الحرف الّذي يلي الحرف الأوّل في ترتيب حروف الهجاء، ثمّ يليه الحرفُ الّذي بعده، وهكذا حتّى يصل إلى الحرف الذي هو الحرف الأوّل من الكلمة، فينتهي الباب. ويفعل في الحرف الثالث ما فعله في الثاني في الأبواب، فنزّله من الثاني منزلة الثاني من الأوّل. ويمكن التمثيل لهذه الطريقة بما ورد في «كتاب الجيم» من «المجْمَل» فقد بدأه بـ «باب ما جاء من كلام العرب أوّله جيمٌ في المضاعف والمطابق» : جح، جخ، جد، جذ، جر، جز ، جس، جش، جص، جض، جظ، جع، جف، جل، جن، جه، جو، جي، جب، جت. ثمّ انتقل إلى الثلاثي فبدأ بباب الجيم والحاء وما يثلثهما : جحد، جحر، جحش، جحظ، جحف، جحل، جحم، جحن. ثمّ انتقل إلى باب الجيم والخاء، وما يثلثهما : جخر، جخف، جخو، جخب. ثمّ انتقل إلى باب الجيم والدّال وما يثلثهما : جدر، جدس، جدع، جدف، جدل، جدم . . . الخ.

فلمّا فرغ من الثنائيّ والثلاثيّ انتقل إلى باب ما جاءَ من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوّله جيم، فأورد كلماته غير مرتّبة (15).

وهذه الطريقة هي عينها التي سلكها في كتابه «مقاييس اللّغة».

وقد فكّر ابن فارس بتقريب الثابت الصحيح من اللغة عن طريق النظر في ألفاظها، وما يتركب من حروفها، يدرك ذلك من مقدمة كتاب «الجيم» من المجمل؛ إذ فيها : «هذا كتاب الجيم من مجمل اللّغة قد ذكرنا فيه الواضح من كلام العرب والصحيح منه دون الوحشيّ المستنكر، ولم نأل في اجتناء المشهور الدّالّ على غريب آية، أو تفسير حديث، أو شعر، والمتوخّى في كتابنا هذا من أوّله إلى آخره التقريب والإبانة عمّا ائتلف من حروف اللّغة، فكان كلاما، وذكر ما صحّ من ذلك سماعا، أو من كتاب لا يشك في صحة

(15) يلاحظ أنّ ابن فارس أسقط بعض المواد، وهي المواد التي لا تثبت لديه، أوله فيها وجهة نظر.

نسبه؛ لأنّ من علم أنّ الله (جلّ ذكره) عند مقال كلّ قائل فهو حريّ بالتحرّج من تطويل المؤلّفات وتكثيرها بمستنكر الأقاويل، وشنيع الحكايات، وبنّيات الطريق، فقد كان يقال: «من تتّبع غرائب الأحاديث كُذِّبَ، ونحن نعوذ بالله من ذلك، وإيّاه نسأل التوفيق للصّدق، وإليه نرغب في الصلاة على محمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين)»[16].

إنّ هذه المقدمة خصّ بها ابن فارس كتاب «الجيم» من «المجمل» ولم يضع لأبواب الكتاب الأخرى كهذه المقدّمة، إلا ما كان في كتاب «الحاء» من قوله: «هذا كتاب الحاء من «مجمل اللّغة»، والحاء حرف من حروف الحلق يأتلف في المضاعف والمطابق مع الحروف كلّها إلاّ مع الّتي تقاربه، فلا يكون بعد الحاء حاء ولا عين ولا خاء ولا غين، ولا هاء، وقد فسّرنا ذلك كلّه، وإلى الله في التوفيق نرغب، وصلى الله وسلّم على محمد وآله»[17]. وإلاّ قوله في كتاب الهاء: «هذا كتاب الهاء من «مجمل اللغة»، والهاء حرف من حروف الحلق، كثير في كلام العرب، وقد ذكرنا ما جاء من مضاعف كلامهم، ومطابقه، وثلاثيّه، وما زاد على الثلاثي مما أوّله هاء ما انتهى إلينا منه، وعمدنا لأصحّ ما وجدناه، وأشهده في غاية من الإيجاز والاختصار، وبالله التوفيق»[18].

وأنت لو تأمّلت هذه النصوص الثلاثة مع ما جاء في مقدمة الكتاب، وما ختم به لوجدت أنّ ابن فارس رام من تأليف كتابه «المجمل» الآتي:

1 - الاقتصار على الواضح الصحيح من كلام العرب، دون الوحشيّ المستنكر.

2 - اختيار المشهور الدّالّ على غريب آية، أو تفسير حديث أو شعر، وهذان - باختصار - يعنيان عناية ابن فارس بالدّوّار من الألفاظ الكثير الاستعمال، ممّا الحاجة إليه قويّة.

3 - اقتصاره على تفسير ما ائتلف من حروفه كلام صحيح ثابت إمّا بسماع صحيح، أو بنَقْل من كتاب صحيح لا يشكّ في صحة نسبه، والصحّة عنده تتحقّق بإمكان ائتلاف الحروف على مقتضى نظام اللّغة، وثبوت ذلك رواية إمّا بالسّماع، أو من خلال الكتب الصحيحة الثابتة، ممّا رواها الثقات، أو وجدت معزوّة ثابتة إلى ثقة معروف الخط متقنه.

---

(16) ابن فارس: مجمل اللّغة، ص 108.

(17) السابق، ص 210.

(18) السابق، ص 888.

4 - الجانب الديني، وخشية الله، والخوف منه يدفعه إلى التحرّي والاختصار، والكفّ عمّا لا داعي له من التطويل؛ لأنه يودّي إلى التكثر من الروايات والغرائب، ولا يبعد أن يكون في هذه الروايات والغرائب ما يستنكر من الأقوايل وشنيع الحكايات، وبُنيّات الطريق، وقد كان يقال : من تتبع غرائب الحديث كذّب، وقد روي «كفى بالمرء إثمًا أن يحدّث بكلّ ما سمع».

وهذا يعكس لنا حرص ابن فارس على الانتقاء وغربلة المادّة اللّغوية الغزيرة، ليختار منها ما يراه صحيحا ثابتا، مقبولا، تدعو الحاجة إلى تدوينه.

5 - تلافي طريقة «العين» التي تنصّ في كلّ مادّة على تقاليبها الممكنة إن كانت ثلاثيّة المستعمل منها والمهمل، والاكتفاء بالإشارة إلى ضوابط كلّية، أو الإشارة إلى ما تدعو الحاجة إلى بيان إهماله، فمن النوع الأول ما ذكره في صدر كتاب «الحاء» من كتابه «مجمل اللّغة» : «الحاء حرف من حروف الحلق يأتلف في المضاعف والمطابق مع الحروف كلها إلاّ مع التي تقاربه، فلا يكون بعد الحاء حاء ولا عين، ولا خاء ولا غين، ولا هاء، وقد فسّرنا ذلك كلّه»(19).

ومن هذا قوله في «باب الخاء والعين وما يثلثهما» : «ولا تكاد تأتلف الخاء مع العين إلاّ وبينهما دخيل»(20)، ثم ذكر الخيعل، والخيعامة».

ومن النوع الثاني : إذا أورد كلمة لا تصحّ حسب نظام ائتلاف الحروف العربية أبان عن شكّه في أصلها، وأنها لا يمكن أن تأتلف، أو أنّ أصلها غير عربيّ، وأنّها لا يصحّ أو لا يمكن أن تعدّ أصلا، مثل «الجصّ».

6 - أنّ ما نصّ على أنّه التزمه في كتاب الهاء من قوله : «وعمدنا لأصحّ ما وجدناه وأشهره في غاية من الايجاز والاختصار» ليس خاصّا بكتاب الهاء من كتاب «مجمل اللّغة»، بل هو منهج نهجه، وطريق سار عليه في جميع كتابه، إذ يقول في مقدمته : «أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام قريب، يقلّ لفظه، وتكثر فوائده، ويبلغ بك طرفا ممّا أنت ملتمسه، وسميته «مجمل اللّغة»؛ لأني أجملت الكلام فيه إجمالا،

(19) السابق، ص 210.
(20) السابق، ص 290.

ولم أكثره بالشواهد والتصاريف، إرادة الإيجاز؛ فمن مرافقه قُرْبُ ما بين طرفيه، وصغر حجمه» (21).

وابن فارس - في هذا - يمثل منعطفا وتحوّلا في التأليف المعجمي الذي كان يحشد الجهد لسعة المادة، ويباهي بها، ويعنى بتصاريف الكلم، وحصر شوارده ونوادره؛ لأنه عمد إلى شيء كان من علامة التميّز، وجودة التصنيف، وشموله وكماله، فرسم خطّة للخلاص منه طلبا للاختصار وتقريب المادّة إلى طالبها، غير أنّه كان حريصا على أن تحقق الغرض وتفي بالحاجة. ولا يعرف قبل ابن فارس من سلك هذا المسلك، وتوخّى هذه الغاية.

7 - تقريب المادة المعجميّة من القارىء من خلال ترتيبها، وهو ما لم تف به المعاجم السابقة، أو قصرت عنه، أو وفت به على عسر؛ إذ في بعضها من العسر ما لا يخفى على المتأمّل والنّاظر فيها، يقول في مقدمة كتابه : «ومنها حسن ترتيبه، وفي ذلك توطئة سبيل مذاكرة اللّغة» (22). والترتيب والمداخل لا تقلّ شأنا في تيسير المعجم عن المادّة، وطريقة العرض، والشرح، والتفسير، وكم من معجم صرف النّاس عنه من اجل ترتيبه، وصعوبة الوصول إلى موادّه وكلمه، كما قيل عن غريب الحديث لإبراهيم الحربي (ت 285 هـ / 898 م) (23).

ومن أوضح الأمثلة لمحاولة تقريب المادّة المعجميّة من القارئ أنّه يراعى الصورة اللفظيّة للمادة المعجميّة، مع عدم الإخلال بأصول الصنعة المعجميّة، فيوردها بحسب صورتها، ويحيل على أصلها، ينظر مثلا (بصط) (24) أوردها في الباء تليها الصاد، وأوردها في الباء تليها السين (بسط)، وهو الأصل، مراعاة لصورتها الصوتية عند القارئ. فابن فارس يجعل لمثل هذه المادّة مدخلين، مدخل حسب اللّفظ المنطوق، ومدخل حسب أصل المادة، تسهيلا على الطّالب؛ ويحيل داخل المادّة على الموضع المناسب أو

---

(21) السابق، ص 75.

(22) السابق ص 75.

(23) أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزريّ ابن الأثير (ت 606 هـ / 1210 م) : النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناجي، نشر عيسى البابي الحلبي القاهرة، 1383 هـ/ 1963م، 6/1.

(24) ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط. 3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1402هـ/1981م (ستة أجزاء) 252/1.

الآخر بحسب الأصول الصّرفية واللّغوية، مثل (أخر) و (أرش) [25] و(أكن) و(أكد) [26] و(أكف) [27] التي أحال فيها على كتاب الواو.

ومن هذه النماذج في «مجمل اللّغة» كلمة (تراث) التي ذكرها في (ترث) [28] وفي (ورث) الجذر الأصلي؛ وكلمة (إمّعة) التي ذكرها في (أمع) [29] ثم في (مع)... والأمثلة كثيرة في «المجمل» و«المقاييس».

8 - كتابه بمنأى عن التصحيف بسبب ترتيبه، حتّى قال: «ومنها (أي مرافقه) أَمَنَةُ قارئه المتدبّر له من التصحيف» [30] ولا غرو في ذلك فقد كان ابن فارس من المحققين الأثبات، الذين ينشدون الصحّة فيما يكتبون أو يدونون. قال: «... وذكر ما صحّ من ذلك سماعا، أو من كتاب لا يشك في صحة نسبه» [31]. والناظر فيما كتبه في «الصاحبيّ» أو في معاجمه الثلاثة يرى مدى حرصه على الصحة والسلامة اللغوية.

9 - انطلق ابن فارس في تأليف كتابه «مجمل اللغة» ومعجميه الآخرين من واقعه، وما تدعو إليه الحاجة، وأنه إذا كان السابقون ألّفوا المعاجم استجابة لواقعهم وحاجتهم وحاجة اللغة، وتوخّوا مقاصد زمانهم، فاللائق بمن يؤلف أن تكون له مقاصد، وأن يحقق تأليفه هذه المقاصد. ذاك أنّ اللّغويين قبل ابن فارس كانوا بحاجة إلى تدوين كلّ ما سمعوا قبل ضياعه، وكانت الحاجة إلى جمع اللغة وتدوينها أعظم من الحاجة إلى تيسير الوصول إليها؛ لأنّ أولئك يجمعون شيئا نادّا في البوادي، وصدور الرجال، والكراريس، والأمالي المبثوثة، والروايات التي لا يجمعها حافظ، ولا ينبئك بها صدر واحد، فكانت مهمتهم هي الجمع، فلمّا حصل الجمع التفت القوم إلى هذا المجموع فوجدوا أنّه بحاجة إلى تنقيح وتنقية، فكانت حركة التمييز بين الروايات، وما يثبت منها، وما استقام أو تصحّف، فكانت الحاجة إلى مثل عمل الأزهري أبي منصور في كتابه «تهذيب اللّغة». وبعد تهذيب اللغة، وتنقية مرويّاتها يأتي أوان تسهيل الإفادة منها، وتيسير الوصول إليها، فكانت الحاجة إلى مثل عمل ابن فارس.

---

(25) السابق، 1/70، 79.
(26) السابق، 1/125.
(27) السابق، 1/126.
(28) ابن فارس: مجمل اللغة، ص 148.
(29) ابن فارس: مقاييس اللغة، 1/139.
(30) ابن فارس: مجمل اللغة، 75 - 76.
(31) السابق، ص 106.

3 - أصول الصّنعة المعجميّة عند ابن فارس كما تفهم من كتابه «الصاحبي» :

لابن فارس نظريّة لغويّة شاملة، يأخذ بعضها بِحُجَزِ بعض، ويرتّب آخرها على أوّلها، ومن العسير فهم بعض أصوله أو أقواله معزولة عن غيرها من أصوله وأقواله.

فابن فارس يذهب إلى أنّ اللغة توقيف عن ربّ العالمين في أصولها وفروعها، وقياسها واشتقاقها، وأصواتها وصيغها، وتصرفاتها وتراكيبها، وأنّها أفضل اللّغات وأوسعها، وأنّه لا يُحاطُ بلغة العرب، ولا يحيط بها إلاّ نبيّ، وأنّ لغات العرب مختلفة في الأصوات، والأبنية، والتراكيب، والدلالة، وما يعتور الكلمات من قلب وإبدال، وقصر وإشباع، وتفريع، وأن أفصح العرب قريش، وأن بعض لغاتهم مذمومة، وأنّ اللغة الفصحى نزل بها القرآن، فصارت بهذا هي اللغة التي تتعيّنُ دراستها من دون سائر اللغات، وهي اللّغة التي يتعيّن التحرّي في مصادر أخذها، والاقتصار على ذوي الصدق والأمانة، حتى يتحقّق فيها أو تصلح للاحتجاج بها فيما يحتج فيه من علوم الشّرع بلغة العرب، ومن أجل ذلك كان العلم بلغة العرب واجبا على كلّ متعلق من العلم بالقرآن والسنّة والفتيا بسبب، وأنّ الواجب من ذلك علم أصول اللغة، والسّنن التي بأكثرها نزل القرآن، وجاءت السّنة، وأن للغة العربيّة قياسا، وأنّ العرب تشتقّ بعض الكلام من بعض، ولنا أن نقيس القياس الذي قاسوه، ولا نتعدّاه، وأن لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيتها، وأنّ بعض ما انتهى إلينا لا يفهم إلاّ على وجه التقريب، وأنّ اختلاف لغات العرب محدود، وأن الأكثر هو المجمع عليه، في لفظه ومعناه، مع تفاوت المختلف في الفصاحة، وأنّ الكلام مراتب في وضوحه وإشكاله، وأنّ معظمه هو الواضح، وأنّ أسباب الإشكال منحصرة في غرابة اللفظ، والقطع عن السّياق، والإبهام، والايجاز المخلّ، والاشتراك اللّفظيّ، وأنّ الإعراب ممّا اختصّتْ به لغة العرب، وأنّ الإسلام نقل العرب نقلة كبيرة في حياتهم وطرائقها، وأهدافها، كما أنّ له أثرا في لغتهم : زيادة في معانيهم، أو إحداث معان جديدة، أو نقل الألفاظ إلى معان جديدة، أو زوال معان، بزوالها زالت ألفاظ، وأن الكلام هو المسموع المفهوم بحروف مؤلفة تدلّ على معنى، وأنّ الكلم جزؤه، ومنها مهمل ومستعمل، وأن الكلام ثلاثة : اسم، وفعل، وحرف.

وأنّ الأسماء أجناس بحسب تصرفاتها ومعانيها، وأنّ الأسماء قد تؤخذ من غيرها

اشتقاقا كالصّفات، أو لعلاقة أخرى كالمجاورة، والسّببيّة، وأنّ الأسماء أو ألفاظ اللّغة بعامّة أربعة أنواع : متباين، ومشترك، ومترادف، ومتضادّ. وأنّ بعض الأسماء دلالتها لا تكون إلاّ باجتماع صفات، واقلّها ثنتان، وأنّ المسمّى الواحد قد يسمّى باسم غيره تغليبا، كالمثنّى بالغلبة، مثل القمرين.

وأنّ حروف الهجاء كلها، أو غالبها قابلة للزيادة والإبدال من غيرها، وهو - في هذا - صاحب مذهب يخالف غيره، ولهذا أثره في صناعة المعجم. وأنّ الاسم قد يزداد فيه بعض حروفه للمبالغة، أو التشويه والتقبيح، أو التكثير.

وكلّ هذه الآراء والأفكار كان لها أثر في معجم ابن فارس واضح، وهي آراء خالف في بعضها أو كثير منها كثيرا من معاصريه من أهل اللغة، أصحاب المعاجم، كالأزهري، والجوهري.

ولا نغلو إن قلنا : إنّه من الممكن أن نعدّ أبوابا من كتاب «الصاحبيّ» تتمّة للمعجم في نظر ابن فارس، إذ تناول معنى الحرف بإطلاق، والحرف المفرد، وحروف المعاني المفردة ؛ والكلام في حروف المعاني ممّا يقصر المعجم العمّ عن استيعابه، بحسب الجذور، أو الأصول اللّفظية والمعنوية.

ويسوغ لنا بعد هذا العرض لأبرز ما طرحه في كتابه «الصاحبيّ» أن نخرج بخلاصة عن الأسس التي بنى عليها صنعته المعجمية، فنقول :

1 - إنّ لنا أن نعتبر كتاب «الصاحبي» في كثير من أبوابه تنظيرا أو مقدمة للصنعة، أو للصناعة المعجميّة، والنّاظر في أبوابه وعنواناته يجد مصداق ذلك. ولا يمنع من هذا تقدّم تصنيف معاجمه عليه.

2 - يرى ابن فارس صعوبة الإحاطة باللغة وألفاظها، وأنّه لا يمكن أن نحصل على المعنى - في أحيان كثيرة - إلاّ على وجه التقريب والمقاربة، فكان منه فكرة معجم «مقاييس اللغة» التي تهدي من أحسن استعمالها، ووفّق في توظيفها، والتصرف فيها إلى إدراك المعنى بالمقارنة بعد تقليب الكلمة وترديدها بين المعاني المختلفة، أو شيء منها ؛ ليقوده هذا الترديد إلى استنباط المعنى الفرعيّ في الاستعمال، أو التركيب المراد.

وفي ظنّي أنّ فكرة «مقاييس اللغة» بما توحيه ألفاظها، إنّما جاءت لحلّ عجز عن الإحاطة بألفاظ اللغة متوقّع، أو إدراك معانيها من خلال المسموع المحفوظ.

3 - يرى ابن فارس أنّ الإيغال في غرائب اللغة وشواذّها تصريفا، ودلالة، وما لا يسيغه الخطاب من الكلمات والتراكيب، مدعاة إلى سوء الظنّ، وهذا يؤكد عنايته بالمستعمل الدوّار من اللّغة، وما أشار إليه من قصة أبي الأسود مع الغلام الذي كان يطيف به ويلمّ، ويعتاده في مجالسه، دليل يؤكد رسوخ هذه الفكرة عند ابن فارس، والقصّة كما حكاها الأصمعي، قال : «كان غلام يطيف بأبي الأسود يتعلّم منه النحو، فقال له يوما : ما فعل أبوك يا بنيّ، قال : أخذته حمّى، فضخته فضخا، وطبخته طبخا، وفنخته فنخا، فتركته فرخا، قال : فما فعلت امرأة أبيك التي كانت تشارُّه، وتجارُّه، وتزارّه، وتهارّه، وتمارّه ؟ قال : خيرا، طلّقها، وتزوّج غيرها، فخظيَتْ، ورضيت، وبظيت. قال : ما بظيت يا ابن أخي ؟ قال : حرف من العربيّة لم يبلغك، قال : لا خير لك فيما لم يبلغني منها» (32). وقد علّق على ذلك بقوله : «فعرّفه بلطف أنّ الذي تكلّم به مختلق» (33).

4 - إن عناية ابن فارس بالاستعمال جعلته يقف عند تغيّر دلالة الألفاظ، مثل «المخضرم»، وزوال معاني بعض الكلمات، مثل «المرباع» و«النشيطة» و«النوافج» و«الصرورة»؛ ليزول من ثمّ اللّفظ بزوال معناه.

كما تعرّض لألفاظ يكره استعمالها، وإن كانت صحيحة المعنى ثابتة الأصل، مثل «خبث» في سياق الحديث عن النّفس، فلا يقل أحدكم : خبثت نفسي، وليقل : لَقِسَتْ (34).

وما حديثه في الأسباب الإسلامية إلاّ دليل عنايته بالاستعمال، والتفريق بين الحقيقة اللغوية، والحقيقة الشرعية؛ فالحقيقة اللّغوية وضع أصليّ، والحقيقة الشرعيّة وضع ثان أو لاحق، مردّه إلى الاستعمال؛ إذ فيه انتقال اللفظ من معنى إلى معنى له به صلة، حتى يصير مع كثرة الاستعمال حقيقة، بل يقدّم على الحقيقة اللغويّة (35). كما أنّه لم ينس أثر الاستعمال في توسيع دلالة الألفاظ، فقد يكون اللّفظ ذا أصل، ويتسع هذا الأصل (36)، «كان الأصمعي يقول : أصل «الورد» إتيان الماء، ثمّ صار إتيان كلّ شيء

---

(32) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين، ص 27.
(33) ابن فارس : الصاحبي، ص 18.
(34) السابق، ص 107-0[illegible].
(35) السابق، ص 78.
(36) السابق، ص 112-113.

وردا»(37).

5 - يرى ابن فارس أنّ صياغة الكلمة العربية لها نظام خاص في أصواتها (حروفها) وحركاتها، وهذا النّظام ضروريّ لصناعة المعجم، لأنه يقود من وعاه إلى ميز ما بين الصحيح الثابت، والسقيم الهالك، الذي يتردّى بين الوضع والتصحيف، والخطأ والتحريف.

وقد قسم المهمل من الكلم إلى أضرب ثلاثة:

أوّلها: ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بتّة، كجيم مع كاف، أو كاف تقدّم على جيم، وكعين مع غين، أو حاء مع هاء أو غين، فهذا وما أشبهه لا يأتلف.

وثانيها: ما يجوز تألف حروفه لكنّ العرب لم تقل عليه، وذلك كإرادة مريد أن يقول: «عضخ» فهذا يجوز تألّفه، وليس بالنّافر؛ لأنهم قالوا: خضع، ولم يقولوا: «عضخ».

وثالثها: ما بني على خمسة أحرف خاليا من حروف الذلاقة أو الإطباق (38)، ومثل هذا الضابط يختصر المعجم أيما اختصار.

6 - يرى ابن فارس أنّ ما يحتاج إلى رفع إشكال وشرح لإزالة غريبه ومبهمه قليل بالنسبة إلى الواضح، وأنّ الإشكال والإبهام يرجع إلى أسباب في اللّفظ نفسه بأن يكون اللّفظ غريبا أو مشتركا، أو أسباب في التركيب مع غيره، كفصله عن سياقه؛ إذ قد تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله عن جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدّد، أو يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط(39).

7 - ينظر ابن فارس إلى علائق الألفاظ ببعضها نظرة أوسع من نظرة الصرفيّ الذي يقصر الربط بين أفراد الكلم على الاشتقاق؛ إذ الأصل ينطوي على معنى بسيط غير مركب، والمشتقات تنطوي على معان مركبات؛ إذ تزيد عليه بإضافة معنى جديد، وابن فارس حين ينظر هذه النظرة إنّما ينظر نظرة اللّغوي الواسع الأفق، الذي يرى أن يكون بين الألفاظ رابطة معنويّة غير رابطة الاشتقاق، كالمجاورة، والسببية، واللازمية،

---

(37) السابق، ص 112.

(38) السابق، ص 87 - 88.

(39) السابق، ص 69 - 75.

والملزومية، والتشبيه، وكأنه بهذا يستدرك على معجم «المقاييس»، كما يشير إلى الاشتقاق التشبيهي.

8 - يحرص ابن فارس بعقليّته الواسعة على أن يظهر أن اللّغة محدودة الخلاف، وأن خلافها متنه، كما يحرص على أن يضيّق دائرة المشكل الذي يحتاج إلى رفع إشكال، وشرح، وتفسير، هذا من ناحية المعنى، ومن ناحية اللفظ يحرص على أن يؤكد أنّ الخلاف اللّفظي بين لغات العرب، الفصيح منها وغيره محدود أيضا. وأنّه الأقل(40). وما من شكّ أن إلقاء مثل هذا على متعلّم اللغة ذو أثر نفسيّ، فهو يسهل عليه ما طلب، ويشحذ همّته، غير أنّه لا يغيب عن بالنا أنّ ابن فارس إنّما يتحدّث عمّا تنبغي العناية به من اللّغة، وهي اللّغة الدّوّارة في كلام الفصحاء، والقرآن، والحديث، والشعر، وكلام أهل الأدب بعد التنكّب عن حوشيّ اللغة ومرذولها، ومستهجنها، وما يليق بأهل الأدب من عبارات ذوي الجفاء والجهالة.

9 - بيَّن ابن فارس في «الصاحبيّ» أنواع دلالة الألفاظ، وكيف تقع الأسماء على مسمّياتها؛ لأنها إمّا متباينة، وإمّا مشتركة لفظا، وإمّا مترادفة. وإمّا متصادّة، والمتباين هو الأكثر، وعبّر عنه بأنّه المختلف لفظا ومعنى، وجعل الثالث مختلف اللّفظ متفق المعنى، مثل سيف وعضب، وجعل الثاني المتّفق لفظا المختلف معنى، وكأنّه يميل إلى إمكان ربط معاني هذا النوع بمعنى (أصل) واحد. وجعل الرابع المتّفق لفظا المتضادّ معنى.

وأتمّ هذه الأنواعَ ثلاثةُ أنواع أخرى، هي: تقارب اللّفظين والمعنيين، مثل الحزم والحزن، والخضم والقضم.

واختلاف اللفظين وتقارب المعنيين كقولهم «مدحه» إذا كان حيّا، و«أبّنَهُ» إذا كان ميّتا.

وتقارب اللّفظين واختلاف المعنيين مثل «حَرِجَ»: وقع في الحرج، و«تحرّج»: إذا تباعد عن الحرج(41).

10 - لابن فارس مذهب في زيادات لا تعلّل بالتصريف، وهي زيادات في نظره من سنن العرب، كما أن له مذهبا في القلب المكانيّ؛ إذ يتوسّع فيه، ويعدّ الأشهر من

---

(40) السابق ص 63-66.

(41) السابق، ص 114 - 117 و 327-328 و 456.

الوجهين هو الأصل، ولا يعتدّ الآخر أصلا، كما أنّ له مذهبا في الإبدال فيه شيء من الاتساع، ويخرج فيه عمّا يقرّره الصرفيّون؛ إذ يكاد يجيز الإبدال بين جميع الحروف.

11 - لم ينس ابن فارس أن يشرح كلمات لا يشعر النّاس بالحاجة إلى شرحها لوضوحها، غير أنّ ابن فارس رأى أنّ شرحها مهمّ، هذه الكلمات هي المعنى، والتفسير، والتأويل، كما لم ينس بيان اشتقاقها.

فالمعنى هو القصد والمراد، والتفسير هو التفصيل، والتأويل : آخر الأمر وعاقبته. وهذا الشرح لهذه الألفاظ الثلاثة في صناعة المعجم مهمّ.

12 - للتصريف مكان عال من أصول الصناعة المعجميّة عند ابن فارس؛ إذ يقول: «وأمّا التصريف فإنّ من فاته علمه فاته المعظم؛ لأنّا نقول : وجد، وهي كلمة مبهمة، فإذا صرّفنا أفصحت، فقلنا في المال : وُجْدًا، وفي الضالّة : وِجْدَانًا، وفي الغضب : مَوْجَدَةً، وفي الحزن : وَجْدًا»، وأورد أمثلة كثيرة (42).

ومن المعلوم أنّ التصريف يهيمن على صنعة المعجم، بل لا تقوم للمعجم صنعة بدونه؛ إذ به تعرف أصول الكلم، وتردّ إلى جذورها الأصليّة، ويعرف الحرف المعلّ من غيره، وتعرف به الزوائد.. الخ.

13 - يذهب ابن فارس إلى أنّ أكثر اللغة حقيقة، والحقيقة عنده «الكلام الموضوع موضعه الّذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير» (43). وهو بهذا يخالف معاصره ابن جني الّذي ذهب إلى أنّ أكثر الكلام مجاز (44).

14 - يذهب ابن فارس إلى أنّ أصول الكلم إمّا ثنائية، وإمّا ثلاثيّة، وأنّ الأصل ممّا زاد على ثلاثة قليل؛ إذ ما زاد على ثلاثة أكثره منحوت، قال ابن فارس : «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك «رجل عبشميّ» منسوب إلى اسمين... وهذا مذهبنا في أنّ الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف، أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرّجل الشديد : «ضِبَطْرٌ» من «ضبط» و«ضبر»، وفي قولهم «صهصلق» : إنّه من «صهل» و«صلق» وفي «الصِّلَّدِم» إنّه من «الصَّلْد» و«الصّدم». وقد

---

(42) السابق، ص 310-311.

(43) السابق، ص 321.

(44) بو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ / 1002 م) : الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، ط. 2، بيروت 447/2وما بعدها.

ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب «مقاييس اللّغة»(46). وقد ذكر في «المقاييس» أنّ الرباعي وما زاد عليه إمّا منحوت، وإمّا مزيد، وإمّا موضوع، وهذا النوع الأخير قليل.

15 - لم يعن ابن فارس نفسه بمعرفة أو شرح ما لم يثبت لديه لغة، وقد مارس النقد اللّغوي لصحة اللغة وثبوتها من وجهين: السند، وأصول الصناعة اللغوية، وكلّ ما يثبت عنده من اللّغة لا بدّ أن يصحّ سنده، وأن يستقيم مع نظام الكلم العربي، فلا يكون منقولا إليها من لغة أخرى، ولا مخالفا للمستقرّ من نظام الكلمة العربية. وقد مضت بعض أقواله وإيماءاته إلى هذا الأمر.

4 - في مسألة «الأصل» في المقاييس:

يطلق ابن فارس الأصل ويريد به أمرين، أوّلهما لفظيّ، وثانيهما معنويّ، ولا تكون الكلمة أو المادة المكوّنة من حروف هجائيّة أصلا إلاّ إذا توفّرت فيها شرائط، كما يفهم من كلامه، ومن هذه الشرائط:

أ - أن يكون ثابتا عن العرب، بأن يروى من طريق صحيح، ومن ذلك «(ثطأ) الثاء والطاء والهمزة كلمة لا معوّل عليها، يقال: ثطأته: وطئته». ومثله (ثطع)(46).

و«(ثعم) الثاء والعين والميم ليس أصلا معوّلاً عليه، أمّا ابن دُريدٍ فلم يذكره أصلا، وأما الخليل فجعله مرّة في المهمل...»(47).

و«(بوق) الباء والواو والقاف ليس بأصل معوّل عليه، ولا فيه عندي كلمة صحيحة...»(48).

و«(جفز) الجيم والفاء والزّاء لا يصلح أن يكون كلاما إلاّ كالذي يأتي به ابن دريد... وما أدري ما أقوله...»(49).

و«(بوث) الباء والواو والثاء أصلٌ ليس بالقويّ، لكنهم يقولون: باث عن الأمر بَوْثًا: إذا بحث عنه»(50).

«(بيظ) الباء والياءُ والظّاء كلمةٌ ما أعرفها في صحيح كلام العرب، ولولا أنّهم ذكروها ما كان لإثباتها وجه...»(51).

(45) ابن فارس: الصاحبي، ص 461.
(46) ابن فارس: مقاييس اللغة 370/1.
(47) السابق، 467/1.
(48) السابق، 320/1.
(49) السابق، 467/1.
(50) السابق، 315/1.
(51) السابق، 327/1.

و«(تك) التاء والكاف ليس أصلا، ويضعف أمره قلّة ائتلاف التاء والكاف في صدر الكلام، وقد جاء التّكة، وتككْتُ الشّيْءَ : وطئته، والتاكُّ : الأحمقُ، وما شاء الله (جلّ جلاله) أن يصحّ فهو صحيح» (52).

«(بلص) الباء واللام والصاد فيه كلماتٌ، أكثر ظنّي أن لا معوّلَ على مثلها» (53).

2 - أن تسلم حروفه من الإبدال، فإن كان شيءٌ من حروفه مبدلاً كان الأصل هو الّذي لم يُبْدَلْ فيه شيءٌ، مثال ذلك «(تله) التاء والهاء ليس أصلا في نفسه، وذلك أنّهم يقولون : تله : إذا تحيّر، ثمّ يقولون : إنّ التاء بدلٌ من الواو، وقالوا : التّلَهُ بدلٌ من التّلفِ، وهو ذاك، وينشدون :

به تَمَطّتْ غَوْلَ كُلِّ مَتْلَه

والصحيح ما رواه أبو عبيدٍ : «كُلِّ مِيلَهٍ » قال : وهي البلاد التي تُولِّهُ الإنسانَ، والوالِهُ : المتحيِّر» (54).

ومثاله أيضًا : « (توس) التاء والواو والسين : الطّبع، وليس أصلاً ؛لأنّ التاءَ مبدلةٌ من سين، وهو السُّوس» (55).

و«(توه) التاء والواو والهاء ليس أصلاً، قال : تاه يتوه، مثل تاه يتيه وهو من الإبدال وقد ذكر. . . » (56).

و« (تدم) الثاء والدال والميم كلمةٌ ليست أصلا، زعموا أنّ الثّدْم هو الفَدْمُ، وهذا إن صحَّ فهو من باب الإبدال» (57). و«(ثأط) أصلها ثأد» (58)، و«(جحس) أصلها جحش» (59)، و«(مده) أصلها مدح» (60).

3 - أن تسلم المادّة من القلب المكاني، فإذا كان فيها قلبٌ حُملَ الأقلُّ شهرةً على الأكثر، فكان الأكثر أصلاً، ولم يَعُدَّ الأقلَّ أصلاً، مثاله «(ثتن) أصلها ثَنِتَ» (61).

---

(52) السابق، 339/1.
(53) السابق، 300/1.
(54) السابق، 354/1.
(55) السابق، 358/1.
(56) السابق، 359/1.
(57) السابق، 373/1.
(58) السابق، 398/1.
(59) السابق، 426/1، 427.
(60) السابق، 306/5.
(61) السابق، 403/1.

و«(جبذ) الجيم والباء والذّال ليس أصلاً ؛ لأنّه كلمةُ واحدة مقلوبة ، يقال : جَبَذْتُ الشّيْءَ بمعنى جذبتُه» [62]؛ و«(بيغ) الباء والياء والغين ليس بأصل، والذي جاء فيه تبيّغُ الدّمِ وهو هَيْجُه، قالوا : أصله تبغّي، فقدّمت الياء وأخرتِ الغين، كقولك «جذب وجبذ» ، وما أطيبه وأيطبه» [63].

و«(أيس) أصلها يَئسَ» [64]، وغيرها كثير.

4 - ألاّ يكون معرّبًا، أو أصله أعجميًا، وكُلُّ ما كان بهذا الوصف لم يعدّه أصلاً بنفسه، ومثال ذلك «(جلّق) الجيم واللام والقاف ليس أصلاً ولا فرعًا، وجلّق : بلدٌ، وليس عربيًا» [65]؛ و«(جص) الجيم والصاد لا يصلح أن يكون كلامًا صحيحًا، فأمّا الجصّ فمعربٌ، والعَرَبُ تسميّه القِصَّة، وجصّص الجرو» [66]؛ وانظر (جوخ) في المقاييس [68].

5 - ألاّ تكون المادّةُ حكايةَ صوت، فإن كانتْ حكايةَ صوت لم يجعلها أصلاً مثل «(جوت) الجيم والواو والتاء ليس أصلاً ؛ لأنّه حكاية صوت، والأصوت لا تقاسُ، ولا يُقاسُ عليها . . . [69].

و«(تخ) التاء والخاء في المضاعف ليس أصلاً يقاسُ عليه أو يفرَّعُ منه، والذي ذكر منه فليس بذلك المعوّل عليه، قالوا : والتختخة : حكاية صوتٍ» [70]؛ و(جه) [71] و(جأ) [72] لأنهما حكاية صوت.

وقد نقض ابن فارس رأيه هذا - فيما يظهر - في (قع) فقال : «القاف والعين أصل صحيح يدلّ على حكاياتِ صوتٍ. . . [73] وكذلك في (قه) [74].

---

(62) السابق، 1 / 501.
(63) السابق، 1/ 327.
(64) السابق، 1/164
(65) السابق، 5/ 303.
(66) السابق، 1/ 475.
(67) السابق، 1/492.
(68) السابق، 1/492.
(69) السابق، 1/ 492.
(70) السابق، 1 / 337.
(71) السابق، 1/422.
(72) السابق، 1/ 423.
(73) السابق، 5/14.
(74) السابق، 5/5.

6 - ألاّ تكون الكلمة إنّما يؤتى بها إتباعًا، ولعلّ المقصود بالإتباع هنا الذي تكون فيه الكلمة الثانية غير واضحة المعنى، ولا بيّنة الاشتقاق، ومن أمثلة ذلك : «(بيص) الباء والياء والصاد ليس بأصلٍ ؛ لأنّ «بيص» إتباعٌ لحيص، يقال : وقع القومُ في حيص بيص. . . »(75) إلاّ إذا كان له معنى في موضع آخر، مثل «ليغ» اللام والياء والغين كلمةٌ، يقولون : الألْيَغ : الذي لا يبينُ الكلام، وأمّا قولهم : هو سَيّغٌ لَيّغٌ فإتباع للشيء السّهل المنساغ (76).

7 - ضيّق ابن فارس دائرة الأصول التي تزيد على ثلاثة، فالغالب في الأصول عنده أن تكون ثنائيّة أو ثلاثية، فإن زادت لم يعدّها أصلاً إلاّ إذا أعيته الحيلة عن عدّه منحوتًا أو مزيدًا ؛ لأنّ من مذهبه أنّ للرباعيّ والخماسي مذهبًا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما رآه منه منحوتٌ - كما يقول - من كلمتين، صحيحتيّ المعنى، مطّردتي القياس، مثل (جُذْمور) من كلمتين : الجذْم والجذر، ومنه ما أصله كلمةٌ واحدة، لكنّهم يزيدون فيه حرفًا لمعنى يريدونه من مبالغة، مثل «زُرْقُم» و«خَلْبَن»، ومنه ما يوضع كذا وضعًا، مثل «البُهْصَلة» : المرأة القصيرة، فهذه ثلاثة أنواعٍ للرباعي، في نظر ابن فارس (77).

ولابن فارسٍ مذهبٌ يفرّقُ بين الكلمة الواحدة إذا تعدّدت معانيها، مثل «ثعلب» لامها زائدة إن كان معناها «ثعب الماء»، وأمّا ثعلب الرّمح فهو منحوتٌ من الثعب، ومن العلب، أو من العلب والثلب (78).

8 - ما لا يقبل أن يشتقّ منه من حروف المعاني والأدوات، وأسماء الأماكن والنباتات، والأعلام، والأجناسِ، وغيرها، مثل (بيح) الباء والياء والحاء ليس بأصلٍ ولا فرعٍ، وليس فيه إلاّ البياح، وهو سمك (79) ؛ و(قله) (80) ؛ و(القفن) لغة في القفا، ليس بأصل (81) ؛ و(الكهاة) للناقة الضخمة (82).

---

(75) السابق، 320/1.
(76) السابق، 224/5.
(77) السابق، 328/1 - 330 و 505 - 513.
(78) السابق، 403/1.
(79) السابق، 325/1.
(80) السابق، 16/5.
(81) السابق، 112/5.
(82) السابق، 143/5.

ولم يجعل «لن» و«لو» أصلين، قال في «لم» : «فأمّا «لم» فهي أداة يقالُ : أصلها «لا»، وهذه الأدواتُ لا قياسَ لها[83].

5 - خـــاتمــــة :

ونحن لو نظرْنا إلى عناصر الصّنعة المعجميّة الأربعة : مادة المعجم، والمداخل، والترتيب، والشرح والتعريف، لوجدنا أنّ ابن فارس تعامل معها بما يحقّق له غايته، ويُتمُّ مقصده ؛ فالمادة مسَّها اختصار فيما لا تدعو إليه حاجة، وخلاص ممّا شكَّ في صحته وثبوته، كما أوضحنا ذلك في ثنايا البحث، والمداخل قد تَناولَها بالتهذيب والتقريب، وتقليلها قدر المستطاع، وأمّا الترتيب فقد أنْهَكَ ابنُ فارسٍ الحاجةَ إليه بربطه مرادَه بالمعاني أو المعنى (الأصل) والإعراض عمّا لا يحتاج إليه حاجةٌ ظاهرةٌ من التصاريف، والاشتقاقات، والأبنية وتنوُّعها، هذا في داخل المادة، أمّا ترتيب الأبواب فقد آثر طريقة الترتيب الهجائي، بنظام الدائرة الهجائية، كما أوضحنا ذلك، وأمّا الشرح والتعريف فمحاولة ابن فارس أن يجعل ذلك من خلال مقاييس تقاس وتتبع، وأصول كلية تدرك بها المعاني الفرعية، محاولة رائدة.

سليمان بن ابراهيم العايد
كليّة اللغة العربيّة - جامعة أم القرى
مكـــة المكـرّمـــة

---

(83) السابق، 198/5.

الأنماط الصيغية

ودورها الدّلالي في المعجم

بحث :الحبيب النصراوي

1 - تمهيد :

تهتمّ الأبحاث المعجميّة الحديثة بدراسة المعجم باعتباره نظاما قائما على شبكة من العلاقات المكوّنة لبنيته وعلى قوانين عامة تتحكّم في نموّه وتحدّد قواعد تولّد الوحدات المعجمية الجديدة العامة، أي الألفاظ، والمخصّصة، أي المصطلحات، وهو ما يؤول إلى وضع نظرية في المعجم قادرة على وصف بنيته ونظامه.

وانطلاقا من أنّ نظريّة المعجم هي نظريّة المفردات(1) اتّجه اهتمام الباحثين إلى دراسة خاصية الانتظام في المعجم اعتمادا على ما يربط بين مكوّناته - أي المفردات - من علاقات. فإنّ ما يظهر بين المفردات من علاقات ذات خصائص معيّنة هي التي تتحكّم في تنظيم المفردات داخل المعجم. وهذه العلاقات لا يمكن أن يقوم تحليل أو تبويب في اللغة بدونها، لأنّها تنطلق في تنظيم المفردات ممّا يوحّد بينها من خصائص مشتركة وما يفرّق بينها من خصائص مختلفة، وهي نوعان(2) :

(1) علاقات اختلافية، تنبني على مجموعة من القيم الخلافية الضّرورية التي تتمايز المفردات بها. فإنّ المفردات تتّجه إلى التّخالف فيما بينها عن طريق أربعة أضرب من العلاقات هي : العلاقات الصوتيّة (إذ لا تتّفق مفردتان في تأليفهما الصّوتي إلاّ إذا كانتا من

---

(1) ينظر : J.C. Milner : Introduction à une science du langage, p.315 ؛ وينظر كذلك : ابراهيم بن مراد: مقدّمة لنظرية المعجم، ص ص 47-88.

(2) للتوسّع في تحليل هذه العلاقات ينظر : ابراهيم بن مراد : مقدّمة لنظرية المعجم، فصل : نظام العلاقات في المعجم، ص ص 105-111.

المشترك اللّفظي، أي المتجانسات homonymes)، والعلاقات الصّرفيّة (إذ لا تشترك مفردتان في البنية الصّرفيّة إلاّ إذا انتمتا إلى نمط صيغيّ واحد)، والعلاقات الدّلاليّة (إذ لا تتّفق مفردتان في دلالتهما إلاّ إذا كانتا من المشترك الدّلالي polysémie)، والعلاقات المقوليّة (إذ لا تتّفق مفردتان في الانتماء المقوليّ إلاّ إذا انتمتا إلى مقولة معجميّة واحدة)؛

(2) علاقات ائتلافية، تقوم على مجموعة من القيم المشتركة توحّد بين المفردات في جداول مبنية، فإنّ المفردات تتّجه إلى التّعالق في ما بينها عن طريق ثلاثة أضرب من العلاقات، هي العلاقات الشّكليّة (كأن تنتمي المفردتان إلى عائلة اشتقاقيّة واحدة، أو إلى نمط صيغيّ واحد)، والعلاقات الدّلاليّة (كأن تنتمي المفردتان إلى حقل دلاليّ أو مفهوميّ واحد)، والعلاقات الشّكلية الدّلالية (أي بين دالّ المفردة ومدلولها).

وقد دُرس الضّربان الأوّل والثّاني من العلاقات(3)، أمّا الضّرب الثالث فقد بدأ الاهتمام به بتطبيقه على اللغة الفرنسية(4) وعلى اللغة العربية(5)، ونريد أن نواصل في هذا العمل دراسة هذا الضّرب الثالث لما له من أهمّيّة في البحث في خاصية الانتظام في المعجم، ولما للعربيّة من قابلية - في نظامها الصّرفي خاصة - لتوضيح هذا الضّرب من العلاقات وتأكيده.

وإذن فإنّ العلاقات الشّكليّة الدلالية - وهي في جوهرها علاقات صرفيّة دلاليّة

---

(3) فقد درس العلاقات الشكلية التأصيلية في الفرنسية مثلا : Pierre Guiraud في كتابه : Stuctures étymologiques du lexique français. Larousse, Paris 1967. ؛ ودرست العلاقات الدلالية : Jacqueline Picoche في كتابها : Structures sémantiques du lexique français, Nathan, Paris, 1979. ؛ كما درس ابراهيم بن مراد الضّربيْن من العلاقات في كتابه : مقدّمة لنظريّة المعجم، ص ص 119-131.

(4) ينظر خاصة : أطروحة دانيال كوربان : D. Corbin : Morphologie dérivationnelle et structuration du lexique, 1987، كما ينظر أيضا أبحاث فريقها في مجلة Lexique، 10 (1991)، وفي مجلة Cahiers de Lexicologie، في العددين : 44 (1984)، و62 (1993).

(5) طبّق إبراهيم بن مراد الضرب الثالث أيضا من العلاقات وهي العلاقات الشكليّة الدّلاليّة على العربية، فاهتم خاصة بدورها في نظْمنة بنْية المعجم العربي، وقد انطلق ممّا يفرّق بين نظامي البنية في اللغات الهندية الأوروبية كالفرنسية والانغليزية مثلا، وهو نظام تختلط فيه البنية الصرفية بالتأليف الصوتي، ولذلك فإنّ البنية فيها قائمة على نظام «الصّرافم» (Morphèmes) دون اعتبار لصيغها، والبنية في اللغات السامية ومنها العربيّة. فإن العربيّة باعتبارها لغة سامية ذات بنية تستقل عن التأليف الصّوتي، فإنّ البنية فيها تكوّنها الصّرافم وتشكّل أنماطا صيغيّة سمّاها «الصّياغم»، وهذه الخصيصة الشّكليّة تؤدّي إلى إكساب المفردة دلالة صرفيّة. ينظر : ابن مراد : مقدّمة لنظريّة المعجم، ص ص 106-107؛ (تع 1)، وص ص 130-132؛ وينظر له أيضا : مسائل في المعجم، ص ص 21-26.

(morphosémantique) - تقوم على ما يتأسس بين شكل المفردة ومحتواها من علاقات تكاملية تفترض وجود صلة بين البنية والدلالة العامة المشتركة التي تفيدها المفردات المصوغة عليها. ولقد انتبه اللغويون العرب القدامى إلى هذا الضرّب من العلاقات ضمن حديثهم عن معاني المصادر(6)؛ كما اهتمّ به المحدثون. فعالجه مثلا مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة في قواعد التّوليد، فعدّ بعض الصّيغ قياسية، ودعا إلى اعتمادها في التوليد. فقد أجاز استخدام عدّة صيغ استخداما قياسيا نذكر منها صيغة (فُعالة) التي أقرّ استخدامها لتوليد مصطلحات دالّة على نفاية الأشياء وتناثرها وبقاياها كالأُكالة لما يتبقّى من الخوان بعد الأكل، والبُناية لما يتبقّى من أدوات البناء كالطوب والرمل والجير(7)؛ وصيغة (فَعالة) التي أقرّ استخدامها لتوليد مصطلحات دالة على معنى الثّبوت والاستمرار كالزَّمَالة والنَّقاهة والسَّماكة. . .(8).

ويدلّ اهتمام القدماء والمحدثين بهذه العلاقة على أنّ المسألة ليست غريبة عن العربية، فقد لاحظ علماء اللغة في القديم وفي الحديث أنّ المعاني غالبا ما تسند إلى أشكال خاصة هي في الحقيقة أشكال متواضع عليها للتّعبير عن معانٍ بعينها، فإنّ المفردة المشتقّة تستجيب لنظام اللغة في مراوحتها بين عمليتين : الأولى متعلّقة بجذع المفردة، والثانية هي الصيغة التي يختارها المتكلّم.

ولقد أخذت فكرة معالجة دلالة المفردة بالنّظر في مكوّنيها الدالي الشكلي والمدلولي معا، تظهر في اللسانيات الحديثة، حتى أصبحت في الدّرس اللّساني الفرنسي تيّارا قويّا يُعرف بالنّموذج الوصليّ (Le Modèle associatif)(9). فقد عملت الباحثة دانيال كوربان (D. Corbin) وفريقها في جامعة ليل (Lille) الفرنسية على وضع نظرية تُعرف بـ «النّظرية الوصليّة» (Théorie associative) لمعالجة دلالة المفردة اعتمادا على الضرب الثالث من العلاقات التي ذكرنا، وهي العلاقات الشكلية الدلالية، وقد انطلقت ممّا أسمته «النّموذج

(6) ينظر مثلا : سيبويه : الكتاب، 4/10 - 21؛ وكذلك : ابن فارس : الصاحبي : ص ص 224-225؛ وابن جني : الخصائص، 2/152-154؛ وأبو حيّان الأندلسي : ارتشاف الضّرَب، 1/ 221-225.

(7) ينظر : مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة القرارات العلميّة، ص 116، (فُعالة للدّلالة على نفاية الأشياء وتناثرها وبقاياها).

(8) نفسه، ص 114 وص 115، (جواز صوغ فعالة وفعالة وفُعولة).

(9) ينظر خاصة : D.Corbin: La Formation des mots. pp. 18-23 ؛ وكذلك : G.Dal Règles et Exceptions. pp. 109-131.

الوصلي» (Le Modèle associatif) الذي يتحكّم في الظواهر الاشتقاقية القائمة على المكوّنين الدلالي والصرفي معا، وهو أساسا نموذج منتظم متراتب (stratifié) يشتمل على أربعة مستويات متدرّجة هي :

(1) المكوّن الأساسي (le composant de base) : وهو يشمل قائمة المداخل الأصلية أو غير المشتقة، وهي المكوّنة من :

أ - قائمة الأسماء الجامدة والظروف والحروف والأدوات (قطُّ، تحتَ، في، هل)؛

ب - قائمة الأسماء المركّبة أو المنحوتة (حضرموت، بسْملة)؛

ج - قائمة الكلمات غير القابلة للتصنيف، وهي إمّا تراكيب محوّلة إلى الإسميّة (شذر مذر)، وإمّا أصناف فعليّة تحوّلت إلى الاسميّة والوصفيّة (يزيد) ؛

(2) المكوّن الاشتقاقي (le composant dérivationnel) : وفيه كلّ المفردات الممكنة المشتقة في اللغة، ذات الخصائص المحتملة (prédictibles)، ويتكوّن من مداخل معجمية أصلية أو متولّدة عنها، بما أنّ المفردة المشتقة يمكن أن تكون هي نفسها أصلا لمفردات مشتقة أخرى، (فمثلا : «استخراج»، مشتقّة من «استخرج»، وهذه بدورها مشتقّة من «خرج»).

على أنّ تكوين المعنى الاشتقاقي المحتمل للمفردة المشتقّة هو عملية معقّدة تتداخل فيها ثلاثة ثوابت : ففي المستوى التّجريدي يقع المعنى المحتمل الذي تكوّنه القاعدة، (فإنّ قاعدة ما تنبئ عادة بمعنى مشترك لكلّ ما يتولّد عنها من مشتقّات)؛ وفي المستوى الموالي يقبل هذا المعنى الأساسيّ أن يتخصّص بواسطة الصيغ الصرفية المكوّنة للجدول الصرفي للقاعدة ؛ وفي المستوى الأخير يمكن لدلالة البنية أن تتأثّر بالقيمة الدّلالية للجذر (10).

(10) ينظر : D.Corbin : La Formation des mots, p. 12 ؛ كما ينظر لها : Morphologie dérivationnelle, p. 156؛ وينظر كذلك : G.Dal : Règles et Exceptions, p.112. على أنّ هذه العناصر الثلاثة يُلجأ إليها لتجاوز ما يمكن أن يعترض تطبيق «النّموذج الوصليّ» من استثناءات ظاهرية، كما تبدو الاستعانة بالمظاهر الصوتية والصرفية والدّلالية والتركيبية التي تشترك في بنية الكلمة ممكنة لفهم حقيقة الصيغة التي إليها تنتمي، والدّلالة التي تفيدها، وذلك انطلاقا من أهمية العلاقة الوصلية بين الدلالة وبنيتها باعتبارها مظهرا جوهريا للمقدرة الاشتقاقية - للتوسّع، ينظر : S. Anderson : Morphological change, pp. 331-333.

(3) المكوّن ما بعد الاشتقاقي (le composant postdérivationnel): وفيه تتدخّل القواعد الصّغرى التي تكوّن هذا المستوى الثالث من هذا التنظيم لردّ بعض المشتقات الشّاذّة إلى القاعدة. فقد تظهر مفردات منسجمة دلاليًا مع القاعدة الاشتقاقيّة، ولكنّ أشكالها المستعملة غير خاضعة للبنية المحتملة اشتقاقيًا، ومثال ذلك: «البَهَقُ: من بَهِقَ: أُصيب بمرض جلدي»، وهذه الدّلالة تكون أكثر وضوحا عند تدخّل إحدى القواعد الصّغرى في العمليّة الاشتقاقيّة باعتماد الصّيغة النّموذجيّة (فُعال)، ولذلك أصبح يُقال «بُهاق»(11)، كما يمكن أن نقيس على ذلك: الحكّ والحُكاك، والخمول والخُمال، والعطش والعُطاش...

(4) المكوّن الاتّفاقي (le composant conventionnel): وفيه يقع الاهتمام بقائمة المفردات الاصطلاحيّة، أي قسم المفردات المشتقّة التي لا تُنبئ أشكالها بدلالاتها المحتملة، وهذه القائمة تتفرّع إلى قسمين: الأوّل يهتمّ بتطبيق الاستعمالات الخاصّة، وهو يقتصر على الشّواذ، أي مُعالجة الكلمات المشتقّة التي تكون إحدى خصائصها الدلالية أو الشكلية غير مناسبة لما يمكن أن تكون عليه القاعدة، فالبرص مثلا اسم لمرض (وهو البياض الذي يقع في الجسد لعلّة)(12)، وهو مشتقّ من فعل «بَرَصَ: الرأسَ: حلقه»، فكان من الممكن أن يكون اسم المرض منه «بُراص» وليس «بَرَصًا»؛ والثاني يهتمّ بتحويل المعجم الكامن إلى المعجم المستعمل، لإعطاء صورة آنية عن واقع المعجم في زمن محدّد. فيهتمّ، من ناحية، بالمداخل المعجمية الأساسية لفرز ما هو مستعمل منها (فيحتفظ مثلا بـ: ذَهَابٌ (اسم)، وذَهَبَ (فعل)، وذَاهِبٌ (صفة)... ولا يحتفظ بـ: بَهَاذٌ (اسم)، وبَهَذَ (فعل)، وبَاهِذٌ (صفة) فإنّها من غير المستعمل في الكلام)؛ ومن ناحية ثانية، يهتمّ بالمفردات المشتقّة وبخصائصها فيختار المفردات المستعملة في مختلف مراحل اللغة، وتحقيقاتها الدلالية المحتملة المستعملة القابلة لتحديد الأصناف المرجعية التي يمكن أن تنطبق عليها (فيحتفظ مثلا بـ «قُماش»: بمعنى «ما يكون على وجه الأرض من فُتات الأشياء»، ولا يحتفظ بـ «قُماش»: بمعنى «ما يُنسج من الحرير والقطن ونحوهما»).

---

(11) المعجم الوسيط، ص 74.

(12) نفسه، ص 49.

ورغم أنّ الدلالتين مثبتتان في المعجم[13]، فإنّ الأولى هي التي تدعمها القاعدة، فهي الأصل في الاستعمال، بينما تُردّ الثانية إلى غلبة الاصطلاح، فهي من المولّد.

والغاية من تنظيم هذه المكوّنات المعجميّة هي البحث في العلاقات بين دوالّ المفردات ومداليلها. أي بين أشكال الأدلّة ومحتوياتها، وإذن فإنّ النّموذج الوصليّ ينظّم العلاقة بين بنية المفردة ودلالتها، ولذلك فإن المفردات تُصنّف - حسب هذه النّظرية - اعتمادا على طبيعة هذه العلاقة، وقد ميّزت خاصة بين المفردات النّاشئة دلالتها عن عمل صرفي اشتقاقيّ، والمفردات التي نشأت دلالتها عن أصول قديمة أو اصطلاحات اتّفاقية، ذلك أنّ ما يتولّد في اللغة نتيجة عمل صرفي اشتقاقي يخضع لنماذج صيغية تسمح بتفسير ظهور الوحدات المعجمية الجديدة والإخبار بدلالتها، كما تسمح بمعالجتها خارج التّركيب، باعتبارها أفرادًا لغوية مستقلّة لها خصائصها المميّزة. وهذه العلاقات بين الدّلالات والأبنية الصّرفيّة ترجع إلى الصّرف الاشتقاقيّ، أمّا الدّلالات المحض التي لا صلة لها بالأبنية الصّرفيّة فترجع إلى الدّلالة المعجميّة الخالصة. على أنّ العلاقة الدّلاليّة بين مفردتين لا يمكن أن توصف بأنّها علاقة اشتقاقية إلاّ إذا اتّصلت اتّصالا منتظما بعلاقة صرفية ثابتة تستقلّ بها عن مجرّد الاشتراك اللفظي (homonymie)، وعلى العكس من ذلك، فإنّ العلاقة الاشتقاقية تؤدّي بالضرورة وظيفة صرفية ووظيفة دلالية[14].

في هذا الإطار تتنزّل دراستنا هذه. فهي تبحث في العلاقة بين المظهرين الشّكلي والدّلالي في المفردة، وتسعى إلى تجسيم المعطيات الاختباريّة في شكل مبادئ عامة تمكّن من تحويل النّظر إلى هذه الظواهر اللغوية من الملاحظة العامة إلى قوانين تتحكّم في بنية الوحدة المعجمية دلاليا. وإذا ما أمكن إثبات هذه المبادئ العامة، فإنّ ذلك سيسهم في إثراء الدّرس المعجمي العربي بتوثيق الصّلة بين الصّرف والدّلالة توثيقا يسمح بتيسير الكثير من اشكالات التوليد المصطلحي وقياسيته خاصة.

ومنطلقنا النظريّ هو إذن النّظريّة المعروفة بـ«النّموذج الوصلي»، وهي كما ذكرنا تفترض أن تتكوّنَ دلالة المفردة في نفس الوقت مع تكوّن بنيتها الصرفية، وأنّ من

---

(13) نفسه، ص 759.

D. Corbin : Morphologie dérivationnelle, p. 229 (14)

مشمولات الدّرس اللّغـوي أنْ يكشف هذا التّوافق بينهما (15). وهي نظريّة تخالف مخالفة ظاهرة ما يُسـمّى بالنّظرية الفصليّة (théorie dissociative)، وهي نظريّة يرى أصـحابهـا أنّ البنية قديمة وأنّ الدّلالة حادثة فيها نتيجة قواعد تأويلية(16).

ونرى أنّ العربية - باعـتبارها لغة ذات بنيـة مقيّدة - أقبل لتطبيق هذه النّظريّة الوصليّة من اللغات ذات البنية غير المقيّدة، مثل اللغة الفرنسية أو اللغة الانغليزية.

2 - البنية والدّلالة في العربية :

لقد انتبه اللغويون العرب القدامى إلى أهمـية العلاقة بين البنية والدلالة فتحدّثوا عن دلالة بعض الأبنية على مـعان معيّنة، غير أنّ غلبة الاعتماد على السّماع قد قلّل من انتظام

---

(15) تقول دانيـال كوربان D.Corbin : «إنّ الهدف من اعتمـاد النموذج الوصلي هو وضع وسـيلة كفـيلة بتحديد خـصوصية الظاهـرة الاشتقاقـية واعتـماد الصرف الاشتـقاقي في مجـال الدراسات المعجمـية. وهو يبدو ضروريا لتقدّم الدّراسـات في هذا الميدان لأنه يهتمّ بخاصيـة الاشتقاق، أي الاعماد على المجال المشترك للميدانين» - ينظر : Morphologie dérivationnelle, p.259.

(16) ينظر : D.Corbin : La Formation des mots, p.9 et p. 24 (n° 2)، فقد بيّنت أنّ صدى ما ذهب إلـيه تشومسـكي (Chomsky N : Aspects de la théorie syntaxique, 1965 p.250) عندما تحدث عن الأساليب الاشتقاقية باعتبـارها قوالب مشتّتة لا تعكس انتاجيّة اللغة إلا سطحيـا، يعود في الأصل إلى بلومـفيلد (Bloomfield L. : Le langage, tr. fr., 1970, p.257) الذي يرى أنّ «المعجم هو في الحقـيقة ذيل للنّحو، وهو قائمـة من الشّواذ». هذا المجال المشترك يظهر كذلك عند باحث معـجميّ هو ألان راي (Rey A. : Le lexique : images et modèles. Du dictionnaire à la lexicographie, 1977, p. 166) الذي يقـول: «إنّ المعـجم، بدون شكّ، هو الشّذوذ الأسـاسيّ في مقـابل انتظام النّحو وعلم الأصوات». إنّ هذا التّـصور الذي سـاد طويلا في النّحـو التوليـدي، لا يزال إلى الآن يمثّل منطلق النّمـاذج الحديثـة المسيطرة في مجال تكوين المفـردة، ففي نطاق تطبيق نظرية (X - barre) في التّحليل المعجميّ، نرى أنّ الدّلالة تنحصر في مجرّد تأويل - فردي - التّـركيب، إذ يـسعى أصـحاب هذا الاتّجاه إلى نسخ المبادئ التي تقـوم عليها حركـة الصّرف المعجـمي اعتمادا على مـبادئ نحوية. وقد انتـقدت كوربان (D.Corbin) في بحثهـا أصحاب هذا التّيار من اللّسانيين المحـدثين، وخصّت بالذّكر أهمّ المدافعين عنه، ومن أبرزهم:

Jackendoff R. : (1975) : "Régularités morphologiques et sémantiques dans le lexique", trad. franç. in Ronat M. (éd. (1977)) : Langue. Théorie générative étendue, Paris, Hermann, pp.65-108; Lieber R.(1981) : On the Organization of the Lexicon, Doctoral Dissertation, M.I.T., Reproduced by the Indiana University Linguistics Club; Selkirk E. O. (1982) : The Syntax of Words. Cambridge, Mass., The M.I.T. Press; Scalise S. (1984) : Generative Morphology, Dordrecht - Holland/Cinnaminson -U.S.A., Foris Publications; Sproat R. W. (1985) : On Deriving the Lexicon, Ph. D. Diss., M.I.T; Di Sciullo A. -M. and Williams E. (1987) : On The Definition of Word. Cambridge, Mass., The M.I.T. Press; Toman J. (1987) : Wortsyntax. Eine Diskussion ausgewahlter Probleme deutscher Wortbildung, 2e éd., Tubingen, Max Niemeyer Verlag.

الظاهرة، فلم يخضعوها لقياس[17]. ويمكن أن نشير إلى ما ذكره سيبويه عندما تحدّث عن المصادر الي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني، بقوله: «وأمّا السُّكَاتُ فهو داء كما قالوا العُطاس، فهذه الأشياء لا تكونُ حتى تريد الدّاء(...) وقالوا: التّجارة والخياطة والقصَابة، إنّما أرادوا أن يخبروا بالصنعة(...) ومثل هذا ما يكون معناه نحو معنى الفُضالة، وذلك نحو القُلامة والقُراضة (...) فجاء هذا على بناء واحد لما تقاربت معانيه» [18]. وكذلك ما ذكره ابن فارس في باب سمّاه «باب الأبنية الدّالة في الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف» [19] تحدّث فيه عن صيغة «فُعال» بقوله: «وتكون الأدواء على «فُعال» نحو: القُلاب، والخُمار» [20]؛ وصيغة «فُعالة»، فقال: «يأتي أكثره على ما يفضل عن الشيء ويسقط منه نحو النُّحاتة» [21]؛ وصيغة «فِعالة» فقال: «وفِعالة في الصناعات كالتجارة والنّجارة» [22]. وقد نبّه إلى أنّ هذا «هو الأغلب، وقد يختلف في اليسير» [23].

فإذا كان القدامى قد نبّهوا إلى أهميّة هذه العلاقة بين شكل المفردة ودلالتها دون أن يطوّروها إلى درجة القاعدة العامة، فهل يسمح درسها وفق هذا «النّموذج الوصلي» بتأسيس تصوّر نظريّ متكامل يضبط العلاقة بين الصيغة والدلالة في العربية ضبطا دقيقا، ويحقّق للمعجم مظهرا آخر من مظاهر انتظامه؟

يقوم هذا التّصوّر على ما للصيغة من أهمية في درس بنية المفردة في العربية عامة وتحديد بنيتها خاصة. فالمفردة تتكوّن في العربية طبقا لأنماط تحكّم صيغية، وهذه الأنماط في الغالب تختصّ بدلالات معيّنة، ومايؤكّد ذلك هو وجود «قيودٍ لغوية» تمنع استعمال أيّ

(17) فقد قال سيبويه: و«العرب ممّا يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد»، ولكنّه عقّب على ذلك بقوله: «ومن كلامهم أن يدخلوا في تلك الأشياء غير ذلك البناء». الكتاب، 12/4. لكنّ النظرية الوصلية تعتبر «الشاذّ» قد خضع لتغييرات تاريخية صوتية وصرفية وأحيانا تركيبية تقلّل من انتظامه الظاهري، ويمكن - بالرّجوع إلى هذه العوامل التاريخية - ردّه إلى القاعدة. للتوسع ينظر Anderson : Morphological change, pp. 354-360؛ وينظر: S. G.Dal : Règles et Exceptions, pp. 109-131.

(18) سيبويه: الكتاب، 10/4-13.

(19) ابن فارس: الصاحبي، ص 224-225.

(20) نفسه، ص 224.

(21) نفسه، ص 224

(22) نفسه، ص 224.

(23) نفسه، ص 225؛ وينظر فيه أيضا: «باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر» (ص ص 222-223)، و«باب البناء الدّالّ على الكثرة» (ص 224).

مفردة على أيّ صيغة استعمالا حرّا. كما أنّ هناك استعمالات عدّة ذات قيمة دلالية واحدة بسبب خضوعها لبنية صيغية معلومة، وذلك راجع إلى قابلية تصنيفها في جدول صيغي واحد، أي إنّه بالإمكان ردّها إلى أصناف اشتقاقية تُحدّد بخاصية العلاقة الدّلالية العميقة، أي بالعلاقة التصنيفية التي تربط المفردات بأصولها. فالنّموذج الصيغي يدلّ من ناحية على قاعدة اشتقاق المفردات وينبئ من ناحية ثانية بالمعنى المشترك العميق بين المفردات المشتقّة بنفس تلك القاعدة. فكيف ينعكس هذا الازدواج في التحليل اللغوي للبنية والدّلالة معا في العربية ؟

يتميّز نظام البنية في العربية، وهي لغة سامية، بكونه نظاما قائما على أبنية صرفية مقيّدة إذ لا يمكن للمفردة في العربية أن تخرج عن قواعد في الصياغة مضبوطة، ومهما انضاف إلى المفردة من زيادات فإنّها لاتخرجها عن أنماط صيغية معيّنة، فهذه البنية العربية تخالف نظام البنية في اللغات الهندية الأروبية التي تكون البنية فيها بنية مفتوحة لا تخضع لأنماط صيغية مقيّدة تتحكّم في نظام الزّيادة تحكّما صارما، بل إنّ تكوّن المفردة فيها يتمّ في الغالب بطريقة الإلصاق فتضاف إلى المفردة سوابق (préfixes) أو لواحق (suffixes) إلى الأسّ الثابت (radical)، ومثال ذلك في الفرنسية الأسّ : bord الذي تُضاف إليه السّابقة [a-] فيصير abord أو اللاّحقة [er-] فيصير : border أو كليهما معا فيصير : aborder، ويظهر من خلال هذه الأمثلة أثر السّوابق واللواحق في تغيير المعنى الأساسي للمفردة (24).

أمّا العربية فتستخدم في بناء المفردة جذرا (racine) متكوّنا من صوامت (consonnes)، وهذه الجذور هي بحسب تواترها ثلاثية ورباعية وخماسية، وهي حاملة لدلالة عامة، وتُطوّر والجذور بواسطة الصّوائت (voyelles) التي تحوّلها إلى جذوع قابلة للاستعمال. لكن إلى جانب هذا «التّحويل الدّاخلي» تستخدم العربية في تطوير بنيتها ضربا من «الإلصاق» أو الزيادة (25)، إذ يمكن أن تضاف إلى المفردة حروف زوائد في أوّلها فتسمّى سوابق، وفي وسطها فتسمى دواخل، وفي آخرها فتسمّى لواحق. ومن تلك الزيادات المحمّلة بدلالات إضافية تتولّد مفردات جديدة. على أنّ تغيير الحركات وزيادة

---

(24) للتوسّع في تحليل أثر السّوابق واللّواحق في التّغيير الدّلالي والمقولي في اللغة الفرنسية ينظر :
L. Guilbert : La créativité lexicale, pp. 158-164.

(25) محمد عبد الوهاب شحاته : المصدر الصناعي في العربية، ص 76.

الحروف خاضع لصيغة أو وزن، إذ لا بدّ للمفردة المشتقّة في العربية من الدّخول في نمط صيغيّ معيّن. ولذلك يصعب أن تضاف إلى البنية زيادة غير مقيّدة، تخرجها عن نمط صيغي مّا، بخلاف اللغات الهندية الأوروبية التي تقبل بيسر العناصر الصرفية المزيدة ولا تتقيّد بأنماط صيغيّة معلومة (26).

وهكذا نرى أنّ الصّيغة في العربية تخضع لنظام دقيق يجعل تنظيم بنيتها جزءا من مقدرتها الدّلالية. ذلك أنّ للصيغة أهمية في التوليد المعجمي ومجال هذا التوليد يكون في الأسماء والصفات والأفعال وفق نماذج صيغية معلومة، وذلك لأنّ الصيغ منطلقات في التّوليد. فإنّ دلالة المفردة المشتقة على صيغة ما لا يحقّقها الجذر بمفرده بل لا بدّ من وجود عناصر أخرى تساعده على إبراز الدلالة الجديدة، فالجذر مادة المفردة الثابتة حامل لـ«دلالة أصلية»، لكنّه غير قادر على أن يستقلّ بتوجيه الدلالة إلى حيث يريد المتكلّم إلاّ بظهور الصيغة في إطار العملية الاشتقاقية.

وانطلاقا من أنّ الصيغ ليست إلاّ مفاهيم منهجية، فإنّ المتكلّم لا يستعملها لذاتها، وإنّما يستعمل ألفاظا محكومة بمنهج تُستخدم فيه الصيغة للكشف عن الحدود بين المفردات وتحديد انتمائها المقولي ودلالتها العامة (27)، لأنّ الصيغة الصرفية لا تكون بمفردها معبّرة عن الدلالة لوجود الغموض فيها، فهي إذن في حاجة إلى المثال ليوضّح ما فيها من غموض (28). فصيغة «فعيل» مثلا، تأتي صفة مشبهة كـ(كبير وصغير)، وصفة مبالغة كـ(رحيب وعليم)، وتدلّ على معنى الفاعليّة كـ(أمير ورقيب)، وعلى معنى المفعوليّة كـ(جريح وسقيم).

أمّا الدلالة الصرفية للأفعال فتتعدّد بتعدّد الحالات التي تقبل فيها الأفعال المجرّدة صرافم الزّيادة الدّالة على التّعدية والمشاركة والصّيرورة والمطاوعة... وتنتج هذه الدّلالات عن اتّصال الفعل بالصّرافم المناسبة لكلّ وظيفة (29). وكان ابن جنّي وابن فارس قد عنيا بدلالات أبنية الأفعال (30)، حتى ذهب ابن جنّي إلى القول بـ«أنّهم (أي العرب) جعلوا

(26) للتوسّع، ينظر : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 143-152.
(27) تمام حسان : مناهج البحث في اللغة، ص 211.
(28) نفسه، ص 208.
(29) حلمي خليل : الكلمة، ص ص 51-60.
(30) ينظر ابن جنّي : الخصائص، باب «امساس الألفاظ أشباه المعاني»، 2 / 152- 168؛ وكذلك ابن فارس : الصاحبي، ص ص 222-223.

هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني، فكلّما ازدادت شبها بالمعنى كانت أدلّ عليه، وأشهد بالغرض فيه» (31).

وهذا يستوجب بدوره النّظر في طبيعة الأدلّة من حيث تعدّدها الذي يؤدّي إلى تعدّد في معانيها التي تكون لها في المعجم. فللصيّغة الصرفية أهمية إضافية تكسب المفردات قدرة على الاستقلال عن السّياق بما أنّها تضبط العناصر التي توصلنا إلى التنبؤ بمدلول المفردة، وهو أمر يستدعي استقصاء مكوّناتها التي تدخل في علاقات مع عدد من الأبنية الصّرفية لرصد شبكة العلاقات التي بين الأدلّة في اللغة (32).

وهكذا نجد في التطبيق العملي لمبدإ الاشتقاق «نموذجا منظّما» هو نظام الصيغة. فالمفردة تخضع لهذا «النموذج»، وهذا ما يسمح باستخدام القياس استخداما واسعا، لكن من الصعوبة بمكان تعقّب كلّ المشتقات بأنواعها وتفصيل القول فيها؛ ومن هنا يكون من الضروري أن نختار للدراسة بعض الصيغ لمعالجة نماذج منها منفصلة عن السّياق، وما دام عملنا مناقشة نموذجية لعلاقة الشكل بالمحتوى فإنّنا سنكتفي بتحليل نموذجين من الصّيغ أو الأنماط الصيغيّة التي غلبت قياسيتها في القديم وفي الحديث، والنّمطان هما: «فُعال» و«فعالة».

3 - تحليل فُعال وفعالة :

يقوم هذا القسم من العمل على معالجة نمطين صيغيين هما (فُعال) و(فعالة)، وقد درسنا من خلالهما عددا كبيرا من المفردات مركّزين خاصة على أهميّة العلاقة الوصليّة بين شكل المفردة ومحتواها في تحديد مدى تطابق دلالتها التي تنبئ بها الصيغة مع دلالتها المعجمية التي يثبتها الاستعمال. وهدفنا أن نثبت من خلال التّحليل أنّ لكلّ نمط صيغيّ قيمة دلالية مشتركة تمكّن من توليد ألفاظ عامة ومصطلحات تخضع في جملتها لنفس المقاييس الدّلالية؛ وهو ما يسمح - في مرحلة ثانية - بطرح قاعدة في تكوين الدّلالة قائمة على تقاطع المفهوم الذي يحمله «الجذعُ» - وهو أصلُ الاشتقاق - (33) والصيغة التي تعود إلى

---

(31) ابن جنّي : الخصائص، 134/2.

(32) يقول تمام حسان : «ليس هناك علم للدلالة بلا دراسة للصرف، أي دراسة الصيغ، ويجب هنا أن نخطط طريقة لوصف الصيغ». ينظر له : مناهج البحث في اللغة، ص 287.

(33) سنميّز في هذا العمل بين الجذر (Racine/Root) ويتكوّن من «وحدة شكليّة دنيا» هي الصوامت، و«وحدة دلالية عليا» هي الدلالة العامة ؛ والجذع (Base/Stem) وهو نوعان: «جذع رئيسي» وهي المفردة المولّدة من «الجذر» بإضافة الصّوائت ؛ و«جذوع فرعيّة» تمثّلها المفردات المولّدة بالاشتقاق من «الجذع الرئيسي» أو من الجذوع الفرعيّة ذاتها. ينظر: ابراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، ص ص 10-17؛ نفسه : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 143-152.

الجدول الصّرفي.

وقد اعتمدنا في دراسة الصيغتين على نماذج استخرجناها من القاموس المحيط للفيروزابادي (729-817هـ)، والمعجم الوسيط الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نظرا إلى اشتمال الأول عى الفصيح والغريب وأحيانا الحوشي والممات، إلى جانب المحدث من ألفاظ اللغة في عصره(34)، ولانفتاح الثاني على الألفاظ العامة والاصطلاحات الطارئة على العلوم والفنون المختلفة في العصر الحديث، إضافة إلى الألفاظ الأعجمية والمولّدة(35).

وقد انتهينا إلى مدوّنة تدلّ على أنّ للصيغتين قيمة دلالية مكّنت من توليد ألفاظ على امتداد تاريخ العربية تخضع في الجملة لمقاييس دلالية موحّدة، لذلك عقّبنا على كلّ صيغة بموقف المحدثين ممثّلا في رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة باعتباره أكثر المجامع اهتماما بمناهج تطوير العربية. وقد بوّبنا موادّ هذه المدوّنة بحسب دلالاتها ورتّبناها ترتيبا ألفبائيا في مُلحق خاصّ بها في آخر هذا البحث، مع الإشارة إلى رقم الصفحة والمعجم الذي وردت فيه المفردة(36). ونبدأ أولا بصيغة «فُعال»:

3-1. صيغة «فُعـال»:

انطلاقا ممّا ذكره اللغويون(37) - ممّن درسوا هذه الصيغة وأسّسوا رأيهم على ما أوردته المعاجم وكتب اللغة من عشرات الألفاظ - فإنّ صيغة «فُعال» ترد في الغالب للدّلالة على المرض والصّوت. لكنّ الاستقراء الذي قمنا به يكشف أنّها قد تشترك أحيانا مع صيغة «فُعالة» للدلالة على البقيّة؛ كما نجدها أحيانا أخرى دالّة على المبالغة. فقد لاحظنا أنّ النّمط الصيغي الواحد يمكن أن يرتبط بأكثر من دلالة. فإنّ صيغة «فُعال» قد ترتبط بعض نماذجها بدلالات مخالفة لدلالة المرض وما يتعلّق به. وعند تأمّل هذا الاختلاف وجدناه قائما على اختلاف مقوليّ، إذ يمكن أن تكون المفردات المشتقّة على صيغة «فُعال» أسماء وصفات، وفي هذه الحالة يجب التّفريق بين «فُعَال» المنتمية إلى مقولة الاسم و«فعال» المنتمية الى مقولة الصّفة والتي تختصّ مشتقاتها بمعنى المبالغة ولا علاقة لها بالمرض

(34) عبد اللطيف الصّوفي: اللغة ومعاجمها، ص ص 200 - 203.
(35) المعجم الوسيط، ص 20 (المقدمة).
(36) أشرنا إلى المعجم الوسيط بحرف (و) أمام رقم الصفحة، وإلى القاموس المحيط بحرف (ق).
(37) ينظر مجمع اللغة العربية: مجموعة القرارات العلمية، ص ص 118-120.

كشُجاع، جُمال، حُسام، جُراف، غُراب، كُباس، غُلام، هُمام؛ و«فُعال» هذه - المنتمية إلى مقولة الصفة - لا تصلح للدّخول في بحثنا الخاصّ بمقولة الاسم، فإنّ مقولة الاسم هي التي تحقّق دلالة المرض أو ما يتعلّق بها، لذلك بدا لنا أنّ التّمييز بين ما هو اسم على صيغة «فُعال»، وما هو صفة على صيغة «فُعال»، يؤدّي إلى فهم اختصاص بعض المفردات بمعان تخالف دلالة المرض التي ترتبط بها صيغة «فُعال» الاسميّة. لذلك استثنينا من المدوّنة ما كان على «فُعال» الصفة. وقد ساعد ذلك على تحديد أوضح للدّلالة العامة لهذه الصيغة وما يتعلّق بها، وهو ما تظهره اللّوحة التالية :

الدّلالة	المرض	البقيــة	الصوت	المجموع
العدد	186	88	38	312
النسبة %	59,62	28,20	12,18	100

ومن أمثلة ذلك نورد نماذج من المدوّنة تعبّر عن الدلالات الثلاث وهي :

(1) المــــرض :

(أ) الشُــواظ : شدّة الغلّة (38)؛

(ب) النُّكاف : التهاب مُعْد بالغدّة النّكفية (39).

(2) البقيّـــــة :

(أ) العُصار والعُصارة : وهو ما يتحلّب من الشّيء إذا عُصر (40)؛

(ب) الخُلال والخُلالة : وهو ما يبقى في سعف النّخل من التمر بعد جمعه (41).

(3) الصــوت :

(أ) النُّهــات : الصوت من الصدر (42)؛

(ب) الجُشاء : الصوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة (43).

على أنّ هذه الدلالات ليست في الحقيقة إلاّ مظهرا من مجموع التعريفات التي

(38) القاموس، ص 627، والمعجم الوسيط، ص 500.
(39) القاموس، ص 772، والوسيط، ص 953.
(40) القاموس، ص 397، والوسيط، ص 450.
(41) القاموس، ص 895، والوسيط، ص 253.
(42) القاموس، ص 149، والوسيط، ص 957.
(43) القاموس، ص 35، والوسيط، ص 124.

تجتمع حول النّمط الصيغي اعتمادا على الدلالة الأصلية للجذر دون أن يوحي ذلك باختيار متعمّد، إذ من المفروض أن يُنظر إلى المفردة المشتقّة من زاويتين، الأولى دلالتها اللغوية، والثّانية ما يُعطى لهذه المفردات من مرجعيات تصنيفية. فالطريقة التي بها تُنبئ المفردة المشتقة على صيغة «فُعال» بدلالتها (وهي هنا ثلاث دلالات) تسمح بتفسير تنوّع الأقسام المرجعية (classes référentielles) التي يمكن أن تدلّ عليها. أي إنّ الدّلالة التي تنبئ بها الصيغة يمكن أن تظهر من خلال تنوّعات عديدة حيث يكمن التّنوّع في ما تعيّنه وليس في معنى المفردة المعيّنة(44). وهكذا فإنّ «شُواظ» مثلا، لا تربطها في الظاهر صلة بدلالة المرض، فهي بمعنى «وهج الحرّ»، وقد جاء في القرآن: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ من نار ونُحاسٌ فلا تنتصران»(45)، لكنّنا قد نجدها كذلك بمعنى «شدّة الغُلّة»(46)؛ فإذا تأمّلنا الجذع الفعليّ «شاظَ» نجده بمعنى: هاج المرضُ وخنز، وشاظ الغضبُ: اشتدّ... وهكذا فإنّ معنى شُواظ يؤول في النّهاية إلى الصنف المرجعي المتعلّق بالدلالة على إصابة أو ضرر، فإذا تعلّق الأمر بالأحياء، فالدلالة هي المرض، وإذا تعلّق بالأشياء فالدلالة هي الفساد والاندثار. وبذلك نرى أنّ دلالة المفردة المشتقّة قد تكون ظاهرة، كلّيا من خلال عدد من الإمكانات تحدّدها الصيغ التي يرتبط بها المعنى، أو جزئيا من خلال تعديلات ترجع إلى القواعد الجزئية دلالية كانت أو اشتقاقية.

وبدون اللّجوء إلى هذا الفحص المتأنّي للمفردات المشتقة، فإنّ المظهر الخارجي للدلالة سيؤول بدلالة الصيغة إلى ما يُعرف بالتّرادف، وهذا لا يدعم «النّظريّة الوصلية» بل يؤكّد الاكتفاء بـ «الفصلية» القائلة باعتباطية دلالة المفردات المشتقّة. ويظهر هذا الاتّجاه في وجود ثلاث دلالات لصيغة «فُعال» كما أسلفنا، أي إنّنا مع كلّ مثال ندرسه نتوقّع دلالة من الدلالات الثلاث التالية:

المشتقات: **الدلالة الممكنة:**

(1) **جُساد**: - المرض* - الصوت - المبالغة - البقية

← الجُساد: وجع يأخذ في الجسد(47).

---

(44) ينظر: D. Corbin : Morphologie dérivationnelle, p. 261.

(45) الرّحمان، الآية 35. وينظر: المعجم الوسيط، ص 500.

(46) القاموس، ص 427.

(47) المعجم الوسيط، ص 122.

(2) **خُشار** : - المرض - الصوت - المبالغة - البقية (*)

← الخُشار : فضلة الشيء (48).

(3) **نُهات**: - المرض - الصوت* - المبالغة - البقية

← النُّهات : الصوت من الصدر عند المشقة (49).

3-2. صيغة فعالة :

عرفت العربية هذه الصيغة في القديم وفي الحديث، وهي مشتقّة من الفعل الثلاثي على وزن «فعالة» للتّعبير عن صيغة مصدرية تُستعمل في الغالب للدّلالة على معنى الحرفة (50)، لكنّنا نجدها في المدوّنة متّصلة كذلك بمتعلّقات الحرفة كالتّخصّص والوسيلة، وقد تدلّ أيضا على المعنى الأصلي للجذع، أي الأصل الجذعيّ الذي كان منطلق اشتقاق المفردة، وهو ما يبيّنه الجدول التالي :

الدلالة	العدد	النّسبة %
الحرفة	124	71,26
الوسيلة	37	21,26
الجذع	13	7,48
المجموع	174	100

ومن أمثلة ذلك نورد هذه النماذج من المدوّنة لتوضيح الدلالات الثلاث، وهي :

(1) الحـرفـــة :

(أ) **الورّاقة** : حرفة الورّاق(51)؛

(ب) **القِصارة** : حرفة القصّار(52).

(2) الوسيلـــة :

(أ) **الإِداوة** : إناء صغير يحمل فيه الماء(53)؛

---

(48) نفسه، ص 210.

(49) نفسه، 957، والقاموس، ص 140.

(50) ينظر : مجمع اللغة العربية : مجموعة القرارات العلميّة، ص 114.

(51) القاموس، ص 885.

(52) المعجم الوسيط، ص 739

(53) نفسه، ص 10.

(ب) **الحياصة** : سير يُشدّ به حزام السّرج(54).

(3) دلالــة الجذع :

(أ) **الحناية** : الانحناء، النّاقة الحنواء : الحدباء(55) ؛

(ب) **الحذاقة** : التعلّم(56).

والمفردات المشتقة على صيغة «فعالة» تحتمل عادة ثلاث دلالات ممكنة كما يلي :

المشتقات : **الدلالة الممكنة :**

(1) **النِّساجة** : - الحرفة * - الوسيلة - دلالة الجذع

← **النِّساجة** : حرفة النّسّاج(57).

(2) **الخزَامَة** : - الحرفة - الوسيلة* - دلالة الجذع

← **الخزامــة** : حلقة من الشّعر، توضع في أنف البعير، يُشدّ بها الزّمام(58).

(3) **الحكاية** : - الحرفة - الوسيلة - دلالة الجذع*

← **الحكــاية** : اللهجة(59).

وهكذا نرى أنّ الدلالات المثبتة في المعجم لصيغة «فُعال» هي في المثال (1) تطبيق مناسب للقاعدة الوصلية بما أنّه عبّر عن معنى المرض، بينما في المثالين (2 و3) تبدو خاصية الصيغة «فُعال» ثانوية في علاقتها الدلالية، إذ دلّت في ظاهرها على معنيين بعيدين عن دلالة المرض، فدلّت كلّ واحدة منهما على معنى خاصّ فقد دلّت «خُثار» على معنى البقيّة ؛ ودلّت «نُهات» على معنى الصوت. ويصحّ نفس الاستنتاج على دلالات صيغة «فعالة» : فإنّ المثال (1) دلّ على معنى الحرفة، بينما دلّ المثالان (2 و3) على معنيين مغايرين هما الوسيلة ودلالة الجذع. فهل إنّ ظهور هذه المفردات في المعجم دليل مبدئيّ على أنّ جزءا من المفردات المشتقة لا تنبئ صيغتها بالدلالة ؟ أي هل ينفي ذلك قدرة صيغة «فُعال» و«فعالة» على أداء دور دلالي مستمدّ من صيغتهما النّموذجيتين ؟

---

(54) القاموس، ص 553.

(55) نفسه، ص 1149.

(56) نفسه، ص 780.

(57) المعجم الوسيط، ص 917.

(58) نفسه، ص 233.

(59) نفسه، ص 191.

إذا انطلقنا من أنّ القاعدة الاشتقاقية القائمة على النّمط الصيغي تولّد مفردات ذات دلالة عامة مشتركة، فإنّ هذه القاعدة لا تهتمّ بهذه المفردات التي حلّلنا، بل إنّنا نحملها على أنّها شاذّة دلاليا. وفي هذه الحالة، فإنّ العملية الدلالية التي تُدخل هذه المفردات في جدول صيغيّ واحد لا تكون دقيقة. لكن كيف نفسّر قبول المتكلّم لمفردات جديدة باعتبارها أسماء مولّدة في العصر الحديث للدلالة على المرض؟ فقد ولّد مجمع القاهرة مصطلحات منها:

(1) «شُياخ»، للدّلالة على مرض الشيخوخة المبكّرة النّاشئ عن النّموّ غير السّويّ(60)؛

(2) «صِرافة»، للدّلالة على مهنة صرّاف المال؛

وهما معنيان لا يوجدان في المعاجم القديمة، لكنّ المتكلّم قد غلّب الدلالتين بواسطة عملية وصلية تربط بين دلالة الجذع الاسميّ (شيْخ) وصيغة المفردة المشتقة: «فُعال»؛ ودلالة الجذع الفعليّ (صَرَف) وصيغة المفردة المشتقة: «فعالة»؛ كما هو الشّأن أيضا مع مفردة «ذُهان» من الجذع الاسميّ (ذهْن)، ومفردة «فصالَة» من الجذع الفعليّ (فَصلَ).

إنّ التصوّر الذي لدينا عن النظام الصيغي وطريقة توسّعه يحملنا على الاعتقاد بأنّ هذه المشتقات تقوم على «العلاقات الوصلية» الصرفية الدلالية (morphosémantiques) التي تجمع بينها، وأنّنا لسنا في حاجة إلى معرفة كلّ المفردات وحفظ خصائصها في الذاكرة لننتجها ونفهمها، بل إنّه يكفي الاعتماد على قواعد إنتاجها الخاصة. فما هي الطبيعة الاشتقاقية للجذع؟ وما هي حدود القدرة الاشتقاقية والمعرفة المعجمية الاتّفاقية؟

إنّ «ذُهان» لا توجد في المعجم العربي القديم والحديث، غير أنّ قارئا لم يرَ هذه المفردة سابقا قادر، انطلاقا من معرفته لـ«قُلاب» ولقاعدة الاشتقاق التي تُلحق الجذع بفُعال، على تحديد جنسها (مذكر) وانتمائها المقولي (اسم) ودلالتها (المرض) وبنيتها (جذع + صيغة). فإنّ لـ«ذُهان» جميع خصائص المفردة السّليمة البنية، وعدم وجودها في المعجم راجع إلى عدم الحاجة في السّابق إلى ظهورها. والمتكلّم المثالي للعربية ينبغي ألاّ يسند إلى «ذُهان» قيمة مخالفة لقيمة «قُلاب» إذ ليس هناك ما يفرّق بين الخصائص اللغوية

(60) نفسه، ص 502.

لكلتيهما ولا يخرجهما من رصيد المفردات المشتقة التي يجب وصفها.

وفي الحقيقة فإنّ المقدرة الاشتقاقية تسمح بإنتاج عدد كبير من المفردات المشتقة الممكنة وبوضع أحكام لغوية لها، بينما المعرفة المعجمية الاتّفاقية تتّجه إلى نوع آخر من المعالجة كالبحث في وجود المفردة ومدى صحّتها واختيار صيغ دون أخرى وتأويلها دلاليا. فإذا كانت المقدرة الاشتقاقية هي مجال القواعد التي تحدّد ما هو ممكن وما هو غير ممكن لغويا، فإنّ المعرفة المعجمية الاتّفاقية هي مجال الاختيار اللغوي الذي يحدّد الممكن وغير الممكن في الاستعمال الاجتماعي للمعجم إذ يمكن أن تُعتبر أشكالٌ أو دلالات موافقةٌ للقاعدة غيرَ شرعية، مثل «دُهان» و«فصالة»، لأنّ هذه المعرفة لا تهتمّ إلاّ بالرّصيد الاتّفاقي معتقدة أنّها تقدّم نموذجا للمقدرة الاشتقاقية.

لكنّ الباحث في هذا السّياق الذي اعتمدنا، مطالب بأن يهتدي إلى قواعد تثبت خضوع المفردات المشتقة الممكنة لجدول صيغيّ واحد تتحكّم فيه دلالة عامة مشتركة. وتكشف الملاحظة المبدئية أنّ من نتائج زيادة الصيغة على الجذع في نطاق القواعد اللغوية جعل المفردة متغيّرة صرفيّا ودلاليّا مقارنة لها بالجذع. وطبيعة هذا التغيّر تمثّل مشكلا نظريّا، فالقارئ العادي الذي لا يملك معرفة تامّة بالرصيد الاتّفاقي غير قادر على توجيه المقدرة الاشتقاقية توجيها سليما، فإنّ معرفة «فُعال» وقاعدة تكوين اسم المرض على جذع اسميّ تسمح له بأن يربط اشتقاقيا مفردة «شُياخ» بـ :

شيخ 1 : من أدرك الشيخوخة ؛

شيخ 2 : ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة ؛

شيخ 3 : من رجال الإدارة في القرية؛

شيخ 4 : وظيفة تربوية[61].

كما أنّ (فعالة) وقاعدة تكوين اسم الحرفة على جذع اسميّ تسمح له بأن يربط اشتقاقيا مفردة «صرافة» بـ:

صرف 1 : تدبير الأمر وتوجيهه ؛

صرف 2 : ترك الشيء والتحوّل عنه ؛

(61) نفسه، 502.

صرف 3 : الإنفاق ؛

صرف 4 : نَوائب الدّهر وحدثانه ؛

صرف 5 : علم أبنية الكلام ؛

صرف 6 : مبادلة النّقد[62].

في مجموعتيْ النّماذج السّابقتين نلاحظ علاقة ترادف وعلاقة اشتقاق، غير أنّ ما يسمح بتكوين مفردة «شُياخ» ومفردة «صرافة» ويعطيهما الخصوصية الاشتقاقية النّموذجية هو الاتّحاد بين الشكل والدلالة. وهذه بعيدة عن أن تكون مجرّد ملاحظة سطحيّة. فإنّها الآن مادة حوار بين الصرفيين[63]. فإذا اعتبرنا العملية الصرفية(صيغة فُعال وفعالة) والعملية الدلالية (دلالة المرض والحرفة) محققة بعملية اشتقاقية، أي عن طريق تطبيق قاعدة اشتقاقية على جذع معيّن فإنّ نتيجة ذلك أنّ العملية الاشتقاقية تمثّل اتّحادا ضمنيا بين ما هو صرفيّ وما هو دلاليّ[64]. وكما أنّ بنية المفردة المشتقة تُنبئ بدلالتها فكذلك تُنبئ دلالتها ببنيتها، فإنّ شكل المفردة المشتقّة ينبئ به معناها إمّا بشكل كامل من خلال عدد من الإمكانات التي تحدّدها قاعدة الاشتقاق التي يرتبط بها المعنى، وإمّا جزئيا من خلال تعديلات ترجع إلى القواعد الجزئية[65].

فهل يمثّل البحث في طبيعة هذه العلاقة الوصلية منهجا يؤدّي إلى تغيير الشّذوذ الدلالي في عدد من المفردات ؟ إنّنا نعتبر الشّذوذ خرقا للقاعدة الوصلية، ولهذا سنحاول البحث عن تفسير يسمح بالنّظر إلى الصيغ المشتقة على وزن «فُعال» و«فعالة» - سواء ما كان منها خاضعا للقاعدة أو ما لم يكن خاضعا - نظرةً موحّدةً. وقد انطلقنا من الافتراض الذي تقوم عليه النّظريّة الوصليّة وهو اعتبار ما بُني على صيغة «معيّنة» خاضعا لدلالة واحدة، وما يشذّ عنها ظاهريا يظلّ في مستوى التّحليل موحيا بالدلالة العامة التي تُكسبها له الصيغة الصرفية. فتتبّعنا مدى صحّة ذلك من خلال تحليل موسّع لنماذج من المدوّنة التي

---

(62) نفسه، ص 313.

(63) ينظر مثلا : D. Corbin : Méthodes en morphologie dérivationnelle, pp. 3-13.

(64) إنّ عناصر الجدول الصيغي الواحد تشترك في جميع الخصائص الشكليّة ماعدا الخصيصة الصوتية، وانطلاقا من مجموع تلك الخصائص غير المختلفة يظهر دور القواعد الاشتقاقية التي تُعطي لطبيعة كلّ صيغة شكلية خصائصها الدلالية. ينظر: D.Corbin : Méthodes en morphologie dérivationnelle, p.13.

(65) D.Corbin : Morphologie dérivationnelle, p. 235.

استخرجناها من مصدرينا، وقد قسّمنا نماذجنا التي نعتزم تحليلها إلى ثلاثة أصناف بحسب العلاقة الوصلية كما يلي :

أ - نماذج قائمة على علاقة وصلية مباشرة بين الشكل والدلالة ؛

ب - نماذج قائمة على علاقة وصلية غير مباشرة بين الشكل والدلالة ؛

ج - نماذج لا تقوم في الظاهر على علاقة وصلية بين الشكل والدّلالة.

على أنّ معالجتنا ستقتصر على الصنفين (ب، ج) لأنّهما يمثلان إشكالية البحث بينما لا يحتاج الصنف (أ) إلى تحليل لأنّه يدعم صحّة القاعدة.

3-3. معالجة النّماذج القائمة على علاقة وصلية غير مباشرة بين شكل المفردة ودلالتها :

ومن أمثلة ذلك نذكر هذه النّماذج التي لم نذكر بعضها في مدوّنتنا :

(أ) في صيغة «فُعال» :

(1) أُوار : العطش ؛

(2) سُلاف : أجْوَدُ الخمْر، والخالصُ من كلّ شيء؛

(3) حُساس : الجُذاذ من الشّيء ؛

(4) جُواد : النُّعاس . . .

(ب) في صيغة «فعالة» :

(1) جعَالةٌ : ما يَجْعَلُ على العمل من أجْر؛

(2) عصابة : جماعة من النّاس ؛

(3) فحالة : الذّكورة ؛

(4) كِياسة : الظّرف والفطنة.

فهذه المفردات قبل اتّحادها بدلالات اتّفاقية خارجة عن العملية الاشتقاقية الدلالية متّصلة في الحقيقة بما اعتبرناه على التعميم دلالة نموذجية، وهو في المجموعة الأولى «فُعال» بمعنى الحرفة، ويتّسع كذلك إلى كلّ ما دلّ على مكانها أو وسيلتها أو دورها. على أنّ من طبيعة الدلالة المعجميّة أن تكون متطورّة، وهو ما يؤدّي إلى تعدّد معنى المفردة، فتكون قابلة لأن تدخل في أكثر من سياق، والدّليل على ذلك وجود أكثر من معنى

للمفردات التي أخضعناها للتحليل. ولذلك فإنّ المعجم يستفيد من المستويات التحليلية التي تقوم عليها بقية أنظمة اللغة ومنها المستوى الصرفي، ولهذا فسنعالج هذه الدلالات من منطلقات دلالية وصرفية خاصة. وقد طبّقنا ذلك على الأمثلة التالية ممّا يبدو شاذًا دلاليا :

أ - فُعـــال :

(1) أُوار : بمعنى حرّ الشمس ولهب النّار، لكنّه يأتي أيضا بمعنى: العطش الشديد، فيقال : كاد يُغْشى عليه من الأُوار(66). وحينئذ يمكن اعتبار الأُوار عاملا من عوامل المرض؛

(2) سُلاف (والسلافة): بمعنى أجود الخمر، والخالص من كل شيء. لكنّها تأتي بمعنى «الأول». فإن «السُّلاف» (والسُّلافة) «أول ما يُعْتصَر من العنب»، و«سلافة كل شيء عصرته : أوّله»(67). فإذا أضفنا إلى معنى «الأول» معنى «الخالص من كلّ شيء» استنتجنا معنى «القلّة، الملازم لمعنى «البقية». وإذن فإنّ السُّلاف من هذه الناحية أصبحت دالّة على البقيّة؛

(3) حُساس : بمعنى الجُذاذ من الشيء، ورجل ذو حُساس : رديء الخلق أو مشؤوم. لكنّ الجذع الفعليّ «حسّ» يُقال أيضا عن الألم المفاجئ، وحُساس الحمّى : مسّها أوّل ما تبدأ(68). وهو ما يسهل معه اعتبار الحُساس ضربا من المرض؛

(4) جُواد : النُّعاس. لكن الجذع الفعليّ «جيدَ» جُوادا بمعنى : عطش، ويقال : «جيدَ فلان من العطش» : أشرف على الهلاك، وكذلك تأتي معناه الشّوق الشّديد(69). وهو ما يمكن معه اعتبارها دالة على مرض الهُيام.

ب - فعـــالـــة :

(1) جِعَالَة : جعَل الشيءَ : صنَعَهُ وخلَقَهُ وقدّرَهُ ووضَعَهُ وجعَلَ كذا للعامل على عَمله : شارَطَهُ به عليْه. وجعَلَ لَهُ على كذا جُعْلاً وجَعَالَةً : قدّرَ له أجْراً عليْه. والجِعَالَة - مثل الجَعَالَة - هي مَا يُجْعَل على العمل من أجْر(70). وهكذا ظهر استخدامُ صيغة فِعالة

---

(66) القاموس، ص 440.
(67) ينظر : لسان العرب، 9/160.
(68) المعجم الوسيط، ص 174.
(69) نفسه، ص 145.
(70) نفسه، ص 120.

(جعالة) لمناسبة هذا المفهوم الحرفي، وهو النظام الاتفاقي السائد بين العاملين وأصحاب العمل المؤجرين، حتى صار معاملة منتظمة.

(2) عصابة : الجماعة من الناس، من عصب اللحم : كثر عصبه، وعصبه شدّه بالعصابة (71)، فقد انتقل مفهوم القوة إلى الدلالة على الاتحاد، وهو ما أصبح يدلّ على الجماعة ذوي رأي واحد أو حرفة واحدة... إلخ.

(3) فحالة : الذكورة، والفحل : الذكر القوي من كلّ حيوان، ويقال : فحول الشعر أو العلم الفائقون فيه، كما يقال : أفحل فلان : اتّخذ فحلا (72)، أي إنّ الفحولة يمكن أن تتحوّل إلى وظيفة خاصة بضرورب معيّنة من الحيوان (جنسيا)، وفي مستوى الإنسان (معرفيا) ؛

(4) كياسة : تمكّن النفوس من استنباط ما هو أنفع، وكاس كياسة: عَقَلَ وظَرُفَ وفَطُنَ، وكيّسه : جعله كيّسا (73)، فهي إذن عملية حاصلة بمداومة ترويض النّفس وتربيتها حتى صارت صَنْعَةً لها قواعدها.

والغالب في هذه المفردات أنّ دلالة الحرفة تظهر من خلال شروط، منها الاختصاص والمداومة والتمكّن، لأنّ توفّر هذه الشّروط هو الذي يوجّه دلالة المفردة إلى الخصائص المرجعية للحرفة.

إنّ هدفنا من هذا التحليل هو حينئذ محاولة تحديد العلاقة الدلالية المتّصلة بهذه القاعدة باعتماد النّظريّة الوصليّة التي تفترض خضوع النّماذج الصيغيّة لقاعدة دلالية وحيدة، أي من الممكن أن تكون المفردات المشتقة على صيغة «فُعال» و«فعالة» مثلا مسيّرة بنفس القاعدة الدلالية، هذا ما سنحاول البحث فيه من خلال إعادة تحليل ثلاثة نماذج من صيغة «فُعال» وثلاثة نماذج من صيغة «فعالة» دلّ كلّ نموذج منها - في الظّاهر - على دلالة مستقلّة.

لاحظنا في (3-1) و(3-2) أنّ في الرّصيد المثبت في المعجم تنافسا دلاليا على صيغة صرفية واحدة، فقد رأينا أنّ صيغة «فُعال» قد أفادت في الأمثلة السّابقة : دلالة 1

(71) نفسه، ص 603.
(72) نفسه، ص 676.
(73) نفسه، ص 807.

(المرض)، ود2(البقيّة)، ود3(الصوت)، وأفادت صيغة «فعالة» : د1 (الحرفة)، ود2(الوسيلة)، ود3(الجذع)، وهو ما يجعلها غير منتمية إلى نفس الصنف التحليلي الذي تنتمي إليه الصيغ المنتظمة دلاليا مع صيغتها الصرفية، فهل ذلك دليل على عدم صحة التصور الوصلي ؟

إنّ النظام الصرفي هو نظام من الصيغ التي ترتبط بمعان، وهذه المعاني تحققها الصيغ بواسطة العلامات، فإنّ المعنى الوظيفي الذي تعبّر عنه الصيغة يتّسم بالأحادية الدلالية، لكن إذا تحقّقت البنية بعلامات في سياقات، فإنّ الأحاديّة الدلالية تتحوّل إلى تعدّد في المعنى المعجمي، لأنّ من طبيعة المعنى المعجمي التّعدّد والاحتمال، بذكر معان متعدّدة بعضها تاريخي وبعضها آنيّ، تستعمل في سياقات مختلفة (74). لذلك رأينا أن نضع جدولا لهذه المفردات لمعالجة دلالاتها القابلة للتّحقّق مع هذه الصيغة، ومن ثمّ أن نبحث في حقيقة ما يبدو شذوذا دلاليا بمتابعة علاقاته السّابقة مع الجذر وصولا إلى المشتقّ المدروس.

(1) صيغة (فُعال) :

أ - «جُســـاد» :

√ ج س د ← جسَدَهُ : ضرب جسده، والجسد : الجسم (75)، انطلاقا من دلالة الجذر يمكن أن نقول : هذا مُصاب بجُساد، كقولنا كُباد وقُلاب. وانطلاقا من هذا القياس نعتبر (جُساد) مشتقّة من الجذع الاسميّ : (جَسَدٌ). ولنقارنْ بين المعنيين : المُحتمل (prédictible) (أي الذي ينبئ به اتّحاد البنية والدلالة)، والمعجمي (أي القائم في الاستعمال) :

الدلالة المُحتملة	الدلالة المعجمية
← جُساد : مرض الجسد	وجع يأخذ في الجسد أو البطن

نلاحظ أنّ الدلالة المُحتملة وهي المستمدّة من صيغة المفردة ومحتواها، والدلالة المعجمية وهي المستمدّة من تعريف المعجم، متماثلتان تقريبا.

(74) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص 319.
(75) المعجم الوسيط ، ص 122.

ب - «خُثار» :

√خ ث ر ← خثَر وخثُر اللّبن ونحوه : ثخُن وغلُظ. وخثَر الرّجل فهو خاثر النّفس والعظام : أحسّ فتورا وتكسّرا، والتّخثُّرُ في الطبّ : تجمّد الدّم في الشرايين(76). انطلاقا من دلالة الجذع الفعليّ «خَثَرَ» فإنّ متكلم العربية يمكن أن يستعمل «خُثار» للدلالة على المصاب بمرض الوهن، فيقال مثلا : هذا مصاب بخُثار. ولنقارنْ بين المعنى المُحتمل والمعنى المعجمي :

الدلالة المُحتملة	**الدلالة المعجمية**
← **خُثار** : مرض الوهن	فضلة الشيء وبقيته

تبدو الدلالة المعجمية في الظاهر شاذة بالنسبة إلى الصيغ ذات الدلالة المنتظمة، والدليل على ذلك أنّ مفردة «خُثار» لم تعرّف في المعجم بمعنى المرض.

ج - «نُهات» :

√ن هـ ت ← نَهَتَ الرّجل : زحر (أي أخرج صوتا بأنين) (77)، ويمكن حينئذ أن نستخدم صيغة نُهات للتعبير عن المرض الذي يورث صاحبه الأنين، كأن نقول : مُصاب بنُهات، وفي هذه الحالة نعتبر اشتقاق (نُهات) من الجذع الفعليّ (نَهَت) دالاّ على المعاناة أو المرض. ولنقارنْ المعنيين المُحتمل والمعجمي :

الدلالة المُحتملة	**الدلالة المعجمية**
← **نُهات**: مرض يورث الأنين	الصوت من الصدر عند المشقة

إنّ الخلاف بين الدلالتين ليس جوهريّا، فإذا كانت الدلالة المعجمية تغلّب هنا مفهوم الصوت، فإنّ هذا الضّرب من الأصوات معبّر عن المشقّة والألم أي متّصل بسبب ما بالمرض، وهذه هي نقطة الالتقاء التي تجمع - في نطاق النّمط الصيغيّ الواحد- بين ما يبدو في الظاهر دلالات متعددة، ذلك أن ما نعنيه في الحقيقة بدلالة المرض تتّسع لتشمل كلّ ما يتّصل به أو يكون من مظاهره وأسبابه لدى الأحياء، وما يدلّ على الفساد والنّقص والاندثار في الأشياء. كما أنّ العلاقة الاشتقاقية الدّلاليّة كما رأينا، ينبغي ألاّ تُحلّل دائما من زاوية المعنى العام الذي يفيده الجذر، فإنّ «فُعال» تُصاغ من أحد الجذوع الفعلية أو الاسميّة

(76) نفسه، ص 218

(77) نفسه، ص 937

لا من الجذر نفسه، أي بعد أن تكون قد مرّت بتحويرات دلالية جزئيّة، فيحدث نوع من الخرق الدّلاليّ يتجسّد في الغالب لدى المتكلّم في الإحساس بعدم قدرة الدلالة على الانتظام، وهو ما يدفعه إلى الاعتماد على الحفظ لتحديد النّماذج المتحدة مع القاعدة والنّماذج غير المتّحدة معها.

(2) صيغة «فعالة» :

أ - «نساجة» :

√ن س ج ← نسج الثوب : حاكه (78)، انطلاقا من دلالة الجذر يمكن القول : إنّ نساجة دليل على مهنة النّاسج كقولنا : حلاقة أو نجارة. واعتمادا على هذا القياس نعتبر «نساجة» مشتقّة من الجذع الفعليّ : «نسج». ولنقارن بين المعنيين المُحتمل والمعجمي :

الدلالة المُحتملة	الدلالة المعجمية
← النّساجة : مهنة النّاسج	حرفة النّسّاج

نلاحظ أنّ الدّلالة المنبأ بها وهي المستمدّة من صيغة المفردة ومحتوها، والدلالة المعجمية وهي المستمدّة من تعريف المعجم، متماثلتان.

ب - «خزامة» :

√خ ز م ← خزم الكتاب خزْما : شكّه وثقبه؛ وخزم شراك النّعل : ثقبه وشدّه؛ ويمكن اعتبار الخزامة - وهي أداة تُصنع من الشّعر لإذلال البعير وتسخيره - مشتقّة من الجذع الفعليّ «خزَمَ»، يقال : خزم البعيرَ : ثقب أنفه، وجعل في جانب منخره الخزامة (79). ولا شكّ أنّ الصلة ظاهرة بين مفهوم الصنعة وحسن التحكّم في البعير، وهو ما يجعل العلاقة بيّنة بين الدلالة التي تنبئ بها العلاقة الوصلية بين الشكل والمحتوى، والدلالة التي تقرّهاالمعاجم، وذلك كالآتي :

الدلالة المُحتملة	الدلالة المعجمية
← الخزامة : صناعة ما يخزَمُ به	حلقة توضع في أنف البعير

تبدو الدلالة المعجمية في الظاهر شاذة بالنّسبة إلى الصيغ ذات الدلالة المنتظمة، لأنّ

---

(78) نفسه، 917.

(79) نفسه، 213.

مفردة «خزامة» لم تعرّف في المعجم بمعنى الحرفة، بقدر ما هي دالّة على الوسيلة أو الأداة، لكن إذا طبّقنا على دلالة الحرفة ما طبّقناه على دلالة المرض من التعميم الذي يمتدّ إلى متعلّقات الحرفة كالوسيلة والأداة والمهارة والملازمة تبيّنت لنا طبيعة العلاقة بينها جميعا.

ج - «النِّقاسة» :

√ن ق س > نقس فلانا : عابه، وناقسه : عايبه، ويقال : بينهما مُناقسة. لكن يُقال أيضا : نقسَ النّاقوسُ : صوّت، ونقس فلان : قرع النّاقوس، ونقّس القومَ بناقوسه: دعاهم. وهذه الدّلالة الثانية راجعة إلى الجذع الاسميّ النّاقوس : وهو آلة يضربها النصارى إيذانا بحلول وقت الصلاة (80)، فإذا اعتمدنا على الصّلة الدلاليّة العامة بين الحرفة وما يتّصل بها وهو هنا المهارة والمداومة، أمكن لنا أن نستخدم «النِّقاسة» بمعنى الحرفة، فيقال : يمتهن النِّقاسة، أي القيام بوظيفة اجتماعية أو دينيّة هي الإعلام بحلول الصلاة مثلا، وهو وجه القرابة مع مفهوم الحرفة.

ولنقارن بين المعنى المحتمل والمعنى المستعمل :

الدلالة المُحتملة	الدلالة المعجمية
← نقاسة : وظيفة ضرب الناقوس	العيْب والسّخرية

لا وجود في الظاهر لعلاقة دلالية بين المعنيين، غير أنهما يلتقيان في الدّلالة العميقة أو الجوهريّة، بما أنّ المعنى المعجميّ الذي تُثبته المعاجم دليل على وجود ما يدلّ على الإظهار والإعلان. وهو ما يؤول بالدّلالة إلى الحرفة ومتعلّقاتها.

ويُستنتج ممّا تقدم أنّ العملية الدلالية تتكامل مع عملية أكثر خصوصية ينبئ بها المنهج الصرفي ودلالة الجذر وتؤكّد أنّ «فُعال» و«فعالة» مثلا، قد ظهرتا ضمن سلسلتين من العمليات الشكلية والدلالية السابقة لهما. فقد صيغَتْ «نُهَات» و«خُشَار» و«نسَاجَة» و«خزَامَة» من الجذوع الفعْليّة «نَهتَ» و«خَثَرَ» و«نَسَجَ» و«خزَمَ»؛ بينما «جُسَادٌ» و«نقَاسَةٌ» صيغَتا من الجذعين الاسميّين «جَسَدٌ» و«نَاقُوسٌ». وهذه المشتقّات لا تحافظ في الغالب على الدلالة الأصليّة للجذر بل إنها تعرف تحوّلات دلاليّة إضافيّة عن طريق المجاز خاصّة.

ومن هنا فإن توليد عدد من المشتقّات على صيغة «فُعال» و«فِعَالة» لايعْني بالضرورة

(80) نفسه، ص 140.

أن العلاقة (جذر/صيغة) هي العلاقة الوحيدة الممكنة، بل إنّ تعدّد العلاقات يُفضي إلى تعدّد في الفهم وفي التأويل، وذلك يخلق شعورا باتّساع قاعدة التّضمّن (hyponymie) لتشمل أكثر ما يمكن من المشتقات المنتجة ضمن إطار دلاليّ واحد.

هذا التّصورّ في فهم العلاقة الدلالية يجنّبنا الاعتماد على ما يعرف بالاشتراك الدّلالي (polysémie) وهو مفهوم يكرّس «النّموذج الفصلي»، بينما منطلق «النموذج الوصلي» يتمثّل في إمكانية أن نحدّد تحديدا واضحا ما ينتج عن القواعد الاشتقاقية وما ينتج عن القواعد الدلالية مع المحافظة على خصوصياتها الأولى، كما هو الشّأن في الأمثلة التي حلّلنا، فقد دلّت على الدّور الدّلالي الذي يمكن أن تؤدّيه العلاقة الاشتقاقية بين جذر المفردة وبنيتها الصرفية المتمثّلة هنا في صيغتي «فُعال» و«فعالة»، لكنّ المشكل يتمثّل في ضبط درجة الالتقاء بين الخصائص الدلالية التي يحيل إليها الجذر والخصائص التي تحيل إليها المشتقات.

غير أنّ تحديد هذه الخصائص عمل دقيق يمكن أن يعتمد فيه على الدّلالة الغالبة التي تعتبر دلالة نموذجية، إذا كانت سائدة في استعمالات تلك الصيغة. على أنّ تكوين مشتقّ على صيغة معيّنة معناه دخول خصائصه النّموذجيّة في علاقة اتّحادية مع خصائص الأصل الجذعي، وهو ما سنحاول إظهاره من خلال دراستنا لبعض المشتقات وذلك بالبحث في خصائصها التي يحيل إليها الأصل الجذعيّ الظاهر في المشتقّ.

لاحظنا أنّ بين المشتق والأصل الجذعيّ - أي الجذع الذي اتّخذ منطلقا للاشتقاق - خصائص مشتركة، وإذنْ ألا يمكن أن تطلق المشتقات: «جُساد» خُثار، و«نُهات»، وكذلك: «نساجة»، و«خزامة» و«نقاسة» على مفاهيم حقيقية تحيل إلى دلالة الجذوع: «جَسَدٌ، وخَثَرَ، ونَهَتَ، ونَسَجَ، وخَزَمَ، وناقوس»؟ فتؤدّي الصيغة النّموذجية في القائمة الأولى إلى تثبيت الخصائص الدلالية التي تعيّنها الجذوع في القائمة الثانية، وهي خصائص لغوية تظهر أثناء العملية الاشتقاقية، كما أنّ إخضاع الجذع للصيغة يعطي أهمية أخرى تتعلّق بجدولة النّماذج الصيغية بما أنّها تبدو كافية لتكوين مشتقات ذات دلالة عامة مشتركة، انطلاقا من عدد من الجذوع.

على أنّ تحليل الدلالة المستعملة لبعض المشتقات على صيغة «فُعال» و«فعالة» أظهر

خلافا يتعلّق بدور الصيغة في كلّ مثال من الأمثلة المدروسة، ففي صيغة «فُعال» استُخدم المثال (أ) أي «جُساد» للتعبير عن خصائص النّمط الصيغيّ المتّصل بالجذع «جسدٌ» الذي طُبّق عليه، بينما رُكّز المثالان (ب)و(ج) أي «نُهات» و«خُثار» على الخصائص الدلالية التي يمثلهاالجذعان «نهتَ» و«ختَرَ»، ونفس الملاحظة تقال عن صيغة «فعالة»، فقد استُخدم المثال(أ) للتعبير عن خصائص النّمط الصيغيّ المتّصل بالجذع «نَسَجَ»، بينما استمدّ المثالان (ب) و(ج) أي «خزامة» و«نقاسة» دلالتهما من الخصائص الدلالية للجذعين «خَزَمَ» و«ناقوس». ومعنى هذا أنّ من المشتقات على وزن «فُعال» و«فعالة» ما يُعطى بعضُ خصائصه النموذجية(الدلالية) التي تعيّنها الصيغة إلى الخصائص المرجعية الأصلية التي ينتسب إليها الجذع. فالمتكلّم الذي لا يعرف المعنى الذي تضيفه الصيغة يقوم تأويله الأولي لهذا الضرب من المشتقات على جعل الدلالة المرجعيّة التي تعيّنها المشتقات داخل المجال الدلالي الذي يعيّنه الجذع، وهو ما ينتج عنه الاشتراك الدّلالي، غير أنّ ذلك لا تُجيزه النظريّة الوصلية بما أنّ الجذع لا يمثّل إلاّ عددا محدودا من خصائص الصيغة النموذجية التي يرتبط بها، وهي إن سمحت بتقصّي الدلالات الممكنة فإنّها لا تقول شيئا عن معناها المثبت في المعجم.

إنّ النّظريّة الوصلية تسمح بوضع صلة بين الصّنف الذي يحيل إليه المشتقّ والمجال الدّلالي الذي يعيّنه الجذع، ولنا أن نتساءل : ما سبب إسناد قيمة دلاليّة هي (المرض) إلى المشتق «شُياخ» ؟ إنّ القيمة المرضيّة هنا تتّسم بها المفردات المشتقة على وزن «فُعال»، وهي الآن تُسند إلى «شُياخ»، ولا يمكن أن تسند إلى الجذع الاسميّ (شيْخ)، فهذا الاسم لا يحمل هذه الدلالة المعبّرة عن المرض، فالعملية تقوم بها حينئذ صيغة «فُعال». وهكذا نستنتج أنّه في حالة انضواء الدّلالة التي يعيّنها المشتق في المجال الدّلالي الذي يعيّنه الجذع، فإنّ «فُعال» لا تولّد إلاّ مفردات دالّة على المرض أو ما يتّصل به كما بيّنّا.

لكنّنا نرى أنّ صيغتيْ «فُعال» و«فعالة» قد تظهران أحيانا مع أسماء مشتقة غير دالة على هذه القيمة الدلالية النّموذجيّة التي تدلّ عليها الصيغتان، بل تقتصر على تعيين دلالة الجذع الذي اشتقّت منه، ولكيْ لا نعتبر هذه المشتقات (الخارجة عن الدّلالتين النّموذجيتين) شاذّة، فإنّنا نفترض أنّ «فُعال» غالبا ما تُضفي على دلالة الجذع الذي تشتقّ

منه قيمة تحقيرية بواسطة دور صيغتها النموذجية، دون أن تكون هذه القاعدة مطلقة، وهكذا فإنّ معنى المرض المسند إلى «فُعال» سيتحقّق بطرق مختلفة حسب بعض الخصائص المرجعية للجذع، فإذا كان المعنى المعبّر عنه متعلّقا بأحياء كانت الدلالة أقرب إلى معنى المرض. وإذا كان المعنى المعبّر عنه متعلّقا بأشياء، فإنّ الدلالة تكون بمعنى الفساد. أمّا صيغة «فعالة» فيغلب على دلالتها معنى الحرفة أو ما يتّصل بها كالوسيلة، أمّا ما دلّ منها على معنى الجذع فعادة ما يكون مرتبطا بمعنى المداومة والملازمة أو المهارة والتّفنن، وجميعها من خصائص الحرفة.

وهكذا يمكن أن تؤدّي الصيغة إلى تثبيت خصائص دلاليّة نموذجية مختلفة عن المجال الدّلالي الذي ينتمي إليه الأصل الجذعيّ. فإنّ الصيغة «فُعال» مثلا تُبرز بوضوح خاصية نموذجية مستقلّة عن المرجعية التي يحيل إليها الأصل الجذعيّ، بفضل شكلها الخاص الذي يظهر في «فُعال»، فإنّ الميزة التي تظهر في خصوصيتها الشكلية تبدو قابلة للانتقال إلى المشتقات من المفردات التي على وزنها (مثال : شُياخ). وهكذا يبدو أنّ الخصائص النّموذجية تتركّز في الصيغة التي تتدخّل في تحويل معنى الجذع.

3 - 4. معالجة المشتقات غير القائمة في الظاهر على علاقة وصليّة بين الشكل والدلالة :

نعثر في المعجم العربي على عدد من الأسماء على صيغة «فُعال» و«فعالة» لا يمكن الوصل فيها بين صيغة مشتقّة محتملة واسم أصلي هو الجذع مثل : قُماش وذُباب ؛ أو بِشارة وكِياسة، والمشكل الذي يُطرح مع هذا الضرب من المفردات هو هل نعالجها بحسب قاعدة تكوين المفردات المشتقة أم نعتبر «فُعال» و«فِعالة» في هذه الحالة ليستا صيغتين مشتقّتين بل أصليتين ؟ ومع أنّ هذا الصنف من الصيغ يخالف الصيغ الاشتقاقية الصرفية الأخرى فإنّه يُظهر خصيصتين مهمّتين هما :

(1) أنّ هذه الأسماء منتظمة شكليا كالأسماء المشتقة على صيغة «فُعال» و«فعالة» ؛

(2) أنّ تعريفها المعجميّ يقارَن في الغالب بدلالة المفردات المشتقة، وهي دلالة النموذج الأصلي الذي تعيّنه المشتقات وجذوعها.

ويكمن الخلّ إذن في الانتباه إلى الخصوصيات الدلالية الإضافية، وهي تمثّل جزءا

من التغييرات المنتظمة التي وصفتها البلاغة القديمة، إذن فإنّ الشّذوذ الظاهر ما هو إلاّ تعديلات دلالية ترجع إلى القواعد الجزئية، وعلى المتكلم أن يعرف على أي المفردات تنطبق(81). وهذا معناه أنّ المتكلّم مطالَب بمعرفة المفردة وبأن تكون له معلومات عامة حول ما تعنيه أيضا. وأيّ غياب جزئيّ أو كليّ لهذه المعلومات - غير اللغوية - يمكن أن يترتّب عليه في بعض الأحيان شذوذ بين الدلالة التي يستطيع المتكلّم أن يسندها إلى المفردات المشتقة -انطلاقا من معارفه اللغوية - والدلالة التي لهذه المفردات في الاستعمال العام أو كما هي مثبتة في المعاجم. إنّ المتكلّم يستطيع أن يستنتج من خلال معرفته المعجمية معنى :

«قُماش» من الجذع الفعلي «قمَشَ»؛

«ذُباب» من الجذع الفعلي «ذبّ»؛

«بِصارة» من الجذع الفعلي «بصر»؛

«كِياسة» من الجذع الفعلي «كيس».

ولكن لكي يعرف في أيّ استعمال تُستخدم وإلى أيّ دلالة وُجّهت قُماش، وذُباب، وبِصارة، وكِياسة، يجب أن تكون له معلومات واقعيّة من خارج اللغة.

من هذا المنطلق فإنّ تعلّم المشتقّات كما هي مفهومة اجتماعيا ليس مخالفا لتعلّم المفردات غير المشتقة، وليس للصّرفي ما يقول في هذا الشأن، بل هو يعكف كالمتكلّم على تسجيل خصوصياتها الدلالية المتأتّية من خارج اللغة(82). كما أنّ انتقال المعنى الذي تنبئ به العلاقة الوصلية إلى المعنى المثبت في المعاجم يمكن أن يعالج بنفس الطريقة، فمادامت العلاقة الدلالية بين المفردة، التي تبدو غير مشتقة، والجذع الظاهر في البنية ثابتة، نعالج المفردة على أنّها مشتقة؛ كالعلاقة بين «قمَش» و«قُماش»، ففي حين لا توجد علاقة دلالية بين المفردتين في الظّاهر، نرى أنّ بين الحقائق المعيّنة بـ«قمَش» و«قُماش» علاقة تكشف عمّا نسميّه استعارة. فإنّه عند ظهور فكرة أو شيء أو حقيقة مّا لا يوجد في اللغة ما يصطلح به عليها، يكون بالامكان استعمال مصطلح قائم في اللّغة مع تغيير لدلالته العادية، وشرط هذا التحوّل الدلالي يتمثّل في التّشابه الذي يُظهره الشيء الجديد مع الشيء القديم

(81) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، ص ص 44-45.

(82) D. Corbin : Morphologie dérivationnelle. p.261.

المعروف. وهذا إذن هو المجاز(83). وفيه تسمح النظرية الدلالية إذن بالربط بين (د1)، و(د2)، و(د3)، إلخ... التي تظهر مع نفس المشتقّ، ولتحليل ذلك لا تعتبر النظرية الوصلية هذه الدّلالات (د1، د2، د3...) مداخل مستقلّة بل تعدّها مدخلا واحدا مشتملا على مُشتركات دلاليّة، أو مشتركات لفظيّة (homonymes) مترابطة دلاليا. ففي المعجم الوسيط :

(1) القُماش هو :

د - 1 : ما يكون على وجه الأرض من فُتات الأشياء ؛

د - 2 : ومن النّاس : أرذلهم ؛

د - 3 : وقماش البيت : متاعه ؛

د - 4 : وكلّ ما يُنسج من الحرير والقطن وغيرهما (مو)(84).

(2) الذُّباب هو :

د - 1 : اسم يُطلق على كثير من الحشرات المجنّحة ؛

د - 2 : ومن النّاس : من كثر التّأذي به ؛

د - 3 : وذُبابُ الأمْر : شرُّهُ ؛

د - 4 : وذُباب العين : إنسانها ؛

د - 5 : وذُباب السّيف : حدّ طرَفَيْه(85).

إنّ النّاظر إلى المعاني الأربعة لمفردة «قُماش» يرى أنّها ذات صلة عميقة بالدلالة الأصليّة للجذع الفعلي «قمَش» قبل أن تتصل بها صيغة «فُعال»، وهي الدلالة على الجمع، فيُقال : قمَشت الريحُ ما على وجه الأرض : جمعته(86)، لكنّها مرّت بتعديلات دلالية جزئية - كما سبق أن بيّنّا - حوّلتها من التعبير عن عملية الجمع إلى التعبير عمّا يُجمع : فـ(د1) : الفُتات، و(د2) : أرذل النّاس، و(د3) : الأمتعة، و(د4) : المنسوج، إنّما تلتقي في مفهوم الجمع بطرق مختلفة، غير أنّ هذا الانتقال حدث نتيجة تحويل مجازيّ، فنحن نعرف أنّه من الممكن في قواعد المجاز التّعبير عن المعنى بطرق غير مباشرة، وهنا نجد نوعين

---

(83) Ibid : p. 228

(84) المعجم الوسيط، ص 759.

(85) نفسه، ص 308.

(86) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، فصل : المركز والهامش في الدلالة، ص 100.

من نظام التّفكيك الدلالي :

(أ) تسمية الشيء بما كان عليه، كما في : (د1) و(د2)؛

(ب) تسمية الشيء بما يكون، كما في : (د3) و(د4).

فالعلاقات المجازية تسمح بتسمية الشيء بما كان عليه في طور من الأطوار التي انقضت ويُراد به طور سابق لحدوث الفعل، والعكس صحيح أيضا. أي تسمية الشيء بما يكون عليه وإرادة طور لاحق لحدوث الفعل. ففي الحالة (1) عيّن المجاز الشيء قبل جمعه أي وهو متناثر، وفي الحالة (2) عيّنه وقد جُمع أي أصبح متاعا.

ويمكن أن نعتمد نفس التّحليل عند معالجة مفردة «ذُباب»، فرغم تباين دلالتها الأساسيّة (وهي «أنواع من الحشرات») والدلالة الوصليّة (وهي «المرض»)، فإنّ ما يغلّب الدلالة الوصليّة للنّمط الصيغي «فُعال» ويجعلها ممكنةً الدّلالةُ الأصليّة للجذر وما تولّد عنه من مشتقّات. فإنّ الجذع الفعلي «ذبّ» يمكن أن يأتي بمعنى: الشّحوب والذّبول والهزال، إذا تعلّق بالأحياء؛ والجفاف واليبس إذا تعلّق بالنّبات أو الأشياء. لذلك فإنّنا نجد من معاني «ذُباب» في المعجم: الأذى والشرّ، وربّما كان ذلك سببا في تغليب هذه التّسمية الاتّفاقية لتعيين ضروب من الحشرات الضّارّة، وتنوسي معنى المرض وإن ظلّ قائما بطريقة غير مباشرة.

وهكذا فإنّ المفردة لا تحيل دائما على قسم مرجعيّ (Classe référentielle) واحد لكن يمكن أن تحيل إلى أقسام مرجعية مختلفة الخواصّ: فإنّ تعدّد المدلولات التي تُعطى لمدخل واحد يظهر بوضوح في مشتقات صيغة «فُعال»، في حين يبدو الجدول الصيغي لـ«فعالة» متمحّضا لدلالة واحدة هي الدلالة المحتملة للصيغة. وإذن فإنّ صيغة «فعالة» أقل تعدّدًا أو تجزّؤًا دلاليًا ممّا لـ «فُعال» من دلالة، ومثال ذلك :

(1) كِباسة : وهي بمعنى «القِنْو التّام من النخل بشماريخه وبُسره»[87]، وهو من التّمر بمنزلة العُنقود من العنب، وهذا دليل على تخصيصه بالامتلاء والضّخامة، الواردتين في دلالات «كبس/كِباسة». ورغم أنّ «كِباسة» تعلّقت هنا بمعنى اتّفاقي هو «العذق من التّمر» فإنّ ذلك لا يمنع من تأويلها دلاليا على معنى القوة والإحاطة والاختصاص بهما.

---

(87) المعجم الوسيط، ص 772

ولا شيء يمنع عندئذ من اتّخاذ «كباسة» للدّلالة على ملازمة الشيء والاختصاص به. وهو ما يقرّبها من معنى الحرفة القائمة على الاختصاص والمداومة أصلا ؛

(2) بِشارة : وهي ما يُعطاه المبشِّر، جمع بشائر؛ والبشائر أيْضًا هي الدّفوف، وبشائر الصّبح والزّرع أوائلهما(88)، وفي ذلك إشارة إلى تكرار الشيء وملازمته، وهي من المعاني المتّصلة بالدلالة العامة التي أطلقنا عليها على سبيل التّعميم «الحرفة وما اتّصل بها من المداومة والملازمة».

وبذلك نتبيّن أنّ الدّلالة الظّاهرة هي في الحقيقة نتيجة عوامل داخليّة لغويّة أو خارجيّة اجتماعية، لا يمكن الاطمئنان إليها إلاّ بالرّجوع إلى الدلالة الأساسية للجذع وما يتّصل به من مجازات أو اصطلاحات، فقد رأينا عند تحليل مفردة «قماش» أنّ الاستخدام الاجتماعي قد غلب (د+) بسبب عوامل التّطور الدّلالي وغلبة الحاجة الجديدة حضاريا، وذلك راجع إلى أنّ الاتّفاق بين طرفي المجاز يمثّل مجموعة خصائص موحية تُضاعف عدد الخصائص المتعارف عليها، بفضل ما للمجاز من مرجعية تخييلية، بينما لا تملك الصيغة نفس القوة الحيوية.

ونتيجة لذلك يمكن أن نستنتج أنّ عناصر الدلالة التي يعيّنها الجذع وعناصر الدلالة التي يعيّنها المشتق على صيغة ما، يُفسّر بخضوع المفردة في مستوى مّا لقواعد دلالية محض (أي مجازية). وهذا يمكّن في الحقيقة من نظْمنة الدلالات الشاذّة لبعض المشتقات - مثل : خُثار، ونُهات، وحِزامة، وحكاية - أي تحليلها مجازيا.

ويُظهر الاستعمال الحديث استخداما واسعا لهاتين الصيغتين على غرار اجتهادات مجمع القاهرة الذي سعى إلى تحديد «القوالب الاسمية» لدرس امكانات استخدامها القياسي، ويبدو أن القاعدة الوصليّة أكثر إنتاجا مع صيغة «فُعال» لصلتها بترجمة المصطلحات الطبّيّة. فقد درس المجمع هذه الصيغة وأقرّ استخدامها للدّلالة على المرض(89)، بل إنّه اعتمدها لتوليد عدد من المصطلحات الطبّيّة الحديثة، غير أنّ من هذه المصطلحات ما كان منسجما مع القاعدة الوصليّة دالاّ على وجود علاقة تكامليّة بين شكل المفردة المولّدة على صيغة «فُعال» والدّلالة العامّة للجذع الذي اشتقّت منه، مثل : دُماع

(88) نفسه، ص 58.

(89) ينظر مجمع اللغة العربيّة : مجموعة القرارات العلمية، ص ص 118 - 119.

(dacryorrhea) وهو إفراز الدّمع بغزارة (90)، وهُذاء (délire) وهو اضطراب عقليّ يتميّز بالخداع الحسيّ والهلوسة (91)، ودُواد (dermatomyiasis) وهو إصابة الجلد بيرقات الذّباب (92)؛ فإنّ هذه المصطلحات قد تولّدت من جذوع اسميّة ذات دلالة أصلية على المرض، لأنّها إذا ظهرت في الجسم ظهورا غير عاديّ دلّت فيه على خلل أو نقص وهي : الدّمع، والهذيان والدّود؛ ومنها مصطلحات لا تدلّ على علاقة وصليّة بين شكل المفردة ودلالة الجذع الذي اشتُقّت منه بل هي مطوّعة بالاتّفاق. اعتمادا على قياسية «فُعال» للدّلالة على المرض، ومثال ذلك : بُكار (dysphylaxia) وهو أرق مرضيّ في آخر الليل(93)، وبُشار (epidermodysplasia)، وهو نموّ معيب للبشرة (94)، وفُوال (Fabism)، وهو فقرُ دَمٍ تحلّليّ حادّ ينشأ عن أكل الفول واستنشاق حبوب لقاحه (95)... إلخ، فإنّ هذه المصطلحات لم تنشأ فيها الدّلالة على المرض من الدّلالة الأصليّة الكامنة في الأصل الجذعيّ، بل إنّها ناشئة من الخصائص الدلالية للنّمط الصيغي، لأنّه لا علاقة دلاليّة بين الجذوع (بكرةٌ، بشرةٌ، فولٌ) والمرض إلاّ أن تكون العمليّة الدلالية قد تأسّست على تأويل اشتقاقيّ صرفيّ يعتبر ما جاء على «فُعال» دالاّ على المرض، ويجب حينئذ البحث في العلاقة العميقة بين دلالة الجذع ودلالة النّمط الصيغي. أمّا صيغة «فعالة» فلم تكن لها نفس القيمة في المجال المصطلحي لأنّها أقرب إلى ألفاظ الحضارة العامة، ولهذا لم تظهر لها نفس الأهمية في حركة التعريب، وكان مجمع القاهرة قد أجاز ما يُستحدث من المفردات المصدرية على وزن «فعالة» إذا احتملت دلالتها معنى الحرفة أو شبهها من المصاحبة والملازمة (96)، مؤيّدا بذلك مَبدأ القياس لوضع ألفاظ محدثة كالنّيابة: من فعل ناب: قام مقامه، ومنه وُلّد اسم يطلق على هيئة قضائية حديثة تقوم بإقامة الدّعوى على المتّهم؛ وكالعمادة : من عمد البناء: أقامه بعماد ودعمه، ومنه وُلّد اسم العمادة للتعبير عن منصب العميد في الجامعة ؛ وكالرِّسامة: من فعل رسم: خطّ على الورق أشكالا، ومنه وُلّد اسم الرِّسامة للتعبير عن صناعة الرّسّام ...

---

(90) مجمع اللّغة العربيّة : معجم المصطلحات الطبيّة، 3/2.
(91) نفسه، 14/2.
(92) نفسه، 24/2.
(93) نفسه، 85/2.
(94) نفسه، 145/2.
(95) نفسه، 191/2.
(96) مجموعة القرارات العلميّة، ص ص 113-114.

3 - 5. لقد أكّد هذا البحث أنّ وجود علاقة وصلية بين البنية والدّلالة ناتج عن تداخل الاشتغال الدّلالي (Le fonctionnement sémantique) مع قواعد اشتقاق المفردة في العربيّة، حسب اختيار صرفي معيّن، فمن ناحية نرى المفردة غير خارجة عن نظام "صيغي" دقيق يمثّل إطارا عاما لمجال استعمالها، ومن ناحية ثانية يتحكّم جذع المفردة الحامل لدلالتها العميقة في توحيد معناها، وهذا معناه أنّ بناء النّظام الصرفي العربي قائم على ميزان صارم ودقيق للصيغ المشتقة بمعانيها الخاصة لتعين الإحساس اللّغوي على تطبيق مبدإ القياس، وهذا دليل على تأسّس النظام الصرفي العربي على درجة من التّنظيم النّموذجيّ قائم على الصيغة التي تساعد على توجيه المعنى، وهو ما يؤكّد قدرة أنمطها الصيغيّة على أداء دور دلالي إضافة إلى دورها الشكلي.

والبحث قد دلّ فعلا على أنّ هناك صيغا مُقيّسَة ذات قيمة دلالية خاصّة مؤثرة في المفردات التي تصاغ عليها. ويوحي ذلك بأنّ الصيغ الصرفية المختلفة يمكن أن تتّحد مع النّموذج الاشتقاقي الذي تحدّده الهوية الدلالية الجوهرية. وقد رأينا أثناء دراسة النمطيْن الصيغيّين اللذين قدمنا أن كلاّ منهما دالّ على قاعدة من قواعد تكوين المفردات وأنه محدّد للمعنى الجوهري الممكن المشترك بين كلّ المفردات المكوّنة بنفس القاعدة التوليدية.

وقد مكّن ذلك من وضع الاستخدامات الصرفية الممكنة داخل كلّ صيغة في جدول مرتبط بقواعد اشتقاق المفردات، لربطها بالمعنى الخاص بذلك الاستخدام الصرفي. وهكذا تمثّل الصيغة الصرفية في العربية مكوّنا أساسيا لاستكمال دلالة المفردة، كما تساعد أيضا على تحديد الانتماء المقولي، وهذه ميزة من ميزات العربية أيضا، ولا يستثنى من هذا إلاّ مقولة الأداة وهي مقولة تضمّ العناصر اللغوية غير الخاضعة للاشتقاق كالحروف.

غير أنّنا لاحظنا أنّ الدّلالة الواحدة يمكن أن تتّحد بصيغ مختلفة، فإنّ تكامل الشكل والمحتوى (أي قواعد الاشتقاق وقواعد الدلالة) لا يمنع المفردة من أن تتوسّع دلاليا فيختلّ نتيجة ذلك التنظيم الحاصل باقتران الصيغ بدلالات تختصّ بها، ولا يعني ذلك عدم وجود قاعدة صارمة في دلالة المبنى على المعنى، فإن ما يبدو شذوذا في الظاهر، رأينا أنّه يمكن أن يؤول إلى الانتظام عن طريق التحليل التّجريدي للبنية والنظر العميق للدلالة، فإنّ دلالة المفردة المشتقة قائمة على بنية معقّدة تتدخّل فيها عوامل لغوية ومرجعية

عامة. ونعني بالعوامل اللغوية العوامل الاشتقاقية، وبالعوامل المرجعية المعاني الحقيقية والمجازية التي تحدث بتطبيق قواعد دلالية يمكن أن تتصل بمعنى الجذع. وهو المعنى السابق لحصول الصيغة المدروسة. فإنّ قراءة متأنّية لبعض هذه النماذج على صيغة «فُعال» أو «فعالة» تغني الباحث عن المقاربات السطحية وتوجّهه إلى الاهتمام بالقواعد التي تسيّر العملية الاشتقاقية، فكلّ مشتقّ ينتمي إلى قسم مرجعيّ (classe référentielle)، ولهذا القسم المرجعي عدد من الخصائص النّموذجية تجعله منصهرا في القسم المرجعي الذي يعيّنه الجذع ومحمّلا تبعا لذلك بدلالات محتملة.

وإذا كان للمفردة مرجع من خارج اللغة يسمح بإمكان التعبير عن نفس المعنى بأشكال مختلفة حسب المجالات مؤديّة إلى تباين خواصّها، فإنّ الاستعمالات المتنافسة دلاليا يعسر أن تنطبق على نفس الصيغة، وذلك نتيجة قيُود لغوية تمنع الجذع من الائتلاف في صيغ معيّنة. فإنّ الأصل في نسبة معنى معيّن إلى صيغة معيّنة هو كما حدّه سيبويه تقارب معاني عدد من الأمثلة في بناء معيّن بقوله: «والعرب ممّا يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد» (97).

4 - الخاتمة:

درسنا انطلاقا من «النّظرية الوصلية» (la théorie associative) دور«الأنماط الصيغيّة» في إقامة صلة دلاليّة بين شكل المفردة ومحتواها، فقد بيّنّا أنّ للصيّغة دورا في تحديد دلالة المفردة عندما تحوّر الخصائص النّموذجيّة للجذع، لأنّ دورها قائم على إبراز خصيصة نموذجيّة معيّنة، وهذا معناه أنّ كلّ بنية صرفيّة يظهر معها بالضرورة تأويل دلاليّ مركّب من المكوّنين الشّكلي والدلالي معا، وهو ما يُعرف في الدّراسات العربيّة القديمة بـ«دلالة المبني على المعنى»، وقد أدرجناه في علم المعجم في ما يسمّى بـ«العلاقات الائتلافيّة» (relations de ressemblance)، وهي «علاقات شكليّة دلاليّة» - وهي في جوهرها صرفيّة دلاليّة (morphosémantiques) - يهدف تطبيقها على العربيّة إلى إثبات دورها في نظْمنة (systématisation) بنية المعجم العربي.

---

(97) سيبويه: الكتاب، 12/4.

وقد دعانا ذلك إلى إعادة تنظيم المعاني المثبتة في المعجم اعتمادا على مدوّنة قائمة على نمطين صيغيين هما «فُعال» و«فعالة». فانتهينا إلى أنّ البنية الصرفية المقيّدة بصيغ نموذجية معيّنة والمحمّلة بمعان معجمية، خاضعة في العربية لتنظيم شكليّ ودلاليّ، بحكم صيغها النّموذجية، وهو ما يؤدّي إلى ضرب من التّرابط بين النّظامين الصرفي والدلالي يجعل المفردة قادرة على الإخبار في ذاتها بمعان أوّلية. فتكون بذلك للوحدة المعجمية قيمتان أساسيتان تتمثّل الأولى في قدرتها على تحديد المعنى، وذلك يُؤكّد خاصيتها في التّفرّد والاستقلال بشكل يسمح بدرسها من خارج السّياق. ويعطي بذلك للمعجم قدرة منهجية تفتح الطريق أمام دراسة مظاهر انتظامه التي تكشف عن خصائص النظرية المعجمية القائمة على نظرية المفردات نفسها؛ وتتمثّل الثانية في الحاجة إلى التوسّع في استخدام الأنماط الصيغية النّموذجية المعلومة بالاعتماد على القياس. فإنّ المفردات التي عالجناها في المعجم تشتمل على نماذج مستعملة فعلا في الرّصيد الأصليّ، ومرتبطة بصيغ تجعلها حاملة لمعان أساسيّة مشتركة، فهي إذن تطبيق للقاعدة الوصلية بين شكل المفردة ومحتواها؛ وعلى نماذج مولّدة بالاتّفاق، بما أنّ للنّمط الصيغيّ مقدرة توليدية تظهر في إنجاز دور دلالي معجمي يتحقّق في واقع المفردة بطرق بناء الصيغ المختلفة ذات الأدوار الدلالية المستقلّة عن السّياق، فهي إذن حادثة في اللغة نتيجة استخدام مبدإ القياس. وأهمّ هذه النّماذج القياسية التي حلّلنا ما ولّده مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد حاول أن يجعل من «فُعال» نمطا صيغيّا دالاّ على المرض وما يتّعلق به، ومن «فعالة» نمطا صيغيّا دالاّ على الحرفة وما يتّصل بها، وما يولّد بالاتّفاق هو في الحقيقة رصيد اللغة الكامن (le potentiel)، وهو رصيد له حيثياته العلميّة التي تسمح بظهوره انطلاقا من نظام اللّغة الدّاخلي. فإذا كانت اللغات الأوروبيّة مثلا، تعتمد في ظهور هذا الرّصيد الكامن على نظام السّوابق واللّواحق، فإنّ في العربية بنية داخليّة مرتبطة بالنّمط الصّيغيّ، وتقبل المفردات ذات الصيغ الاشتقاقية في العربية التطوّر والتحوّل داخل أنماط صيغية محدّدة المعاني، وهو ما يمكّن من وضع ضوابط قياسية في إطار القواعد التي ثبت وجودها في أبنية المفردات، لتكوين الأسماء والصّفات التي لم تذكرها المعجمات العربية ويتطلب التقدّم العلمي إيجادها للدلالة على المفاهيم بدقة. وإقامة قواعد دلالية تسمح بوصف المفردات المشتقة وتصنيفها بحسب

علاقاتها الشكلية الدلالية. وبذلك يمكن تكملة مفردات المواد اللغوية في ضوء عدد من القواعد القياسية، اعتمادا خاصة على العلاقة المنتظمة (régularisée) بين الصيغة والدلالة.

وإذا كانت معالجتنا للمفردات المقترحة قد أثبتت أنّ للنمط الصّيغي مقدرة دلالية خاصّة به، تظهر خاصّة في تصهار القسم المرجعي (La classe référentielle) الذي يعيّنه المشتقّ في القسم المرجعيّ الذي يمثّله الجذع، وأنّها بإمكانها أن تُلحق أو تُسبق بعمليات اشتقاق دلالية محض (opération de dérivation sémantique)(98)، فإنّ ذلك يساعد على تحديد دلالة عامة موحّدة لكلّ المشتقّات الواردة في مدوّنتنا، ويكشف عن إمكانية توحّد الأنماط الصيغيّة في جداول مبنّيَة (structurés)، أي إنّ من الممكن اعتماد الأنماط الصيغية لتوزيع المشتقات بحسبها توزيعا جدوليّا يُحدّد بخاصية العلاقة الدلالية العميقة، فكلّ ما كان على وزن «فُعال» أو «فعالة» من الأسماء يمكن جدولته في نمط صيغيّ يؤدّي إلى تولّد حقل شكليّ تدلّ أشكال الدّوالّ المدرجة فيه على معاني المداليل المرتبطة بها : (كدلالة «فُعال» على المرض وما شابهه؛ و«فعالة» على الحرفة وما اتّصل بها) وهو ما يؤكّد ارتباط شكل المفردة بمرجعيّة من خارج اللغة، ويسمح للمحدثين بتقييس الصّيغ لأنّ الاصطلاح اتّفاق.

إنّ هذه «النظرية الوصلية» التي تبدو - من زاوية وصفية - أكثر جدّيّة من تلك النظريات التي تعتبر المشتقات مجرّد فروع لجذعها الظاهر، قد أُخضعت في هذا البحث لصعوبات شكليّة ودلالية واعتمد في تحليلها وتطبيقها على نماذج تمثل دقيقة لمعرفة قدرتها على حلّ الاشكالات التي تعترضها، وهي وإن سمحت بالظّهور المنتظم لقواعد اشتقاقية ودلالية تؤكّد «الانفجار الدلالي» الظاهر في المفردات التي طوّرت دلالاتها، فإنّها تظلّ إسهاما يحتاج إلى مزيد من الإضافة والتّعديل.

G. Dal : Hyponymie et prototype. p.234. (98)

المـــدونـــــة

اعتمدنا في جمع هذه المدونة على استقراء لصيغتي «فُعال» و«فعالة» في معجمين من مرحلتين مختلفتين. هما : (1) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ورمزنا إليه بحرف (و) كما اعتمدنا رموزه التي استخدمها للإشارة إلى المولّدات الحديثة ويهمّنا منها نوعان هما : (مو) للمولّد بعد عصر الاحتجاج، و(مج) للفظ الذي أقره المجمع نفسه، و(2) القاموس المحيط للفيروزابادي ورمزنا إليه بحرف (ق)، وقد بيّنا في البحث سبب اختيارنا للمعجمين.

ونقدّم هذه المدونة مرتّبة ترتيبا ألفبائيًا. مع ذكر رقم الصفحة ورمز المعجم الذي أخذت منه. وقد صنّفنا الصيغتين حسب دلالاتهما الظّاهرة كما يلي:

1 - صيغة فُعال : (مرتّبة حسب الدلالات التالية) :

أ - دلالة المرض ؛

ب - دلالة البقيّة ؛

ج - دلالة الصّوت.

2 - صيغة فعالة : (مرتّبة حسب الدّلالات التالية) :

أ - دلالة الحرفة ؛

ب - دلالة الوسيلة ؛

ج - دلالة الجذع.

1 - صيغة «فُعال» :

أ - دلالة المرض

1 - أُباء : عارض يجعل صاحبه يأبى الطعام والشراب (ق 1132، و4).
2 - أُجاج : ما لذع الفم بمرارته أو ملوحته (ق 164، و6).
3 - أُحاح : العطش، والغيظ وحزازة الغمّ (ق 193، و7).
4 - أُطام : انحباس البول نحباسا تامّا (و21).
5 - أُكال : الجرب، حكة (و23، ق865).
6 - أُلاق : الجنون (و24).
7 - أُوار : العطش (ق311، و32).
8 - أُوام : دوار الرأس وأن يضجّ العطشان (ق 972، و33).
9 - أُيام : داء يصيب الإبل (ق 972).
10 - بُحاح : غلظ الصوت وخشونته من داء (و40).
11 - بُصاق : الأخلاط التي تُفرزها مسالك التنفّس عند المرضى (ق784، و60).
12 - بُطاح : هذيان ينشأ عن الحمّى (ق 194، و61).
13 - بُظاء : لحمات متراكبات (ق1137).
14 - بُهار : الحمْل (و73).
15 - بهساق : داء يذهب بلون الجلد فتظهر فيه بقع بيض (مج) (و74).
16 - بوال : داء يكثر منه البول (ق872، و77).
17 - تُراز : القُعاص وسوت الفجأة (ق453 و84).
18 - تُؤاط : الزّكام (ق459).
19 - ثُبات : داء معجز عن الحركة (و93).
20 - ثُطاع : الزكام (ق637).
21 - ثُمال : السّمّ المنقع (ق876، و100).
22 - جُؤار : قيء وإسهال يأخذ الإنسان (ق325، و103).
23 - جُثام : الكابوس (ق979 و107).
24 - جُحاف : مشي البطن عن تُخمة (ق716 و108).
25 - جُحال : السّمّ القاتل (ق977، و108).
26 - جُحام : داء يصيب الإنسان في عينه فترم (ق980، و109).
27 - جُذام : علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط (ق980، و113).
28 - جُساد : وجع يأخذ في الجسد والبطن (ق247، و122).
29 - جُشار : سعال أو خشونة في الصدر (و123).
30 - جُعام : داء يصيب الإبل يأخذها في بطونها ثمّ يعقبه سُلاح (ق982 و126).
31 - جُناب : التهاب في الغشاء المحيط بالرّئة (مج)، (و138).
32 - جُواد : العطش أو شدّته (ق249، و145).
33 - جُواز : العطش (ق456).
34 - جُواظ : الضجر وقلة الصّبر (ق625).
35 - جُواف : مرض إسهالي مجهول النّسب، يصيب الشيوخ عادة (مج) (و148).
36 - جُوال : مرض عصابي يتمثّل في مشي الإنسان أثناء النّوم (و148).
37 - حُباض : الضّعف (ق457، و152).
38 - حُباط : وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الأكل (ق595، و152).
39 - حُتات : هزال يصيب الدابة

ويتغيّر معه لونها ويضمر لحمها ويتساقط شعرها (و145)،
40 - حُجاف : مشي البطن عند تخمة (ق719، و158)،
41 - جُصاص : الجرب (ق552)،
42 - جُضار : داء للإبل (ق346).
43 - حُقال : داء في البطن (ق887، و188)،
44 - حُكاك : داء يُحكّ منه كالجرب (ق843، و190)،
45 - حُلاق : وجع في الحلق (ق788، و193)،
46 - حُماض : حالة تقلّ فيها قنويّة الدّم (و198)،
47 - حُماق : الجدري (ق789، و198)،
48 - حُمام : حمى جميع الدّواب (ق982 و200)،
49 - خُباط : الصّرع (ق597، و216)،
50 - خُراج : ما يخرج بالبدن من قروح (ق170، و224)،
51 - خُراع : جنون الناقة (ق641، و228).
52 - خُزاع : الموت (ق641، و232)،
53 - خُشام : داء يأخذ في الخيشوم فيفقده حاسة الشمّ (ق994، و236)،
54 - خُفات : الموت فجأة (ق139، و245)،
55 - خُفاع : داء يصيب الرّئة فتنشقّ منه (و246)،
56 - خُلاع : شبه الجنون (ق642، و250)،
57 - خُمار : من الخمر : ما يصيب شاربها من ألمها وصداعها (ق349، و255)،
58 - خُمال : داء يصيب مفاصل الإنسان وقوائم الحيوان يعرج منه (ق896، و257)،
59 - خُناس : مرض يصيب الزرع فلا يطول (و259)،
60 - خُناق : كلّ داء يُمنع معه نفوذ النّفس إلى الرّئة (ق793، و260).
61 - خُنان : داء يأخذ في الأنف، وهو نحو الزّكام (ق1076، و260)،
62 - دُحاق : خروج الرّحم بعد الولادة (و273)،
63 - دُغام : وجع يأخذ في الحلق (ق999، و288)،
64 - دُكاع : سعال يصيب الخيل والإبل (ق644، و291)،
65 - دُماع : ماء العين من علّة أو كبر (و 296)،
66 - دُوار : الدّوران يأخذ في الرّأس (ق355، و303)،
67 - دُوام : شبه الدّوار في الرّأس (ق1000، و305)،
68 - ذُباح : التهاب في الحلق مصحوب بورم (ق198، و309)،
69 - ذُراب : السّمّ (ق80، و310)،
70 - رُحاض : العرق إثر الحمّى (ق578)،
71 - رُحام : ولادة الشاة ونحوها دون أن يسقط سلاها (و 335)،
72 - رُداب : وجود غسدة ردوب في القولون (مج) (و 337)،
73 - رُداع : الوجع في الجسد كلّه ولطخ الدم (ق649، و338)،
74 - رُطام : احتباس ما في بطن البعير ونحوه (و352)،
75 - رُعاش : الرّعدة تعتري الإنسان من داء يصيبه لا يسكن عنه (و354)،
76 - رُعاف : الدّم يخرج من الأنف (ق732، و354)،
77 - رُعام : داء يأخذ في الأنف فيسيل منه المخاط (ق1005، و355)،

78 - رُماع : وجع يعترض في ظهر الساقي، وداء في البطن (ق651، و373)،

79 - رُهاب: خوف مرضيّ من الوجود في مكان منعزل بين أربعة جدران (ومج)(و376)،

80 - زُحار : مرض يتميّز ببراز متقطع معظمه دم ومخاط (مج) (و390)،

81 - زُراق : زرقة تصيب اليدين (و392)،

82 - زُكام : التهاب حادّ بغشاء الأنف (ق1008، و 396)،

83 - سُؤاد : داء يأخذ النّاس والإبل والغنم من شرب الماء المالح (ق259، و410)،

84 - سُباه : سكتة تأخذ الإنسان، وذهاب العقل هرماً (ق1123، و415)،

85 - سُحاف: السّلّ (ق736، و420)،

86 - سُداد : داء في الأنف (ق260، و423)،

87 - سُرار : داء للغنم والإنسان (ق263)،

88 - سُعار : الجنون (ق307، و430)،

89 - سُعاف : شقاق حول الظفر وتقشّر (و431)،

90 - سُعال : طرد الهواء بقوة وفجأة لإخراج المخاط (ق913، و431)،

91 -سُكات : داء يمنع من الكلام (ق141، و 438)،

92 - سُلاس : ذهاب العقل (ق495، و442)،

93 - سُلاق : بثر يخرج من أصل اللسان وتقشّر في أصول الأسنان (ق805، و444)،

94 - سُلال : قرحة تحدث في الرئة (ق491، و445)،

95 - سُهار : السّهر من مرض أو همّ (و458)،

96 - سُهاف : العُطاش (ق741، و458)،

97 - سُهام : الضّمور والتّغيّر (و459)،

98 - سُواد : وجع يأخذ الكبد من كثرة أكل التّمر (و461)،

99 - سُراس: داء في أعناق الخيل ييبّسها (ق496ن و462)،

100 - سُواف : مرض يصيب الإبل يشارف بها الهلاك (ق740، و404)،

101 - شُعاف : الجنون (ق742، و473)،

102 - شُغاف : مرض يصيب شغاف القلب (ق743، و480)،

103 - شُقاق : تشقق الجلد (و489)،

104 - شُكاء : التشقّق حول الأظافر (و490)،

105 - شُواظ : شدة الغُلّة (ق627، و500)،

106 - شُياخ : الشيخوخة المبكرة تنشأ عن النموّ غير السويّ (مج) (502)،

107 - صُحار : عرق الخيل أو حمّاها (ق381)،

108 - صُداع : وجع الرأس (مج) (ق663، و510)،

109 - صُداف : بقع بيضاء غير منتظمة فيها تغلظ الظهارة وتتضخّم الحليمات (و510)،

110 - صُفار : دود البطن، وماء أصفر يجتمع في البطن (و516)،

111 - صُمات : السكوت وسرعة العطش (ق143، و522)،

112 - صُماح :الصُّنان (ق209، و522)،

113 - صُنان : الرّيح الكريهة، النّتن (ق1091، و526)،

114 - ضُناك : الزُّكام (ق852 و545)،

115 - طُحال : داء يصيب الطحال

(و552).

116 - طُشَـــاش : داء كـــالزكـــام إذا استنثر صاحبـه : طشَ (ق557، و 557)،

117 - ظُلاع : داء في قـوائـم الدّواب (ق671، و570)،

118 - ظُهـار : وجع الظّهـر (ق391، و578)،

119 - عُتاه : الشّلل، مرض زهري في المخّ مصحـوب بارتعاش (ق1251، و583)،

120 - عُصـاب : اضطراب نفسيّ أو عقليّ (مج) (و603)،

121 - عطَاسٌ : اندفـاعُ الهـواء من الانف بعنف، لعارض (و608).

122 - عُطاش : داء يصـيب الإنسـان والحيـوان يشـرب الماء فـلا يُروى (ق538، و608)،

123 - عُقـاف : داء في قـوائم الـشـاء (ق755، و616)،

124 - عُقَامٌ : داءٌ لا يُبْرأ منه (و611).

125 - عُوار : العيْب (و636)،

126 - غُسـاس : داء يصـيب الابل (ق505، و652)،

127 - غُمـار : مـرض يـصـيب القـدم (و661)،

128 - غُمام : الزّكام (ق1031)،

129 - فُؤاق - فُواق : ما يأخـذ المحتضر عند النّزع (ق828، و706)،

130 : فـقـاس : داء في المفـاصل (ق507)،

131 - قُحاب : فـساد الجـوف من داء (ق113، و716)،

132 - قُحاز : داء في الابـل أو سعال الغنم (ق468، و716)،

133 - قُحال : داء يصيب الغنم فتجفّ جلودها فتموت (ق943، و716)،

134 - قُداد : وجع في البطن (و718)،

135 - قُـراع : مـرض جلديّ مـعـد يصـحبـه ظهـور قشـور فـوق منابت الشعر فيسقط (و728)،

136 - قُـعـاث : داء في أنوف الـغنم (ق160، و748)،

137 - قُعـاد : داء يـأخـذ في أوراك الابل فيـميلهـا إلى الأرض (ق281، و748)،

138 - قُعاس : التواء في العنق يأخذ به إلى الخلف (ق510، و749)،

139 - قُـعـاص : داء في الصّـدر (ق564، و749)،

140 - قُفاص : داء في الدّواب ييبّس قوائمها (ق564، و751)،

141 - قُـفـاع : داء في قـوائم الشـاة يعوّجها (ق679، و751)،

142 - قُـلاب : داء يأخـذ في الـقلب (ق118، و753)،

143 - قُلاح : صفـرة أو خضـرة تعلو الأسنان (ق215، و754)،

144 - قُلاع : مرض يصـيب الحيـوان فـيسقط ميتا بلا علّة ظاهرة (ق680، و755)،

145 - قُمـاح : داء يعـرض للحيـوان فـيمتنع مـن شرب الماء، وأشدّ الـبرد (ق216، و757)،

146 - قُنان : الـصّنان، ريـح الإبـط (ق1105، و763)،

147 - قُـوام : داء في قـوائم الـشـاة (ق1039، و768)،

148 - قُـيـاء : كـثـرة القيء (ق47، و769)،

149 - كُبـاد : مـرض يصـيب الكبـد (ق284، و772)،

150 - كُبان : داء للإبل (ق1105)،

151 - كُتاف : وجع الكتف (ق763، و775)،

152 - كُدام: ورم يأخـذ الإنسـان في

بعض جسده (و780).

153 - كُزاز : مرض قتّال يصيب المجروح إذا تلوثت جراحه (ق470، و780).

154 - كُساح : داء يصيب الإبل (ق216، و780).

155 - لُهاث : حرّ العطش في الجوف (ق161، و841).

156 - لُهاد : الفُواق (ق287).

157 - مُراض : داء يقع في الثمرة فتهلك (ق587، و863).

158 - مُضاض : وجع يصيب الإنسان في العين وغيرها مما يمض، والماء لا يطاق ملوحته (ق588، و874).

159 - مُلاء : الزكام (ق50، و882).

160 - مُلال : وجع الظهر (ق495، و887).

161 - مُوات : الموت يقع في الدواب (ق481، و891).

162 - نُجاء : الإسهال أو داء يورثه (و905).

163 - نُحاب : السعال (و905).

164 - نُحاز : داء يصيب الإبل في رئتها فتسعل سعالا شديدا (ق473، و906).

165 - نُخاع : حبل عصبيّ متّصل بالدماغ يجري داخل العمود الفقري (مج) (و909).

166 - نُعاس : فتور في الحواسّ والوسن من غير نوم (ق520، و934).

167 - نُفاخ : الورم من داء (و938).

168 - نُفاص : داء في الشاة تنفص بأبوالها أي تدفع حيث تموت (ق569، و941).

169 - نُقاز : داء للماشية كالطاعون (ق474، و946).

170 - نُكاث : بثر يخرج في أفواه الإبل (ق102، و951).

171 - نُكاس : عود المرض بعد النقه (ق521).

172 - نُكاف : التهاب معدٍ بالغدة النكفية (مج) (ق772، و953).

173 - نُوام : مرض يصيب الإنسان من عضة ذبابة فينام ولا يكاد يفيق وهو في الغالب مميت (ق1050، و965).

174 - هُدام : الدُوار يصيب الإنسان في البحر (ق1054، و977).

175 - هُرار : داء كالورم بين جلد الإبل ولحمها (ق474، و981).

176 - هُزالٌ : الغثاثة والنحافة (و985).

177 - هُقاع : غفلة تصيب الإنسان من همّ أو مرض (ق698، و989).

178 - هُكاع : السعال والنوم بعد التعب (ق698، و990).

179 - هُلاث : الإسترخاء يعتري الإنسان (ق163، و991).

180 - هُلاس : السّلال من الهزال (ق523، و991).

181 - هُلاعٌ : الجبن عند اللقاء (و991).

182 - هُناع : داء يصيب الإنسان في عنقه (و997).

183 - هُوام : الهُيام (ق1057، و1000).

184 - هُيام : داء يصيب الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى (ق1057، و1005).

185 - وُحاب : داء يأخذ الإبل (ق130).

186 - يُداء : وجع اليد (ق1212، و1063).

ب - الدّلالة على البقيّة :

1 - بُراض : القليل (ق572، و50)،
2 - بشار : من الناس : حثالتهم (ق316، و58).
3 - ثُفال : البُصاق (ق873، و60)،
4 - ثُمام: أقلّ شيء والسهل التناول (979، و101)،
5 - جُشاء: القدر والزُّهاء (ق1142، و107)،
6 - جُدام: أصل السّعف (و111)،
7 - جُذاذ : المقطّع أو المكسّر (ق300، و112)،
8 - جُزاز : من كلّ شيء ما جُزّ منه (ق455، و120)،
9 - جُزاف : الشيء لا يعلم كيله أو وزنه (ق717، و121)،
10 - جُفاء : ما يقذفه القدر والسيل من الزّبد والغثاء ونحوهما (ق365، و128)،
11 - جُلاف: الطين (ق717، و130)،
12 - جُناح : ما يُتحمّل من الهمّ والأذى (و139)،
13 - حُداد: قصارى الأمر ومنتهاه (ق250، و160)،
14 - حُساس : الجُذاذ من الشيء، والرّديء الخلق (ق484، و173)،
15 - حُساف : نفاية كلّ شيء (ق720، و173)،
16 - حُطاط : الرّائحة الخبيثة (ق596، و182)،
17 - حُطام : من كلّ شيء ما تحطّم (ق978، و183)،
18 - خُشار : من كلّ شيء فضلته (و219)،
19 - خُساس : خسيس تافه (و234)،
20 - خُشار : خُشار المائدة: ما يبقى عليها، ومن الناس تافههم (ق347، و235)،
21 - خُشاش : الرّدِيء (ق583، و235)،
22 - خُضام : ما يُقطع أو يُؤكل (و242)،
23 - خُلال : الرّطب يطلب بين سعف النّخل بعد جمعه (ق895، و253)،
24 - دُخان : ما يتصاعد من النار من دقائق الوقود غير المحترقة (ق1077، و276)،
25 - دُقاق : فُتات كلّ شيء (ق795، و291)،
26 - دُكاس: دُكاس الشحم والتّمر ما تراكب بعضه على بعض (ق491، و291)،
27 - ذُراب : السّمّ (و310)،
28 - ذُراق : خُرء الطائر (و311)،
29 - ذُنان : المخاط يسيل من الأنف (ق1080، و316)،
30 - رُؤال : روال : لعاب الدابة (ق907، و383)،
31 - رُتام: الرّفاتُ (ق1002، و327)،
32 - رُدام : الضّراط والذي لا خير فيه (ق1003، و330)،
33 - رُذال : الدّون، الخسيس وما انتقي جيّده (ق905، و340)،
34 - رُشاش : ما ترشش من السوائل (و347)،
35 - رُضاب : فُتات المسك (ق484، و349)،
36 - رُضاض : الدُّقاق والفتات (ق578، و350)،
37 - رُضام : من النبت : القليل (ق1004، و351)،
38 - رُعاع : الغوغاء (و354)،
39 - رُعال : ما سال من الأنف (ق906، و355)،

40 - رُفات : الحُطام والفُتات من كلّ ما تكسّر واندقّ (ق410، و358)،
41 - رُفاض : ما تحطم من الشيء فتفرّق (و 360)،
42 - رُفاف : ما انتُحت من التبن (و361)،
43 - رُمام : الرّميم والبالي من كلّ شيء (ق1006، و374)،
44 - رُهاق : الزّهاء والمقدار (ق803، و378)،
45 - زُبال : ما تحمله النّملة بفيها (ق908، و388)،
46 - زُهاء : المقدار والباطل (ق1163، و405)،
47 - سُقاط : كل ما سقط من الشيء (و436)،
48 - سُلاح : كل ما يخرج من البطن من فَضَلات (و441)،
49 - سُلاف : السُّلافُ من كل شيء خالصهُ (و444)،
50 - سُواع : من الليل : الهدء أو الساعة (ق658، و463)،
51 - شُنان : الماء المتفرّق (ق1090، و497)،
52 - صُواح : طلع النخل حين يجفّ فيتناثر (ق209، و528)،
53 - طُفال : الطين اليابس (ق923، و560)،
54 - عُجام : نوى كلّ شيء كالزّبيب والرمان والبلح (ق1024، و586)،
55 - عُراق : العظم أكل لحمه (ق817، و596)،
56 - عُرام : من الشجرة : قشرها، ومن القدر وسخها (ق1025، و597)،
57 - عُصار : ما يتحلب من الشيء إذا عصر (ق397، و604)،
58 - غُبار : ما دقّ من التراب أو الرماد (ق440، و643)،
59 - غُثاء : ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات (ق1185، و643)،
60 - غُفاء : حُطام البُرّ وما تكسّر منه (ق1180، و657)،
61 - فُتات : ما تكسّر وتساقط (ق144، و671)،
62 - فُذاذ : المتفرّقُ (و678)،
63 - فُضاض : ما تفرّق من الشيء عند الكسر (ق584، و692)،
64 - قُذاف : الغَرفة من الماء (ق750، و719)،
65 - قُشار : جلد الحيّة إذا سلختـه (و736)،
66 - قُشاش : ما يلتقط من هنا وهناك (و736)،
67 - قُشام : ما يلقى من الطعام ممّا لا خير فيه (ق1037، و737)،
68 - قُضاع : غُبار الدّقيق (ق677، و742)،
69 - قُعال : الوبر النّاسل من البعير (ق944)،
70 - قُماش : ما يكون على وجه الأرض من فُتات الأشياء (ق542، و759)،
71 - كُسار : ما تكسّر من الشيء (ق423، و787)،
72 - لُعاب : ما سال من الفم (ق124، و827)،
73 - لُعاع : الكلأ الخفيف (ق685)،
74 - لُعاق : ما بقي في فم الآكل من طعام لعقه (ق829، و828)،
75 - لُغام : زبد أفواه الابل (ق1045، و830)،
76 - لُقاط : مَا يُلقطُ من السنابل (و834)،
77 - لُهاء : المقدار (ق1199، و843)،
78 - لُهاس : القليل من الطعام

(516، و842)،

79 - مُجاج : الرّيق وما تمجّه من فمك (و854)،

80 - مُحاش : المحترق (ق544، و855)،

81 - مُخاط : إفراز مائيّ من الأنف (ق618، و857)،

82 - مُشاش : العظم لا مُخَّ فيه، والطبيعة (ق544، و871)،

83 - مُصاص : يبيس الشّداء (وهو نبات) (ق567، و873)،

84 - مُكاك : المخّ الممصوص (ق858، و881)،

85 - نُثار : ما تناثر من الشيء (و901)،

86 - نُحاس : ما سقط من شرر (ق519، و907)،

87 - نُساح : ما تحاتّ من التمر من قشره (ق222، و917)،

88 - نُهاد : زهاء (ق292، و957).

ج - الدّلالة على الصّوت :

1 - بُغام : صوت الظبية (ق975، و64)،

2 - بُكاء : رثاءُ الميّت (ق1138، و67)،

3 - ثُؤاج : صياح الغنم (ق166)،

4 - ثُغاء : صوت الغنم والظباء عند الولادة (ق1140، و97)،

5 - جُشاء : الصوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة (ق35، و123)،

6 - حُداء : الغناء للإبل (ق1146، و162)،

7 - خُوار : من صوت البقر والغنم والظّباء (ق350، و261)،

8 - خُواع : شبه النّخير أو الشّخير (ق643، و262)،

9 - دُعاء : النّداء (ق1155، و286)،

10 - رُعاق : الصوت الذي يسمع من بطن الدابة عند الجري (ق798، و355)،

11 - رُغاء : صوت الإبل (ق1160، و358)،

12 - رُناء : الصوت (ق1161، و376)،

13 - زُحار : إخراج النّفَس أو الصوت بأنين (و390)،

14 - سُحال : الصوت يدور في صدر الحمار (ق912)،

15 - شُحاج : صوت البغل والغراب (ق178)،

16 - صُراخ : الصياح الشديد (ق232، و522)،

17 - صُباح : صوت الخيل ليس بالصّهيل ولا بالحمحمة (ق209، و533)،

18 - ضُغاب : صوت تقلقل الجرذان (ق101)،

19 - ضُواع : صوت الضُّوَع (وهو طائر من طير الليل كالهامة) (ق669، و546)،

20 - طُحار : الزّحير يعلو فيه النّفس ويشتدّ (ق388، و551)،

21 - عُطاس : صوت العطس (ق502، و608)،

22 - عُواء : صوت الكلب (ق1184، و638)،

23 - عُواق : الصوت يخرج من بطن الدابة إذا مشت (ق822، و637)،

24 - قُشاش : صوت جلد الحيّة تحكّ بعضها ببعض (ق542)،

25 - قُشاع : صوت الضبع الأنثى (ق676)،

26 - مُواءٌ : صوت القطّ (و890)،

27 - نُباح : النُباح : صوت الكلب (ق188، و896)،
28 - نُحاب : السعال (و905)،
29 : نُجاخ : صوت السّاعل إذا غلظ (ق237، و902)،
30 - نُحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر (ق620)،
31 - نُداء : الصوت (ق+120)،
32 - نُزاب : صوت الظبي (ق126)،
33 - نُعساء : صوت السّنور (ق1205)،
34 - نُهات : الصوت من الصّدر عند المشقّة (ق149، و957)،
35 - نُواح : سجْع الحمامة (و961)،
36 - هُتاف : الصوت العالي يرفع تمجيدا أو استنكارا (ق775، و971)،
37 - وُعاق : صوت يسمع من بطن الدابة إذا مشت (ق836، و1044)،
38 - يُعار : صوت الغنم أو المعزى، أو الشديد من أصوات الشاء (ق451، و1065).

2 - صيغة «فِعالة»

أ - الدلالة على الحرفة

1 - الإمامة : رياسة المسلمين، منصب الإمام (ق272، و27)،
2 - الإيالة : السياسة، أيل : حذق مصلحة الإبل (ق866)، وقطعة من أرض الدولة يملكها وال من قبل السلطان (و33)،
3 - البحارة : مهنة البحّار (و40)،
4 - البِزازة : حرفة البزّاز (ق453، و54)،
5 - التِّبانة : حرفة التّبّان (و82)،
6 - التِّجارة : حرفة التّاجر (ق321، و82)،
7 - التِّراسة : صناعة الأتراس (ق481، و84)،
8 - الجِبارَة : حرفة المجبِّر (و105)،
9 - الجِراحة : صنعة الجرّاح (ق196، و115)،
10 - الجرارة : حرفة الجرّار (و116)،
11 - الجزارة : حرفة الجزار (ق329، و116)،
12 - الجعالة : ما يجعل على العمل من أجر (و120)،
13 - الحجابة : حرفة الحاجب (ق68، و150)،
14 - الحجامة : حرفة الحجّام (ق984، و158)،
15 - الحدادة : صناعة الحدّاد وحرفته (و160)،
16 - الحراثة : حرفة الحرّاث (و164)،
17 - الحِفَارَةُ : صنعة الحفّار (و184)،
18 - الحكاية : ما يُحكى ويُقصّ، واللهجة (ق1184، و190)،
19 - الحلاجة : حرفة الحلاج (ق168، و191)،
20 - الحلاقة : حرفة الحلاق (و193)،
21 - الحِمَالة : حرفة الحمّال (و199)،
22 - الحِنَاطةُ : حرفة بائع الحنطة (و202)،
23 - الحياكة : صنعة الحائك (مج) (ق844، و208)،
24 - الخِبَازَةُ : حرفة الخبّاز (و215)،
25 - الختانة : صناعة الخاتن (ق1075، و218)،
26 - الخِرَازَةُ : حرفة الخرّاز (و226)،
27 - الخراصة : إصلاح الحلي (ق55+)،

28 - الخراطة : حرفة الخراط (خرط العود: قشره) (ق598، و227)،
29 - الخزانة : حرفة الخازن (و233)،
30 - الخفارة : حرفة الخفير (و240)،
31 - الخلافة : الإمارة والإمامة (ق727، و251)،
32 - الخياصة: حرفة الخواص (و262)،
33 - الخياطة : حرفة الخياط (ق600، و265)،
34 - الدباغة : حرفة الدباغ (و270)،
35 - الدلالة : اسم لعمل الدلال (ق900، و294)،
36 - الدنانة : صناعة الدنان (و299)،
37 - الربابة : حرفة الراب للصدوع (و319)،
38 - الرسامة : (مج) سناعة الرسام (و345)،
32 - الرعاية : حرفة الراعي (و356)،
40 - الرفادة : ما كانت قريش تخرجه في الجاهلية من أموالها تشتري به طعاما وشرابا لفقراء الحجاج (ق257، و359)،
41 ـ الرقابة : عمل من يراقب الكتب أو الصحف قبل نشرها (محدثة)، (و 363).
42 - الرماحة : صمعة الرماح (ق200، و371)،
43 - الرماية : حرفة الرامي (و375)،
44 - الرياضة : تهذيب الأخلاق النفسية وتهذيب البدن بالحركات (و382)،
45 - الزجاجة : صناعة الزجاج (و389)،
46 ـ الزراعة : حرفة الزارع (و392)،
47 - الزمارة : الغناء في القصب (ق361)،
48 - السباحة : رياضة بدنية بالعوم (ق202، و412)،
49 - السباكة : حرفة السباك (و415)،
50 - السراجة : حرفة السراج (ق176، و425)،
51 - السفارة : عمل السفير (مج) (و433)،
52 - السفانة . صناعة السفن (ق1086، و434)،
53 - السقاية . حرفة السقاء (ق1166، و437)،
54 - السلاخة حرفة السلاخ (و442)،
55 - السياسة : تولي سياسة الناس وقيادتهم (و462)،
56 - الشواية : حرفة الشواء (و502)،
57 - الصباغة : حرفة الصباغ (و506)،
58 - الصحافة : مهنة من يجمع الأخبار وينشرها في جريدة (و508)،
59 - الصرافة: مهنة الصراف (و513)،
60 - الصناعة : حرفة الصانع (ق665، و525)،
61 - الصياغة : عمل الحلي من فضة وذهب (ق707، و529)،
62 - الطبابة : حرفة الطبيب (و549)،
63 - الطباخة : حرفة الطباخ (ق232، و549)،
64 - الطباعة : حرفة نقل النسخ المتعددة من الكتابة أو الصور بالآلات (و550)،
65 - الطبالة : حرفة الطبال (ق923، و551)،
66 - الطحانة : حرفة الطحان (ق1093، و552)،
67 - الطرازة : حرفة الطراز (و554)،
68 - الطساسة : حرفة الطساس (و557)،
69 - الطهارة : حرفة من يطهر الأولاد (و568)،

70 - الطّهاية : حرفة الطاهي (و569)،
71 - الطّيانة : حرفة الطيان (و574)،
72 - العـرافـة : حـرفـة الـعـرّاف (و595)،
73 - العطارة : حرفة العطّار (و607)،
74 - العـمـادة : منصب العـمـيـد في الجامعة (مج)، (و620)،
75 - العمالة : حرفة العامل (و 628)،
76 - الغـيـاصـة : النّزول تحت الماء (ق806)، وحـرفـة الغـواص (و666)،
77 - الفحّامة : حرفة الفحّام (و676)،
78 - الفـخـارة : صنعـة الـفـخّـار (و677)،
79 - الفـراسـة : المهـارة في تعـرّف بواطن الأمور (و681)،
80 - الفـراشـة : حـرفـة الفـرّاش (و682)،
81 - الفلاحة : القيام بشؤون الأرض الزراعيّة (و700)،
82 - القبالة : حرفة القابلة (و701)،
83 - القبانة : حرفة القبّاني (و713)،
84 - القـداحـة : صـناعـة الأقـداح (ق421، و717)،
85 - القسامة : صنعة القسّام (و735)،
86 - القـصـارة : حـرفـة القـصّـار (و739)،
87 - القـفـاصـة : حـرفـة القـفّـاص (و751)،
88 - القلافـة : حرفـة من يخرز ألواح السّفن ويجـعل في خللـهـا القـار (و756)،
89 - القوامة : ولاية الأمر (و768)
90 - القيافة : حرفة القائف (و 766)،
91 - الكـتـابة : صنـاعـة الكـاتب (و775)،
92 - الكـهـانة : حـرفـة الكـاهن (ق1107، و803)،
93 - الكيـاسـة : تمكّن النفـوس من استنباط ماهو أنفع (ق815، و807)،
94 - الكيالة : حرفة الكيّال (و808)،
95 - اللئّـالة : حـرفـة بائع اللّؤلؤ (و810)،
96 - اللحامة : حرفة اللحّام (و819)،
97 - المشاطة : حرفة الماشطة (ق619، و871)،
98 - المطالة : حـرفـة المطّال (سـبك الحديد) (ق953، و876)،
99 - الملاحة : حرفة الملاّح (و883)،
100 - النّباشة : حرفـة نبش القـبـور (و897)،
101 - النبّالة : حـرفـة صـانع النّبـال (و898)،
102 - النّجادة: حرفة المنجد (و903)،
103 - النجـارة : حـرفـة النجّـار (و903)،
104 - النّحـاتة : حـرفـة الـنحّـات (و906)،
105 - النّحالة : تربية النحل (و907)،
106 - النّخاسـة : بيع الدوابّ والرّقيق (ق519، و909)،
107 - النّدافـة : صنعـة الـنّدّاف (و911)،
108 - النّسـاجـة : حـرفـة النسّـاج (ق189، و917)،
109 - النّشـارة : حـرفـة النشّـار (و921)،
110 - النّظارة : حـرفـة النّاظر (و932)،
111 - النّعـالة : حـرفـة النعّـال (و935)،
112 - النّقابة : جـمـاعـة مـخـتـارون لرعـاية شـؤون طائـفـة من الطوائف (و943)،
113 - النّقارة : حرفة النّقّار (و945)،
114 - النّقـاشـة : حـرفـة النّقّـاش (ق546، و946)،

115 - النِّقَاضَة : حرفة النقّاض (و947)،

116 - النِّيابة : (محدثة) هيئة قضائية تقوم برقابة الدعوى (و961)،

117 - الوراقة : حرفة الورّاق (ق835، و1026)،

118 - الوزارة : حال الوزير ومنصبه (ق443، و1028)،

119 - الوزانة : حرفة الوزّان (و1030)،

120 - الوصاية : الولاية على القاصر (ق1208، و1038)،

121 - الوفاهة : عمل الوافه (الوافه : قيّم البيع) (ق1131، و1047)،

122 - الوكالة : عمل الوكيل (و1055)،

123 - الولاية : الخطّة والإمسارة (ق1209، و1058)،

124 - الوهَافَة : عمل سادن الكنيسة (و1060).

ب - الدلالة على الوسيلة :

1 - الإبالة : الحزمة من الأعواد ونحوها (و3)،

2 - الإداوة : إناء صغير يحمل فيه الماء (ق1133، و10)،

3 - الإهالة : كلّ ما يؤتدم به كالشحم والزيت (ق867)،

4 - البضاعة : ما يتّجر به (و60)،

5 - البطاقة : الرّقعة الصغيرة (ق781، و61)،

6 - الجناوة : شيء من جلد ونحوه توضع عليه القدر (و104)،

7 - الجواءة : ما توضع عليه القدر (ق1145)،

8 - الحبالة : المصيدة (ق883، و153)،

9 - الحمارة : خشبة في مقدم الرحل يقبض عليها الراكب (و196)،

10 - الحمالة : علاقة السيف وغيره (و199)،

11 - الحياصة : حزام الدابة (ق553، و207)،

12 - الخزامة : حلقة من الشعر توضع في ثقب أنف البعير يشدّ بها الزمام (ق993، و233)،

13 - الخشاشة : العود الذي يُجعل في أنف البعير (و235)،

14 - الخلالة : آلة تشبك الأوراق بعضها ببعض (و254)،

15 - الخناقة : حبالة تأخذ بالعنق (و260)،

16 - الرِّبابة : الخيط تُشدّ به السّهام (و321)،

17 - الرّجازة : ما يُزيّنُ به الهودج من صوف ونحوه (و330)،

18 - السّدادة : ما سُدّت به (و422)،

19 - الصمادة : سداد القارورة (و523)،

20 - الظّهارة : ما يفرش على الحشيّة لِيُنام عليه (و576)،

21 - العصابة : العمامة، وهنة تلتفّ على القتادة لا تنزع عنها إلاّ بجهد (ق107، و603)،

22 - العضادة : الذّراع المتحركة للآلات التي تستعمل في قياس مسافات الزاوية (و606)،

23 - العلاقة : ما يعلّق به السيف ونحوه (و622)،

24 - الغرارة : وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح (و648)،

25 - الغطاية : ما تغطّت به المرأة من حشو الثياب كالغلالة (ق1186، و656)،

26 - الغفارة : خرقة تلبسها المرأة

فتغطي رأسها (و656)،

27 - الغَلالة : المسمار الذي يجمع بين رأسيْ الحلقة (ق986)،

28 - الغمامة : ما يغطى به عينا الثور ونحوه وهو يدور حتى لا يلحقه الدّوار (ق1031، و663)،

29 - الفدامة : ما يوضع على الفم سداداً له (و677)،

30 - القلاعة : صُديْر يلبسه الرّجل على صَدره (ق680)،

31 - الكمادة : خرقة تسخن وتوضع على الورم (و801)،

32 - الكمامة : ما يجعل على أنف الحمار لئلاّ يؤذيه الذباب، وعاء الطلع، وغطاء النَّوْر (ق1047، و799)،

33 - الكنانة : جعبة صغيرة من أدم للنّبل (و801)،

34 - الكوّارة : بيت يتّخذ للنحل من قضبان، تعسّل فيه (و 823)،

35 - اللّواية : عصا تكون على فم العكم (ق1199)،

36 - الهراوة : العصا الفخمة (ق1210، 983)،

37 - الوقاية : ما يُوقى به الشيء (و1052).

ج - دلالة الجذع :

1 - البشارة : ما بشر من الأديم وغيره (و58)،

2 - التّمامة : تمامة الشيء : تتمّته (و89)،

2 - الخشاثة : الحرّ والخشونة يجدهما الانسان في عينيه(و155)،

4 - الحذاقة : لبتعلّم والمهارة (ق780)،

5 - الحكاية : اللهجة (و198)،

6 - الحناية : الانحناء (الناقة الحنواء: الحدباء) (ق1149)،

7 - الذّمامة : الذّمام : الحياء والإشفاق (و313)،

8 - العظارة: الامتلاء من الشراب (و609)،

9 - العناية : تدبير الله للأشياء (مج)(و633)،

10 - القيامة : يوم بعث الخلائق للحساب (و768)،

11 - الكباسة : القنو التام من النخل (و772)،

12 - اللّياغة : عدم وضوح الكلام (ق708)،

13 - النّقاسة : العيب والسخرية (ق520، و946)،

الحبيب النّصراوي

كليّة الآداب بالقيروان جامعة الوسط

مكانة المعجمية في البحث اللساني الحديث من خلال «مقدمة لمعجمية الشرح والتعاملية»

لمالتشوك Mel'čuk وكلاس Clas وبولغار Polguère

بحث : هلال بن حسين

1 - تمهيـــد :

ظلّت المعجميّة الغربيّة بفرعيها النّظري والتّطبيقي إلى عهد غير بعيد لا تجد لها مكانا مُريحا بين فروع اللسانيات الحديثة (1). وكان ذلك لسببين يتصل أولّهما بقلّة الاهتمام بالمعنى في إطار دراسة ثنائية الدّال والمدلول اللسانيين. فقد أعرض عن المدلول اللسانيون طويلا (2) لأنّه بسبب علاقته بمستعملي اللغة بمختلف أصنافهم وتباين ظروف إنتاج خطاباتهم غامض في نظر هؤلاء اللسانيين، مستعص على الدقّة العلميّة التي يمكن أن تتوفّر في دراسة الدّال (3). ويتّصل السّبب الثّاني بندرة الدّراسات النّظريّة المكتملة في مجال العمل المعجمي بسبب الاعتقاد بأنّ المعجميّة لا تسهم في دراسة الألسن دراسة علميّة (4). لذلك قلّ التنظير المعجمي فضعفت منزلة المعجمية وضعفت منزلة المعجم والقاموس بضعفها. ولم يكن واضعو القواميس أنفسهم ليهتمّوا بالتّنظير لها (5) بقدر حرصهم على اعتماد إرث التّجارب المعجميّة.

وقد نتج - إذن - عن هذا الوضع أن لقي ميدان المعجميّة - مقارنة بعلوم

---

(1) Debove (J. Rey) : "Le Domaine du Dictionnaire", in : Langages, 19 (1970), (pp. 3-34), p. 3.

(2) Picoche (J.) : "Orientations en lexicologie", in : Le Français dans le Monde, n° spécial : Lexiques, 1989, (pp. 86-91), p. 88.

(3) Debove : Le Domaine, p. 12

(4) نفسه، ص 12.

(5) Weinreich (U.) : "La définition lexicographique dans la sémantique descriptive", in : Langages, 19 (1970), (pp. 69-86), p. 70.

Geeraerts (D.) : "Les Données Stéréotypiques, Prototypiques et Encyclopédiques dans le Dictionnaire", in : Cahiers de Lexicologie, 46 (1985/1), (pp.27-40), p. 27.

اللسانيات الأخرى - غبنا في أوّل أمره، ثم شهد بداية اهتمام به، ولكنّ التّنظير المتّصل به ظلّ جزئيًا ومنقوصا، لذلك شعر اللغويون مؤخرا - وخاصّة منهم المعجميين - بالحاجة إلى إيجاد نظريّة معجميّة متكاملة تعالج إشكالات المعجم وتؤدّي إلى وضع قاموس يعكس تلك النّظريّة. وأهمّ هذه المحاولات اثنتان :

إحداهما قام بها فريق SILEX وهو تابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا C.N.R.S ، وتتمثّل في إيجاد نظريّة معجميّة تقوم على الصّرف الاشتقاقي Morphologie dérivationnelle، ووضع القاموس الملائم له، وهو القاموس الاشتقاقي الفرنسي Dictionnaire Dérivationnel du Français (6).

والمحاولة الثانية - وهي التي تهمنا وعليها مدار بحثنا - وضعها الرّوسي ملتشوك Igor A. Mel'čuk، وتجاوز من خلالها الرّؤى السّائدة عن المعجم، فنزّل المعجميّة منزلة لم تكن قد عرفتها سابقا في الأوساط العلميّة الأوروبيّة (7). وتتجلّى هذه المنزلة من خلال حرصه البالغ على إقامة نظريّة معجميّة متماسكة قوامها الوحدة المعجميّة وغايتها وضع القاموس المثالي.

2 - النظريّة المعجميّة :

يلاحظ أوّلا في هذا الشأن أنّ خلافا يدور حول مفهومي النظري والتطبيقي، فما اعتبره ملتشوك وغيره مبحثا نظريًا، وهو يتعلّق بالوحدة المعجميّة : بنيتها ووضعها في القاموس، هو في الحقيقة جمع بين المبحثين النّظري والتطبيقي. ففي باب المبحث النّظري يندرج النّظر في مكوّنات الوحدة المعجميّة وأصولها واشتقاقاتها ودلالاتها؛ وإلى المبحث التطبيقي يرجع النّظر في الوحدات المعجميّة باعتبارها مداخل في القاموس تجمع من مصادر ومستويات معيّنة، ويتبع في ترتيبها وتعريفها منهج معيّن (8)، ولئن أرْجَعَ ملتشوك

(6) ينظر خاصة مقالا Pierre Corbin و Danielle Corbin في Lexique, 10 (1991)، ص ص 147-161.

(7) عندما بدأ المعجم يلفت انتبه اللسانيين في السّنوات الأخيرة لم يتجاوز اهتمامهم به البحث عن دور له في صلب النظريّة التركيبية من خلال مبدإ الاسقاط مثلا أو الدّور المحوري Rôle thématique، ينظر : Booij (G.) (et al) : "Présentation : Lexique et syntaxe en grammaire généraltive" in : Lexique, 7 (1988), (pp. 7-11). p. 8

Roppapart (M.) : "Niveaux de représentation lexicale", in : Lexique, 7 (1988), (pp. 13-32), p. 14.

(8) ابن مراد (ابراهيم) : مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 100؛ نفسه : مسائل في المعجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 31.

مختلف هذه الجوانب إلى المعجميّة النّظريّة فلأنّ ما يمكن أن ينسب منها إلى القاموس أي إلى المعجميّة التطبيقيّة مثل طرق ترتيب الوحدات وتعريفها لا يتعلّق بالقاموس الصّناعي المألوف بل بقاموس تجريبيّ مثاليّ يلحق بالنّظريّة ويبرهن على صحّة قواعدها(9). ولا قيمة - في نظره - لنظريّة لا تؤدّي إلى وضع مثل هذا القاموس، ولا قيمة لقاموس لا يسبق بنظريّة تمهّد له. لذلك شرع ملتشوك منذ 1965 صحبة اسكندر زلكفسكي Alexandre Zholkovsky في التّأسيس للنظريّة المعجميّة، ثم انضمّ إليهما يوري ابرسيان Jurij Apresjan. والتحق بهم بعد ذلك فريق من عشرين باحثا ليعملوا جميعا على تطوير هذه النّظريّة. ثمّ انتقل ملتشوك إلى جامعة منريال بكندا وكوّن فريقا جديدا مازال يعمل معه على تحقيق الغاية نفسها، وهي تصوّر النّظريّة ووضع القاموس المثالي لها. وقد اختاروا له عنوان : «قاموس الشرح والتّعامليّة» Dictionnaire Explicatif et Combinatoire وصدرت منه إلى يومنا هذا ثلاثة أجزاء على التّوالي سنة 1984 و1988 و1992، تقيّد فيها صاحبها بنظريته ليحفظ لعمله صبغته العلميّة وموضوعيّته وانسجامه. وقد بسطت هذه النّظريّة في مؤلّفه «مقدّمة لمعجميّة الشرح والتّعامليّة» Introduction à la Lexicologie Explicative et Combinatoire (10)، وتجلّت من خلالها مكانة الوحدة المعجميّة بصفتها أساس هذه النّظريّة والوحدة الأساسيّة في القاموس الذي يمثّلها.

3 - الوحدة المعجميّة :

تعتبر الوحدة المعجميّة Unité Lexicale/Lexie عماد اللسان بل هي - في شيء من المبالغة - اللسان ذاته. ذلك أنّ اللسان وحدات معجميّة وقواعد تضبط طرق استعمالها غير أنّ أهميّة القواعد تالية لأهميّة الوحدات نفسها (11). فالوحدات المعجميّة - إذن - أساس المعجميّة ومحور اللسانيات النظريّة (12). والوحدة المعجميّة تكون مفردة Lexème أو تعبيرا معجميّا Phrasème (13). فمثال المفردة «جسر» Pont. ومثال التعبير المعجمي «نسفَ

(9) سنعود إلى تفصيل القول في هذا القاموس.

(10) Mel'čuk (Igor), Clas (André) et Polguère (Alain) : Introduction à la Lexicologie Explicative et Combinatoire. Duculot, Louvain - La-Neuve, 1985، (وسنرمز إليه فيما يلي بـ : I.L.E.C.).

(11) نفسه، ص 17.

(12) نفسه، ص 17.

(13) يمكن أن تكون للمفردة Lexème درجة معيّنة من التركيب فهي إمّا بسيطة ذات بنية أصلية موحّدة كـ «قوّة» أو بسيطة «ممعجمة» كـ «حوقل»، أو مركّبة Composée كـ «بصل الذئب» وهو نبات، أو معقدة Complexe كـ «آمّ وجمع الكبد»، ينظر : ابن مراد : مسائل، ص ص 34-35.

الجسور» Couper les ponts. ويشترط في الوحدة المعجميّة لكي تكون مدخلا في القاموس أن تكون ذرّة Atome أي ألاّ تتجزّأ ولا تتفرّع عنها معان ولا تشاركها نصّها المعجميّ Article وحدات أخرى. ولكي تتحقّق هذه الشّروط لا بدّ من تمييز الوحدة المعجميّة من الوحدات التي تربطها بها علاقة تجانس Homonymie أو اشتراك Polysémie أو إبهام Vague أو لبس Ambiguité. وتوضع في سبيل ذلك معايير Critères وهي اختبارات تُجرى على مضمون الوحدة المعجميّة لتجعله مطابقا للحقيقة (14) أي لتجزم في شأن الوحدة المعجميّةهل هيَ ذرّة فتكون - نتيجة ذلك - مدخلا مستقلاّ أم أنّها تنقسم إلى وحدتين وتتوزّع - حينئذ - على مدخلين. وهذه المعايير هي :

أ - معيار التأويل المختلف :

إذا نتج عن وجود وحدة معجميّة في جملة تأويلان مختلفان فإنّ تلك الوحدة وحدتان، وترّتبان مدخلين مستقلّين، ومثال ذلك : عرض عليهم ترحيلهم Il leur a proposé un voyage. فلهذه الجملة تأويلان: أوّلهما أنه يعرض عليهم ترحيلهم على نفقته والتأويل الثاني أنّه يقترح عليهم ترحيلهم فحسب. لذلك ترتب الوحدة المعجميّة «عرض» Proposer في مدخلين مستقلّين لتجاوز اللبس (15).

ب - معيار درجة الاختلاف الدّلالي :

إذا استعملت الوحدة المعجمية في موضعين وكان الاختلاف الدّلالي جزئيا اعتبرت الوحدة المعجميّة واحدة ورتّبت كذلك في القاموس ومثال ذلك في العربيّة : ضرب زيدا، وضرب السكّة، ومثاله في الفرنسيّة : Elle vendait des tapis و Elle vendait ses caresses (16).

وإذا صاحب استعمال الوحدة المعجميّة اختلاف شامل فإنها تنقسم - حينئذ - إلى وحدتين وترتّبان في مدخلين مستقلّين. ومثاله في العربيّة فعل «ضرب» في ضرب زيدا وضرب مثلا. ومثاله في الفرنسة : Prendre في Prendre une décision و Prendre une bière (17).

---

(14) Mel'čuk : I.L.E.C. p. 58.

(15) نفسه، ص ص 61-63.

(16) نفسه، ص 63.

(17) نفسه، ص 64.

ج - **معيار أبرسيان :**

إذا وافقت وحدة معجمية - في إطار جملة - مكوّنات تلك الجملة، فإنّها لا تتجزّأ بل تعتبر وحدة معجميّة واحدة، وترتّب في القاموس كذلك، ومثاله : «دكّ» في دكّت الطّائرات والبوارج المرسى، أو Bombarder في Des avions et des navires bombardaient le port، فإنّ دكّ و Bombarder وحدتان تستعملان مع الطائرات والبوارج.

د - **معيار التعالق التمييزي** (Coocurrence différentielle) :

يعدّ اختلاف التعالق المعجمي دليلا على أنّ الوحدة المعجميّة وحدتان. ومثال ذلك: قَبِلَ الابعاد وقَبِلَ أن يُبْعَدَ فإنّ معناهما واحد. أمّا قَبِلَ الهديّة وقَبِلَ أن تُهْدى له هديّة فالمعنى فيهما مختلف. لذلك تعدّ «قَبِلَ» في قَبِلَ الابعاد وقَبِلَ الهديّة وحدتين معجميّتين (18).

هـ - **معيار الحقل المعجمي :**

إذا استعملت الوحدة المعجميّة في حقلين معجميين مختلفين فقد دلّ ذلك على أنّها وحدتان مستقلتان، ومثال ذلك ربّتْ أطفالا وربّتْ خنازير (19).

ويستخلص من هذه المعايير أنّها تتعلّق في الحقيقة بالفواعل الدلاليّة، وانّه إذا اشتركت وحدات معجميّة في بعض المكوّنات الدّلاليّة وخيف اللبس استحسن التفريق بين هذه الوحدات ورتّبت مستقلّة في القاموس الذي يمثل غاية البحث المعجمي.

4 - القاموس :

للقاموس - إذن - صلة وثيقة بالمعجميّة، إذ أنّ كلّ عمل قامُوسيّ هو نتيجة للبحث المعجميّ. ولذلك فإنّ للمعجميّة النظريّة والمعجميّة التطبيقية الدّرجة نفسها من الأهميّة بالنسبة إلى واضع القاموس (20).

والقاموس لا يختلف في نظر ملتشوك عن المعجم Lexique إلاّ من حيث عدد وحداته المعجميّة. فالمعجم يشمل كلّ الوحدات المعجميّة في لسان ما (21)، أو هو يشمل

(18) نفسه، ص ص 66-68.
(19) نفسه، ص ص 68-69.
(20) نفسه، ص ص 29-31.
(21) نفسه، ص 19.

- بصفة أدقّ - ما يتحصّل لجماعة لغويّة مّا من تجربتها في الكون من مفردات دالّة (22).

أمّا القاموس Dictionnaire فهو وصف لجزء من معجم لسان ما وصفا تكون فيه كلّ وحدة مزوّدة بمعلومات مفيدة (23) أو هو مدوّنة وحدات معجميّة مرتّبة ومعرّفة بنوع ما من التّرتيب والتعريف (24).

والقاموس الذي يتوّج دراسة معجميّة نظريّة مختلف عن القواميس الصّناعيّة المألوفة لأنّه عمل لسانيّ علميّ بحت يضعه علماء معجميّون مختصّون ويحكمه نظام دقيق ذو بنية محدّدة في مستوى النصّ المعجمي Article أي بنية القاموس الصّغرى، وفي مستوى مجموع النّصوص المعجميّة أي بنية القاموس الكبرى (25).

و«قاموس الشرح والتّعامليّة» الذي وضعه ملتشوك والفريق المساعد له هو أوّل قاموس في هذا المعنى لأنّه يتجاوز في عمق شرح الوحدات المعجميّة عمل القواميس السّابقة ويسهم في معالجة مشاكل لسانيّة لا تجد لها حلاّ في الدّراسات الأخرى. فهو ليس مجرّد جرد للوحدات المعجميّة ووصف لها بل هو - الى جانب ذلك - بحث لسانيّ معمّق ليس عليه أن يخضع لأيّ من المؤثّرات الخارجيّة كعامل الزّمن أو التربية أو تكلفة الطبع إلخ... (26).

وهو قاموس شرح لأنه يهتمّ بشرح كلّ عنصر معجميّ شرحا دلاليا مُشكْلنًا، ثمّ هو قاموس تعامليّة لأنّه يهتمّ غاية الاهتمام، وعلى نحو صارم وشامل، بكلّ أوجه تعامل الوحدة المعجميّة مع غيرها من الوحدات (27). غير أنّ أوضح السبل إلى تناول هذا القاموس يظلّ التطرّق إلى الركنين الأساسيين في أيّ عمل قاموسي وهما ركن الجمع وركن الوضع.

4 - 1 . ركن الجمع في «قاموس الشرح والتعاملية» :

يتمثّل الجمع في تكوين المدوّنة التي يشتمل عليها القاموس. وهو يقوم على

---

(22) ابن مراد : مقدّمة، ص 7.

(23) Mel'čuk : I.L.E.C., p. 19.

(24) ابن مراد : مقدّمة، ص 7 ؛ مسائل، ص 11.

(25) Mel'čuk : I.L.E.C., p. 32.

(26) نفسه، ص 31 ؛ وكذلك : Mel'čuk (et al.) : Dictionnaire Explicatif et Combinatoire, Recherches Lexico-sémantiques, les Presses de l'Université de Montréal, 1984, p. XIII

(27) Mel'čuk : I.L.E.C. p. 10.

أسّين: المصادر وهي المظان التي يرجع إليها واضع القاموس، والمستويات اللغويّة التي تكون عليها الوحدات المعجميّة فتصنّف إمّا بحسب التّخصيص والتعميم وإمّا بحسب درجة الفصاحة (28).

وإذ أنّ «قاموس الشرح والتّعامليّة» هو قاموس للّسان الفرنسي المعاصر فإنّ مدونة وحداته المعجميّة تقتصر على الرصيد المستعمل من المفردات الذي يمتلكه متكلّم الفرنسيّة وهو متكلّم وسط بين مستعملي اللسان الفرنسي اجتماعيًا وثقافيًا وجغرافيًا وزمنيًا (29).

وهذا الرّصيد من الوحدات المستعملة يجمعه معجميّ مختصّ في شكل قاعدة نصّية محوسبة ويعتمدها في وضع القاموس المعيّن دون اللجوء إلى القواميس السّابقة(30)، ودون مراعاة مختلف الضغوط التي توجّه عادة القاموس وجهة معيّنة. فليس على المعجميّ إلاّ أن يحتكم إلى حدسه اللغوي فيجيز ظاهرة لسانيّة ما أو يرفضها (31).

ويتضح من هذا الأمر أنّ القاموس الذي يوضع بحسب هذا المبدإ في الجمع لا يصلح إلا لشرح اللسان المعاصر وأنّه لا يغني عن القاموس التّاريخي لفهم تطوّر الوحدات المعجميّة. وتتأكّد غلبة المنزع الآني خاصّة في الرّكن الثاني أي ركن الوضع.

4-2 . ركن الوضع في «قاموس الشرح والتعامليّة» :

يتمثّل الوضع في إنجاز القاموس أي في انتقال الوحدات المعجميّة من القواعد النصيّة إلى بنية قاموسيّة تقوم بدورها على أسّين هما الترتيب والتعريف (32).

وتتوزّع طريقة الوضع في «قاموس الشّرح والتّعامليّة» على ثلاثة محاور هي - من الكلّ إلى الجزء - الخصائص العامة والبنية الكبرى أو بنية الحقل المعجمي والبنية الصّغرى أو بنية النصّ المعجمي.

4-2-1 . الخصائص العامة :

يعتبر «قاموس الشرح والتّعامليّة» أوّل قاموس يصاغ في لغة «مُشَكْلَنَة» وقد صدر عن نظريّة تقوم على الشكلنة Formalisme . ولذلك رأى مؤلّفوه ضرورة اعتماد مبادئ Principes وقواعد Règles ومعايير Critères تتيح تحقيق هذه الغاية.

---

(28) ابن مراد : مسائل، ص ص 92-94.

(29) Mel'čuk : I.L.E.C. pp. 43-45.

(30) نفسه، ص 11.

(31) نفسه، ص 45.

(32) ابن مراد : مسائل، ص ص 95-96.

فالمبادئ تعني مجموع المسلّمات العامة التي تصلح لأن تكون منطلقا للعمل. وتعني القواعد التمشّي العملي في وضع القاموس. وتعني المعايير الاختبارات التي تجرى على الوحدة المعجميّة لتحديد مكوّناتها. والقواعد تهتمّ بالشكل فتحرص على صحّته والمعايير تهتمّ بصحّة المضمون. فالقواعد والمعايير تتكامل - إذن - في مجال ضبط تعريف الوحدة المعجميّة (33).

أ - المبادئ :

تعلّقت المبادئ بالأركان الثلاثة الأساسيّة في وضع القاموس وهي التّحرير Rédaction والمدوّنة ومصادرها، فمبادئ التّحرير هي الشكلانيّة Formalité والانسجام Cohérence والتّنميط Uniformité و الشّموليّة Exhaustivité. وتتعلّق الشكلانيّة بلغة صياغة النصّ المعجمي، فشرطها أن تكون واضحة لا لبس فيها. ويتعلّق مبدأ الانسجام الدّاخلي بالعلاقة بين المكوّنات الدلاليّة للوحدة المعجميّة وفواعلها التركيبية ومتعالقاتها المعجميّة Coocurrents lexicaux. فالأصل أن تكون تلك العلاقة علاقة انسجام وتوافق في مستوى تعريف تلك الوحدة. ويخصّ مبدأ التنميط الوحدات المعجميّة التي تكون من نفس الحقل الدّلالي. فشأنها أن تكون طريقة شرحها واحدة. وأخيرا فإنّ مبدأ الشموليّة لا يعني حصر كلّ ألفاظ المعجم لتدوينها بل يعني - في مستوى التعريف - الإحاطة بكلّ ما من شأنه أن يعرّف بالوحدة المعجميّة (34).

ب - القواعد والمعايير :

سبق أن عرضنا للمعايير عندما تناولنا طرق تحديد الوحدات المعجميّة. أمّا القواعد فسنعود إلى ذكرها عندما نتناول صياغة التعريف المعجمي.

4-2-2. البنية الكبرى أو الحقل المعجمي :

يعتبر الحقل المعجمي Champ lexical أكبر وحدة في «قاموس الشرح والتعامليّة» إذ هو يشتمل على الحقول الدّلاليّة Champs sémantiques. وكلّ حقل دلالي يشتمل بدوره على مجموعة من الوحدات المعجميّة، كلّ وحدة منها مرتّبة على رأس نصّ معجمي Article . ويغطّي مجموع الحقول المعجميّة مختلف مجالات حياة الفرنسيين كـ «جسم الانسان» و«الطّبيعة» و«الاقتصاد» الخ. . ويدلّ حرص المؤلفين على جمع الوحدات

---

(33) Mel'čuk : I. L. E.C p. 33.

(34) نفسه، ص ص 34-42.

المعجميّة في إطار حقول متداخلة على أنّ مفهوم القاموس في رأيهم لا ينحصر في اعتباره قائمة من المداخل بل هو سلّم دلالات. وينبغي - إذن - أن يتّضح ذلك المفهوم من خلال مختلف البنى التي يتكوّن منها القاموس (35).

4-2-3. الحقل الدّلالي :

هو دون الحقل المعجمي في إطار هرم بُنى القاموس، وهو يتكوّن من مجموعة من الوحدات المعجميّة تجمع بين مدلولاتها علاقات معنويّة مباشرة أو غير مباشرة. وعلى رأس كلّ حقل دلالي وحدة معجميّة أساسيّة تكون مشتملة على غيرها من الوحدات المعجميّة المنضوية تحتها ولا يشتمل غيرها عليها مثل اشتمال الوحدة الأساسية رجْل Pied على رجل 1 ورجل 2 ورجْل 3... ويتضح أن الوحدات المعجميّة - مثل وحدات «رجل» - لا ترتّب بحسب تاريخ ظهورها أو مقولتها المعجميّة أو درجة التواتر ولكنّها ترتّب بحسب موقعها على سلّم الدّلالة. وتحدّد هذا الموقع قواعد خمس هي :

أ - قاعدة الاشتمال (Règle d'inclusion sémantique) :

وهي أن ترتّب الوحدة الأخصّ دلالة قبل الأعمّ فتكون دلالة الوحدة الثّانية مشتملة على دلالة الوحدة الأولى ولا تكون دلالة الأولى مشتملة على دلالة الثّانية. ولذلك ترتّب رجْل 1 الدّالة على عضو من أعضاء الجسم قبل رجْل 2 الدّالة على جزء من الطاولة أو أداة من الأدوات لأنّ الثّانية تحيل ضمنيّا إلى الأولى ولا تحيل الأولى إلى الثّانية (36).

ب - قاعدة الجوار الدّلالي (Règle de proximité sémantique) :

وهي أن تُرتّب قبل غيرها الوحدة المعجميّة التي هي أقرب في المعنى من الوحدة الأساسيّة. ومثال ذلك «اشْتعل 1» في مثل اشتعل الحطب قبل «اشْتعل2» في «اشتعلت المدينة» (37).

ج - قاعدة تقديم المجاز العقلي على المجاز اللغوي (استعارة) (Règle de priorité métonymique) :

ومثال ذلك أنّ تُرتّب «أضطرَمَ1» في «اضطرمَ من الحمّى» قبل «أضطرَمَ 2» في

---

(35) نفسه، ص 160.

(36) نفسه، ص 163.

(37) نفسه، ص 163.

«اضْطَرَمَ شوقا» (38).

د - قـاعـــدة تدرّج المكوّنـات الدّلاليّة (Règle de hiérarchie des composantes sémantiques) :

وهي أن يراعى في تقـديم الوحـدة المعجـميّة المكوّن الدّلالي الذي هو أقـرب إلى مكوّن الوحدة الأساسيّة، ومـثال ذلك تقديم «ذراع 2» التّابعة للكرسي على «ذراع 3» التي لا تحـمل مـعنى العضـو الجـانبي لأنّ هذا المعنى هو من مـكوّنات الوحدة الأسـاسـيّة وهو موجود في «ذراع 2» (39).

هـ - قاعـدة تمثيل الحـقل الدّلالي (Règle de caractère typique de la lexie) :

ترتب قبل غـيرها الوحدة المعـجميّة التي تـكون أكثر تمثـيلا للحقل الدلالي. ومـثال ذلك تقديم «إصبع (عضو)» على «إصبع (مقدار)» (40).

تلك - إذن - هي قواعد ترتيب الوحدات المعجميّة في إطار الحقل الدّلالي. وكلّ وحدة من وحدات هذا الحقل تُخَصُّ بنصّ معجميّ Article وهو ما يمثل البنية الصّغرى.

4-3. البنية الصّغرى أو بنية النصّ المعجمي (Article) :

يتكوّن النصّ المعجـمي من وحدة معـجميّة رئـيسية ونصّ يتناول المجـالات الثلاثة التّالية المتعلّقة بها :

أ - المجـال الصّوتمي : ويتـعلّق بجانب الدّال فـي الوحدة المعـجمـيّة. وهو مجـال بالغ الأهميّة لأنّ قـوانينه المحدّدة لتـتابع الوحـدات الصّوتية وقوانـين تولّد الوحدات المعجمـيّة الصّوتي تعدّ من مكوّنات النّظريّة المعجمـيّة. ومازال اللسانيون المحـدثون يهتمّون بهذه المسألة حتّى وضعوا «الصّوتميّة المعجميّة» Phonologie lexicale (41).

ب - المجال الدّلالي ويتعلّق بالمدلول.

ج - المجال التّعـاملي Zone de combinatoire ويتـعلّق بأصناف من التّعـامليّة وهي التـعـامليّة الصّرفـيـة Combinatoire morphologique والتـعـامليّة الأسـلوبيّة Combinatoire stylistique والتـعـامليّة التـركيـبيّة Combinatoire syntaxique والتّعـامليّة

(38) نفسه، ص ص 164-165.
(39) نفسه، ص 165.
(40) نفسه، ص 166.
(41) ابن مراد : مقدّمة، ص 30.

المعجميّة Combinatoire lexicale . على أنّ المؤلّفين سيقتصرون على تحليل التّعامليّة المعجميّة والتعامليّة التركيبيّة ويغفلون عن العودة إلى المجالين الصّرفي والأسلوبي رغم أنّ الصّرف في نظر جلّ اللسانيين وثيق الصّلة بعلم المعجم. فهو يبحث في بنية الوحدة المعجميّة من حيث هي بنية صرف، وفي بنيتها من حيث هي وحدة شكليّة تمييزيّة، وفي قواعد توليدها (42)؛ بل إنّ علمَ الصّرف الاشتقاقي قد أقيمت له نظريّات وهذه قد وضعت عليها قواميس تمثّلها (43).

وبالنّظر إلى ما سبق فإنّ وصف الوحدة المعجميّة في إطار بنية النصّ المعجمي يمرّ بالمراحل التّالية :

4-3-1 . الصّوتميّة :

يقرّ مؤلّفو «قاموس الشرح والتعامليّة» أنّ القواميس التقليديّة تشير إلى بعض المظاهر الصّوتيّة للمداخل ولكنّها تهمل الإشارة إلى موضع النّبر خاصّة أنّ له أهميّة في تحديد دلالة تلك المداخل.

4-3-2 . الدّلالة :

تمثّل الدّلالة أهمّ الجوانب وأوسعها حيزا في كتاب ملتشوك وأكثرها تشعبا وأبعدها غورا لأنّ المعنى أساسي في المعجم والعمل القاموسي. وينقسم مجال الدّلالة إلى عنصرين : عنصر التعريف المعجمي المتعلق بالدلالة الأساسية وعنصر المعاني الإيحائية Connotations.

4-3-2-1 . التعريف المعجمي :

أ - يرى ملتشوك والعاملون معه في هذا الحقل أنّ التمثيل الدّلالي La représentation sémantique يمكن أن يكون في شكل شبكة دلاليّة متعدّدة الأبعاد، لكنّهم يلاحظون أنّ هذا الشّكل يلائم الحاسوب ولا يلائم الكتاب. لذلك لا مفرّ من اتّباع التّعريف الخطّي لأنّ الخطيّة سمة من سمات الألسن الطّبيعيّة، والتّعريف يكون في شكل معادلة : أ = ب. ف «أ» هو المعرَّف أي الوحدة المعجميّة الرّئيسة وترسم على هيئة تُظهر

---

(42) نفسه، ص ص 40-42.

(43) نذكر في المعجمية العربيّة : كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، ليدن 1370هـ/ 1953م. وينظر في المعجميّة الغربيّة : Danielle Corbin et Pierre Corbin : "Vers le Dictionnaire Dérivationnel", in : Lexique, 10 (1991), pp. 147-161

بنيتها الدّلاليّة. ومثال ذلك :

أ يُعَلّم س (زيدًا) ج (دَرْسًا) (44).

و«ب» هو المعرّف ويكون في لغة شرح «معالجة» أي خاصّة بالشّرح.

ثم إنّ للتعريف المعجمي مفهومه الأساسي وهو الفاعل الدّلالي (Actant sémantique) ويتحدّد من خلال علاقة العمل الدّلالي أي علاقة العامل Prédicat بالمعمول Argument. ومثال ذلك «أعطى» لها دلالة عاملة ذات ثلاثة معمولات وهي :

أ(رجل) أعطى س (زيدًا) ج شيئًا (45).

1 2 3

ويُلاحظ أنّ الأفعال وما يعمل عملها هي التي تكون لها فواعل دلاليّة. أمّا مالا إسناد له من الوحدات المعجميّة - كالالفاظ الجامدة - فلا فواعل له (46).

وتُساق - في سبيل ضبط عناصر التّعريف - قواعد هي :

ب - تقديم المُعرَّف (الوحدة الرّئيسة) في شكل جملة ذات بدائل تظهر مكوّنات البنية الدّلاليّة. والبدائل كما رأينا سابقا هي أ. س. ج. وهي تعوّض المعمولات الدّلاليّة.

ج - قاعدة التفكيك والتأليف : وهي تخصّ المعرّف أي لغة التعريف. والتفكيكُ يعني أنّ لغة التعريف يجب أن تكون بسيطة أحادية الدّلالة ولا تحتاج في تعريفها إلى الوحدة المعجميّة الرّئيسة، ومثال ذلك : تعريف «أستاذ» : هو شخص مهنته تدريس أ (التّلاميذ) ب (العلوم)(47). فهذه المفردات المستعملة لا تحتاج لشرحها إلى كلمة «أستاذ». أمّا التأليف فهو عكس التفكيك. ويتمثّل في اختيار الكلمة الشّاملة والمختصّة في الوقت ذاته وذلك حتّى لا يطول التّعريف على نحو غير مستساغ. فكلمات التعريف بسيطة أي أنّها «أفقر» دلاليًا من الوحدة المعرّفة وفي الوقت نفسه هي كلمات تجمع في ذاتها كلمات أخرى.

د - قاعدة التنميط (standardisation) : وتنصّ هذه القاعدة على ألا يكون لكلّ

---

(44) Mel'čuk : I.L.E.C. p.80.

(45) نفسه، ص 81.

(46) نفسه ، ص 77.

(47) نفسه، ص 87.

كلمة من الكلمات إلاّ معنى واحد تُحافظ عليه في كلّ المواضع من القاموس ولا تكون للمعنى إلا كلمة واحدة تؤدّيه في مختلف المواضع. وتتمثّل طريقة تطبيق التّنميط في استعمال الأرقام المعجميّة التّمييزيّة. ومثال ذلك رأى1، رأى2، رأى 3. فكلّما أردنا الرؤية الحسيّة استعملنا «رأى 1»، وكلّما أردنا الرّؤية العقليّة استعملنا «رأى 2» وكلما أردنا الرّؤيا استعملنا «رأى 3» الخ.. ويظهر فضل التّنميط في تجنّب اللبس والتّرادف (48).

هـ- قاعدة الاستبدال : وتعني اختبار صحّة التعريف بواسطة استبدال المعرَّف بالمعرِّف أو العكس في جميع المواضع من القاموس (49).

تلك إذن قواعد من شأنها أن تضمن صحّة الشكل، وتُضاف إليها معَايير لضمان صحّة المضمون وهي :

و - معيار الإفادة (Pertinence) : ويمكّن هذا المعيار من إدراج مكوّن غير ضروري في التّعريف لاشتراكه مع الوحدة المعرّفة في المعنى أو الاشتقاق ومثال ذلك إدراج صفة البياض في تعريف الثّلج لأنّه يُقال : في بياض الثّلج (50).

ز - معيار التعدية إلى الحالية : وهو أن يتضمّن التعريف مكوّنا يشير إلى إمكان دخول الحال : ومثال ذلك أن يُقال في تعريف «صفّق» : ضرب اليدين إحداهما بالأخرى تعبيرا عن الرّضا، وبحسب مقدار ذلك الرّضا. فكلمة «مقدار» تُشير إلى إمكانية استعمال حال مثل «عاليا» أو «شديدا» في صفّق عاليا أو صفق تصفيقًا شديدا (51).

ح - معيار العدّ : ويخصّ هذا المعيار الأسماء فيميّز من بينها ماهو معدود وماهو غير معدود أو يبيّن كيفيّة عدّها. ومثال ذلك : زوج أحذية وعشرون رأس غنم، وحزمة كتب (52).

ثم إنّ المكوّنات الدّلاليّة تختلف من مقولة معجميّة إلى أخرى.

فإن كانت الوحدة المعجميّة من مقولة الأفعال فإنّ لها - إلى جانب الفواعل الدّلاليّة - بنية عمل أي أنّ دلالتها عاملة. لذلك يبحث في عدد فواعلها الدّلاليّة وفي معمولاتها. ويُنظر كذلك في مكوّنها العادي هل هو دالّ على فعل أو حدث أو

(48) نفسه، ص 87.

(49) نفسه، ص 91.

(50) نفسه، ص ص 97 - 99.

(51) نفسه، ص ص 98 - 99.

(52) نفسه . ص ص 99 - 100. وكلّما دعت الحاجة إلى جعل الأمثلة ملائمة للعربيّة فإنّها تُحوَّر.

حالة، وينظر هل هي قابلة للتصرّف في مختلف الأزمنة أم أنّها لا تُصرّف إلا في زمن معيّن، وهل هي تُسند إلى نائب الفاعل، أم أنّها تقتصر على الإسناد إلى الفاعل وهل تشتقّ منها صيغة مطاوعة أم أنّها لا تقبل مثل هذا الاشتقاق (53).

وإذا كانت الوحدة المعجمية من مقولة الأسماء فيُنْظَرُ خاصّة في مكوّنها المتعلّق بالجنس أو بالعدد (54). وإذا كان الإسم مشتقّا فشأنه شأن الفعل الذي أشتقّ منه.

ويُنْظر إلى جانب ذلك في أضرب أخرى من المكوّنات منها خاصّة :

- المكوّن الضعيف Composante faible ومثاله ذكر الجنس «مذكّر» بالنسبة إلى تعريف الوحدة المعجمية «طالب» (55).

- المكوّن الاختياري Composante optionnelle ومثاله ذكر مقرّ العمل عند تعريف الوحدة المعجميّة « أستاذ» (56)

- المكوّن البديهي. ومثاله «المال» الذي نجده ضمن مكوّنات وحدات البيع والشراء.

- المكوّن الضّمني Composante Présuppositionnelle ومثاله أنّ الوحدة المعجميّة «ساعد» تقتضي أن يكون الشخص الذي تلقّى المساعدة قد شرع بعد فيما تلقّى فيه العون (57).

وعلى تشعب الدّلالة الأساسيّة للوحدة المعجميّة فإن ملتشوك يرى أنّ مثل هذا التّحليل يمكن أن يوفّر مجالا يتمّ من خلاله تعريف تلك الوحدة. لكن الدّلالة الأساسيّة تكتمل مع ذلك بواسطة الدّلالة الايحائية لتكوّنا معا الدّلالة المعجميّة.

4-3-2-2 . الدّلالة الإيحائية :

تثير الدّلالة الايحائيّة التي يمكن أن تكون لوحدة معجميّة إشكالا يتمثّل في التباسها بالمعاني الفرعيّة التي تكون لتلك الوحدة. ويلجأ المؤلّف كي يحلّ هذا الإشكالَ - إلى قاعدة ومعيارين :

فالقاعدة - وهي لأبرسيان Apresjan - تَعْتَبِرُ معنى إيحائيا كلّ خاصية معنويّة تُنْسَبُ

(53) نفسه، ص ص 108 - 111.
(54) نفسه، ص ص 108 - 111.
(55) نفسه ، ص 104
(56) نفسه، ص ص 104 - 105.
(57) نفسه ، ص 106

إلى مرجع وحدة معجمية ما ولا تُذكر في تعريفها الدّلالي(58).

أمّا المعياران فأولهما يعتبر المعنى إيحائيًا إذا كان نقيضه لا يتعارض منطقيًا مع استعمال الوحدة المعجميّة. أمّا إذا حصل تعارض فالمعنى فرعي وهو تابع للتعريف الدّلالي. ومثال ذلك أنّ «التقلّب» مكوّن دلالي للوحدة المعجميّة «حال». وعكس التقلّب هو «الاستقرار». فإذا جاز القول: «حال مستقرّة» اعتبر «الاستقرار» معنى إيحائيا في الوحدة المعجميّة «حال». ويعتبر المعيار الثّاني المعنى ثانويًا إذا كان لا يُعاب بعيب يمكن أن تتّصف به الوحدة المعجميّة. أمّا إذا عيب بعيبها فهو من التعريف. ومثال ذلك أنّ من مكوّنات الوحدة المعجميّة «قلب» أنّ القلب موطن الحبّ. ولكنّ مرض القلب لا يتبعه حتما التوقّف عن الحبّ. لذلك فإنّ المكوّن الدّلاليّ «موطن الحبّ» معنى إيحائي(59).

ويُستخلص من هذا العنصر أنّ الدّلالة بصفة عامة ليست ظاهرة بسيطة (60) وأنّ المعنى الايحائي بصفة خاصّة ظلّ غامضًا ومحلّ خلاف بين اللسانيين. وقد نجم عن عسر البحث في هذه الظّاهرة اللسانيّة أن اعتبرها البعض «كتلة صمّاء» ينبغي صرف النّظر عنها(61). لذلك تُعدّ محاولة ملتشوك في معالجة الدّلالة المعجميّة - على ثقل شكلانيتها على النّفس - مرحلة مهمّة في طريق توضيح هذا الجانب من اللسانيات. ثمّ إن الدّلالة المعجميّة - في سبيل الإحاطة بالوحدة المعجميّة - تكتمل بواسطة ضربين من التعامليّة Combinatoire: تعامليّة تركيبيّة وتعامليّة معجميّة.

3-3-4. التعامليّة التركيبيّة:

لا تعني التعامليّة التركيبيّة علاقة الوحدة المعجميّة بغيرها من الوحدات لأنّ تلك العلاقة هي من مشمولات النّحو ولكنّها تتعلّق بخصائص الوحدة المعجميّة الذّاتيّة. وينظر في هذه الخصائص من خلال مظاهر التقاء الفواعل التركيبيّة العميقة Actants syntaxiques profonds والفواعل المعجميّة Actants lexicaux.

ومثال ذلك: أ (زيد) يُعَاملُ ب(عمرًا) ج(على نحو مّا):

فالبدائل أ. ب. ج هي الفواعل المعجميّة تقابلها الفواعل التركيبيّة العميقة **3.2.1**. مُرتّبة ترتيبا تفاضليًا بحيث يكون لـ أ رقم **1** ولـ ب رقم **2** ولـ ج رقم **3**

---

(58) نفسه، ص 112.

(59) نفسه، ص ص 114 - 115.

(60) Maradin (J.-M) : "Le lixique mis à nu par ses Célibataires : Stéréotype et théorie du Lexique". in : J. Chaurand et Fr. Mazière (éds.) : La Définition (Actes, de Colloque); Larousse, Paris 1990, pp.284-291.

(61) نفسه، ص 290.

إلخ...(62). ويقترح ملتشوك أن يُعرض هذا الجانب التعاملي في شكل لوحة. مثلا :

الوحدة المعجميّة «كسـا» تتضمّن :

أ (زيدٌ) كَسَا ب(عَمْرًا) ج (بُرْدًا) : الفواعل المعجميّة

1 2 3 : الفواعـل التركيبيّة

(القائم بالفعل) مفعـول مفـعول

وتُتلى اللوحة بضوابط إضافيّة تظهر الصّواب والخطأ والوجوب والجواز مع ذكر أمثلة لكلّ ذلك.

4-3-4 . التعامليّة المعجميّة :

الغاية منها إبراز كلّ مظاهر التّعالق المعجمي Coocurrence Lexicale لتكتمل بذلك شروط استعمال وحدة معجميّة استعمالا صحيحًا. ذلك أن المعطيات المعنويّة والتركيبيّة لم تكن بمفردها لتكفيَ لضبط طرق ذلك الاستعمال. والسّبيل - حينئذ - إلى حسن اختيار الوحدة المعجميّة الرّئيسة والتركيبات المناسبة لها هو الأخذ بما يسمّى وظائف معجميّة Fonctions Lexicales.

والوظيفة المعجمية علاقة دلاليّة بين الوحدة المعجميّة وغيرها من الوحدات، ناتجة عن تحوير دلالي يُجرَى على الوحدة المعجميّة. ومثال ذلك أن تأكيد مكوّن السّواد في الوحدة المعجميّة «أسود» يؤدّي إلى «حَلَكٌ». ويُعبّر عن الوظيفة المعجميّة بالمعادلة التّالية :

و(م) = ق

فالواو يرمز إلى الوظيفة المعجميّة والميم يرمز إلى المفردة أو الوحدة المعجميّة والقاف يرمز إلى القيمة : (تأكيد (أسود) = حَلَكٌ) (63).

وعدد الوظائف المعجميّة مُرتفع. وهو يشمل الوظائف النّمطية والشاذّة ويشمل الوظائف الجدوليّة والسّياقيّة.

وإذا تأمّلنا في هذه الوظائف وجدنا أنّها تتّصل بمجالات ثلاثة : المجال الدّلالي ومجال الصّرف ومجال الأساليب. فمن أمثلة الوظائف المعجميّة المتّصلة بعلم الدّلالة - وهي كثيرة - التّرادف (64) والتضادّ.

---

(62) Mel'čuk : I.L.E.C. p. 118.

(63) غُيّرَ المثال الأصلي.

(64) الترادف بمعنى المساواة نادر. فإمّا أن يكون أحد المترادفين أشمل من الآخر (أ> ب) أو العكس (أ< ب) أو أن يكونا متقاطعين (أ ∩ ب) ينظر : Mel'čuk : I.L.E.C.. pp. 129-130

فمثال الترادف : مرادف (سفْر) = كتاب

ومثال التضادّ : ضدّ (فَأل) = طيرةٌ.

ومن أمثلة الوظائف المعجميّة المتّصلة بمجال الصّرف :

اسم فاعل (تكلّم) = مُتَكَلِّمٌ

اسم المفعول (باع) = مَبِيعٌ.

ومن أمثلة الوظائف المعجميّة الرّاجعة إلى الأساليب :

التعمّق (العلم) = تَضَلُّعٌ منه أو تبحُّر فيه.

والحقيقة أنّ ذكر مثل هذه الظواهر اللسانيّة في المادة المعجميّة ليس أمرا جديدا. فنحن نجده في جلّ القواميس لكن الجديد هو التطبيق المطّرد الصّارم لكلّ الوظائف المعجميّة على كلّ وحدة معجميّة بطريقة مشكلنة علميّة لا تكاد تهمل جزئيّة من جزئيات التعالق المعجمي الذي يكون للوحدة المعجميّة مع سائر الوحدات الأخرى. بل إن حرص المؤلّف على الشموليّة قد جعله يضيف مجالين آخرين ختم بهما كلّ نصّ معجمي هما مجال الأمثلة ومجال الجمل. فالأمثلة يقصد بتكثيفها إلى إزالة كلّ لبس قد يتسلّل إلى وصف الوحدة المعجميّة. وكذلك الجمل فإنّها تحصر كلّ مواضع استعمال تلك الوحدة.

5 - الخاتمة :

أولى ملتشوك المعجميّة منزلة لم يسبق أن عرفتها سابقا في الغرب. فقد عمل على تخليص المعجميّة من التّبعيّة للتركيب النحويّ، واستطاع أن يتجاوز الجدل القائم حول علاقة اللسانيات المعاصرة بالمعجميّة، فقرّب بينهما وزاد على ذلك فجعل تطوّر اللسانيات رهين التعمّق في دراسة الوحدة المعجميّة لأنّها موضوع اللسانيات. ولكنّه - من ناحية ثانية - أكسب المعجميّة ما كانت اللسانيات قد اكتسبته من مبادئ تنظير وقواعد بَيِّنَة وصياغة دقيقة في لغة علميّة «مشكلنة».

وقد طبقت هذه المبادئ والقواعد في تحليل الوحدة المعجميّة فأظهرتها في شكل نظام من العلاقات، تتصدّره العلاقة الدّلاليّة، وتتفرّع عنها العلاقات التركيبيّة والعلاقات المعجميّة. وانطلاقا من هذا التحليل أمكن بنية المعجم والقاموس الذي يمثّله بحسب حقول يندرج بعضها في بعض في نظام محكم لا مكان فيه للاعتباط أو الصدفة.

هلال بن حسين

كلية الآداب بسوسة

جامعة الوسط

نحـــو معجـــم انجليـــزي - عربـــي للأفعـــال العباريـــة

بحث : محمد حلمي هليّل

1 - مقــدمــة :

تتسم اللغة الانجليزية بظاهرة تشكل عقبة كأداء للمترجم من الانجليزية إلى العربية أو غيرها من اللغات. وكثيرا ما يلجأ المترجم العربي إلى المعجم الثنائي باحثا عن حلّ لها. تُعرف هذه الظاهرة بالأفعال العبارية (Phrasal verbs)، وهي تجمعات لبعض الأفعال المقترنة بحروف الجر (prepositions) أو الأحوال (adverbs) : Phrasal Verb = Verb + Preposition or Adverb.

وتكمن أهمية هذه الأفعال في كونها :

1 - وحدات معجمية تتألف من جزأين أحدهما فعل بسيط من أصل انجلو - ساكسوني متكوّن من مقطع واحد في العادة والجزء الآخر أداة (Particle) مثل "in", "out", "on", "off", "over", "up", "down"؛ وهي واسعة الانتشار في اللغة الانجليزية تُؤلّف في معجم Longman Dictionary of Phrasal Verbs (1983) حوالي 12,000 مدخل.

2 - لا غنى عنها في كثير من الأحوال. فابن اللغة الانجليزية يُفضّلها على الكلمات الطويلة المتعدّدة المقاطع التي تعود في الأصل إلى اللغة اللاتينية أو اليونانية والتي ربما كان لاستعمالها رنّة من الغرابة أو التكّلف (مثل استعمال "extinguish" بدلا من "put out a cigarette").

3 - تتّسم اللغة الدارجة باستعمالها المتكرر لهذه الأفعال لسهولة تركيبها ومن ثم أهميتها للمترجم الذي يحاول أن ينقل للعربية حوارا طبيعيا في مسرحية أو في فيلم سينمائي مثلا وكذلك بالنسبة إلى المترجم الفوري للغة الحديث في المؤتمرات الدولية.

4 - لا يقتصر استعمالها على اللغة الدارجة فقد نمت في الآونة الأخيرة واستقر استعمالها وشاع في كل ضُرُوب اللغة الانجليزية (language varieties) أو حقولها المتخصصة إما لأنها لا يمكن أن يحل محلها تعبير آخر أو لأنّ البديل لها يفتقر إلى البساطة والايجاز. والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة، فهي مستعملة في الصحافة ولغة السياسة والإعلام والحاسب الآلي ولغة البحر والاقتصاد والاجتماع . . . وغيرها.

5 - بالإضافة إلى كونها جزءا هاما من مفردات اللغة فهي أكثر التجمّعات اللفظية ديناميكيّة وانتاجية إذ يُشْتَقُّ منها الاسم (noun) والإسم الفعلي(verbal noun) والصفات (adjectives) وغيرها (انظر Fraser 1974, Adams 1973).

أ - الأسماء :

a breakthrough, a write-off,
a screw-up, a sell-out, a walk-out
a blackout, a splashdown,

ب - الأسماء الفعلية : washing-up, beating-up, dressing-down.

ج - الصفات : leftover, dug out

6 - أن جزءا كبيرا منها على قدر كبير من الاصطلاحية (idiomaticity) ولا يمكن للمترجم أن يتنبأ بمعناه ومن ثم كانت الصعوبة في أن يجد المقابل العربي المناسب لها ويتكّرر لجوؤه إلى المعاجم علّه يجد حلاً.

من ثمّ أصبحت هذه الظاهرة جديرة بالعناية والدرسة المعجمية.

2 - الأفعال العبارية تركيبا ومعنى :

يُطلّق مصطلح الأفعال العبارية على ثلاثة أنماط من التجمّعات (انظر Richards et al 1992):

1 - Verb + Adverb : (حال أو ظرف) + (فعل).

She turned off the tap. (أقفلت الحنفية)

2 - Verb + Preposition : (حرف جّر) + (فعل)

I looked after her child (اعتنّيتُ بطفلها)

وتُعرف «بالأفعال الّجرّيّة» (Prepositional verbs)

3 - Verb + Adv. + Preposition

(حرف جر) + (حال) + (فعل)

I can't put up with him (لا أطيقه)

وتُعرف «بالأفعال الجرّيّة العبارية» (Prepositional phrasal verbs)

وعلى النقيض من التجمّعات الحرة تتخذ هذه الأفعال الثلاثة شكلا مستقرا بل ثابتًا في اللغة فهي نوع من التجمّعات الجاهزة التشكيل.

وكأنماط تركيبية نجد أن الأفعال العبارية لها نفس الوظيفة التي للأفعال المُفردة عدا أن الأداة (Particle = Preposition or adverb) (حرف الجر أو الحال) يمكن فصلها عن الفعل:

(1) My fiancée cancelled the wedding
(2) My fiancée called the wedding off
(3) I looked after her child / looked after her him [not*looked the child after]

أما الأفعال الجرّية (مثال3) فلا تقبل فصل الأداة عن الفعل وعلى هذا فالفرق بين الاثنين هو فرق في التركيب لا في المعنى. كما أن الأفعال الجرّية لا يمكنها الوقوف بمفردها دونما متمّم للجملة : (complement) I looked after*.

كل هذه التجمّعات بأنماطها المختلفة قد يكون لبعضها معنى متميز وقد لا يكون لها معنى متميّز وقد تعدّدت طرق تصنيفها من ناحية المعنى ودرجة صعوبته، ويمكن أن نقسمها - بشكل عام - إلى :

1 - الأفعال التي يكون فيها المعنى مساويا لمجموع المعاني بكل عنصر من العناصر المكونة لها أو شيء قريب جدا من ذلك : run away, send back.

2 - الأفعال التي يحتفظ فيها الفعل بمعناه المعروف في حالة تَفَرُّده وتُعبّر الأداة (Particle) في هذه الحالة عن معنى معين لا يوجد إلا مع ارتباطها بالفعل ولا يكون من معاني الأداة في حالتها المستقلّة قبل أن ترتبط بالفعل.

مثال up التي تُعبّر عن الشدّة (intensity) في العبارتين التاليتين :

to tear up, to wash up.

3 - حالات يُعبّر فيها التجمّع عن معنى كل من الجزأين أو الثلاثة أجزاء المُكَوِنة وهذا ما يُعرف بالمعنى الاصطلاحي (idiomatic) :

مثال : يتشاجر fall out = quarrel

يتحمل، يطيق put up with = endure

أمّا عن مقدرة الدارس والمترجم على فهم هذه الأنواع من التركيب فيمكننا أن نتحدث عن درجات من الاصطلاحية (idiomaticity) وكذلك درجات من صعوبة الفهم وليس عن درجة واحدة (انظر Fraser 1974, Bolinger 1971). وقد تزداد صعوبة الفهم في حالة الاستعمال المجازي مثلا بقدر بُعده عن المعنى الحرْفي أو قد يصبح التنبؤ بالمعنى

محالا وذلك في حالة انصهار معنى الأداة والفعل انصهارا تاما لا يسهل معه تحديد معنى أي منهما.

3 - الأفعال العبارية في المعاجم الثنائية الانجليزية العربية :

رغبة منا في الوقوف على حقيقة عمل المترجم في استخدامه للمعجم الثنائي الانجليزي العربي قمنا باختبار المعاجم التالية :

1 - المـــورد (انجليزي - عربي).

2 - اكسفورد (انجليزي - عربي). The Oxford English Dictionary

3 - معجم اللّغات (انجليزي - فرنسي - عربي).

4 - المُغْني الكبير (انجليزي - عربي).

5 - النبـــراس (انجليزي - عربي).

حتى يتسنى لنا دراسة :

(أ) التوثيق (ب) المعالجة المعجمية.

(أ) التــوثيـــق :

بدأنا باختبار المادة المعجمية فبحثنا في هذه المعاجم عن عشرة أفعال عبارية (ينظر الجدول 1) من نصوص مختلفة وبمعان حدّدناها بين قوسين لأنها مأخوذة من النصوص التي اخترناها.

الجدول 1 : الأفعال العباريّة في المعاجم الانجليزيّة - العربيّة (1)

المغني	النبراس	معجم اللّغات	المورد	قاموس اكسفورد	الفعل العباري
√	√	√	x	x	**1- hedge in** (fig.enclose as with a hedge)
√	√	x	x	x	**2- help out** (assist)
x	موجودة في جملة ولا تُمثّل مدخلا x	x	x	x	**3- shy away** from(=avoid)

√ : موجود

x :غير موجود

الفعل العباري	قاموس اكسفورد	المورد	معجم اللغات	النبراس	المغني
4- close down (a broadcast)	x	√	√	x	x
5-sign off (a broadcast)	x	√	√	x	x
6- pull out (= withdraw)	√	√	x	√	x
7- wash out (= cancel)	x	√	x	√	√
8- blast off (=to take off)	√	√	x	√	√
9- press ahead (continue in a determined way)	x	x	x	x	x
10-head off (prevent)	x	x	x	x	√
النسبة المئوية	% 20	% 50	% 30	% 60	% 50

أظهر فحص هذه المعاجم أنّ نسبة الفعْل العباريّ الذي بحثنا عنه فيها تتراوح - باستثناء النبراس - بين 20 % و50 % فكان النبراس أفضلها إذ حقق نسبة 60 % إلا أننا هنا نبحث عن وجود الفعل العباريّ فحسب ولم نقم بعد بفحص المعالجة المعجمية في كلّ من هذه المعاجم. ولما قارنا معاجمنا بالمعاجم الانجليزية الفرنسية والانجليزية الألمانية معتمدين

على معجمين هما :

1 - Robert & Collins Dictionnaire (1987)

2 - The Collins Klett (1983)

كانت النتيجة كما هو مبين بالجدول (2) التالي :

الجدول (2) : الأفعال العبارية في المعاجم الانجليزية الفرنسية والانجليزية الالمانية :

الفعل العباري	Robert & Collins	The Collins Klett
1 - hedge in	√	√
2 - help out	√	√
3 - shy away from	√	√
4 - sign off	√	√
5 - close down	√	√
6 - pull out	√	√
7 - wash out	√	√
8 - press ahead	√	√
9 - head off	√	√
10 - blast off	x	√
النسبة المئوية	% 90	% 100

فأحرز معجم The Collins Klett 10 نقاط (100٪) وأحرز معجم Robert & Collins 9 نقاط (90٪). وإذا قارنا هذه النسب بما في معاجمنا العربية ظهر الفرق واضحا.

ولما كانت إحدى مشاكل الأفعال العبارية بل مشكلتها الأساسية هي قابليتها للتجمّع مع عدد كبير من الأدوات وتعدّد المعاني للفعل الواحد قمنا باختبار نفس المعاجم لنرى مدى :

(أ) شمولها للأدوات المصاحبة (انظر الجدول 3)؛

(ب) تعدد معانيها (انظر الجدول 4).

الجدول (3): الأفعال والأدوات المصاحبة لها :

أكسفورد	النبراس	المورد	معجم اللغات	المغني	الفعل والأدوات المصاحبة
x	√	x	x	x	Pack away
x	x	x	x	x	down
x	√	x	x	√	in
x	x	x	x	√	into
x	√	√	√	√	off
√	√	√	√	√	up
x	x	x	√	x	together
x	x	x	x	x	out
1	4	2	3	4	المجموع 8

فاعتمادا على معجم Longman Dictionary of Phrasal Verbs يقترن الفعل pack بثماني أدوات، أحرزت معاجمنا منها على نقاط تراوحت بين 1 و4 أي ما لا يزيد على 50% من مجموع الأدوات وهي نسبة مُتَدنّية.

(ب) واعتمادا على معجم Longman Dictionary of Phrasal Verbs اختبرنا نفس المعاجم بالنسبة الى عدد المعاني وكانت النتيجة مخّيبة للظنّ واختلف عدد المعاني من معجم الى آخر ومن فعل إلى آخر كما تشهد بذلك الأرقام في الجدول التالي.

الجدول (4) : الأفعال العبارية وعدد المعاني في المعاجم الانجليزية العربية :

معجم اللغات	المغني	النبراس	المورد	معجم اكسفورد	الفعل العباري وعدد المعاني
(3)	(3)	(3)	(5)	(2)	pay off (6)
(3)	(4)	(4)	(2)	(1)	hold back (7)
(4)	(3)	(6)	(5)	(2)	open up (11)
(3)	(1)	(5)	(3)	(4)	play up (5)
(7)	(6)	(8)	(7)	(4)	run down (10)

4 - المعالجة المعجمية :

(1) - المعنـــــــى :

إن المشكلة الرئيسية هي الاستدلال بسهولة على معنى الفعل العباري وقد قمنا باختبار معاجمنا لنرى إن كانت هناك منهجية معينة اتبعها واضع المعجم واخترنا لذلك الفعل العباري put up لأن الفعل put من الأفعال المهمّة المميّزة بكثرة معانيها فتتعدد المقابلات العربية لهذا الفعل حسب النص الذي يَرِدُ فيه الفعل :

مثال : يرْفع	1 - put up (tr.) (his hand)
يمكث / يقيم	2 - put up (int.) (at a hotel)
يستضيف	3 - put up (tr.) (s. body)
يقترح / يُقَدم عرضا	4 - put up (tr.) (a propositon)
يرفع / يزيد	5 - put up (tr.) (a rent).

يتضح من هذا المثال أن معنى الفعل العباريّ يتغّير بتغّير التلازم اللفظيّ الذي وضعناه بين قوسين، ومن ثمّ فلا جدوى من المعجم الثنائي إذا هو ذكر المقابلات العربية الواحد بعد الآخر هكذا : يرفع / يَمكث، يُقيم / يستضيف / يقترح / يرفع ، يزيد؛ لأن ما يُحدّد معنى المقابل هو المتلازم (يده، في الفندق، شخص، اقتراح، إيجار . . . الخ)

ولنقارن المعاجم التالية :

أ - المورد : Put up

(1) يضع (في كيس الخ) (2) يُغمد سيفا (3) يعدّ، يهيّئ (4) يُعبّئ، يعلّب (الفاكهة أو الأسماك) (5) يخرجه مؤقتا من نطاق الاستعمال (6) يعقص الشعر الطويل فوق الرأس بدلا من تركه يتدلّى على المنكبين (7) يرفع صلاة (8) يرشّح أو يترشّح للانتخابات (9) يعرض للبيع (10) يرسم خطة أو مؤامرة (11) يبني، يشيّد (12) يبْدي مقاومة (13) يعلق في مكان بارز (14) يدفع (مالا) (15) يُنزل : يقدّم الطعام والمبيت (16) ينزل (في الفندق) (17) يرفع (يديه إلى آخره) (18) يزيد الأجرة.

بالرغم من غنى المورد في عدد المعاني التي يدرجها تحت المدخل فإنه :

(1) لم يُفرّق بين الفعل العباري المتعدي والفعل العباري اللازم.

(2) أتى بقائمة طويلة باللغة العربيّة لا تساعد في عملية البحث عن معنى الفعل الانجليزي وإيجاد المقابل الذي يناسب النص الانجليزي الذي يقوم المترجم بترجمته.

(3) بعض هذه المعاني (بالعربية) هي تعاريف وليست مقابلات : مثال ذلك رقم

(5)، كما أنه لا يُعرَف الشيء الذي سيخرج من نطاق الاستعمال.

(4) بعض هذه المقابلات ملتبس في معناه أو مُبْهَمْ، ومثال ذلك (1) و(3) و(5) و(6) و(11).

ب - اكسفورد :

يتبع قاموس اكسفورد أسلوب الشرح عن طريق الجمل كما يتبع النظام الألفبائي بالنسبة إلى الفعل العباريّ المستعمل. فبعد البحث عن الفعل تحت : 10. (with adverbial adjuncts, to form compound verbs). وقراءة خمسين جملة تجيء الجملة التالية It is easier to take this machine to pieces than to put it together again

والفعل المقصود هنا هو put together، وبعد ذلك مباشرة نعثر على ضالتنا داخل جملة بلا حروف بارزة هكذا : .They have put up the prices again

يلاحظ أن :

(1) العدد الكليّ 9 جمل لـ 9 معان مختلفة للفعل العباري.

(2) لا تمييز بين كون الفعل العباري لازما أو متعدّيا.

(3) ليس ثمة شرح أو تعريف لمعاني الفعل العباري.

(4) من الصعوبة إيجاد الفعل العباري داخل الجمل العديدة (عددها 59 جملة)، فلا يظهر بشكل بارز أو خط عريض يُميّزه.

(5) ليس ثمة مُبرر لترجمة الشواهد وكلها جمل كاملة وكان يمكن الاكتفاء بالنص الانجليزي الذي يحدّد المعنى مع المقابل المناسب للفعل العباري فيه. ولنأخذ الجملة التالية مثلا : نصبوا مظلة أو تندة كبيرة في حديقة منزلهم They put up an awning in the garden

إذا نظرنا إلى المتلازمات اللفظية التي ترتبط بالفعل العباري put up وجدنا : put (a building, a fence, a memorial, a shed, a tent, a block of flats)

يَبْني، ينصُب، يُقيم، يُشيِّد.

فاستخدام جملة واحدة دون شرح للمعنى أدّى بنا إلى المقابل **نصبوا** بينما نحن في حاجة إلى مقابلات مثل : **نَصَبَ، بَنَى، شيَّد** ... الخ وفقا للمفعول به أو المتلازم اللفظي (جدار، بناء تذكاري، خيمة، سقيفة)....

ج - المغنــي الكبـير :

تزداد صعوبة البحث عن put up ومعانيها في المعجم فيبدأ البحث بالفعل put وبعد 24 جملة تأتي جملة واحدة تحوي (Hunters use dogs to put up birds) وترجمتها العربية؛ وبعد ذلك بـ 11 جملة تأتي جملة أخرى هي (I'm putting up my house for

sale) وترجمتها العربية؛ ثم بعد 9 جمل تأتي جملة أخرى هي :
(My brother is putting up for parliament at the next election) وترجمتها العربية؛ وبعد 20 جملة أخرى تأتي جملة (?To plans are ready, but who will put up the money°) وبعدها بـ 39 جملة تأتي عبارة : (To put him up for the post) وبعد ذلك بـ 24 جملة أخرى تأتي put up ومقابلات عربية لها (رفع . نصب . أقام . عرض . قدّم . أعدّ) ثم يتبعها put up في معان مختلفة عددها 4 ثمّ تأتي put up with في جملة ثمّ تأتي جملة بها put into ثم put up مرة أخرى وهكذا حتى النهاية.

يلاحظ :

1 - أن البحث في المعجم شاق للغاية يستنفد وقتا طويلا يحتاج إليه الدارس والمترجم وليس بمقدمة المعجم أي دليل أوهاد للمستعمل عدا كلمات قلائل عن الأفعال العبارية «.... هذا بالإضافة إلى استعمالاَت الأفعال مع أحرف الجر والظروف وإلى الاستعمالات العديدة التي يستعمل فيها اسم من الأسماء، كما هو مشروح عن الفعل hold أو take أو عن الاسم hand أو time» (ص XI).

2 - الخلط بين الفعل بمعانيه المختلفة والأفعال العبارية المتناثرة هنا وهناك كما لاحظنا في عرضنا للفعل العباري put up.

3 - ليس ثمة نظام نستطيع أن نرى ملامحه في الترتيب فهو على أقل تقدير ليس نظاما ألفبائيا.

4 - ليس ثمة تمييز بين الأفعال اللازمة والمتعدّية.

5 - عدد المعاني 14 تقريبا.

د - قاموس الأفعال المركبــــة :

وقد لجأنا أيضا إلى المعجم المتخصص الوحيد (انجليزي - عربي) للأفعال العبارية وقد صدر عام 1993 وهو قاموس الأفعال المُركبة ولاحظنا قبل كل شيء أن القاموس ألفبائي الترتيب لكن الحروف الانجليزية للمداخل تم ترتيبها من اليمين إلى اليسار فوجدنا put up في صفحة 206 بينما وجدنا put out في صفحة 205. وظهر الفعل هكذا : put up (v adv.) يرفع (شيئا) إلى موقع أعلى، يبني أو يرفع (شيئا) في مكان ثابت، يعرض شيئا (كإعلان مثلا) في مكان عام، يزيد أو يرفع (سعرا)، يحزم بضائعا (كذا)، يقدّم (مالا ضروريا لشيء) مقدّما غالبا. يقدم (مجابهة)، يعرض موقفا في مناقشة، يعرض (شيئا) للبيع، يجد الطعام والمأوى (لنفسه أو لغيره)، يقدّم (نفسه) لانتخابات، يقترح (شخصا) لوظيفة أو منصب، يحفظ طعاما في إناء خاص، يطلب مسائلة (سجين) في محكمة.

نلاحظ :

1 - صعوبة البحث عن الفعل فالمعجم الانجليزي تتتابع مادّته من اليسار إلى اليمين وليس العكس.

2 - عدد المعاني (14) والمعجم غنيّ في عدد معاني الأفعال المركبة مثله مثل المورد والمغني.

3 - يزّودنا المعجم بقائمة طويلة من المقابلات العربية بدون السياق الانجليزي

مثال: يبنى أو يرفع (شيئا) في مكان ثابت ؛

- يعرض شيئا (كإعلان مثلا)؛

- يعرض موقفا في مناقشة !!

5 - غرابة اللغة العربية المستعملة والأخطاء الفاضحة فيها.

مثال: - يحزم بضائعا (بضائع صيغة منتهى الجموع ممنوعة من الصرف)؛

- يقترح (شخصا) لوظيفة أو منصب (خطأ في التلازم اللفظى، المقصود يُرَشّح)؛

- يطلب مسائلة سجين في محكمة (ركاكة في التعبير وخطأ في الإملاء (مسائلة والصواب مساءلة).

- يقدّم مجابهة (والمقصود «يُبدى مقاومة» أو «يُجابه»، المتلازم اللفظى «يقدم مجابهة» غير عربي).

6 - بعض المقابلات مُلتبس :

- يجد الطعام والمأوى (لنفسه أو لغيره) (قد يُفْهم من الفعل أن الفاعل مُتسّول أو لاجىء. وقد يتسول لحساب الآخرين).

7 - لا يُفرّق المعجم بين الفعل المتعّدي والفعل اللازم بل يُفّرق بين V.adv. (فعل، حال) وV.prep. (فعل، حرف جر) وهي تفرقة لا جدوى منها للمستعمل أو المترجم.

(2) - الحقيقــــة والمجـــــاز :

تمثل الأفعال العبارية في استعمالها المُجازيّ عقبة للمترجم إذ إن مقابلها العربيّ في هذه الحالة يختلف عن مقابلها في حالة الاستعمال الحرفيّ أو الحقيقي.

مثال (مأخوذ من معجم Dictionary of Phrasal Verbs and their Idioms مع المقابل العربي) :

shut out . (Lit.) If you close that door, your (المعنى الحرفي - تُبْعد، تمنع الضوضاء)
can shut out the noise.

(Fig.) She has tried to shut the memories out (المعنى المجازي - تطرد الذكريات)

You really can't shut him out of your life so (المعنى المجازي - تُخرجينه من حياتك) easily.

وقد قمنا بالبحث عن المعنى المجازي لهذا الفعل في معاجمنا العربية - الانجليزية وهي **معجم اللّغات والمغني واكسفورد والمورد والنبراس وقاموس الأفعال المركّبة** فلم نجد ذكرا له واختبرنا أربعة أفعال عبارية أخرى ولم تكن النتيجة بأفضل منها في هذا المثال (انظر الجدول التالي):

الجدول (5) الأفعال العبارية واستعمالها المجازي في المعاجم الانجليزية - العربية (2).

الفعل العباري ومعناه المجازي	قاموس الافعال المركّبة	المورد	اكسفورد	المغني	النبراس	معجم اللغات
1-conjure up (=make appear as if by magic)	x	x	x	x	x	x
2 - coop up (= confine)	x	•	√	√ لا اشارة الى المعنى المجازي	ثمة إشارة إلى الاستعمال المجازي لكن الفعل لم يستخدم مدخلا	x
3 - draw on (= use as a source)	•	√ مع عدم وضوح المعنى	•	x	√	•
4 - dish out (= provide)	•	√ مع عدم وضوح المعنى	•	x	√ لا إشارة الى المعنى المجازي	•

(2) √ = موجود بالمعنى المجازي
x = غير موجود بالمعنى المجازي
• = الفعل غير موجود أصلا .

أما المعجمان الثنائيان :

The Collins Klett (1)

Robert & Collins (2)

فيميّزان بين المعنى الحقيقي والمجازي ويشيران الى الاستعمال المجازي باستعمال (Fig.) مما يُسّهل إيجاد المقابل العربي.

(3) - الأمثال العبارية بين اللازم والمتعدّي:

لما كانت «المعاني المفْردة للكلمة المتعدّدة في معانيها يُمكن وصفها عن طريق قابليتها للتجمعْ مع غيرها نحويا (grammatical valency) وعلى ذلك يمكن وصف المعاني المختلفة للكلمة عن طريق التراكيب المختلفة» (أنظر Ginzburg et al 1966) كانت الأفعال العبارية اللازمة مختلفة في معناها عن الأفعال العبارية المتعدّية، وهي نقطة كما رأينا سلفا لم تنتبه إليها معاجمنا الانجليزية - العربية.

مثال : pick up (v.tr.) (1) to pick up a language

يتعلّم بسرعة (لغة مثلا) (الفعل متعدّ)

(v. intr.) (2) Business is picking up.

الحركة التجارية في طريقها الى الانتعاش. (الفعل لازم)

أمّا المعاجم الثنائية الانجليزيّة - الفرنسية والانجليزية - الألمانية فتُفرّقُ بين الاستعمالين بكل وضوح ومثالهما The Collins Klett و Robert & Collins.

5 - الأفعال العبارية والحقول المتخصصة :

إن المترجم للحقول المتخصصة كعلوم الكمبيوتر مثلا ولغة الإعلام والسياسة والاقتصاد والاجتماع يجد العديد من الأفعال العبارية التي يقف أمامها حائرا. وتتركز أهمية هذه الأفعال في أنها تمثل مفاهيم خاصة محددة متعلقة بالحقل الخاص أي أنها جزء لا يتجزأ من مصطلحية هذا الحقل.

مثال (حقل الكمبيوتر)
- Log on
lock out

(السياسة والإعلام)
- sit in
walk out

(الجيش)
- pull out
fall back

- work out (a draft)

set up (a comittee) (المؤتمرات)

take up (a question)

- fall out (الفيزياء الذرية)

- fade in /out (السينما والتليفزيون)

نلاحظ غياب الإشارة إلى استعمال الفعل العباري في الحقل المختص في كل معاجمنا الانجليزية - العربية ويتميز معجم Dictionary of Phrasal Verbs and their Idioms على وجه الخصوص بالإشارة إلى الحقل المختص.

6 - الأفعال العبارية والتلازم اللفظي (Collocation) :

يعتمد الفعل العباري في معناه على التلازم اللفظي أي نوعية الفاعل (Subject) والمفعول (Object) وقد تلجأ بعض المعاجم إلى الإشارة بالكلمتين s.body (شخص) و s. thing (شيء) لنوعية الفاعل أو المفعول كما هو الحال في Oxfod Advanced Learner's Dictionary، وتميل معاجم أخرى إلى شيء من التفصيل مثل Oxford Dictionary of Phrasal Verbs.

مثال (1) (الفاعل) **take off**

a. The aircraft / took off — أقلعت الطائرة

b. The economy / took off — تحسّن الاقتصاد

مثال (2) (المفعول)

a. ....take weight off — ينقص الوزن

b. take a bus off — يسحب من الخدمة / يُوقف

c. take a sum of money off — يخفض، يخصم (من السعر)

فإن المقابلات العربية تختلف باختلاف التلازم وطبيعته، ومن ثمّ تتّضح أهمية النص وأهمية تقديم هذه الأفعال في نصّها الانجليزي إذ إن النصّ هو الذي يحدّد المقابل العربي المناسب.

ويتميّز المعجمان Robert & Collins وThe Collins - Klett بالإشارة إلى التلازم اللفظي للفعل العباري وإعطاء المقابل الفرنسي أو الألماني المناسب.

7 - المدخل والتعريف والاستعمال.

تُعالجُ الأفعال العبارية في المعاجم (العامة) الثنائية اللغة وكذلك الأحادية المتخصّصة

باعتبارها لكسيمات مُفَرَدة تُكَوِن مداخل رئيسية أو كلمات رئيسية (headwords) في هذه المداخل فنجدها في معجم Robert & Collins مثلا وقد أتت بعد الفعل الرئيسي وبرزت بالعلامة ( )، ويتبع معجم The Collins - Klett نفس المنهج فيورد الفعل الرئيسي ثم الأفعال العبارية مستخدما نفس العلامة.

أما المعاجم المخصصة للأفعال العبارية فبعضها مثل Oxford Dictionary of Phrasal Verbs يبدأ بإيراد الفعل بحروف بارزة بدون شرح ويتبعها بالفعل العباري بحروف بارزة أيضا (انظر الملحق 1). أمّا معجم Collins Colbuild Dictionary of Phrasal Verbs فيبدأ بالفعل وتصريفه ثم يلي ذلك الفعل العباري بمعانيه المختلفة (انظر الملحق 2). أمّا مانراه مثالاً يُحتَذَى لمعجمنا الثنائي (الانجليـــزي - العربي) فهو معجم Dictionary of English Pherasal Verbs and their Idioms فهذا المعجم يبدأ هكذا: Verb + particle أي الفعل وما يصاحبه من أدوات ثم يتبع ذلك بالفعل العباري لاعتقاد وضع المعجم أن «اختلافات المعنى تحدث داخل كُلٍّ مُتَّصل من المعنى يبدأ بالفعل البسيط + الأداة ويمتد حتى يصل إلى المعنى الاصطلاحي المعتم (opaque idiom)» (ص6) ، (انظر الملحق 3) ولا يمدّنا المعجم بتعريف بل بكلمة تفسيرية (gloss) «بقصد قراءتها مع الجمل التوضيحية حتى يتعرف القارىء على المجال المعنوي الذي تحتله الكلمة» (ص7) ويتبع المعجم النظام التالي:

1 - تصنيف الفعل (لازم، متعدّ، مُتّصل (fus)، منفصل (sep))

2 - الإشارة إلى الحقول التي يستعمل فيها الفعل وأسلوب الاستعمال (انظر ص 9، ص 10)

أ - مثال حقل الرياضيات (.math)

حقل السياسة (. pol)

ب - أسلوب الاستعمال دارج (.Fam)

ازدرائي (.pej)

8 - نحو معجم ثنائي متخصص (انجليزي - عربي) للأفعال العبارية:

إن تغطية الأفعال العبارية بكلّ معانيها أو أغلبها يحتاج الى جهد كبير في تجميعها قد يعجز عنه المعجم الثنائي العام وقد يستغرق إعداده وقتا طويلا. لكن الأسس التي عرضنا لها لابد من مراعاتها سواء أخذنا بها في معجم عام أو في معجم ثنائي مخصص. والأمل معقود على معجم مخصص للأفعال العبارية يفيد منه المترجم بشكل خاص. والأفعال العبارية، بشكل عام، قد أوليت بعض العناية في العصر الحديث بدءا من معجم الياس

(1913)، ومرورا بمعجم النهضة (1954) وحتى النبراس (1993)؛ لكن العربية لم تعرف من المعاجم المخصّصة للأفعال العبارية إلا معجما واحدا هو **قاموس الأفعال المُركَّبة** وقد أشرنا إليه وإلى نواحي الضعف فيه. وسبقه كتابان الاول هو English Phrasal Verbs in Arabic (1979)، وهو دليل صغير الحجم (في حوالي 104 صفحات) يحوي 44 فعلا عباريا؛ وقد أُعدّ لطلبة المدارس ومعاهد التعليم العالي في العالم العربي، والثاني هو «**المصطلحات الانجليزية الحديثة الأفعال (انجليزي - عربي)**» لشحاته (1992) وهو صغير أيضا. وما نطمح إليه هو معجم شامل يفيد منه المترجم على وجه الخصوص، ويراعى فيه :

1 - التوثيق : وذلك من حيث الفعل وما يصاحبه من أدوات مختلفة وتعدد معاني الفعل العباري الواحد. ويمكن الاستعانة في ذلك بالمعاجم التالية المتخصصة :

(1) Dictionary of English Phrasal Verbs and their Idioms
(2) Longman Dictionary of Phrasal Verbs
(3) Oxford Dictionary of Phrasal Verbs
(4) Collins Cobuild Dictionary of Phrasal Verbs

2 - المعالجة المعجمية :

(1) المدخل والشرح والشواهد الايضاحية (يمكن الإقتداء بـ :
Dictionary of English Phrasal Verbs and their Idioms.؛
(2) التفريق بين الفعل اللازم والمتعدّي؛
(3) الإشارة إلى الاستعمال الحقيقي والمجازي؛
(4) الإشارة إلى المتلازم اللفظي؛
(5) الإشارة إلى حقل التخصص؛
(6) الإشارة إلى مستوى الاستعمال؛
(7) الاشتمال على النصّ الانجليزي (كلمة تفسيرية + عبارة أو جملة شارحة) الذي يتفاعل فيه الفعل العباري.
(8) الإفادة ما أمكن من تجربة المُعَجميْن الثنائيين Robert & Collins و The - Klett Collins.

محمد حلمي هليل
كلية الآداب - جامعة الكويت

المعاجم الثنائيّة التي تكون العربيّة إحدى لغتيها

بحث: أحمد شفيق الخطيب

1 - تمهيد :

مع أواخرِ القرن الرابعَ عشر الميلادي أخذ عهد من الظُّلمة يَدْمسُ على بلاد العرب، وراح يتزايد ويعمُّ حتى شمل البلاد والعباد. فلا متنبيَ في الشِّعر، ولا ابنَ سينا في الطّب، ولا بيرونيّ في العلم، ولا جاحظَ في الأدب. نُسيَتْ كتبهم وعلومهم وفنونهم فانحط الأدب، وتشعوذ الطبُّ، وأفل نورُ العلمِ والمتعلمين، ورانَ على المنْطقة سبات عميق استمرَّ خمسة قرون!

ومع إطلالة القرن التاسع عشر، وبعد حملة نابليون بخاصة، بدأ العالم العربيُّ، أو على الأصحّ بعضه، يُفيق من غفْوة القرون الخمسة إثر الاحتكاكات والاتّصالات الوثيقة بالغرب عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا.

وقد بدأت تباشير هذه النهضة في المشرق في موقعين كانا دوما أرضا خصبة للانبعاث والتّطوّر، هما بلاد الشام ومصر.

في بلاد الشام، ولبنان بخاصة، بدأت بوادر حركة النهضة عن طريق البعثات الدّينيّة الأولى والمدارس اليسوعيّة والمطابع التي رافقتْها، في دَيْرِ قزْحَيّا وحلب والشّوير، منذ القرن السادس عشر.

وتسارعت حركة النهضة بشكل ملحوظ منذ حطَّ المُرسَلُون الأمريكيّون رحالهم في بيروت عام 1834، فبدأتْ نشاطاتُهم معاهدَ وترجمات ومعاجمَ ومطبعة.

وعندما أخذ المُرسلونَ الأمريكان يُهددون ما حقّقه اليسوعيّون في قرابةِ مئتي عام، عادت الإرْساليات الفرنسية التي كانت قد تركت لبنان عام 1775 لأسباب داخليّة فرنسيّة، بحماسة وكثافة فائقتين؛ وكان تنافس شديد بروتستانتي- يسُوعيّ عاد بالخير على بلاد

الشّام والعالم العربيّ بأسره، وقدّم للمنطقة أحسن مدارسها وجامعاتها ومستشفياتها ومطابعها ورجالاتها من فطاحل عصر النهضة من البستانيّيْن بطرس وعبد الله إلى اليازجيّيْن ناصيف وابراهيم إلى الشّدياق والأسير والمعلوف وغيرهم.

أمّا في مصر، فقد كان للحملة النابليونية الفرنسيّة، على قصر أمدها، أثرها البالغ في فتح الأعين، وبخاصّة أعين الحكام، على الحضارة الأوروبيّة. فما أن تسلّم محمّد علي مقاليد السّلطة عام 1805 حتّى عكف على نقل مدنية الغرب إلى مصر عن طريق المعاهد العسكريّة والطّبيّة والهندسيّة والألسنيّة بين 1826 و 1835، وعن طريق البعثات من الشّباب المصريّ إلى معاهد الغرب للتعلّم والتخصّص.

لقد جعل محمّد علي الترجمة إحدى وسائله لنقل علوم الغرب وحضارته؛ فأسّس قلم الترجمة عام 1841، وكان يفرض على المدرّسين وتلاميذ البعثات أن يترجموا الكتب التي تعيّن لهم وأن تكون ترجماتهم متقنة وسليمة من الخطإ. وبذلك وضع مصر والمشرق عموما على درب الحضارة ومدارجها.

وجدير بالذّكر أن كلية الطّب في «أبو زعبل» ثم في «قصر العيني» استمرّت تدرّس الطّب باللغة العربية على مدى ستين عاما، وفي رحابها نشأ أعظم أساتذة علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء ونَقَلَتها، كما اكتشف أحد مدرّسيها، الطبيب الألماني تيودور بلهارس، جرثومة البلهارسيا عام 1851.

لكن إثر فشل حركة عُرَابي ضدّ الأتراك والانكليز عام 1882 أصبح الحكم في مصر إنكليزيّا احتلاليّا بالفعل وعثمانيّا بالإسم فقط. وكي لا يكون الاحتلال والاستعمار عسكريّا واقتصاديّا فحسبُ، بل ثقافيّا ولغويّا أيضا، حوّل الإنكليز لغة التعليم في هذه الكليّة وسواها إلى اللغة الانكيلزية سنة 1887.

وفي حوالي الوقت نفسه ولأسباب لم يقتنع بها حتى بعض الأمريكيين الروّاد، تحوّل التدريس في كليّة الطب في الكلية السّورية الانجيلية (الجامعة الامريكية فيما بعد) إلى اللغة الإنكليزية، بعد أن كانت إنجازات العاملين فيها من أمثال فان دايك وبوست وپُورتَر وورتبات، بمعاونة بطرس البستاني والأسير والشّدياق واليازجيّيْن قد أنجحتْ تدريس العلوم الطبية فيها باللّغة العربيّة، بمنهج عصريّ ومستوى راق، قرابة ربع قرن [1].

---

(1) من 1867 إلى 1890.

وإثر الحرب العالميّة الأولى وتفتّح الوعي على ضرورة تدريس العلوم باللغة العربيّة، قام معهد الطبّ في دمشق عام 1919 على أنقاض كليّة الطب التركية التي لم يكن قد مضى على تأسيسها عقدان من الزّمن. وبقرار شجاع تمّ العزم على جعل العربيّة لغة التدريس بدل التركيّة. فشمّر أساتذة المعهد الطّبي، وجلّهم ممّن درسوا الطبّ باللغة التركيّة، عن ساعد الجدّ ينبشون تراثنا الطبي كقانون ابن سينا وحاوي الرازي وتذكرة الكحّال وتصريف الزهراوي وبطون المعاجم العلميّة واللّغويّة المختلفة، ومستفيدين من مصطلحات معهد الطّبّ في قصر العيني وكليّة الطبّ في بيروت في عصر العربية الذهبي فيهما. وما هي الاّ بضع سنوات حتى كان كلّ أستاذ قد وضع مؤلّفات في الفرع الذي وُسِّدَ إليه أمره، وكان منهم كبار، معجميّون ومؤلّفون، من أمثال مرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ومحمد جميل الخاني وصلاح الدين الكواكبي وحسني سبّح وغيرهم.

ويقيني أنه لو استمرّت جهود معهدي الطبّ في القاهرة وبيروت لتتضافر مع جهود رجال المعهد الطّبي، المفخرة القوميّة المستمرة، في دمشق، لتغيّر مسار العلم والثقافة عموما في الوطن العربيّ، ولما كانت معظم موادّ العلوم الطبية والتقنيّة تدرّس بلغات أجنبيّة في جامعاتنا العربيّة السّبعين!

2 - المعاجم (أو القواميس) الثّنائية :

الغالب أن كلمة «معجم» هي من الجذر «عجم». يقال : عجم الحرف أو الكتاب : أي أزال إبهامه بالنَّقْط والشكل.

ومن هذه الدّلالة جاءت تسمية الحروف الهجائية بـ «حروف المعجم»، نظراً إلى أن النَّقْط في كثير منها يزيل التباسها ؛ ومنها أيضا جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات وغموضها بـ«المعجم».

ورغم استخدام اللفظة في تسمية بعض الأعمال المعجميّة الطابع حوالي القرن العاشر الميلادي، كمعاجم الشيوخ (للموصلي والبغدادي وابن شاهين) ومعجم الصّحابة (للمثنّى) ومعاجم قراءات القرآن وأسمائه (للنّقّاش الموصلي) ولاحقًا معجم الأدباء ومعجم البلدان للحموي (1179-1229)، فإن معجميّي العرب المتقدّمين لم يطلقوا لفظة «معجم» على أعمالهم -من «عين» الخليل إلى «مقاييس» ابن فارس إلى «صحاح» الجوهريّ إلى «مصباح» الفيّومي و«تاج» الزَّبِيدي و«عُباب» الصاغاني و«أساس»

الزمخشري و«قاموس» الفيروزابادي- وصولا إلى المحدثين في «محيط» البستاني و«موارد» الشّرتوني و«متن» رضا «ومنجد» المعلوف و«مرجع» العلايْلي.

ونظراً إلى ميزات القاموس المحيط للفيروزابادي من حيث الايجاز والضبط والدّقّةُ، أعيد طبعه مراراً في القرن الماضي وانتشر بين جمهور المتعلّمين والدارسين كأهمّ مرجع لتقصّي مفاهيم مفردات اللغة. فأصبح اسمُ «القاموس» علَمًا على أيّ مرجع معجميّ ممّا أعطى لكلمة «قاموس» معنًى جديدا في أذهان الناس، حتّى إنّ سعيد الشروتوني في معجمه «أقرب الموارد» أثبت هذا المعنى المولّد لكلمة قاموس بمعنى «معجم». ومنذئذ شاعت كلمة **قاموس** كمرادف لكلمة **معجم**.

ونحن اليوم نستخدم الكلمتَيْن بمعنى مرجع لغري تعرّفه المعاجم العربية بأنّه كتاب لمفردات اللغة مضبوطة بالشكل ومشروحة ومرتبةً على الحروف الهجائيّة (2).

والمعجم قد يكون عامّا يجمع ألفاظ اللغة (أو ما يتخيّرُه المؤلّفُ منها) أومتخصّصا يعالج ألفاظ علم أو فنّ معيّن كالطب أو الفيزياء أو القانون أو الرياضيّات، أو حتّى ألفاظ قطاع معين من هذا العلم، فيكون أكثر تخصّصا كمعجم طبّ الأسنان أو معجم الدّم أو معجم ألفاظ تكوين الجنين في مجال الطّبّ، أو معجم مصطلحات الميكانيكا أو معجم الضوء أو معجم الصّوت في نطاق الفيزياء.

وقد يكون المعجم موضوعيّا تُرتَّب فيه الألفاظ حسب المواضيع، فتشرح بالعبارات أو بالمترادفات كمخصّص ابن سيده قديما ومكنزة روجيه حديثا، أو بالصّور في فئات ضمن الموضوع نفسه كمعجم ديودن «Duden» (3).

والمعجم قد يكون أحاديّ اللّغة ترد فيه المداخل ومقابلاتها ودلالاتُها المختلفة باللغة نفسها أو ترد مداخلُه بلغة ومُقابلاتُها بأخرى (أو أكثر) في المعجم الثنائيّ (أو المتعدّد) اللغات.

فلقد كان العرب السّباقين في مجال المعاجم والمؤلّفات المعجميّة بالمفهوم الحديث.

---

(2) «محيط المحيط» يعرّف القاموس بأنه كل كتاب في اللغة مشتمل على مفرداتها مرتبة على حروف المعجم مع ضبطها وتفسير معانيها. و«المنجد» يقول: المعجم كتاب اللغة وما يعرّفونه بالقاموس. وفي «الوسيط»: المعجم ديوان لمفردات اللغة مرتّب على حروف المعجم. والتعريف الوارد هنا مقتبس عن «المعجم المدرسي»، وزارة التربية، الجمهورية العربية السورية.

(3) يضمّ المعجم 384 لوحة موضوعية مصوّرة تحوي 28000 مسمّى تغطي مختلف مجالات المعرفة، وكلّ المسمّيات مفهرسة ألفبائيّا في نهاية المعجم. صدر المعجم بالألمانية عام 1970 وترجم إلى عدّة لغات.

ويعدّ «الخليل بن أحمد مكتشفَ فكرة المعجم الذي يَستوعبُ ألفاظ اللغة» (4) كما يَتبيّنُ من معجمة «كتاب العيْن» الذي ألفه في أواخر القرن الثامن الميلاديّ، وقد استطاع العرب في القرون التالية أن ينتجوا أعمالا معجميّة ضَخْمةً تشهدُ بتفوّقهم في هذا المجال في وقت لم يكُنْ مثلُ هذه الأعمال معروفًا في العالم الغربيّ. و«كان لهم في أواخر العصور الوُسْطى مُعْجَم - هو «القامُوسُ المحيط» للفيروزابادي - أصبحَ اسمه عَلَمًا على المعاجم، وكانت نُسَخُهُ المخطوطة قبل انتشار الطباعة في البلاد العربيّة تعدّ بالآلاف» (5)، كما «كان لهم مُعْجم جامع شامل - هو «لسان العرب» لابن منظور - قد فاق كُلّ ما أُلّفَ قبل القرن التاسع عشر في اللغات الأخرى من المعاجم، دقّة وشمولا» (6).

والعرب، أيضا، كانوا سبّاقين في حقل الترجمة. فقد بدأ التّراجمة الروّاد نقل علوم الطّبّ والفلك والكيمياء في عهد الأمويين، وتوالت التّرجمات زمن العباسيين في بيت الحكمة، أوّل مؤسّسة رسميّة لترجمة العلوم. وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمت إلى العربيّة 400 كتاب حسبما ذكر ابن النديم في الفهرست، شملت فيما شملت أعمال جالينوس وأبقراط في الطب، وأعمال بطليموس في الفلك، وأعمال إقليدس في الهندسة. فصبّ هؤلاء المترجمون جُلّ الانتاج اليونانيّ ومعظم الفارسيّ والسّريانيّ في بحر الضاد، لتصبح العربيّة لغة التّراث العلميّ للإنسانيّة في تلك الحقبة.

ورغم ذلك كلّه، لم يعرف العرب المعجم الثنائيّ بمفهومه الدقيق إلاّ في العصر الحديث.

والثابت تاريخيّا أنّ المعجم الثنائي اللغة سابق للمعجم الأحاديّ. فأقدم المعاجم التي تمّ الكشف عنها هي معاجم سومريّة أكّاديّة في أحافير العراق، كانت أملتها ظروف خاصّة. فقد واجه الأشوريون في بابل قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام صعوبة في فهم الرّموز السّومرية، فأعدّوا قوائم تشتمل على الكلمات السّومريّة مع مقابلاتها الأكّاديّة الأشوريّة.

كذلك نجد أنّ المعجميّة الغربيّة ابتدأت أيضا بالمعاجم الثنائية؛ فكان المعلّمون في عدد

---

(4) John A. Heywood, : Arabic Lexicograhy - Leiden, E.J. Brill, 1960, p.27,132

(5) المرجع نفسه، ص 2.

(6) المرجع نفسه، ص 2.

من الأقطار الأوروبيّة يعدّون قوائم ومسارد بالكلمات اللاتينيّة وما يقابلها في لغاتهم، لمساعدة طلاّبهم على فهم الكتب المدرسيّة التي كانت تدوّن باللاتينيّة.

وعرف المشرق العربيّ وضعا مماثلا منذ بداية عصر النّهضة، حين انطلقت حركة الترجمة على قدم وساق، بدعم من محمّد علي وحماسه، لتلبية احتياجات المدارس العسكرية والهندسيّة والطبيّة والزّراعية التي أنشأها ؛ ومسّت الحاجة إلى المعاجم الثّنائية فكانت من السّمات المميزة لتلك الفترة.

كانت حركة الترجمة متّجهة أول الأمر إلى النّقل عن الايطالية، وهي اللغة التي ظلّت حتى القرن السابع عشر تمدّنا بالألفاظ الحضارية أكثر من سائر اللّغات الأوروبية؛ ثمّ أخذ النّفوذُ الفرنسيّ ينافس الايطاليّ ؛ ثمّ جاء الإنكليز والأمريكان فطغى نفوذهم، وعمّ انتشار لغتهم أو كاد.

الكتبيّون البيليوغرافيون، يحصون من المعاجم الثّنائيّة التي جُعلت العربية إحدى لغتيها حتى الثمانينّيات، خمسمائة وسبعين، ما يقارب نصفها لغويٌّ عَامٌّ والنّصف الآخر متخصّص؛ ومن النصف اللغوي عشرة مع الايطالية، وخمسة وأربعون مع الفرنسيّة، وستّون مع الانكليزية.

ومن المعاجم الطّريفة واحد بين الأحادية والثّنائية هو «قاموس الألفاظ المستحدثة أو الغريبة» الذي ألحقه رفاعة الطّهطاوي بكتابه «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر» - وقد طبع في بولاق 1833- حيث كتب اللفظ بحروف عربيّة حسب طريقةنطقه بالفرنسيّة، متبوعا بطريقة اللفظ بالعبارة، يلي ذلك شرحٌ لمعنى اللفظ في جملة أو أكثر من ذلك :

إسقيمو : بكسر الهمزة وسكون السّين، بعدها قاف مكسورة، فياءٌ ساكنة فميم مضمونة بعدها واوٌ - وربّما زيد فيها شينٌ معجمةٌ ثقيلة، إسقيموش - : قبائل بشمال أمريكا هَملٌ مثل أهل لايونيا والسّويد، ولهم توحُّشٌ عظيم.

إلكتريسته : بكسر الهمزة واللاّم وسكون الكاف وكسر التاء والراء وكسر السّين وفتح التاء - المسماة الرّسيس بفتح الرّاء المشدّدة وكسر السّين، التي هي خاصّة الكهرباء عند حكّها.

ويدافع الطهطاوي عن هذه الطريقة بقوله : «ولو وضع المترجمون نظير ذلك في

كلّ كتابٍ يترجم، لانتهى الأمر بالتقاط سائر الالفاظ المرتّبة على حروف الهجاء ونظمها في قاموس مشتملٍ على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب، فإنّ هذا ممّا يفيد الطلاب، وبه تحصل الإعانة على كلّ علم وكتاب».

ولعلّ أوّل المعاجم الثنائية العربيّة بالمفهوم الحديث هو قاموس رافائيل زخور، ايطالي- عربي، وكان من الأساتذة الذين دخلوا في خدمة محمّد علي للتعليم في المدارس التي أنشأها.

يقول المؤلّف في مقدّمته : «... فقد اضطُرِرْتُ من قبَلِ وظيفة التّعليم، وسهولة درس معنى الألفاظ بهذه اللّغة والتفهيم على التلامذة الدارسين، وعلى من ينتدب لترجمة الكتب من المتفقّهين، لأنّي (كذا) أؤلّفُ كتابًا ترجمانًا وجيزًا، مقتطفًا عزيزًا، يشتمل على كل ما يحتاج الأمرُ إليْه، وما كان المعوّل عليه، وذلك في اللغتيْن الايطاليانيّة والعربيّة، ممّا في الترجمة من الألفاظ الضروريّة» (7). وقد طبع الكتاب في بولاق سنة 1238هـ/1821م.

أوّل المعاجم الفرنسيّة العربيّة كان من وضع الياس (إليوس) بقطر، ترجمان نابليون حين استيلائه على مصر. وكان ممن رحلوا إلى باريس مع رحيل الحملة الفرنسية حيث عمل أستاذا للعربية في مدرسة اللّغات وترجمانا في نظارة الحربيّة. وقد طبع معجمه عام 1829، وظلّ المرجع المعتمد حتّى ظهر معجم «بلو» عام 1857.

في المعاجم الإنكليزية العربيّة يتقاسم السبْق مستشرقان : «إدْوارْ وليَمْ لين» الذي صدرت الأجزاءُ الخمسةُ الأولى من معجمه «مدّ القاموس» عربي - انكليزي قبل وفاته عام 1874، وتلتها الأجزاء الثلاثة الأخرى على يد ابن أخته «ستانلي لين پول» عام 1893؛ وكان قد صدر في لندن حينئذ، «كتاب الذخيرة العلمية إنكليزي - عربي» لجورج پرسي بادجر عام 1881. ويعتبر العملان من خيرة المعاجم الثّنائية حتّى يومنا هذا.

وللّذين تهمّهم اللغة الألمانية نذكر أنّ ما صدر منها حتى الثمانينيات بلغ أربعة عشر، وأن أوّلها كان من وضع أدولف ڤارموند، عربي - ألماني، صدر ما بين 1870 و1877. ولا تذكر مَراجِعي معجما ألمانيّا - عربيّا قبل معجم المستشرق الألماني إرنست هاردر عام 1903.

(7) ينظر : جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة، 1951، ص ص 186- 187.

أمّا المعاجم المتخصّصة التي جعلت العربيّة إحدى لغتيهافإنّ أوّلها «قاموس طبي، فرنساوي - عربي»، طبع في باريس عام 1870، وضعه الحكيم محمود البقلي، أحد مبعوثي مدرسة قصر العيني وخرّيج مدرسة الطّب بباريس.

واضح أنّ المعاجم الثنائيّة عندنا، اللغوية منها والمتخصّصة، بدأت ومازالت، باستثناء عدد قليل من الأحدث صدورا، معاجم ترجمة، أو معاجم استيعاب، يرجع إليها لترجمة لفظ أجنبيّ، أو لفهم مادة نصّ أجنبيّ. أي إنّ مهمّة المعجم الثنائيّ هي شرح الكلمات التي قد تعترضك أثناء قراءاتك في اللغة الأجنبيّة.

ولقد كان تركيز المعاجم الثنائيّة سواء في ذلك العربية وغير العربيّة، حتى ما قبل الحرب العالميّة الثانية، منصبّا على فهم لغة المداخل، أي على استيعاب لغة الأصل الأجنبيّ أكثر ممّا هو منصبٌّ على مقوّمات استخدام تلك اللّغة، تحدّثا وكتابة. وبفضل الاكتشافات المذهلة الراديويّة والالكترونيّة، صار العالم اليوم قرية صغيرة أمام وسائل الاتّصال والعلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافية بين الأمم، وأصبحت الحاجة تدعو إلى معاجم ثنائيّة تساعد المستخدم على التعبير عن نفسه والتواصل بشكل مُرْضٍ باللّغة الأجنبيّة مع المجتمعات الناطقة بها كتابة وحديثا. وهذا لا يتحقّق دون أن يعطي المعجم للمدخل الأجنبيّ، إضافة إلى المقابل والشرح، معلومات حول طريقة نطقه وبنيته الصّرفيّة والنّحوية ودلالاته الفعليّة والمجازيّة ومستواه الاجتماعيّ واستعمالاته الاصطلاحيّة مع شواهد وأمثلة تساعد المراجع على استخدام الكلمة بالشّكل الصحيح في تلك اللّغة (8).

وإذا استعرض باحث لغويّ معاجمنا الثنائية اللّغويّة المختلفة، منذ عصر النّهضة، وهي تقارب مئتين وخمسين معجما، فإنّ المعاجم التي تنطبق عليها هذه المواصفات لا تكاد تتجاوز أصابع اليدين، جلّها من إصدارات العقدين الماضيين.

3 - منطلقات المعجم الثّنائيّ اللغويّ :

تقنيًا، يفترض في مؤلّف المعجم الثّنائي أن يحدّد نقطتي انطلاق يتحدّد منهما مدى المعجم أفقيًا وعموديًا، اتّساعًا ومحتوى، وطريقة معالجة. عليه أن يحدّدَ :

1 - لمن يؤلّف، ألمتكلّمي لغة المداخل - لغة المتن أو لغة الأصل وهي اللغة المترجم عنها (الانكليزية مثلا)، أم لمتكلمي لغة الشّرح، لغة الهدف، أي اللغة المترجم إليها (العربيّة

(8) يُراجع مثلا تعريف dictionary في معجم وبستر الدولي الثالث - "Webster's Third International Dictionary"

في بلاد العرب)؟.

فإن كان يؤلّف معجما إنكليزيا-عربيًا مثلا للناطقين باللغة الانكليزية، فلا داعي للتركيز على بنية المدخل الصرفية والنحوية وتبدّلاتها، ولا على طريقة لفظه وطرق استخدامه الاصطلاحيّة والمجازيّة؛ فهذه أمور يفترض أن القارئ الإنكليزيّ يعرفها. وإن كان لا يعرفها فإنه سيرجع إليها في معجم أحاديّ بلغته. بل يكون التركيز على المرادف أو المرادفات العربيّة المقابلة ودلالاتها والسّياقات التي يمكن أن تقع فيها والترتيب التتابعي الذي تقع فيه هذه المرادفات في الجملة العربية وحروف الجرّ التي تحكمها، ويكون كلّ ذلك معزّزا بالأمثلة والشّواهد بلغة تتراوح بين المبسّطة والأدبيّة تبعا لمستوى معرفة المُراجع بالعربيّة.

والعكس صحيح إذا كان المعجم يؤلّف للناطقين باللغة العربيّة. فالتركيز حينئذ على طريقة نطق المدخل وتبدّلاته الصّرفية ضروريٌّ، وكذلك تبيان مرادفاته ودلالاتها الحقيقيّة والمجازيّة، ومجالات استخدامها وسياقاتها في شواهد وأمثلة ممّا يستعمله أهل اللغة نفسها. وأحيانا ينبغي تحديد المستوى الاجتماعيّ للمدخل من حيث هو فصيح أو شاعريّ أو سوقيّ عاميٌّ أو محظور.

2 - لماذا يؤلّف، ألاستيعاب لغة المدخل -اللّغة الأجنبيّة، أم للتعبير بها؟

فالاستيعاب، إضافة إلى معظم ما بيّناه سالفا، يتحقق بالقدر الأعظم من المداخل التي يغطّيها المعجم. فمعاجم الاستيعاب هي إجمالا معاجم ترجمة تزيد قيمتها، مع ضمان الدّقة والجودة طبعا، بزيادة عدد مداخلها؛ وهذا إجمالا هو الإطار الذي لا تزال معاجمنا الثنائية تدور فيه، وأحيانا كثيرة تقيّم به.

أمّا إذا اختار المؤلّفُ الهدف الثاني، أي أن يكون معجمه عاملا مساعدا فاعلا للتعبير باللغة الأجنبيّة، فعليه حينئذ أن يحدّد المداخل الشائعة في تلك اللغة ليضمّنها معجمه. فمن مئات آلاف الكلمات الإنكليزية، هنالك بضعة الاف صارت محدّدة اليوم، يمكن لمن يتقنها، معرفة واستعمالا، أن يعبّر عن نفسه فيها ويتواصل بسهولة مع الناطقين بها. فباقتصار محتوى معجم التعبير أفقيًا على تلك المداخل ذات الطبيعة العامة الشائعة الشاملة، يتسنّى للمؤلف التوسّع عموديًا بإيراد كافّة المعلومات الصرفية واللفظية والدلالية مع الشواهد والأمثلة بلغة الهدف، الكفيلة بتمكين المراجع من استعمال هذه الكلمات استعمالا صحيحا. وقد يقتضي هذا التوسّع أحيانا إيراد المرادف والنقيض وصيغ التفاضل أو الإحالة إليها. كما يفسح المجال أيضا لاستخدام الصّور والرّسوم لإيضاح

الدلالات التي يصعب تحديدها بالكلمات .

وهناك شبه إجماع بين جماعة المعجميّين اللغويين على أنّ مداخل المعجم الثنائي للناطقين بالعربيّة، أي لغة المتن فيه، ينبغي أن تكون باللّغة الأجنبيّة في معاجم الاستيعاب والفهم والترجمة، بينما تكون العربية لغة المداخل في معاجم التعبير والإنتاج.

إنّ الألفاظ في مختلف اللغات تتخذ أوضاعا وأشكالا ومواقع شتّى قد تتوافق وقد لا تتوافق مع مثيلاتها في لغة أخرى. فالصفة في العربيّة تطابق الموصوف جنسا (مذكّرا أو مؤنثا) وعددا (مفردا أو جمعا) وتتبعه ؛ بينما الصفة في الإنكليزية جامدة شكلا لا تطابق الموصوف، لكنّها تسبقه. وهي وإن كانت لا تطابق الموصوف فإن بعضها يختصّ بجنس دون آخر اصطلاحيّا.

فمقابل «جميل» مثلا تقول beautiful أو pretty إذا وصفت الأنثى أو الإناث، أمّا جنس المذكّر فتقول فيه handsome للشاب أو الرجال. والناطق بالانكليزية لا يصف البناء القديم بأنه elderly، ولا المتقدّم في السّن بأنه antique، فالعكس هو الصحيح، وإن صحّتْ في وصف كليهما الصفة old.

وإن صح وصفك الطريق أو الشجرة في العربيّة بأنّها : شجرة طويلة وطريق طويل أو طويلة، فإن الوصف المرادف يقتضي لفظين مختلفين في الانكليزية، واحدا لما هو طويل امتداداً أفقيّا مثل long road وlong rope وآخر لما هو طويل امتداداً عموديّا مثل tall tree وtall person. وما يقال عن الصفات يقال مثله أو بعضه عن الأفعال والأسماء والضمائر، ولا بدّ لضبطه في اللغة المقابلة من شرح وتمثيل.

ولعلّي أقدّم بعض أمثلة أخرى.

إذا ما اعترضني أحد الألفاظ الانكليزية التالية : demand, request, claim, order, searche, quest (9) في نصّ أقرأه أو أترجمه، فإنّي أجد في معظم المعاجم الانكليزية العربية لفظا أو ألفاظا تفيد معنى «الطّلب» فيها، اسمًا أو فعلا.

(9) المعجم الانكليزي- العربي يورد :
لـ demand يطلب، يطالب، يتطلّب. طلب، مطلب ؛
ولـ claim يطالب، يتطلّب. مُطالبة ؛
ولـ quest يطلب، يتلمّس (بحثا عن). مطلب ؛
ولـ order يأمر، يطلب. أمر، طلب ؛
ولـ request يطلب، يلتمس. طلب، مطلب، التماس ؛
ولـ sarch بحث، تفتيش ؛
ولـ in - of بحثا عن، في طلب.

ومن سياق النّص الانكليزي يمكنني بسهولة استيعاب المقصود من مفهوم «الطلب» في مثل الجمل التالية :

The **demand** for radios and television sets is increasing.

الطلب على . . .

His **request** was granted, or
Catalogues of our books will be sent on **request**.

طلبُه . . . ، أو عند الطلب

Every citizen in a democratic country may **claim** the protection of the law.

يطلب . . . أو يطالب

He sent an **order** to Beirut for some books.

طَلَبَ

He is going to Abu Dhabi in **search** of a job.

في طلب ، بحثا عن

لكنْ ماذا لو استعملت هذه الكلمات لِلتعبير بالإنكليزية ، حديثا أو كتابةً ، فأقول :

The request for radios and TV sets is increasing.
or Catalogues of our books will be sent on claim.
or Evry citizen.... may order or quest the protection of the law.
or He is going to Abu Dhabi in *or* on demand of a job.

وكُلُّها تعابيرُ لا يقولُها الانكليز ولا يستسيغونها؟

المعجمُ التعبيري لا يكتفي بإعطاء مرادف لـ «طلبٌ» أو «طلبَ» بل يُحَدّدُ لها أيضاً السّياق الصحيح واختلاف المعنى ، بحيثُ يعبِّر المراجع باللفظ الصحيح عن المفهوم المراد التعبيرُ عنه بدقّة مقبولة لا يشمئزّ منها الناطقون بتلك اللغة . ولعلّ ممّا يُعزّز ذلك إيراد التواضعات المتعارفة المقابلة للّفظ الانكليزي أو العربيّ في سياق صحيح .

(1) فيقال مثلا في معجم انكيزي - عربي

(أ) مع كلمة bad :

نتن أو كريه (للنّفس)	~ breath
زائف (لقطعة نقود)	~ coin
هالك - لا أمل في سداده (للدّيْن)	~ debt
فاسد (للبيض أو للطعام)	~ egg (or food)

سيّء السُّمعة (للشخص)	~ name
(ب) ومع لفظة marginal يقال :	
حدّي أو محدود (للتأثير)	~ effect
حدّي أو محدود (للجدارة)	~ ability
حدّي : أجره يكادُ يعادل إنتاجه	~ worker
حدّي : قريب من الحدّ الأدنى (للرّبح)	~ profit
حافّي : قريب من الحافة (لجزء من الشيء)	~ part
هامشيّ : على الحاشية أو الهوامش	~ noted
(ج) ومع naked يقال :	
عارٍ : من الثياب، أو الأثاث	~ child, ~ room
(عاري الرأس أو القدمين) : أنظر- bare	
مكشوف	~ light
صريح	~ truth
مُجَرَّد : غير مُعان بمكبّر	~ eye
مسلول : غير مُغْمَد	~ sword
(2) وبالمُقابل في معجم عربي - انكليزي	
(أ) يُقال مع «سليم» :	
good للذوق	~ taste
وَ sound أو healthy للجسم	~ body
sound أو sane للعقل أو الفكر	~ mind, ~ thinking
وَ flawless للأداء (خطابةً أو غناءً)	~ diction
وَ proper للتصرّف	~ behaviour
وَ safe للعاقبة أو النتيجة	~ outcome
(ب) ويقال مع «كثيف» :	
dense للضباب أو للحرجة أو للفلزّ	~ fog, ~ jungle ~ metal
و thick للغيوم (والضباب أيضًا) أو الرُّبّ	~ clouds (or ~ fog), ~ syrup

وَ heavy لحركة السَّير أو للغيوم أيضًا ~ traffic, ~ clouds

وَ intense للّون ~ colour

(ج) وفي «معاش» يُميِّزُ :

مفهوم «العيش» منها بـ earn a living في يكسب عيشه،

ومفهوم «الرّاتب» بـ cash a salary في يقبض الراتب،

ويحدّد مفهوم «معاش التقاعد» بـ pension.

إنّ مثل هذه المعالجة يجعل من العسير جداً أن يجتمع معجم الاستيعاب ومعجم التعبير للناطقين بكلتا اللغتين في مؤلّف واحد.

وكاختبار تطبيقيّ تقصّيتُ لفظة «شبَكَ» في قاموسين كلاهما عربيّ - انكليزي، وكلاهما حديث جدّاً. أحدهما يستهدف الناطقين بالانكليزيّة، فيكتفي بمعالجة حوالى 4000 كلمة جمعها بعض أساتذة اللغة، في جامعة متشغان، باعتبارها الأكثر انتشاراً في اللغة العربيّة الفصحى الشائعة، والتي يمكن للأجنبيّ الذي يتقنها التعبير والتواصل بهذه اللغة:

مقابل «شبَكَ» يقول هذا المعجم :

شبك يشبُكُ شبْك interlock

«شبك الأطفال أياديهم وهم يغنّون الأغنية الجديدة»

تَشَابَكَ يَتَشَابَكُ تَشَابُك to be **interlocked**

«تشابكَتْ أيديْهِمْ وهم يُنْشِدُون النشيدَ الوطني»

اشتبك يَشْتَبِكُ اشتباك to be **engaged**

«حدثَ اشتباكٌ مُسَلَّحٌ بينَ البوليس وأفراد العصابَة».

ويلاحظ في هذا العمل الإقلال الواضح من الكلمات الانكليزية لتركيز الإنتباه (لا على المقابل الانكليزي بل) على اللفظ العربي - فيرد الفعل، ماضيه ومضارعه ومصدره مشكولة مع أمثلة حول استخدامها في سياق صحيح. وواضح أنّ المولف (أو المؤلفين) يعتمدون على معرفة الطالب وخبرته في اللّغة الانكليزية، فيلحقون له بالمعجم مسرداً بالعبارات والكلمات الانكليزية محالة إلى صفحات المعجم، لمساعدته على التفتيش، في المعجم ذاته، عن العبارات العربية التي يبْتغيها.

في المقابل طَلبتُ لفظةَ «شبَك» في قاموس عربي - انكليزيّ يستغرقُ اللغةَ العربيَّة

المعاصرة والكلاسيكيّة، فوجدتُ مقابلها : «انظر : شابك».

وفي «شابك» وجدتُ المُرادفات التالية :

to interlace, interlock, intertwist, interwine, twine, entwine, interweave, knit, mesh, snarl, tangle, lattice, reticulate, clasp, buckle, fasten, attach, join, link, connect.

وهذا يعني أنّه يُفترضُ في المراجع، وأتصور أنّه من الناطقين باللغة العربيّة، أن يستعرض المقابلات الأجنبيّة العشرين المذكورة مقابل اللفظة العربيّة، وأن يتفهّم كلّ هذه المقابلات المتشابهة عموما، والمتباينة ظلالا وسياقات، ثمّ أن يختار اللفظ الإنكليزيّ الموافق للمعنى في السّياق الذي يريده. وهذا لعمري لن يتسنّى له إلا إذا كان متضلّعا من اللغة الإنكليزيّة كأحد أبنائها.

في منظوري أنّ معالجة كهذه قد تفيد الناطقين بلغة الهدف -أي لغة الشّرح- الذين يعرفون هذه المقابلات، والسّياقات التي يستخدم كلّ منها فيها. وفي هذه الحال، لا داعي لكل هذه المرادفات، لأنّ بعضا منها فقط كاف لاستيعاب المفهوم العامّ للّفظ العربيّ.

إنّ معالجة مفردات اللغة، أيّ لغة، أفعالها وصفاتها وأسمائها في معجم ثنائيّ يكون استيعابيًا وتعبيريًا وشاملا، للنّاطقين بكلتا اللغتين هو أمر متعذّر وقد أقول غير عمليّ؛ فعلى المؤلّف أن يختار ماذا يؤلّف، ولمن يؤلّف.

واللافت أنّك قلّما تجد معجما ثنائيًا انكليزيًا عربيًا لا يزكّيه مولفه بأنّه يلبّي احتياجات الناطقين باللغتين، استيعابا وتعبيرا؛ حتّى المؤلّف منها خصّيصا للناطقين بالعربيّة يزكّيه مؤلّفه بأنّ الناطقين باللغة الانكليزية الذين هم على قدر من الإلمام بالعربية سيجدون فيه من الفائدة ما لا يجدونه في سواه.

4 - المعاجم الثنائيّة المتخصّصة :

المعاجم المتخصّصة كما هو واضحٌ من تسميتها، وكما أسلفنا، هي التي تعالج قطاعا معيّنا أو فرعا من قطاع معيّن في ميادين المعرفة، كمعاجم الطبّ والفيزياء والهندسة أو أحد فروعها. وهذه المعاجمُ إنْ كانت طارئة على العربيّة في شكلها الثّنائيّ أو المتعدّد اللغات، فإن العربيّة عرفتها منذ قرون عديدة، فكان منها :

«الاعتمادُ في الأدوية المفردة» لابن الجزّار القيرواني 979م)؛

و«مفاتيح العلوم» للخوارزمي (997م)؛

و«الأدوية المفردة» للغافقي (1165م)؛

و«مفردات» ابن البيطار» (1248م)؛

و«حياة الحيوان» للدّميري (1405م)؛

و«التعريفات» للجرجاني (1413)؛

و«كلّيات» أبي البقاء (1682)؛

و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانَوي (1745).

بل إن معظم هذه المعاجم العربيّة المتخصّصة قد ترجم إلى اللاتينيّة ثمّ إلى أكثر من لغة أوربيّة.

لقد عرفت اللغة العربيّة المعاجم الثنائيّة المتخصّصة مع بدايات عصر النهضة، وتسارع صدور هذه المعجمات في العقود التي تلت، حتّى فاق عددها، في أواسط الثمانينيّات، المئتين وخمسين عداً. لقد قفزت المجتمعات العربيّة في بضعة عقود إلى تمدّن فجائي أشبه بالطّفرة، بفضْل فنون العلم ومنجزات الصّناعة والتكنولوجية والانفتاح التّجاري وسهولة المواصلات. فأغرقتنا مستوردات الحضارة الحديثة دون أن نعرف أسرارها، بل دون أن ندري كيف نسمّيها أو نعبّر عنها. وحفز هذا الوضع الحريصين على أن تواكب اللغة العربيّة هذا التحوّل إلى العمل الجدّيّ لتوفير هذه المسمّيات، فتتبّعوها في معاجم اللغات الأجنبيّة التي حصرت هذه المصطلحات في كلّ فرع، وبخاصة تلك التي تشتمل على المصطلح الأجنبي وعلى تعريف دقيق له، ممّا يسّر وضع اللفظ العربيّ المقابل (وشرحه أحيانا). فترجموا وألّفوا واشتقّوا وأحيوا الكثير من المصطلحات التراثيّة التي وضعها السلف، وصاغوا بشتّى وسائل الصياغة من مجاز وتركيب ونحت وتعريب، مصطلحات ومسمّيات وألفاظا ردمت الهوّة أو تكاد بين اللغة العربية ومعارف العصر وتقَناته.

وكان في طليعة الحريصين على إعادة هذا التواصل مجامعنا في بغداد ودمشق وعمّان والرباط وتونس، وشيخها مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي كان له الفضل الأكبر، لا في دعم العربيّة بعدّة معاجم عصريّة وقرابة خمسين ألفا من مصطلحات العلوم المختلفة، بل أيضا بمنهجيّة فاعلة متطوّرة حول صوغ المصطلحات لمجاراة ركب الحضارة المستمرّ. ولا يغيبنّ عن البال جهود اللغويين الأعلام في هذا المجال من أمثال بطرس

البستاني وأحمد فارس الشدياق وأنستاس الكرملي ويعقوب صروف، ولا جهود المعجميّين من أمثال خليل سعادة ومحمد شرف وأمين المعلوف ومصطفى الشهابي ومرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ومحمد صلاح الدين الكواكبي وجميل صليبا وعشرات غيرهم. فبجهود كلّ هؤلاء تجمّعت للعربيّة ثروة أثبتت أنّها قادرة على تأدية الرّسالة العلميّة والحضاريّة بدقة وضبط، كما أدّتها من قبل، أيام كان المتشوّقون إلى العلم من طلاّب الإفرنج يتابعون العلم في الجامعات العربية متخفّين بزيّ الدراويش.

5 - معوّقات المعجم الثّنائي العربي ومشاكله :

إحدى معوّقات المعجم الثّنائي العربي وصعوباته هي عدم توافر المقابلات المتطابقة دائما، وهي من المعوّقات التي تواجه المعجم الثنائيّ عموما- أيّ معجم ثنائي.

نعم، هناك كلمات لها في مختلف اللغات مدلولٌ واحدٌ لا تكاد دلالته تختلف؛ وهذه غالبا تتعلّق بحاجات الإنسان المعيشيّة كالخبز والملح والماء والبيت، أو بمداركه الفطريّة كالحبّ والكراهية والعداوة والكرم والبخل، أو بمشاهد الكون العامّة كالرّيح والمطر والحرّ والبرد والعواصف والبرْق والرّعد.

لكنْ هنالك أيضا ألفاظ يختلف مدلولها باختلاف السّياق أو باختلاف المفهوم الخاصّ بقطر أو أمّة أو زمن، وفق ما اختصّت به طبيعة ذلك القطر أو عادات الأمّة وتقاليدها.

السّياق مثلا يغيّر مرادف الصّفة الانكليزية «live» :

من نَشط (للشخص)	~ person
إلى مُسْتَعِر (للفحم)	~ coal
إلى زَاه (للّون)	~ colour
إلى مكهرب (للسّلك)	~ wire
إلى حيّ (للذخيرة)	~ ammunition
إلى خام (للزّيت)	~ oil
إلى دوّار (للمحور)	~ axle
الى مباشر (للبثّ الاذاعي)	~ transmission
إلى مهم، آني الأهمية (للموضوع)	~ subject

إلى «في اللعب» (للكرة في مباراة)	~ ball
إلى مفرط الصَّدَوِيَّة (للغرفة)	~ room

وهنالك سياقات أخر، على مؤلف المعجم الانكليزي - العربي أن يأخذها بالاعتبار. والعكس أيضا صحيح في معجم عربي - إنكليزي، فالسّياق مثلا يُغيّر مرادف «الضّرْب» اسما أو فعلا بالعربية من :

ضرب (بالعصا)	hit *or* strike
إلى ضرَب القلب	throb, *or* beat
إلى ضرْب النقود	mint
إلى ضربت العقرب	sting
إلى ضَرَب العودَ	play
إلى ضربَ الباب	knock
إلى ضرب الخيمة	pitch
إلى ضرَب مثلا	give (an example)
أو ضربَ إلى (الحُمْرة)	shade into (red)
أو ضربَ العَددَ	multiply
وضَرَبَ الشيءَ بالشيء	mix
وضربَ الجزية	impose
و ضرَبَ بسَهم	participate
وضربَ عنقَه	beheadl
وضرب الرقم القياسي	break (a record)
وضرب موعدًا	fix (a date)
وضربَ في الأرض	fix (adate)travel
وضربَ صفحًا عن	disregard

وغيرُها كثير. وذلك يعني أن اللفظَ يتحدّد مقابله بالسّياق، لا بالمبنى. كذلك فإنّ للمفهوم الثّقافيّ التقليديّ وطبيعة اللغة نصيبًا في تحديد المُرادف. فحينما نقول بالعربية : جريء أو مقدام أو جسور، لا يخطرُ ببالنا أن هذا الوصف قد يحمل أيضا معنى «الوقاحة» و«التطاوُل» و«الجلاحة» الذي يحمله اللفظ الانكليزيُّ المرادف «bold»، وحينما نجد

موصوف هذه الصفة «بالانكليزية» لونًا أو أوراقًا أو صخرةً في bold colour أو bold leaves أو bold cliff فلعلّك لا تجد لمثل هذا السّياق مرادفا في معجمك الإنكليزي - العربي، وتضطرّ بالتالي إلى مراجعة معلوماتك البلاغيّة لإعطاء المرادف العربيّ المقابل، كأن تقول : لونٌ فاقع أو صارخ، أو أوراق شامخة أو مشرئبة، أو جُرفٌ قائمٌ أو شديد الانحدار... الخ.

وقد تضطرّ الى تغيير التعبير في لغة إلى مايشبه نقيضه في لغة أخرى لتؤدّي معناه الصحيح.

ففي «أثلجَ صدري»، لا يصحّ أن يكون المرادف It iced my chest. بل قد تقول It warmed my heart, - دفّأ قلبي، فالبرودة في الصّدر يجعلها مناخ الصّحراء محبّبةً، كما أنّ الدّفءَ محبّبٌ في المناخات الباردة.

ولا أدري لماذا يقول العرب : نضرب الخيام إذ ينصبونها، بينما يقول الإنكليز «نضرب المخيّم» to strike camp إذا قوّضوه ورحلوا عنه.

هذا مع العلم أنّك أحيانًا تجد للّفظ في لغة من المرادفات في الأخرى ما لا حصر له، فتحتار في اختيار المرادف الأدقّ من ذلك «مطّرد» في العربيّة مثلاً، وهي صفة لما هو متتابع (بانتظام خاصّةً) أو متسلسلٌ (مع استمراريّة). فأيًّا من الألفاظ الإنكليزية الثمانيّة التالية تختار مرادفا لها : incessant, uninterrupted, regular, steady, constant, continual, continuous, unvarying ? ، وكلّها - وإن قاربت المعنى - لا تستغرقهُ تمامًا.

فالعربُ تجعل لكلّ ساعة من ساعات النهار والليل (10) اسمًا لا تجده في الانكليزية إلاّ لبعضها. وفي المقابل تجد في الانكليزية أسماء متعددة للفحم وأنواعه وصفاته لا تعرفها العربية إلاّ ترجمة أو تعريبا (11).

أضف إلى ما سبق أنّ اللسانيّين وبعض اللّغويين لا يعترفون أصلا بوجود المرادف المكافىء، لا ضمن اللغة نفسها، ولا بين اللّغات. ويصرّون على أنّ المرادفات حتّى في اللغة نفسها ليست مترادفةً تماما بالمعنى نفسه.

---

(10) ساعاتُ النهار : الذرور والبُزوغ والضُّحى والغزالة والهاجرة والزوال والدّلوك والعصر والأصيل والصّبوب والحدود والغروب؛ وساعات الليل : الشاهد والغسق والعتمة والفحمة والموهن والقطع والجوشن والعبكة والتباشير والفجر والمعترض والأسفار.

(11) من أسماء الفحم وأنواعه في الانكليزية : charcoal; coke; coal; peat; cannel; slack; brazil: anthracite; culm; lignite. أما أصنافه وأسماؤه الموصوفة فتعدُّ بالعشرات.

ومجال الاستطراد في هذا الباب واسع نتركه للغويّين، ولا أدّعي أنني منهم. وأتحوّل إلى معوّقات لا تتّصل باللغة أو اللغتين في المعجم بل بالأسلوب والدّقة والمستوى الذي يوضع فيه المعجم، وهي معوّقات كنت أودّ تحاشيها لولا أنّها قضيّة أساسيّة في مبحث المعجم، أيّ معجم كان، ثنائيّ اللّغة أو أحاديّها، عامّا كان أو متخصّصا، وسأتجنّب ذكر الأسماء ؛ فالمهم هو الفكرة المعبّر عنها في المثال، وليس المثال نفسه، ولا أين يرد.

ففي غمرة الطّلب المتزايد على المعاجم الثّنائية (الانكليزية- العربيّة بخاصّة) خلال ربع القرن الماضي، صدر الكثير من هذه المعاجم عامّا ومتخصّصا. وحالف التوفيق بعض هذه الأعمال، ولم يحالف بعضها الآخر لأسباب متفاوتة : منها فقدان الوعي المصطلحي، والجهل بالتّقنيّات المعجميّة، وعدم التضلّع من إحدى اللغتين أو من مادّة العلم الذي يمعجم فيه.

أحيانًا يكون المؤلّف أو المؤلفون على مستوًى رفيع جدّا من حيث لغتا الأصل والهدف في المعجم، لكنّهم لا يهتمّون بإيراد المصطلح.

فيُقال مثلا في مادة explicit function : تَابعٌ رياضي (في الرياضيات) يحتوي على كميّات متغيّرة متبوعة لا غير (ويمكن إيجاد القيم مباشرةً)، ولا يقال «دالّة صريحة».

أو يُقال في مادة absorption coefficient : مقياسُ معدّل التناقص في شدّة الإشعاع الكهربائي المغنطيسي في أثناء المرور من مادة معينة، ولا يقال «مُعامل الامتصاص».

أو يقال في مادة algorithm : منوالٌ (أو طريقةٌ خاصة) يتّبع لحلّ بعض المسائل أو المشاكل (ولا سيّما إيجاد القاسم المشترك الأعظم)، ولا يُقال «خوارزْميَّة».

ويُقال في مادة alternator : مولّدٌ كهربائي يُولّد تياراً كهربائيا متناوبًا، ولا يُقال «مُنَوِّب».

وأحيانًا يخلط العاملون على المعجم أو أحدُهم بين مصطلحين قد يصحّان في سياق مختلف، فيترجمُ لفظُ reaction، في سياق التفاعل الكيماوي بين حامض وكحول، بتعبير «ردّ الفعل»، وهو تعبير صحيحٌ في مقابل «reaction» في سياق الفيزياء وقانون نيوتن الثالث.

أو يقال في ترجمة fusion «انصهار» في سياق nuclear fusion «الاندماج النووي». ولفظ «انصهار» صحيحٌ في سياق مبحث الحرارة وانصهار الجليد fusion of ice وشتّان بين المفهومين. أو يقال «استثمار» مقابل investment في سياق الأحذاق أو التغليف في investment casting وهو ضربٌ من أشكال الصبِّ يُحذقُ فيه قالبٌ رملي بنموذج المصبوبة من الشّمع، يسمّى أيضا «السّبكُ بطريقة الشمع المُتبدّد».

أو يقال «صقل» في مقابل smoothing في سياق smoothing a direct current وهو «تسليس» «أو تسوية» التّيار المستمر أي تمهيد الارتجاج والترجُّح في فُلطيّته.

أو يعرّب مصطلح مثل codan بلفظ «مكواد» ظنّا أنّ للمصطلح علاقةً بـ code «الرمز». والصحيحُ أنه «كُودان» : مجموعة أوائليات الكلمة : Carrier - Operated Device Anti-Noise ؛ ويمكن شرحه بـ«مضائلة تشويش تشغّلها المَوْجةُ الناقلة».

وأحيانًا قد يكون المؤلّفُ مؤهّلا لغويًا وملمًا بالمادة التي يمعجم فيها، لكن تنقصه المنهجيّة المصطلحيّة وتقنياتها المعجميّة.

لقد أضحى علم المصطلح والمعجميّة اليوم دراسةً تخصّصيّة تتطلّب إلى جانب المعرفة الدقيقة بلغتي التعامل - لغتي المتن (أو الأصل) والهدف - فهمًا شاملاً واطّلاعًا كافيًا يضعان المعجميّ أو المصطلحيّ في جوّ المادة المراد المعجمة أو وضع المصطلحات فيها. ويتخلّلُ هذه الدراسة تطبيقات تقانيّة يطّلع فيها المتدرّب على التّراث المصطلحيّ عامّة، ويتعرّفُ المشهورَ منه في مجال اختصاصه، على الأقل؛ فتكون هذه المعرفة مادّةً لاستيعاب اللفظ أو المصطلح الجديد ومعالجته بالدّقة والعمق المطلوبيْن وبالنّسق والمنهجيّة الملائمين.

وقد سبقتنا الجامعاتُ في الغرب والشّرق في هذا المجال فاستحدثت مساقات تخرّجيّةً وبعد تخرّجيّة، تدمج اختصاص الدارس اللُّغويّ أو العلميّ أو الفنيّ مع تدريبه على العمل في الوقت ذاته كمترجم ومصطلحي ومعجميّ في حقل تخصّصه. وقد عرض علينا في دائرة المعاجم بمكتبة لبنان عدّةُ مشاريعَ معجميّة انكليزية- عربية كانَ واضعوها قد تقدّمُوا بها، كأطروحات مصطلحيّة أو معجميّة تطبيقية ثنائيّة اللغة، مؤهّلة لدرجات الماجستير أو الدكتوراة في جامعات أجنبيّة. وقد سرّني معرفةُ أنّ بعض جامعاتنا في المغرب العربيّ بدأت فعلا بتطبيق مثل هذه المساقات مؤخرًا.

وأحيانًا نستشفُّ بأسى، من استعراض المعجم الثنائيِّ اللغة، عدم تضلّعِ المُولّفِ من

إحدى اللّغتين، فيسخّر لغةً ثالثةً للتوصّل إلى مبتغاه.

أذكر مرّةً أنّ مؤلّفًا حمل إليّ مشروع معجم ثنائي، تركيّ - عربي، مبرّرًا المشروع بأنّ آلاف الطّلاب العرب الذين يدرسون في تركيا يتلهّفون إلى مثل ذاك المعجم. فطلبت إليه أن يتركَ لي نسخًا ضوئيةً عن المخطوطة لأعرضها على خبيرٍ في اللغة التركيّة؛ وحدّدتُ له موعدًا يعودُ فيه لمراجعتي. ولمّا اقتربَ موعدي مع المؤلّف، ولمّا أوفّقْ بإيجاد الخبير التّركي، استعنت الله وأخذتُ أقارن مقابلات موادّ المعجم العربيّ على معجم تركي - انكليزي، وسجّلتُ بعضَ المُلاحظات على عدّةِ ترجماتٍ وجدتُها تباينُ المفهومَ الذي يُعطيه المُرادفُ الانكليزيّ.

وحين حضر المؤلّفُ، رحتُ أناقشُه في دقّة التّرجمة العربيّة، مقابل موادّها التركيّة. وما أن انتهيْتُ حتى قال لي حضرتُه: لماذا لا تشاركُني في هذا المُعجم، تُراجعُه وننشُره. وإذا بحضرته لا يعرفُ التركيّةَ؛ ومُرادفاته كلّها ترجمةٌ عن الفرنسيّة من معجم تُركي-فرنسي!

زميلٌ آخرُ كنْتُ أعرفُ له عدّةَ معاجمَ ثنائيةٍ فرنسيّة - عربيّة، قابلتُه صدْفةً ذات مساء في مكتبة لبنان أوائل الحرب المشؤومة، فناولني معجمًا إنكليزيًا- عربيًا من وضعه. فتحتُ المعجم عشْوائيًا، فإذا بي أمام المدخل stationery، أقرأ المُرادفات: ثابت أو ساكن أو مستقرّ، ثمّ علامة تغيّر المعنى، متبوعة بـ«قرطاسيّة»: أدوات الكتابة من ورق وأقلام وخلافه. فنظرْتُ إليه مستغربًا وقلت: المفهومُ الثاني صحيح، أما المفهومُ الأوّل فإنّه ينتهي بـ «ary» لا بـ «ery». لكنّ صاحبنا أصرَّ على أن ما في المعجمِ صحيحٌ، وطلبَ أنْ أراهنه على صحّة ذلك.

وما هي إلاّ بضعةُ أيّام حتى جاء الأستاذُ إلى مكتبي وبيَده المعجم، فبادرتُه: جئتَ تدفعُ الرّهانَ الذي لم نتّفقْ عليه! فقال: لا، البيك (صاحب المؤسسة) يرجوك أن تتصفّح المُعجم. مدْخَل stationery سنعدّله، وأنا لا أريد أكثر من أن يطْبع اسم مكتبة لبْنان على المُعجم. فقلْت: حبًّا وكرامة - لكنّي، أسوةً بالمرحوم انستاس الكرملي، لنْ أقرأ سوى صفحتين (12).

وفتحْتُ المعجمَ عشوائيًا على صفحتين أثرْتُ له فيهما سبعة عشرَ اعتراضًا -

---

(12) المرحوم أنستاس الكرملي نقدَ أحَد المعاجم فلم يكُنْ راضيًا عنه كلّ الرضى بعد قراءة صفحة واحدة فقط منه.

بعضُها أخطاءٌ جسيمة !

وشاهدي الأخير في هذا المجال أقتبسُه من مجلة اللسان العربي (13) التي يُصدرها مكتب تنسيق التعريب، جاءَ على شكلِ كتاب من الناقد إلى رئيس التحرير حول مصطلحات نشرتْ في المجلة كمشروع مُعجم.

يقولُ الاستاذ الناقد :

« أرفقُ فيما يلي هذه الأخطاء مع تصحيحاتها لتدارك عدم الدقّة في التّرجمة والمُصْطَلَح المُقابِل، حيثُ إنّ النسَ عادةً يقرأون هذه المُصطلحات على أساس أنّها معدّةٌ من قبل أناس لايُخطئون (والكَمالُ لله وحدَهُ طبعًا)».

وسأكتفي هنا بقراءَة بَعْضِ هذه التصحيحات بادئًا بالمُصطلح الانكليزي ثم المصطلح العربي المذكور ثمّ تصحيح الترجمة :

المصطلح الانكيزي	المقابل العربي المذكور	المقابل المصحّح
absurdity	مُحال	سُخْف، شيءٌ سخيف أو مُناف للعقل
adequation	مطابقة	كفاية أو وفاءٌ بالمُراد
(يقصد adequacy)		
additive	ضمّ، مضموم	جمعي، إضافي
adult	كهل	بالغ، راشد
aptitude	استعداد، مؤهّل	استعداد، أهليّة، قابليّة
intercepting	التقاط	اعتراض، حصْر
combination	توافق	ضمّ، اتّحاد، توافُقيّة
decode	كشَفَ عن	يحُلُّ الشَّفرة
frustring		
(يقصد frustrating)	كابت	مُحبط، مُثبط للهمّة
no-hypothesis	فرضية لاغيَة	فَرْضٌ صِفْري
(يقصد null hypothesis)		
pronounced	بَـاذّ	واضح، صَريح، قاطع

أمّا المصطلحات التالية فيكتفي الناقد بتصحيح نَصّها الانكليزي :

TV shut-circuit	دارة تلفزيونية مغلقة
(يقصد closed circuit)	
teached	مُتَعَلَّم
(يقصد taught)	
handicapated	مُعاق
(يقصد handicapped)	
no securized	غير مطمئن
(يقصد insecure)	
question at multiple	سُؤَال مُتَعَدِّد الاختيار
(يقصد multiple- choice question)	
inquiry	استبيان، استمارة أسئلة
(يقصد questionnaire)	
scientificity	
(يقصد scientism)	
under group	
(يقصد sub-group)	

واضحٌ طبعًا أنّ الأستاذَ واضعَ المشروع المعجمي قد ترجم مصطلحاته الإنكليزيّةَ والعربيّة عن مصطلحات فرنسيّة، وواضحٌ أنّ معرفته بالإنكليزية سطحيّة.

6 - معوّقات المَعاجم الثُّنائيَّة العربية المُتخصّصة :

لا تختلفُ عن معوقات المعاجم الثّنائيّة العامّة، لكنّها تزيد واحدةً تصلُ إلى حدِّ المُشكلة ؛ تلكَ هي قضيّةُ المصطلح العلميّ والفنِّي والتّقْنيّ. فقد جابهت العربيةُ فيضًا هائلاً من المصطلحات رافقتْ انفتاحنا على الغرب، أو على الأصح انفتاحَ الغرْب علينا، في مختلف المجالات العلمية والهندسيّة والاقتصادية والتقانات وشتّى المهارات الفنّية، إضافةً إلى المستجدّاتِ من هذه المصطلحات التي هي في تزايد مستمرّ

وقد غدت هذه المصطلحات جزءًا مهمًّا من كلّ اللُّغات المُعاصرَة باعتبارها مفاتيح للمعرفة الإنسانية في شتى فروعها ووسيلةَ التفاهُم والتواصُل بينَ الناس في مختلف

الشؤون الحياتيّة والثقافيّة والعلميّة، حتّى إنّ الباحث ليستطيعُ قياسَ تقدُّمِ الأمّةِ حضاريًا بإحصاء مصطلحاتها في هذه المجالات.

إنّ بعضَ المشكلة في معاجمنا الثُّنائية المتخصّصة هو عدمُ توافُرِ المصطلح المُقابِل في العربيّة، لغة الهَدف، لآلاف الألفاظ الأجنبيّة التي يحمل كُلٌّ منها فكرة أو مفهومًا أو مسمّى مُعيّنًا. وهذا في الواقعِ مشكلةٌ تنوءُ بوطأتها بدرجات متفاوتة كلّ اللغات في الدّول الناميّة (ولفظُ الناميةِ هُنا، كما لا يخفى على القارئ هو نوع من لطف التعبير (euphemism).

نحنُ في العربيّة، وجدنا في ثراء لغتنا الواسع وفي تراثنا الفكريّ والعلمي المشهود رصيدًا ضخمًا ساعدَ على إيجاد الكثير من المُصطلحات المُقابلة لذاك السيلَ من الألفاظ التي جُوبِهنا، وما نزالُ نجابَهُ، بها. وهذا وضعٌ لم يتسَنَّ للكثير من الناطقينَ بِلُغاتٍ أخرى في دُول العالم الثالث.

أذكُرُ للمقارَنة تجربةَ معلّم تنزانيٍّ مع مُصطلح «الكثافة» في الفيزياء، ورَدَ في كتاب «التربية العلمية والتكنولوجية في التنميّة الوطنية»، وكنت ترجمته أوائل الثمانينيّات بتكليف من اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو. يقول الأستاذ: كان عليّ أن أشرح مفهومَ «الكثافة» density وليْسَ في لغتنا السواحليّة لفظٌ لهذا المفهوم. فطلبتُ من التلاميذ إحضار قطع متساوية الحجْم من الخشب والطّين والفلّين والحديد، تَوَضَّحَ بالميزان أنّ ثقلها مختلف. فقرّرنا، الطلابُ وأنا، أنّ: الثّقلَ «أوزيتو-بالسّواحلية» مختلف. وفي معالجتنا سبب هذا الاختلاف، علّله الطّلابُ بأن «الثّقلَ» في الحديد «مرصوص»، وهذا الثّقلُ ليس عارضا ولا مضافا ولا طارئًا، بل أصيلاً في المادة. فخرجنا بمصطلح «أوزيتو واصيلي» - بالعربية «الثّقل الأصيل». وهكذا أدخلنا إلى اللُّغة السّواحلية مصطلحًا جديدًا.

الحمدُ لله أنّا لم نجابهْ سيل المصطلحات المتدفّقَ في ظروف المعلّم السّواحلي وواقعه؛ فقد أفاد الروّادُ ومن تبعهم من ذاك الرصيد الفكريّ والعلميّ في تراث العربيّة المجيد، ومن ثراء اللغة الواسع ومطواعيّتها الاشتقاقية الفذّة، وطوّروا منهجيّة تلخّصت بالمبادئ التالية :

1 : تحرّي لفظ عربيّ من التّراث يؤدّي معنى اللفظ الأجنبيّ أو يقاربه؛

2 : ترجمة اللفظ بمعناه إذا كان قابلا للتّرجمة، أو اشتقاق لفظ عربيّ بوسائل الاشتقاق والنحت أو المجاز، بحيث يضمّن اللفظ معنى جديدا؛

3 : تعريب الألفاظ الأجنبيّة العالميّة كأسماء العناصر الكيماوية الحديثة الاكتشاف أو الموضوعة تخليداً لعالم أو مخترع، أو المشتقة من الجُذور اليونانيّة أو اللاتينيّة.

لقد أسهم في عمليّة وضع المصطلحات على المدى الطويل تراجمة ومؤلّفون وعلماء وإعلاميّون، في ترجماتهم أو كتاباتهم أو مؤلّفاتهم أو معاجمهم؛ عملوا منفردين أو متعاونين، بجهد ودافع شخصيّ أو في نطاق مؤسّسات رسميّة أو غير رسميّة في أكثر من قطر عربيّ بما يشبه العمل المستقلّ، وترجموا عن مراجع مختلفة ولغات مختلفة وبأذواق مختلفة. فكانَ أن اختلفَ الكثيرُ من هذه المصطلحات من عالم إلى عالم ومن مؤسّسة إلى مؤسسة ومن قطر إلى قطر، وكانَ بعضُ المشكلة الآخرُ مع المصطلحات تعدّدها وتباينها.

فالمصطلح، من حيث تعريفه المعجميُّ ومفهومُه، لفظ يصطلح عليه أهل العلم أو الفَن كوسيلة يتمّ بها التفاهم والتواصل بينهم، وبينهم وبين الناس. وهذا يعني أنّ قيمةَ المصطلح لا تتحقّقُ بدقّته وحسن دلالته على مسمّاه فقط، بلْ أيضًا بالتقاء العلماء والطّلاب والناس عليه، والاعتراف العلميّ به والاجماع عليه، بحيث يصبح جزءاً من اللغة العلمية المشتركة. أمّا إن اختلفَ المصطلح من باحث إلى باحث، ومن قطر إلى قطر فإنّه يسيءُ ولا شكّ إلى قُدرة اللغة العربيّة على أن تكون في صفّ اللغات العلمية التكنولوجية العالميّة.

وأسمح لنفْسي هنا أيضًا باستطراد أذكرُ فيه بالمقارنة، أنّ أكاديميّة اللُغة العبريّة في الوطن السليب، وقد نشأتْ قبل قيام الكيان الصّهيوني بعشرين عامًا، خلفًا لسالفتها «جماعة اللغة العبْرية» التي كان تأسيسُها قبل أن يدعو هرتسل إلى وطن قوميّ يهوديّ في فلسطين، تشرفُ على كلّ ما له علاقةٌ باللغة العبريّة، تأليفًا وترجمةً ومصطلحات، تقعّد كلّ شيء وتسمّي كلّ شيء، وتصوغُ كلّ شيء. وما تقرّه يصبح ملزما للجميع، في المدارس والجامعات والمصانع والمؤسّسات، وفي جميع وسائل الإعلام.

وهذه المقارنةُ ليست لإظهار نقطة ضعف بقدْر ما هي إبرازٌ لواقع يعمل حماة العربية منذ نشأة الحركة المجامعيّة في الوطن العربيّ على تلافيه.

نعم، الاختلافُ المصطلحيُ تلوّث مُضرٌ، لسنا ننكرُه ولا نحن بغافلين عنه، لكنْ من الإنصاف نحو أمّتنا وأنفسنا القول إنّه كانَ النتيجة المنطقيّةَ والطبيعيّة لفترة التخلّف التي عاناها العرب ولغتهم، في ظلّ سلطات غريبة جائرة فرضت الجهل وخلقت الحواجزَ

الجغرافية والسّياسيةَ والثقافية، وعزّزت التفرقة والنّزعة الإقليميّة التي استمرّت بقاياها بعد رحيل الأجنبي.

وأنا بهذا لا أريد أن أقلّل من مضاعفات هذا التباين والتعقيدات الناتجة عنه، بخاصّة ونحن نتهيأ لعصر المكننةوالحواسيب وبنوك المصطلحات وشبكات المعلومات العالمية، ولكني أحذّرُ من التضخيم المُيئّس الذي يصدر من بعض الجهات أو الأشخاص عن حسن نيّة فيستغلّه آخرون لأغراضٍ لا تخدمُ قضيّةَ اللغة العربية ولا مُستقبل الوطن العربي.

إنّ عوامل توحيد المصطلحات قائمة على قدم وساق، عن طريق مجامع اللّغة العربيّة والاتحادات العلميّة العربيّة ومكتب تنسيق التعريب والمنظّمات المنبثقة عن جامعة الدّول العربية والمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد بدأنا نلمس ذلك فعلا إثر صدور العديد من المعاجم الموحَّدة والموحِّدة- أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

المعجم الطبي الموحَّد، (انكليزي - عربي - فرنسي)، لاتحاد الأطباء العرب ط 2، 1983؛

والمعجم العسكري الموحَّد، انكليزي- عربي، وفرنسي - عربي، إعداد لجنة المصطلحات العسكرية للجيوش العربية 1970؛

والمعجم العربيّ الموحَّد - لمصطلحات الحاسبات الالكترونية 1981، عربي - انكليزي - فرنسي، للمنظمة العربية للعلوم الإداريَة؛

والمعجم الموحّد للمصطلحات العلمية، في مراحل التعليم العام 1977 ثم سنة 1992، في عدّة أجزاء، كل جزء يشتمل على مصطلحات علم معيّن، للمنظمة العربية والثقافة والعلوم.

كما أخذنا نلمسُ أثر عوامل التوحيد المصطلحيّ أكثرَ فأكثر نتيجةً لاعتماد مؤلّفي المعاجم والكتب العلميّة في مصطلحاتهم على ما يصْدُرُ من هذه المعاجم وما تُقرّه تلك المؤسسات، ينشرونها في معاجمهم ومؤلّفاتهم فتنتشرُ وتذيعُ بين النّاس.

وكذلك بفضل مشاركة وسائل الإعلام صحافةً وإذاعةً وتلفزةً في تحرّي المصطلح الأفضل وأشاعته.

وإنّي من موقع اطّلاعي المستمرّ خلال عقود أربعة على حركة التطوّر المصطلحيّ في الوطن العربي مقتنع بأنّ هذا التباين آخذٌ في التقلّص بسرعة مطْمئنة. ففي دراسة

أجريناها على أحدث مجموعة مصطلحات وصلتنا من مجمع بغداد، وجدناها تتّفق مع ما جاء في «معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية» و«معجم حتّى الطبي الجديد» بنسبة عالية جدًّا، ما كنّا نراها أوائل السّبعينيات. فمن 602 مصطلح كان الاتفاق تامًا في 441 وجزئيًّا في 119، ومتباينا في 42 مصطلحا، أي إنّ التبايُنَ الفعليَّ كان في حوالي 7% فقطْ من المصطلحات.

وفي دراسة أجريْناها على ثلاثة معاجمَ حاسوبيّة أصدرناها لمؤلّفين من الكُويت ولبنانَ والمملكة العربية السعودية شملتْ 1349 مصطلحًا من الأحرف A وM وS قارنّاها مع مقابلاتها في «المعجم العربيّ الموحّد لمصطلحات الحاسبة الإلكترونيّة»، وجدنا التطابق تاما في 90% من المصطلحات. وكانت المصطلحاتُ المباينةُ من قبيلِ

مُراكِم	و مُجَمِّع	مُقابَل	accumulator
جمْع	وإضافة	مُقابَل	addition
تعليق	وحاشية	مُقابَل	annotation
سمة	وعلامة	مُقابَل	mark
تعديل	وتحوير	مُقابَل	modification
إحساس	واستشعار	مُقابَل	sense
زمن التلمّس	ووقت التفتيش	مُقابَل	seek time
مفتاح كهربائي	ومُبدّلة	مُقابَل	switch

وكلُّها، كما هو واضح، تبايُناتٌ ليستْ غيرَ متوقَّعةٍ أمام اختلافِ أذواقِ المُترجمين واتّساعِ القاموسِ العربيّ.

ولَعلّي أجزِمُ أنّ التوافُقَ في المجالات المُصطلحيّةِ على امتداد الوطَنِ العربيِّ هو أوثقُ حاليًا ممّا هو عليه في الميدان اللّغويّ العامّ. وهنا أذكُرُ قولاً للدكتور مصطفى حركات، مندوب الجزائر في «ندوة التعاوُن العربيّ في مجال المُصطلحات علمًا وتطبيقًا» في كلمته حول «تجربة الجزائر في مجال المصطلح الرّياضي»، وكانت الدولةُ الجزائريةُ قد استعانت بمُدَرِّسين من مصرَ وسوريا والعراق وفلسطينَ في عمليّة التعريب: «ما استغربْناه هو كم إنّ التبايُنَ في المُصطلحات كانَ ضئيلاً، بحيثُ اقتصر على مصطلحاتٍ قليلة لم يكُن من الصّعب لفتُ النّظر إليها».

ولا أريدُ إنهاءَ هذا البحث في مشاكل المعاجم الثّنائيّة العربيّة، المتخصّصة الجماعيّة بخاصّة، دونَ الإشارة إلى ضرورة دقّة المتابعة في تصحيح مسوّدات العمل المعجميّ، وأهميةِ اللّماساتِ الأخيرة عليه قبل الطّباعة وخلالها. وأذكُر أنّي اطّلعتُ على عدّة أعمال

معجميَّة جليلة - أنجزها علماءُ مقتدرون، أعتزُّ بصداقات مع بعضهم، ونشرتها مؤسسات نعتزُّ بهاً ونجلُّهاً - صدرت مشوّهةً بكثرة الأخطاء المطبعيّة وفوضى التّرتيب، لا الألفبائيّ فقط، بل أيضا ترتيبُ المقابلات العربيّة مقابل المداخل الأجنبيّة التي تخُصُّها. وقد علّلَ لي أحدُ الأصدقاء ممّن عملوا في أحدَ هذه المشاريع حدوث ذلك بأن «العُلماءَ الأفاضل عملوا وانتهوا وتفرقوا من حيثُ أتوا، وترك إنجازُ العمل وإخراجه للطبّاعينَ والسكرتيرين، فكان ما كان، وفقد العمل الكثير من قيمته وجدواه.

إنّ العمل المعجميّ الرّصين يكلّف باهظا، جهدًا ومالاً وقلقًا؛ ويستحقّ ممّن يقوم، أو يقومونَ به، ألاّ يبخلوا عليه- بعد تلك الجهود البالغة في إعداده- باللّمسات الأخيرة في إخراجه وإصداره.

ونريد أن نختم بأن نؤكد أننا لو عالجْنا كلّ هذه المعوّقات ووحّدنا كلّ المصطلحات، وكان لنا أفضل المعجمات كمّا وكيفا، فأفضل ما يمكن أن نتوصّل إليه لا يتجاوز كونه غنًى سطْحيًا- غنًى في طول اللّغة وعرضها تستمرُّ معه علاقاتنا بركْب الحضارة العالميّ تبعيَّةً لاإبداعًا، وتلقّفًا لا مشاركة، واستهلاكاً لا إنتاجًا.

والغنَى الصّحيح، الذي نطمح إليه هو غنى العمق -غنى الإبداع والبناء لتطوير حضارة أصيلة تأخذ من الحضارة الإنسانيّة وترفدها، فتربطُ المستقبل المجيد بالماضي التّليد، وهذا لا يتأتّى إلاّ حين تصبحُ اللغَة العربيّة لغة المتعلّم والعَالم، ويُستنْبتُ العلم بيئيًا عندنا، لتصبح اللّغة العربيّةُ لا لغة التعليم في كافّة مراحله فقط، بل لغة البحثِ والتأليف والإبداع في العِلْم.

أحمد شفيق الخطيب

دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت

التّـــوليد بالتّبـــــــاين (*)

بحث : علي الــودرنـــي

1 - تمهيـــد :

التبــايـــن نوعــان :

1 - تبــاين صــــامــتي (Dissimilation consonnantique) : يحـــدث بين الصّوامت، وهو النوع العادي المعروف، قد تناولته الدّراسات العربية والغربية باعتباره مظهرا من مظاهر التغيير الصوتي.

2 - تباين صائتي (Dissimilation vocalique) : يحدث بين الصّوائت، وهو نوع غير معروف بدأ الإهتمام به وبمظاهره في تونس(1) لكنّهُ لم يحظ بعدُ بدراسة موسّعة مستقلة.

ونتناول في هذا البحث النّوع الأوّل منه من حيث هو قاعدة من قواعد التوليد الصوتي في المعجم له مظاهر وطرق وآليات تقوم على قوانين دقيقة وله أسباب ونتائج.

فالتّباين الصّامتي كما عرّفه اللّغويون هو: «نُزُوع صوتين متماثلين إلى التّخالف أو التّباعد بأن يُبدل أحدهما بصوت آخر» (2)، وقد أطلقوا عليه مصطلحات كثيرة مثل :

(*) هذا العمل في الأصل فصل من بحث بعنوان «دور الأصوات في التوليد المعجمي» كنّا أنجزناه في نطاق شهادة الدراسات المعمقة في اللغة والآداب العربية في قسم اللّغة العربية بكلية الآداب بمنوبة، بإشراف الأستاذ ابراهيم بن مراد، ونوقش يوم 1999/04/29. وقد أدخلنا على هذا الفصل بعض التنقيحات التي تطلّبتها طبيعة البحث المستقل.

(1) أوّل من انتبه له وفسّره إبراهيم بن مراد، ينظر له : مسائل، ص ص 41-42، ومقدّمة، ص ص 139 - 143.

(2) ينظر على سبيل المثال : برجشتراسر : التّطور النّحوي، ص 34؛ أنيس : أصوات، ص 210؛ مطر: لحن العامة، ص 213؛ عبد التّواب : لحن العامة، ص 40؛ البكوش : التصريف العربي، ص 72.

المفارقة والمغايرة والمخالفة(3) والتّغاير(4)، وكلّها ترجمة للمصطلح الأجنبي (Dissimilation).

وهو نادر في اللّغة قياسا بالتّماثل، وهو في العربيّة قليل قياسا ببعض اللّغات السّامية الباقية خصوصا الأكديّة والآراميّة(5). وأكثر ما يكون في معالجة المفردات المقترضة وفي نُطق العامّة للمفردات العربيّة الأصل(6). ومهما يكن من أمر فإنّ التّباين الصّامتي حقيقة قرّرها اللّغويّون المحدثون واعترفوا بأثره في التطور الصوتي في جميع اللغات(7) وعدّوه قانونا صوتيّا(8)، وإن كان بعضهم يرى فيه نوعًا من الاتجاهات أو الميول (Tendance phonétique) التّي تفسّر ما حدث من تغيّر لبعض المفردات في أصواتها وليس قانونا(9).

2 - مظاهر التّوليد بالتّباين الصّامتي :

يظهر التّباين الصّامتي في أغلب المقولات المعجميّة، كما يظهر في بنى صرفيّة مختلفة، وعنه تتولّد - داخل كلّ مقولة - أشكال جديدة. وهذه المولّدات تكون مكتسبة لخصيصتين تمييزيتين جديدتين تختلف بهما عن أصولها هما : التّأليف الصّوتي والبنية الصّرفيّة، مثلما يبيّنه تحليلنا للنّماذج التالية :

2 -1. في الأفعال :

المجرّدة المضعّفة من نوع (2،2،1*) و (2،1،2،1) والمزيدة بالتّضعيف (Par gémination) :

(1) زَفَّ (زَفَفَ) ⇐ زَرَفَ (10) (أسرع) : /ف/ ⇐ /ر/ (2،2،1) ⇐ (2،3،1).

(2) غَذَّ (غَذَذَ) ⇐ غَذَا (لم ينقطع) (11): /ذ/ ⇐ /ا/ (12) (2،2،1) ⇐ (3،2،1).

---

(3) هذه المصطلحات ذكرها : هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 17.

(4) هذا المصطلح استعمله مطر : لحن العامة، ص 213.

(5) برجشتراسر : التطوّر النحوي، ص 35.

(6) البكّوش : التصريف العربي، ص 72.

(7) مطر : لحن العامة، ص.ص 219 - 220.

(8) عبد التواب : لحن العامّة، ص ص 37-40.

(9) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 37.

(*) تكرار الرقم يرمز إلى تكرار الصوت.

(10) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 67.

(11) مطر : لحن العامة، ص 210.

(12) غذَا يغذُو : وسنعتبر الألف واوًا عندما نتناول العلاقة بين الصوت المبدل والصوت البديل (الفقرة 4-1 من هذا البحث).

(3) لَثَّ (لَثَث) ⇐ لَبثَ(13) (أقام) : /ث/ ⇐ /ب/ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(4) قشَّ (قَشَش) (14) ⇐ قَرشَ (جمع من هنا وهناك) : /ش/ ⇐/ر/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1). قمشَ (بنفس المعنى) : /ش/ ⇐ /م/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(5) حدّقَ ⇐ حَدْلَقَ (شدّدَ النظر)(15) : /د/ ⇐ /ل/ ⇐ (فعّل) ⇐ (فعْلَل)

(6) دبّجَ ⇐ دَرْبَجَ (طأطأ رأسهُ وذلّ)(16) : /ب/ ⇐ /ر/ ⇐ (فعّل) ⇐ (فَرْعَل)(17).

(7) انغسَّ ⇐ انغمسَ(18) (انغطّ) : /س/ ⇐ /م/ ⇐ (انْفعَّ) ⇐ (انْفعَل).

(8) تبيّضَ ⇐ تَبَيْضَضَ(19) (صار أبيض) : /ي/ ⇐ /ض/ ⇐ (تفعّل) ⇐ (تفعضَلَ).

(9) تَمطّطَ ⇐ تَمطّى(20) (تمدّد) : /ط/ ⇐ /ي/ ⇐ (تفعّع) ⇐ (تَفعّى).

(10) تلعّعَ ⇐ تلعّى (21) (تناول اللعاعة أي الهندباء) : /ع/ ⇐ /ي/ ⇐ (تفعّع) ⇐ (تفعّى).

(11) بَخْبَخَ ⇐ برْبَخ(22) (في النوم غطّ) : /خ/ ⇐ /ر/ ⇐ (2,1,2,1) ⇐ (2,1,3,1).

(12) دهدهَ ⇐ دهدَى(23) (دحرج) : /هـ/ ⇐ /ي/ ⇐ (2,1,2,1) ⇐ (3,1,2,1).

(13) اخرمّسَ ⇐ اخْرَنْمَسَ (ذلّ وخضع)(24) : /م/ ⇐ /ن/ ⇐ (افعلّل) ⇐ (افْعَنْلَل).

2 - 2. في الأسماء :

(1) جبٌّ ⇐ جوْبٌ(25) (القَطْعُ) : /ب/ ⇐ /و/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

---

(13) هريدي. ظاهرة المخالفة، ص 67.

(14) المرجع نفسه، ص 68.

(15) مطر : لحن العامة، ص 217.

(16) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 72؛ والمعجم الوسيط، 278/1 و287.

(17) تركنا أصوات الزيادة على حالها وإن خرج بعضها عن أصوات الزيادة التقليديّة (سألتمونيها) لأنّنا نرى أنّ أصوات الزيادة تشمل جميع أصوات العربيّة، وأنّ (فَعْلَلَ) ومشتقّاتها ليست الصيغة الوحيدة في الرباعي.

(18) أنيس : أصوات، ص 212.

(19) الدّومينيكي (مرمرجي) : الثنائيّة، ص 330.

(20) أنيس : أصوات، ص 211.

(21) مطر : لحن العامة، ص 215.

(22) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 75 نقلا عن روزيشكا (Rûzicka).

(23) المرجع نفسه، ص 61 و77 تباعًا.

(24) المرجع نفسه، ص 48 : وينظر أيضا : ابن منظور : اللسان (خرمس).

(25) أنيس : أصوات، ص 212.

(2) مُحٌّ ⇐ ماحٌ(26) (صفرة البيض) : /ح/ ⇐ /ا/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(3) رسٌّ ⇐ رَمْسٌ(27) (الدفن) : /س/ ⇐ /م/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(4) ذُرُّوحٌ ⇐ ذُرْنُوحٌ(28) (دويبة أكبر من الذبابة شيئًا) : /ر/ ⇐ /ن/ ⇐ (فعُّولٌ) ⇐ (فُعْنُولٌ).

(5) عُقَّافةٌ ⇐ عُرْقَافَةٌ(29) (خشبة في رأسها حجنة) : /ق/ ⇐ /ر/ ⇐ (فُعَّالَةٌ) ⇐ (فُرْعَالَةٌ).

(6) كرّاسةٌ ⇐ كرناسةٌ(30) (دفتر أوراق يكتب عليه) : /ر/ ⇐ /ن/ ⇐ (فعّالَةٌ) ⇐ (فُعْنَالَةٌ).

(7) قُبَّرَةٌ ⇐ قُنْبَرَةٌ(31) (نوع من العصافير) : /ب/ ⇐ /ن/ ⇐ (فُعَّلَةٌ) ⇐ (فُنْعَلَةٌ).

(8) خَدَنَّقٌ ⇐ خَدَرْنَقٌ(32) (أحد أسماء العنكبوت) : /ن/ ⇐ /ر/ ⇐ (فَعَلَّلٌ) ⇐ (فَعَرْلَلٌ).

(9) حَبَرْبَرٌ ⇐ حَبَنْبَرٌ(33) (ما أصبت منه حبوبراً وحَبَنْبَرًا : أي شيئًا) : /ر/ ⇐ /ن/ ⇐ (فَعَلْعَلٌ)*

2 - 3. في الصفات :

(1) (وتَرٌ) عُرُدٌّ ⇐ عُرُنْدٌ(34) (غليظٌ) : /د/ ⇐ /ن/ ⇐ (فُعُلٌّ) ⇐ (فُعُنْلٌ).

(2) شغّيرٌ ⇐ شنْغيرٌ(35) (سيِّءُ الخُلق) : /غ/ ⇐ /ن/ ⇐ (فعّيلٌ) ⇐ (فنْعيلٌ)

(3) عدَبَّسٌ ⇐ عَدَنْبَسٌ(36) (الشديد الموثّق الخلق) : /ب/ ⇐ /ن/ ⇐ (فَعَلّلٌ) (فَعَنْلَلٌ).

---

(26) المرجع نفسه، ص 212.

(27) المرجع نفسه، ص 213.

(28) مطر : لحن العامة، ص 216.

(29) المرجع نفسه، ص 219.

(30) المرجع نفسه، ص 218.

(31) البكوش : التصريف العربي، ص 72.

(32) مطر : لحن العامة، ص 216.

(33) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 74، وينظر : ابن منظور : اللسان (حبر).

(*) حافظنا هنا على الأوزان المألوفة في الرباعي والخماسي واكتفينا بذكر الصوت البديل بلفظه.

(34) مطر : لحن العامة، ص 215.

(35) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 72.

(36) مطر : لحن العامة، ص 218.

2 - 4. في الأدوات :

(1) إمَّا ⇐ إيمَا (أداة تفصيل)(37) : /م/ ⇐ /ي/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(2) أمَّا ⇐ أيْمَا (أداة شرط وتوكيد)(38) : /م/ ⇐ /ي/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(3) لَعَلَّ ⇐ لعَنَّ (أداة توقّع وترجٍّ)(39) : /ل/ ⇐ /ن/ ⇐ (وقع التباين بين الصّوت الأوّل والأخير المضعّف).

وما يمكن استنتاجه من التّحليل السّابق :

1- أنّ التّباين يظهر في الأفعال والأسماء والصّفات والأدوات على أنّ ظهوره في الأفعال والأسماء متواتر، أمّا في الصّفات فقليل وفي الأدوات فنادر لأنّ الأدوات في اللّغة محدودة العدد في قائمة مغلقة. ويبدو أنّ ظهوره في الظّرف منعدم تمامًا.

2- أنّ التّباين لا يحدثُ إلاّ إذا :

(أ) وُجد في المفردة صوتان مدغمان، وهذا المظهر مطّرد في العربيّة.

(ب) وُجد صوتان متماثلان غير مدغمين، وهذا يكون في أفعال الحكاية (2,1,2,1) ومشتقاتها في الأغلب.

3- إذا وقع التّباين الصّامتي بين صوتين مدغمين في مفردة مَا فإنّ بنيتها الصرفيّة تتغيّر وجوبًا: كأنْ تنتقل من الثلاثي المضعّف إلى الثلاثي السالم، أو من الثّلاثي المزيد إلى الرّباعي مثلا. وهذا يُبرز تأثير هذه القاعدة الصوتيّة ليس في التأليف الصوتي للوحدات المعجميّة المولّدة فحسب بل كذلك في بنيتها الصّرفية.

3 - طرق التّوليد بالتّباين :

إنّ أهمّ ما يؤخذ به في التّباين لدى اللّغويين العرب هو التباين عن قرب أي بين صوتين مدغمين، حتّى إنّ بعضهم جعل منه الطريقة الوحيدة للتباين(40)، وقد ذكر برجشتراسر للتّباين طريقتين :

(أ) تباين عن بُعد وسمّاهُ المنفصل.

---

(37) المرجع نفسه، ص 215.

(38) المرجع نفسه، ص 215.

(39) عبد التواب : لحن العامة ص 40.

(40) ينظر مثلا : أنيس : أصوات، ص 213، وكذلك : مطر : لحن العامّة، ص 213.

(ب) تباين عن قرب وسمّاهُ المتّصل.

ويرى أنّ «المنفصل [هو] ما كان بين حرفيه فارق نحو كلمة : «اخضوضر» أصلها اخضرضر، من أخضر، فأبدلت الرّاء الأولى واوا لجوار مثلها، وهذا النّوع هو الغالب، والمتّصل ما تجاور فيه الحرفان وهو على الأخصّ في الحروف المشدّدة»(41).

إنّ ما ذهب إليه برجشتراسر بخصوص وجود طريقتين للتباين صحيح وإلى ذلك ذهب كانتينو(42) ورمضان عبد التواب(43) أيضا. لكن أن يجعل برجشتراسر التباين عن بعد هو الغالب فهذا - في رأينا - لا يستقيم لأنّ التلفّظ بصوتين متماثلين متجاورين (مدغمين) يتطلّب من الناطق تكرار عمليّة نطقيّة بعينها مرّتين متتاليتين وفي هذا جهد ومشقّة أكبر ممّا لو كرّر الناطق العمليّة نفسها مؤجّلة(44) (أي في حال وجود صوتين مثلين عن بُعد) والأمثلة التي أوردناها سابقا - وسنورد منها طائفة أخرى - تبرهن على أنّ التباين في العربيّة يكون في الأغلب بفكّ الإدغام وإبدال أحد الصوتين المتماثلين صوتا آخر. ولعلّ برجشتراسر قد أطلق حكمه هذا تأثّرا بما يوجد في اللّغات الأروبية، إذ يكاد التّباين لا يحدث في هذه اللغات إلاّ عن بُعد، ولاطّراد هذا النّمط في تلك اللغات أمكن لهيلمسلاف صياغة جملة من القوانين يقوم عليها التّوليد بالتباين(45).

ومهما يكن من أمر فإنّ التّباين الصّامتي في العربيّة يتمّ بطريقتين:

(أ) بالتأثّر عن قُرب (أو بالتّجاور)؛

(ب) بالتّأثّر عن بُعد.

3 -1. التبـــايــن عــن قــرب :

وهو الأغلب في العربيّة كما ذكرنا ويتمّ بفكّ التضعيف بين صوتين في مفردة ما ثمّ يُبدل أحد الصوتين المثلين بصوت آخر مخالف، ومن أمثلته :

(1) قَطَّ (قطع) ⇐ قَرْطَ(46) : [/ق، ط، ط/] ⇐ [ق، ر، ط/].

---

(41) برجشتراسر : التطوّر النحوي، ص 34.

(42) Cantineau : Etudes de linguistique arabe. p. 144.

(43) عبد التواب : لحن العامة، ص 40.

(44) ينظر مثلا : أنيس : أصوات، ص ص 211 - 213؛ ومطر : لحن العامة، ص 214.

(45) ينظر : Hjelmslev (L) : Le langage, p.p. 74-76.

(46) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 69.

(2) بصَّلَ (جرّدَ) ⇐ بَهْصَلَ (47) : [/ب، ص، ص، ل/] ⇐ [ب، هـ، ص، ل/].

(3) تَسَرَّرَ (سرّ بجاريته) ⇐ تَسَرَّى(48): [/ت، س، ر، ر، ر/] ⇐ [ت، س، ر، ر، ى].

(4) تَبَيَّضَ ⇐ تَبَيْضَضَ(49) : [/ت، ب، ي، ى، ض/] ⇐ [/ت، ب، ي، ض، ض/].

(5) انْغَسَّ ⇐ انْغَمَسَ(49) : [/ا، ن، غ، س، س/] ⇐ [/ا، ن، غ، م، س/].

(6) جَبٌّ ⇐ جَوْبٌ(49) : [/ج، ب، ب/] ⇐ [ج، و، ب/].

(7) ذُرُّوحٌ ⇐ ذُرْنُوحٌ(49) : [/ذ، ر، ر، و، ح/] ⇐ [/ذ، ر، ن، و، ح/].

(8) شغّيرٌ ⇐ شِنْغِيرٌ(49) : [/ش، غ، غ، ي، ر/] ⇐ [ش، ن، غ، ي، ر/].

(10) عَدَبَّسٌ ⇐ عَدَنْبَسٌ(49): [/ع، د، ب، ب، س/] ⇐ [ع، د، ن، ب، س/].

2-3. التباين عن بعد :

ويكون بين صوتين متماثلين يفصل بينهما صوت آخر، وهذا لا يكون إلاّ في الرباعي من نوع (2,1,2,1) أي ما ماثل أوله ثالثه وثانيه رابعَهُ، ومن أمثلته :

(1) تقفقفَ ⇐ تقرقفَ :[/ق، ف، ق. ف/] ⇐ [/ق، ر، ق، ف/](50).

(2) بَخْبَخَ ⇐ بَرْبَخَ : [/ب، خ، ب، خ/] ⇐ [/ب، ر، ب، خ/].

(3) دهدهَ ⇐ دهدى : [/د، هـ، د، هـ/] ⇐ [/د، هـ، د، ى/].

ولم يشذّ عن هذا القانون سوى مثالين اثنين : أحدهما أداة والثّاني من الخماسي (اسم) :

(1) لَعلَّ ⇐ لَعَنَّ : [/ل، ع، ل. ل/] ⇐ [/ل، ع، ن، ن/]،(1,1,2,1) ⇐ (3,3,2,1).

(2) حَبَرْبَرٌ ⇐ حَبَنْبَرٌ : [/ح، ب، ر، ب، ر/] ⇐ [ح، ب، ن، ب، ر]،(3,2,3,2,1) ⇐ (3,2,4,2,1)

يستفاد ممّا سبق أنّ للتّوليد بالتباين طريقتين : تتمثّل الأولى في مخالفة أحد الصوتين المدغمين لمثيله (تباين عن قُرب)، وتتمثّل الثانية في مخالفة أحد الصوتين المتماثلين

---

(47) المعجم الوسيط، 61/1 و 76 تباعًا.

(48) مطر : لحن العامة، ص 215.

(49) هذه الأمثلة وقع شرحها سابقا وأحيل على مراجعها.

(50) لم نعتبر هنا صوت الزيادة (ت).

المتباعدين في مفردة ما لمثيله (تباين عن بُعد)، وأنّ الطريقة الأولى هي المطّردة والغالبة في العربيّة خلافا لما ذهب إليه برجشتراسر.

4 - آليات التّوليد بالتّباين :

تقوم آليات التّوليد بالتّباين على خصائص الأصوات المتبادلة وعلى موقعيّة التّباين واتجاهه.

4 - 1. خصائص الأصوات المتبادلة :

ذكرنا سابقا أنّ التباين يكون بإبدال صوت من صوتين متماثلين في مفردة ما، ونريد في هذا العرض أن نبيّن :

(أ) ما هي الأصوات التي تقبل التّباين ؟

(ب) ماهي الأصوات التي يمكن أن تكون بدائل ؟

تتبيّن من الأمثلة التي قدّمناها أنّ الأصوات [ب/ث/ح/خ/د/ذ/ر/س/ش/ص/ط/ع/غ/ف/ق/ل/م/ن/هـ/ي/] وعددها عشرون (20) وقع فيها التّباين، ويمكن أن يقع التّباين أيضا في الأصوات [/ت/ز/ض/ك/] مثل :

(1) هَتَّ (الثوبَ : مزّقه) ⇐ هرَتَ(51) : /ت/ ⇐ /ر/.

(2) خزَّ (طَعَن) ⇐ خزَا(52) : /ز/ ⇐ /ا/، (والألف هنا واو) ⇐ /ز/ ⇐ /و/.

(3) تَقَضَّضَ (هوى ليقع) ⇐ تَقَضَّى(53) : /ض/ ⇐ /ى/.

(4) هكّلَ(54) (مشى باختيال) ⇐ هركَلَ(55) : /ك/ ⇐ /ر/.

أمّا صوت الجيم فأكثر ما يلحقه التّباين في المفردات المعرّبة مثل :

(1) إجَّاصٌ (ثمر معروف)⇐ إنْجَاص(56) : /ج/ ⇐ /ن/.

(2) إجَّانَةٌ (إناءٌ تُغسل فيه الثياب) ⇐ إنجانة(57) : /ج/ ⇐ /ن/.

---

(51) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 67

(52) المرجع نفسه، ص ص 53 - 54.

(53) مطر : لحن العامة، ص 215.

(54) المعجم الوسيط، 1030/2.

(55) المرجع نفسه، 1022/2.

(56) مطر : لحن العامة، ص 217.

(57) المرجع نفسه، ص 217.

(3) إجّارٌ (سطح المنزل) ⇐ إنْجَــارٌ(58) : /ج/ ⇐ /ن/ .

فجملة الأصوات التي وقع فيها التباين خمسة وعشرون، ولم نجد فيما توفّر لدينا من مراجع ما يفيد وقوع التباين في الأصوات [/أ/ ظ/و/]، على أنّ أحمد عبد المجيد هريدي يؤكّد : «عدم وجود أصوات تقبل التّخالف(59) وأخرى لا تقبل التّخالف»(60) وإن لم يقدّم أمثلة شاهدة.

أمّا الأصوات البدائل فلم تتجاوز التسعة (9) : ستّة منها متواترة بكثرة هي :

(1) الأصوات المائعة : [/ر/ل/م/ن/](61)،

(2) صوتَا اللّين : [/و/ي/]،

وثلاثة أصوات لم نرصد لأيّ منها أكثر من مثال واحد هي : [/ب/ض/هـ/]. وبناءً على ما تقدّم يمكن صياغة القانون التّالي :

«إذا وقع تباين بين صوتين متماثلين فإنّ أحدهما يُبدل بصوت من أصوات اللّين أو الأصوات المائعة في الأغلب».

وتفسير ذلك أنّ النّطق بالصوت المضعف يتطلّب مجهودا عضليا كبيرا، وقد عبّر عنه اللغويون القدامى بعبارات مثل : «كراهيّة التضعيف» أو «كراهيّة اجتماع حرفين من جنس واحد» أو «استثقال اجتماع المثلين»(62)؛ لذلك يلجأ المتكلّم إلى المخالفة بينهما بأن يستبدل أحد الصّوتين المثلين بصوت آخر يكون إمّا من أصوات اللين وإمّا من الأصوات الشبيهة بأصوات اللّين أي الأصوات المائعة. فهذه الأصوات [/و/ي/ر/ل/م/ن/] هي أكثر الأصوات وضوحا في السّمع وأيسرها في النّطق وأكثرها شيوعا في الاستعمال(63).

وهذا القانون لا ينطبق على التّوليد بالتّباين في العربيّة الفصحى فقط بل كذلك على معاملة المفردات المعرّبة وفي اللّهجات العاميّة.

(58) أنيس : أصوات، ص 214.

(59) يعني : «التباين».

(60) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 25 و74.

(61) لم نورد في نماذجنا إلاّ مثالا واحدا لصوت اللام. لكنّنا سنبيّن أنّه متواتر عندما تقدّم أمثلة من العاميات العربيّة ومن اللّغات الأروبية.

(62) ينظر مثلا : سيبويه : الكتاب، 424/4.

(63) ينظر : أنيس : أصوات، ص ص 27-28؛ وكذلك : مطر : لحن العامة، ص ص 213-214؛ وأيضا : إبراهم : مدخل في الصوتيات، ص ص 83-109 و125-158.

أ - مـــن أمثلتـــه فـــي المعـــرّب :

(1) أُتْرُجٌّ (شجر من جنس اللّيمون) ⇐ أتْرُنْجٌ : /ج/ ⇐ /ن/.

(2) قبّانٌ(65) (ميزان للأثقال) ⇐ قَنْبَانٌ : /ب/ ⇐ /ن/.

(3) إجّاصٌ (نوع من الثّمار) ⇐ إنجاصٌ(65) : /ج/ ⇐ /ن/.

(4) قنّبٌ (نبات ينتج ليفًا متينًا) ⇐ قرنبٌ(66) : /ن/ ⇐ /ر/.

(5) قنّبيط (نوع من البقل) ⇐ قرنبيط(67) : /ن/ ⇐ /ر/.

على أنّ من المفردات المعرّبة ما عدّهُ اللّغويون مولّدا بالتباين الصّامتي مثل :

(1) دينارٌ : أصلها (دنّار)(68) ⇐ /ن/ ⇐ /ي/.

(2) قيراطٌ : أصلها (قرّاط)(68) ⇐ /ر/ ⇐ /ي/.

(3) ديوان : أصلها دوّانٌ(68) ⇐ /و/ ⇐ /ي/.

(4)ديباجٌ : أصلها (دبّاج) ⇐ /ب/ ⇐ /ي/.

ويستندون في رأيهم على الشّكل المنجز في صيغة الجمع (دنانير/قراريط/ دواوين / دبابيج) حيث يُظهر التأليف الصّوتي لهذه الجموع الأصوات الأصلية للمفردة.

وهذا المذهب - في نظرنا- يمكن الاعتراض عليه بالرّجوع إلى التّأليف الصّوتية لهذه المفردات في لغاتها الأصلية (اللّغات المصادر) فإنّ :

(1) دينار : أصلها Denarius (في اللاّتينية)(69).

(2) قيراط : أصلها : Keration (في اليونانيّة)(69).

(3) ديوان : أصلها Dîvân (في الفارسية)(70).

(4) ديباج : أصلها ديبا (في الفارسيّة)(71).

(64) مطر : لحن العامة، ص 219

(65) المرجع نفسه، ص ص 218-219.

(66) البكوش : التصريف العربي، ص 72.

(67) مطر : لحن العامة، ص 218.

(68) يُنظر مثلا : نخلة : غرائب اللغة، ص 267 و278؛ وكذلك : الحلواني : الواضح، ص 25.

(69) نخلة : غرائب اللغة، ص 267.

(70) المرجع نفسه، ص 229.

(71) المرجع نفسه، ص 229؛ أدّي شير : الألفاظ الفارسية، ص 60.

فلا وجود لتضعيف في الأصوات التي يُتَوَهَّم أنّ التّباين قد وقع فيها أي لا وجود لصوتين مثلين وقع بينهما تباين في أيّة مفردة من المفردات الأربع كما تُنطق في لغاتها الأصلية. لذلك نميل إلى الاعتقاد بأنّ هذه المفردات قد دخلت العربية على هيئتها التي عرفت بها، أي:

(1) دينار : ويكون جمعه : ديانير؛

(2) قيراط : ويكون جمعه : قياريط؛

(3) ديوان : ويكون جمعه : دياوين؛

(4) ديباج : ويكون جمعه : ديابيج.

لكن التغيير الذي حدث بعد ذلك حدث في صيغة الجمع ذاتها وليس في المفرد كما يُتوهَّمُ. وهذا التغيير هو ضرب من الإيدال : (كما في الأمثلة 1 و2 و4 الآتية) وضرب من القلب الصّرفي (المثال 3) :

(1) ديانير ⇐ دنانير : /ي/ ⇐ /ن/؛

(2) قياريط ⇐ قراريط : /ي/ ⇐ /ر/؛

(3) دياوين ⇐ دواوين : /ي/ ⇐ /و/؛

(4) ديابيج ⇐ دبابيج : /ي/ ⇐ /ب/.

ب- من أمثلته في العاميّة :

(1) عنوان (دليل من الظاهر على الباطن) ⇐ علوان(72) : /ن/ ⇐ /ل/ (دارجة مصرية)؛

(2) زِمكّة (أصل ذنب الطّائر) ⇐ زِمنكة (73) : /ك/ ⇐ /ن/ (دارجة تونسيّة)؛

(3) فنجان (إناء صغير من الخزف وغيره) ⇐ فنجال (74) : /ن/ ⇐ /ل/ (دارجة تونسيّة).

2-4 موقعيّة الإبدال واتجاهه :

لا يحدث الإيدال بين صوتين مِثْلَيْنَ إلاّ إذا توفّر شرطان :

أ - أن يكون أحد الصوتين واقعا في نهاية مقطع منغلق (ح ك ح)، (CVC) أي

---

(72) عبد التواب : لحن العامة، ص 40.

(73) البكوش : التصريف العربي، ص 72.

(74) كانتينو : دروس، ص 103؛ البكوش، التصريف العربي، ص 72.

يكون ساكنا وهذا الصوت هو الذي يقع فيه التّباين (يبدل بصوت آخر) في الأغلب (75).

ب- أن يكون الصّوت الآخر في بداية مقطع آخر يليه (مباشرة أو عن بعد) أو يتقدمه، وأن يكون متبوعا بحركة.

ومن أمثلة ذلك (76) :

(1) جَبٌّ ⇐ جَوْبٌ : /ج ــَـ ب.ب ــُـ ن/ ⇐ / ج ــَـ و.ب ــُـ ن/

(2) زَفَّ ⇐ زَرَفَ : /ز ــَـ ف.فـــَ / ⇐ /ز ــَـ . ر ــَـ . فـــَ /

(3) عَدَبَّسٌ ⇐ عَدَنْبَسٌ : /ع ــَـ . د ــَـ ب.ب ــَـ . س ــُـ ن/ ⇐/ع ــَـ. د ــَـ ن.ب ــَـ . س ــُـ ن/.

(4)بَخْبَخَ ⇐ بَرْبَخَ : /ب ــَـ خ.ب ــَـ .خ ــَـ/ ⇐ /ب ــَـ ر.ب ــَـ .خ ــَـ/

(5)إمّا ⇐ إيما : /ء ــِـ م.م ــَـ/ ⇐ /إ ــِـ . م ـــَـ / (77).

(6) حَبَرْبَرٌ ⇐ حَبَنْبَرٌ : /ح ــَـ .ب ــَـ .ر . ب ــَـ .ر ــُـ ن/ ⇐/ح ــَـ .ب ــَـ ن. .ب ــَـ .ر ــُـ ن/.

في جميع هذه الأمثلة كان اتجاه التّباين تقدميّا لأنّ الصّوت المثيل الأول هو الذي خالف مثيله الثاني (اللاّحق).

لكنّ يمكن أن يكون اتجاه التباين رجعيا إذا ما وقع الإبدال في ثاني، الصوتين المثلين، كما في :

(1) حدّق ⇐ حَدْلَقَ : / ح ــَـ د.د ــَـ .ق ــَـ/ ⇐ /ح ــَـ د.ل ــَـ .ق ــَـ /.

(2) دُرُّوحٌ ⇐ دُرْنُوحٌ : /ذ ــُـ ر.ر ـــُـ ح ــُـ ن/ ⇐ /ذ ــُـ ر.ن ـــُـ.ح ــُـ ن/ (78).

(3) خَرُّوبٌ ⇐ خَرْنُوبٌ : / خ ــَـ ر.ر ـــُـ.ب ــُـ ن/ ⇐ /خ ــَـ ر.ن ـــُـ.ب ــُـ ن/

(4) كُرَّاسَةٌ : كُرنَاسَةٌ :/: ــُـ ر.ر ـــَـ س ــَـ.ت ــُـ ن/⇐ / ك ــُـ ر.ن ـــَـ.س ــَـ .ت ــُـ ن/

(75) ينظر خاصّة : هريدي: ظاهرة المخالفة، ص ص 28-43 و 82.

(76) هذه الأمثلة للتوضيح فقط، لأنّ أغلب الأمثلة التي قدّمناها في هذا الفصل تخضع للشرطين المذكورين بطالع هذه الفقرة.

(77) ـــِـ : تعني كسرة طويلة، ـــَـ: تعني فتحة طويلة.

(78) ـــُـ : تعني ضمة طويلة

(5) تَبَيَّضَ ⇐ تبيْضَضَ : /ت ـَـ. بـَـ ي. يـَـ. ضـَـ / ⇐ /ت ـَـ. ب ـَـ ي. ض ـَـ. ضـَـ /.

والملاحظ في هذه الأمثلة الخمسة :

(أ) أنّها لم تخرج عن القانون المحدّدة شروطه أعلاه.

(ب) أنّ التباين وقع في صوت الراء في غالب الأمثلة.

ويبقى نموذج آخر من الأفعال في حاجة إلى بيان موقعيّة التباين فيه واتجاهه، ومن أمثلته :

(1) غذَّ ⇐ غَذَا / خزَّ ⇐ خزَا.

(2) تسرَّرَ ⇐ تسرَّى / تَلَعَّعَ ⇐ تلعَّى.

(3) دَهْدَهَ ⇐ دَهْدَى.

فهذه الأفعال لم يتمّ فيها التباين إلاّ بعد أن اتّصلت بضمير[79]، مثلا:

(1) خَزَّ (+تُ) ⇐ خـزَزْتُ ⇐ (تباين) : خَزَوْتُ ⇐ [-تُ] : خَزَا يَخْزُو.

(2) تسرَّرَ (+تُ) ⇐ تسرَّرْتُ ⇐ (تباين) : تَسَرَّيْتُ ⇐ [-تُ] : تَسَرَّى.

(3) دَهْدَهَ (+تُ) ⇐ دَهْدَهْتُ ⇐ (تباين) : دَهْدَيْتُ ⇐ [-تُ] : دَهْدَى.

ونلاحظ أنّ التبـاين وقع في الأصـوات المثيلة الواقـعـة في نهـاية مـقـاطع منغلقـة (أصوات ساكنة) وقد تقـدّمتها مثيلاتها مـتبوعة بحركة، وبذلك تحقّق فـيها الشّرطان اللّذان ذكرناهما في بداية هذه الفقرة، وإن كان اتّجاه التّباين في هذا النّموذج تأخُّريـّا.

وخلاصة القول إنّ التباين يقع بين صوتين مـثلين أحدهما ساكن والآخر متحرّك، ويُحدَّد اتجاه التّباين بموقع الصوت المُبدل. وذلك يعني أنّ التوليد بالتـبـاين ليس اعتباطيـا كما يعتـقد البعض بل يخـضع لقوانين معـيّنةيحدّدها الاتّجاه والموقـعيّة وخصـائص الأصوات البديلة. وليس الأمر مقصورا على العربيّة فـقط إذ نجد لهذه الظاهرة قوانينها الخاصّة في عدّة لغات أوروبيّة، ومن هذه القوانين نذكر اثنين نقلناهما عن هيلمسلاف :

(أ) إذا وُجد صـوتان متمـاثلان في مفـردة ما فإنّ التّباين يقع في العنصـر المعزول الواقع بين حركتين كما في[80] :

---

(79) ينظر : هريدي : ظاهرة المخالفة، ص ص 60 - 64، وقد أشـار سيبويه إلى ذلك في : الكتاب 424/4.

(80) الأمثلة الخمسة من : Hjelmslev : Le langage, p. 75

(1) Peregrînus (لاتينيّة) ⇐ Pelegrinus ⇐ Pèlerin (فرنسيّة) : /R1/ ⇐ /L/.

(2) Cérébral (فرنسيّة) ⇐ Célébral (فرنسيّة عاميّة) : /R1/ ⇐ /L/ .

(3) Contrario (غاليسيّةGalicien)(81) ⇐ Contralio : /R2/ ⇐ /L/ .

(4) Imperatrice (برتغاليّة) ⇐ Empañatriz : /R1/ ⇐ /L/ .

(5) Schreiber (ألمانيّة) ⇐ Skrybélé (ليتوانيّة) : /R2/ ⇐ /L/ .

(ب)إذا تماثل صوتان في مفردة ما أحدهما يقع في نهاية مقطع نبري (Syllabe to-nique) والآخر يقع في نهاية مقطع غير منبّر (Syllabe atone) فإنّ التّباين يلحق العنصر الواقع في نهاية المقطع غير ألْمنَبّر، وليس العكس، كما في (82) :

(1) Barbier ⇐ Balbier (ألمانيّة) : /R1/ ⇐ /L/.

⇐ Balbér (دنماركيّة) : /R1/ ⇐ /L/.

(2) Arbor (لاتينيّـة) ⇐ 'Abol (إسبانيّة) : /R2/ ⇐ /L/.

(3) Marmor (لاتينيّة) ⇐ Mârmol (إسبانيّة) : /R2/ ⇐ /L/.

⇐ Marmel (ألمانيّة ودنماركيّة قديمة) : /R2/ ⇐ /L/.

5 - علّـة التّبـايـن ونتائجـه :

لقد ذهب بعض اللغويين إلى أنّ علّة حدوث التّباين علّة نفسيّة محض(83) مثل «الخوف من التماثل» (84) أو «كراهيّة التضعيف(85) وذلك يعني أنّ مستعمل اللغة يريد أن يتجنّب التلفّظ بصوتين متماثلين متتالين فيعمد إلى المخالفة بينهما.

وهذا الرأي في نظرنا صحيح ولكنّه ليس الرأي الوحيد الذي به يبرّر حدوث التباين. فهناك سبب آخر فيزيولوجي يهدف إلى التقليل من المجهود العضلي الذي يتطلّبه النطق بصوتين متماثلين متتابعين (86)، فيعمد المتكلّم إلى استبدال أحد الصوتين المثلين بصوت لا يتطلّب منه مجهودًا كبيرا كأحد أصوات اللين أو الأصوات المائعة مثلما بيّنّا ذلك

---

(81) هي لغة الشمال الغربي لإسبانيا.

(82) ينظر القانون والأمثلة في : Hjelmslev : Le langage, p. 76

(83) برجشترابسر : التطوّر النحوي، ص 34.

(84) Kiparsky : Phonological Change p. 390.

(85) سيبويه : الكتاب، 424/4.

(86) أنيس : أصوات، ص 213؛ ومطر : لحن العامة، ص 214.

سابقا، وفي هذا تطبيق لمبدإ : «المجهود الأدنى».

فعلّة التباين إذن علّة نفسيّة فيزيولوجيّة.

أمّا نتائج التّباين الصّامتي فتتمثّل كما رأينا في تولّد وحدات معجميّة جديدة تختلف عن أصولها بخصيصتين تمييزيّتين :

(1) التأليف الصوتي : لأنّ ما يتولّد يكون له صوت يختلف به عن الأصل الذّي تفرّع عنه.

(2) البنية الصرفيّة : وذلك بأن تتحوّل من ثلاثيّة إلى رباعيّة مثلاً.

أمّا فيما يتعلّق بالدّلالة فيبقى المولّد بالتّباين الصّامتي تابعًا دلاليًا للأصول التي تولد عنها. ويمكن التمثيل للمولد بالتباين الصّامتي بالمخطط التالي :

م1====================⇐ م2

م1	م2
* تأليف صوتي : 1	* تأليف صوتي : 2
* بنية صرفيّة : 1	* بنية صرفيّة : 2 (87)
* دلالة : 1	* دلالة : 1
* انتماء مقولي : 1	* انتماء مقولي : 1

حيث نرمز إلى : المفردة الأصل بـ(م1) وإلى المفردة المولّدة بـ (م2) ويدلّ الرقم (1) على الخصيصة الأصليّة، والرقم (2) على الخصيصة الجديدة.

6 - خـــاتمـــة :

إنّ غاية حدوث التّباين الصّامتي في اللّغة - كما ذكرنا - تسهيل التلفّظ. وهذه الظاهرة مطّردة في عديد اللّغات وفي لهجاتها.

وقد تبيّنّا خلال هذا الفصل أنّ التّوليد بالتّباين الصّامتي قاعدة مطّردة تخضع لقوانين دقيقة، وهذه القوانين لا تخرج عن قوانين النظام اللغوي العام.

كما رأينا تأثير هذه القاعدة في التأليف الصوتي للوحدات المعجميّة وكيف اقتضى ذلك التأثير - في أغلب الحالات - تعديلا في البنى المقطعيّة للمفردات.

إنّ ما ينتج عن التباين الصامتي من أشكال جديدة مولّدة يتمّ وفق قواعد اللغة وقوانينها الصوتيّة والصرفيّة، لذلك كان إبدال الأصوات محدودا في مجموعة صوتيّة معيّنة (صوتا اللّين والأصوات المائعة) باعتبار أنّ هذه الأصوات هي أيسر الأصوات نطقا

(87) إذا كانت المفردة المولّدة ثلاثية من مفردة ثلاثية أيضا فإن البنية لا تتغيّر.

وأوضحها في السّمع. كما كان للتّباين الصّامتي دور في إدماج المقترض وإخضاعه لقواعد التأليف الصوتي والبنى الصرفيّة للغة المورد.

على أنّ النّوع الثاني من التّباين ونقصد التّباين الصائتي يتميّز عن النوع الأوّل (الصّامتي) بالخاصية الإبداعية. ذلك أنّ ما يتولّد عنه من وحدات معجمية جديدة يكون في أغلبه مكتسبا لخصائص تمييزية يختلف بها عن الوحدات الأصول شكلا ومحتوى مثلما يبيّنه النموذج المقارني التالي : حيث نرمز بـ (ت) إلى التأليف الصوتي و(ب) إلى البنية الصرفية و(د) إلى الدلالة و(ق) إلى الانتماء المقولي و(م1) الى المفردة الأصل و(م2) الى المفردة المولّدة:

م1======================⟸ م2

(شَمَخ)	(شَمْخَــر)
ت1 : [/شَمَخ/]	ت2 : [/شَمْخَرَ/]
ب1 : [فَعَلَ]	ب2 : [فَعْلَـرَ]
د1 : [عَلاَ وارْتَفَعَ]	د2 : [تَكَبَّرَ]
ق1 : [فعْـــلٌ]	ق2 : [فعْـــلٌ]

فتنتج عن ذلك القاعدة التاليـــة :

ت 1 ≠ ت 2

ب 1 ≠ ب 2

د 1 ≠ د 2

م 1 = ق 2

وهذا النوع من التباين يظهر في قاعدة الإقحام (Intrusion) وهي قاعدة صوتية لا تقلّ عن بقيّة قواعد التوليد المعجمي إبداعية فيما ينتج عنها من وحدات معجميّة مولّدة (88).

علـــي الـــودرنـــي

جامعة تونس الأولى

(88) ينظر : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 139-143؛ علي الودرني : دور الأصوات في التوليد المعجمي، ص ص 206-265.

من قضايا التّمثيل والاستشهاد في المعجم اللغوي العام :
تطبيق على «المحيط : معجم اللغة العربية»

بحث : عبد العزيز المسعودي

1 - تقــــــديم :

ازدهرت صناعة المعاجم في أوروبا خاصة خلال النصف الثاني من القرن العشرين وشهدت تطورا لم يسبق له نظير من ناحيتي الكم والكيف لأسباب لسانية وخارج - لسانية من أهمها انتشار اللغات الأوروبية في مختلف أرجاء العالم وإشراف المؤسسات المعاجمية المتطورة على تأليف المعاجم ونشرها مثل مؤسسة «روبير» Robert التي أسسها المعاجمي الفرنسي «بول روبير» سنة 1951 و«لاروس» Larousse التي تأسست منذ سنة 1852 ثمّ تزايد نشاطها في النصف الثاني من هذا القرن، و«أكسفورد» Oxford التابعة لجامعة أكسفورد . . . الخ.

ولئن ظل النص المعجمي محافظا في الظاهر على بنيته التقليدية من مداخل مرتبة ألفبائيا وشروح فإنه لم يخل في الواقع من مظاهر تجديد بارزة نتجت عن تطور النظرية اللسانية (1). فالفصل المنهجي في اللسانيات البنيوية بين الدراسة الآنية والدراسة التطورية قد تجلّى واضحا من خلال بعض المعاجم الحديثة التي فصل واضعوها فصلا زمانيا بين وجوه الاستعمال اللغوي إمّا بإقصاء المواد القديمة من معاجم الآنية الحديثة وإما بالإبقاء على البعض مما تقادم منها مع التنبيه إليه ووسمه بعلامة «قديم» Vieilli أو «مهجور» Archaïsme، ثم إن حضور ثنائية الآني والزماني في أذهان اللسانيين علماء المعجم جعلهم يحذرون مزالق الخلط بين الآنيات مثل تعريف المداخل القديمة أو التمثيل لها بلغة واضحة حديثة(2) . لذلك نراهم يحرصون على تزامن معطيات النص المعجمي حتى يعكس الوصف واقع اللغة في كل حالة من حالاتها.

---

(1) ينظر : Lexique, in Grand Larousse de la Langue Française (GLLF)

(2): Dubois (J et C), 1971 : Introduction à la lexicographie, p. 92; Rey (A), 1977 : Le lexique, images et modèles , p. 38.

ومن مظاهر تأثر الصناعة المعجمية باللسانيات تأكد الحاجة إلى الشواهد والأمثلة بعد أن كان وجودها اختياريا. فتحليل المحتوى الدلالي لوحدات المعجم ولاسيما الأفعال أصبح خاضعا لتحليلها التوزيعي وبالتالي لاستقراء عيّنات من الأمثلة والشواهد التي تتوفر لواضعي المعجم قبل الشروع في التأليف أي أثناء مرحلة العمل قبل القاموسي Pré-dictionnairique حسب اصطلاح برنار كيمادا (3).

وتبرز أهمية الخصائص التركيبية للأفعال من خلال ترتيب المداخل الفرعية حسب علاقاتها المركّبية وعدد الفضلات التي تتوارد معها إجباريا فتكسب البنية المركّبية في التعابير التحليلية Locutions analytiques أو في التعابير الاصطلاحية Idiotismes (4) معنى معجميا لا يتحقق عند الاكتفاء بالشكل الأصلي للفعل مجردا من كلّ تكملة. فمثل هذه الخصائص الشكلية للأفعال أكد عليها المعجميون الغربيون في تطبيقاتهم ومنهم «لوي قيلبار» L. Guilbert في المعجم الفرنسي Grand Larousse de la Langue Française، و«جون سنكلار» John Sinclair في المعجم الأنكليزي Collins Cobuild English Language Dictionary (1987)... وغيرهما من اللسانين والمعاجمين الذين أجمعوا نظرا وتطبيقا على قيمة التركيب ومكانة الأمثلة والشواهد في النص المعجمي، وإن وجدت بين البعض منهم اختلافات تهم درجة احتياج النص المعجمي إلى المثال.

فـ«جوزيت راي - ديبوف» J.Rey-Debove تقسم الأمثلة إلى متواليات مقّننة Séquence codée كالمتلازمات Collocations الضرورية لتوضيح النص المعجمي ومتواليات حرة Séquence libre أي كل ملفوظ دال يصنعه المعاجمي بنفسه لتوضيح مدخل من المداخل. وهي تعتبر النوع الثاني من الأمثلة أقل قيمة من الأوّل (5). أما «مارسيل كوهين» M.Cohen فلا يميز بين مثال وآخر لأنه كان يدعو منذ الأربعينات إلى تعويض التعريف بالمثال وقد تمكن إلى حد مّا من تطبيق فكرته بإصدار «معجم الفرنسية

---

(3) مجال القاموسية Dictionnairique عند «برنار كيمادا» هو القاموس باعتباره انجازا وموضوعا للدرس، أما المعاجمية Lexicographie فتهتم في رأيه باشكال الوحدات المعجمية ودلالاتها تحليلا وإحصاء وذلك من خلال ملاحظتها في الاستعمال (انظر : Quemada (B) : Notes sur .(lexicographie et dictionnairique, p. 235

(4) للتمييز بين المفهومين ينظر مثلا : ابن مراد (ابراهيم) 1997 : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 20-21.

Rey - Debove (J) 1970 : Le domaine du dictionnaire, p. 25(5)

الحيـــة» Le dictionnaire du français vivant, Bordas 1970 ، وحسب «ديبـوف» يبقى رأي «كوهين» غيـر قادر على الصمود أمـام البرهنة (6)؛ لكن «هوصـمان» J.Hausmann وهو بدوره من المتحمسـين للأمثلة قد حاول البرهنة بجدية على وجـاهة موقفه (7) بعد أن صنف الكلم نوعين : مستقل دلاليا وغير مستقل. الأول يمكن تعريفه من غير اللجوء إلى استـعمالاته في السـياق مثل برتقـالة ومكبح وأعزب . . . فيكفي على حد تعبـيره أن نأخذ بين أيدينا برتقالة ونصفها حتى نتوصل إلى تعريفها. أما النوع الثاني فيخضع محتواه الدلالي لسياقه ويستعصي علينا تعريفه مـعزولا عن التركيب فضلا عن أن قارئ المعجم قد لا يفهم التعريف إلا من خلال المثال (8)، وهنا يفضّل هوصمان المثال على التعريف. فالمهم لديه ليست المعلومات التعريفية وإنّما المعلومات التركيبية والسيقية والمقامية. فالتعريف يقرب من الأذهان معنى الوحدة المعـجمية أمّا المثال فيـوضح كيفية الاستعـمال إلى جانب تقريب المعنى وتلك في رأيه عـلة وجود المعـجم أي تعليم المستـعمل الأجنبي كـيفـية استـخدام الوحدات المعجمية الموصوفة دون الاكتفاء بفهم معانيها.

وإذا كان هذا هو شـأن الأمثلة والشواهد في المعـجمية الغربية الحـديثة فإن شـأنها لدى العرب مـختلف ومكانتـها في جل المعـاجم العربـية الحديثة هامـشيـة مقارنة بـالمعاجم الأوروبية أو بأمهات المعاجم القـديمة مثل لسان العرب لابن منظور (ت711هـ / 1311م) أو تاج العروس للزبيـدي (ت1205 هـ / 1790م). فهذان المعـجمان يتـميزان بخاصـيتين بارزتين :

- ثراء الشواهد من شعـر وقرآن وأحاديث نبوية وأقوال مأثورة إضـافة إلى الأمثلة الكثيرة التي وفّـرتها مـشافـهة الأعـراب فكونت رصـيدا ثريا يحـيط أحيـانا بمختلف أوجـه الاستعمال (9) ومستوياته (10).

---

(6) Rey - Debove (J) 1991 : La lexicographie moderne, p. 153.

(7) Hausmann (J) 1990 : La définition est-elle utile ? Regard sur les dictionnaires allemands, anglais et français. p.228.

(8) يذكر مثالا على ذلك Dresser : mettre par écrit حيث لا يفهم التعريف إلا من خلال المثال Dresser un plan, un bilan :

(9) يقال مثلا «ولدت ولدها على رأس واحد» أي بعضهم إثر بعض وكذلك «ولدت ثلاثة أولاد رأسا على رأس» أي واحدا إثر آخر (انظر لسان العرب مادة رأس).

(10) من ذلك عبارة «أعد عليّ كـلامك من الرأس» التي نسبها ابن سيده إلى استعـمالات العـامة والأفصح عنده «أعد عليّ كلامك من رأس»؛ وأورد الجوهري ما يلي : «قولهم أنت على رئاس أمرك أي أوّله والعـامة تقول على رأس أمرك». بل إن القدامى قد يوردون بدائل لهجيـة تبدو للمعاجمي الحديث غير جديرة بالالحاق بالمادة المعجمية مثل «النات» وهي لغة في «الناس». . إلخ

- دقّة الإحالات حيث تنسب الشواهد إلى أصحابها ويذكر مصدرها وسياقها الذي قيلت فيه، وتسند الأمثلة إلى رواتها من اللغويين والنحاة الذين عاصروا حركة الجمع كالخليل بن أحمد (ت 175 هـ / 791م) (11) أو الأزهري (ت370 هـ / 980م) الذي روى بنفسه جملة من الإضافات حفظها ووعاها من أفواه العرب الذين شاهدهم وأقام بين ظهرانيهم (12)، وقد عدّ ذلك سببا بارزا من أسباب تأليف معجمه «تهذيب اللغة».

ولئن اختلفت مقاصد الاستشهاد بين القديم والحديث (13) فمن الثابت لدينا ثراء مادة التمثيل والاستشهاد في المعاجم القديمة مقارنة بالمعاجم الحديثة ذات الطابع المدرسي مثل المنجد (صدرت طبعته الأولى سنة 1908) للويس المعلوف أو الرائد (1965) لجبران مسعود أو المعاجم الكبيرة مثل محيط المحيط (1870) لبطرس البستاني أو البستان (1927) لعبد اللّه البستاني ومادّتهما الأساسيّة اختصار لمادّة القاموس المحيط ومنهجهما في التأليف والتّعامل مع الشّواهد ظلّ متأثرا بمنهجه الذي عبّر عنه الفيروز آبادي بقوله «وألّفت هذا الكتاب محذوف الشّواهد مطروح الزّوائد معربا عن الفصح والشّوارد» (14) . فصاحب القاموس همّش الشّواهد وجعلها لا ترقى إلى قيمة التّعريف وبالتّالي من الممكن طرحها عند اختصار المدوّنة. وقد ظلّ هذا الموقف سائدا لدى المحدثين بحكم مكانة «القاموس» عندهم فواصلوا تهميش الشّواهد مستغنين عنها في مختصراتهم (15).

ورغم التّقصير الذي شمل المعاجم الموضوعة بعد عصر النّهضة فإننا نلمس اهتماما متزايدا بالشّواهد في المعاجم اللّغوية العامّة الصادرة في النّصف الثّاني من هذا القرن مثل المعجم الوسيط (1960) لمجمع اللّغة العربية بالقاهرة، والمعجم العربي الحديث (1973) لخليل الجرّ، والمحيط : معجم اللّغة العربيّة (1993) لمجموعة من المؤلّفين.

---

(11) نسب إليه على سبيل الذكر «أنه سمع أعرابيا فصيحا يقول : إذا بلغ الرجل ستّين فإيّاه وإيّا الشواب» [جمع شابة] (انظر لسان العرب مادة شبب).

(12) مقدمة «تهذيب اللغة»، ص 7.

(13) القدامى يحتجون بالشاهد لإثبات وجود المدخل أمّا المحدثون فيوضّحون به الخصائص التركيبية والدلالية للمدخل.

(14) انظر مقدمة «القاموس المحيط» في ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للطاهر الزاوي، ص ص 60-61.

(15) أسقط عبد السّلام محمد هارون وأحمد عبد الغفور عطار عشر صحاح الجوهريّ وكانت الشواهد غير القرآنيّة من ضمن المادة المحذوفة. (انظر تهذيب الصّحاح).

2 - المعجـــم الـــوسيـــط :

استعانت لجنة تأليف هذا المعجم «في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها وعززته بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء» (16) بما في ذلك المولدون الذين لم يحتجّ القدماء بأقوالهم وهو ما عدّه بعض النقاد من مظاهر التجديد (17).

وما ذكره المؤلفون سابقا يوحي بثراء مادة الاستشهاد كمّا ونوعا غير أن مواد المعجم تؤكد عكس ذلك (18)، فمن الناحية الكمية تبقى الشواهد دون النسب المنتظرة بكثير، فمثلا لا تتجاوز تغطيتها لمداخل حرف الهمزة نسبة 15٪ أي 209 مدخلا رئيسيا من مجموع 1408. وهي تقتصر من الناحية النوعية على القرآن والشعر القديم وتهمش النثر وتقصي تماما مدونات الأدب الحديث وكأنها لا يمكن أن تمثّل الاستعمال الفصيح. أما ما وصفه المؤلفون بالتراكيب البلاغية المأثورة فهي سياقات ضيقة تنحصر أحيانا في مركبات ثنائية كالمركبات النعتية يكون فيها المدخل ناعتا مثل أمْرٌ إمْرٌ ومكان أشب أو منعوتا مثل أزمة مالية وأزمة مرضية. كما يكون السياق مركب إضافة مثل إزاء مال وإزاء حرب أو نواة اسناد فعلي من قبيل أزف الترحل... وجلّ هذه التراكيب والشواهد منقول عن أمهات المعاجم القديمة (19) وتغطي مداخل منها ما أصبح في عداد المهجورات مثل أرِنَ أي (نشط) وأزَى (تقبّض) والأسيف (الأجير) والأكَال (الأكل) والتّؤمُريّ (الإنسان)...

وما نخلص إليه من خلال العينة التي فحصناها، أي شواهد حرف الهمزة، هو أن مادة الاستشهاد في المعجم الوسيط تظل دون المنشود كما ونوعا حتى وإن بدت متفوقة على مواد بعض المعاجم الصادرة من قبل مثل المنجد للآباء اليسوعيين.

3 - المعجـم العربـــي الحـــديـــث :

من خصائص المعجم العربي الحديث حسب ما أورده المؤلف في المقدمة «الإكثار من الشواهد والأمثلة في تعريف الكلمات ولاسيما ما ورد منها في القرآن الكريم لأنه

---

(16) المعجم الوسيط، مقدمة الطبعة الأولى، ص 13.

(17) مطر (عبد العزيز) : المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد، ضمن : في المعجمية العربية المعاصرة، ص 523.

(18) سبق أن نبّه الأستاذ ابراهيم بن مراد إلى إخلال مؤلفي المعجم الوسيط في مستوى الترتيب بالمبادئ التي أقرّها المجمع قبل التأليف (انظر مقاله : مشاكل الترتيب المنهجية في المعجم العام العربي الحديث : تطبيق على المعجم الوسيط، في مسائل في المعجم، ص ص 222 - 235).

(19) انظر مثلا في المواد : أخر، أزر، أمر...

المرجع الأول والآخر للغة العربية التي أثبت قواعدها وأمّن لها البقاء والاستمرار» (20)، وقد تبنى في ذلك على حد قوله شعار لاروس «معجم بلا أمثلة جسم بدون هيكل عظمي».

ومن خلال ما تقدم يكون المؤلف قد عبر عن وعيه بأهمية الشواهد والأمثلة وبافتقار المعاجم العربية الحديثة إلى القدر الكافي منها وهو ما حاول تداركه فشمل تمثيله بعض المواد القديمة باختصار شواهدها وتبسيطها (21)، لكنه لم يحقق في مستوى التطبيق النقلة النوعية المنتظرة، ولم تكن الشواهد بالكثرة التي أشار إليها.

ثم إن ما عبّر عنه سابقا يثير قضايا نظرية هامّة متعلّقة بمسألة الاستشهاد يحسن التوقّف عندها ومنها جعل القرآن مصدرا رئيسيّا للاستشهاد واعتباره المرجع الأوّل والآخر للّغة العربيّة، وهو رأي فيه غلوّ، لأنّ القرآن وإن ساهم في تطوير المباحث اللّغوية عند العرب وفي انتشار اللّغة العربيّة في أعقاب الفتوح الإسلاميّة فإنّه لم يكن في كتب النحاة مصدرا أساسيّا للاستشهاد. فسيبويه صاحب أول مصنّف نحوي وصل إلينا اعتمد في وصفه للّغة العربيّة على الشّواهد الشّعرية وعلى لغة الأعراب، وكذلك فعل جلّ النحاة من بعده فتلافوا القرآن والحديث «تنزيها لهما» (22) أو ولعا بالغريب والشاذّ من الاستعمالات.

ومن المفارقات أن نجد اتجاها مضادا لدى اللّغويين المحدثين، يتمثل في اعتماد النصّ القرآني مصدرا أساسيّا لشواهدهم رغم أنّه لا يكفي وحده لتغطية المداخل المحدثة والمولّدة، ولا يفي أحيانا بالغرض المطلوب معاجميّا إذا ما سلخت الآية عن سياقها (23).

---

(20) الجرّ (خليل) : المعجم العربي الحديث، (تنظر فيه الصفحة الثانية غير المرقمة من «إلى القارئ الكريم»).

(21) مثلا شاهد «عاقب» في تاج العروس : «وفي الحديث قدم على النبيّ صلعم نصارى نجران السيّد والعاقب»، أصبح في المعجم العربيّ الحديث : «جاء السيّد والعاقب».

(22) عيد (محمد) 1976 : الرواية والاستشهاد باللغة، دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث، ص 125.

(23) أشار أحمد شفيق الخطيب إلى بعض الشواهد القرآنية والحديثية التي أساء مؤلفو القاموس الجديد (علي ابن هادية وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى) استعمالها واختيارها مثل قوله تعالى: «قل فللّه الحجة البالغة» وهو شاهد لا يضيف قرائن إيضاحية إلى معنى المدخل حجة خلافا للآية : «والذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب لهم حجّتهم داحضة». ولنفس الأسباب مثّل للمدخل «خزّ» بجملة مصنوعة : «مشى السلطان وحاشيته يرفلون في الخزّ والديباج» وفضّلها من وجهة نظر معجمية على الحديث الشريف «لا تركبوا الخزّ ولا النّمار». (ينظر في : الخطيب (أحمد شفيق) 1987 : من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ضمن : في المعجمية العربية المعاصرة، ص 620).

وفي مثل هذه الحالات كأنّنا بالمعاجميّ يعتبر الشاهد غاية في ذاته ويغفل وظيفته في النصّ المعجمي باعتباره ضربا من الشرح والترديد Paraphrase للمدخل، والتّعليق عليه(24)، كما أنّه من الخطإ في اعتقادنا أن يقيّد المعاجمي نفسه بنصّ واحد يستمدّ منه جلّ شواهده لأنه اختيار يتعارض نظريّا مع آراء علماء المعجم وتصوّراتهم لمبدإ الاستشهاد.

ففي هذا الصّدد يرى «ألان راي» أن ظهور شاهد مّا تحت أيّ مدخل هو حصيلة سلسلة متشعبة من الاختيارات : اختيار نصّ في المدونة واختيار ملفوظ في النصّ واختيار وحدة معجمية في الملفوظ واختيار قيمة (معنى) للوحدة المعجمية المنتقاة واختيار العمليات الدلالية التي يقوم عليها مفهوم التّناص Intertextualité (25).

وعموما إذا كانت الشّواهد القرآنية قليلة في كتب النحاة القدامى بسبب تنزيههم للنّص الديني أو ولعهم بالغريب فهي حاضرة في أمّهات المعاجم القديمة حضورا عاديّا، وهي طاغية على سائر مواد الاستشهاد الأخرى في بعض المعاجم الحديثة، وذلك لأسباب عقائدية تكمن أساسا في قداسة الملفوظ : القرآن أسمى ما يمكن أن يستشهد به(26)، فضلا عن نزعة بعض المعاجميين في اقتصاد مجهود البحث والتوثيق بالاكتفاء بالنّص القرآني (أو المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) دون غيره من مدوّنات النثر القديم والحديث. . . وباعتماد مقاييس عقائدية في اختيار الشّواهد بدل المقاييس الموضوعيّة المستمدة من مبادئ علم المعجم الحديث .

4- المحيط : معجم اللّغة العربية (27) :

يلاحظ مستعمل هذا المعجم كثرة شواهده وتنوّعها مقارنة بالمعجم الوسيط وبالمعجم العربي الحديث. فمن الآيات القرآنية التي تلائم المدخل نذكر على سبيل المثال ما ورد بعد «سلّم»، على القوم : حيّاهم بالسّلام (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا

(24) Dubois (J et C) 1971, p. 88.

(25) Rey (A) 1977 :"L'apparition d'une citation sous une entrée résulte d'une suite complexe de choix, choix d'un texte dans le corpus, choix d'un énoncé dans le texte, choix d'une unité lexicale dans l'énoncé, choix d'une valeur (sens) pour l'unité sélectonnée, et d'opérations sémantiques qui mettent en œuvre le concept d'intertextualité", p. 76.

(26) الخطيب (أحمد شفيق) 1987، ص 020.

(27) تأليف أديب اللجمي، البشير بن سلامة، شحادة الخوري، عبد اللطيف عبيد، نبيلة الرزاز، عن دار المحيط باريس، ط 1 - 1993.

وتسلّموا على أهلها)، وكذلك الشّاهد الموضّح لـ «صدر» بمعنى القلب (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله). ومن الشعر نجد بعد المدخل «شنف له» بمعنى فطن :

وتقول قد شنف العدوّ فقل لها ... ما للعدوّ بغيرنا لا يشنف

أمّا الأقوال السّائرة فنذكر منها «عند الصباح يحمد القوم السّرى» الذي ورد لتوضيح » السّرى» أي سير عامّة الليل . . . إلخ.

ولعل أبرز إضافة نوعيّة تذكر للمحيط فتبوّؤه مكانة خاصّة بين المعاجم العربيّة الحديثة تتمثّل في صناعة أمثلة مستمدة من «واقع الحياة المعاصرة» (28) لتوضيح مداخل محدثة مثل (عارضه : قاومه، أخذت بعض الأحزاب تعارض الحكم). ومن الطّريف كذلك أن نظفر أحيانا بأمثلة توضّح المداخل المعجميّة المتشعبة مثل التّعابير الاصطلاحية Expressions idiomatiques التي اعتادت المعاجم العربيّة تهميشها وإغفالها تماما. فضمن المداخل الفرعية لـ «ستار» نجد ما يلي : (أسدل السّتار على شيء : أخفاه أو أنهاه، أسدل السّتار على المؤامرة).

فالمحيط، إذن هو ثاني معجم عربي حديث - بعد «المعجم العربي الأساسي (29)»- يدخل في النص المعجمي الأمثلة المصنوعة ويعمّمها على نسبة هامّة من المداخل القديمة والحديثة محقّقا بينها وبين الشواهد توازنا كمّيا مستحبّا. وهذه الخصائص تجعله من أثرى المعاجم العربيّة الحديثة نصّا، وتبرّر تركيزنا عليه لتقويم منهجيّة التمثيل والاستشهاد فيه، وهي لا تخلو من المآخذ رغم ما فيها من مزايا. فمما يمكن أن يؤاخذ به المحيط :

- تعديد الأمثلة والشّواهد في المدخل الواحد.
- الخلط بين الآنيات.
- تداخل معطيات النص المعجمي.

4 - 1. تعديد الأمثلة والشواهد في المدخل الواحد :

ليس من النّادر أن نجد في المحيط شاهدين أو مثالين أو شاهدا ومثالا لنفس المدخل، وهو اختيار جار به العمل في بعض المعاجم العربيّة كلما توفّرت الدواعي إلى ذلك مثل ورود الوحدة المعجميّة في سياقات تركيبية مختلفة بعضها حرّ وبعضها مقنّن

---

(28) انظر مقدمة المحيط. ص 3.

(29) المعجم العربي الأساسي - تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نشر لاروس ، باريس 1989.

Codé مع المحافظة على نفس القيمة الدّلالية (30). غير أن المنهج المقبول نظريّا يقتضي الاكتفاء بمثال واحد لكل مدخل لأن المعجم المثالي هو الذي يجمع بين الدقّة والوضوح والاختصار. ومن عيوب تعديد الأمثلة والشّواهد دون مبرّرات واضحة تضخيم حجم المعجم وبالتّالي ترفيع كلفته. وفيما يلي عيّنات من تضخيم مادة التّمثيل والاستشهاد :

أ - شاهدان من القرآن :

نجد في المحيط مداخل معجميّة كثيرة تتعدّد فيها الشّواهد القرآنية مثل المدخل الفرعيّ «خفض فلان جناحه للنّاس» أي ألان جناحه وتواضع لهم (واخفض جناحك للمؤمنين) (واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة)، ويجوز هنا الاكتفاء بالشّاهد الأول لوضوحه واختصاره والاستغناء عن الثاني الذي قطع عن سياقه وتضمّن «هما» ضميرا عائدا على اسم محذوف. وهذا قد يكون مصدر غموض لمن لا يعرف الآية في سياقها الأصلي.

ب- شاهدان أحدهما من القرآن والثّاني من الحديث :

أورد مؤلّفو المحيط شاهدين لتوضيح المدخل «خادع» الأول من القرآن (إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) والثاني من الحديث (ويخادعون الله كأنّهم يخادعون آدميا)، والأنسب هنا الاحتفاظ بالشاهد الثاني لتضمّنه تشبيها يجعل المخادعة في الأصل للآدميين أما الشاهد الأول فتتأكد فيه الحاجة إلى تفسير المراد بمخادعة الله وهل يجري فيها اللّفظ على ظاهره أم يؤوّل، وهل هي جائزة أم ممتنعة ؟ إلخ (31). ولمثل هذه الأسباب يجب إقصاء الشّواهد التي تحتاج إلى تفسير وتأويل لأنّه يعسراستخدامها للإيضاح وهي في حد ذاتها موضع خلاف.

ج - مثالان لمدخل واحد :

نجد بعد «أومأ إليه» أي أشار مثالين هما : أومأ إليه بيده أن ادخل/ أومأ إليه بحاجبه أن لا. وبين المثالين تقابل قد يوهم المتعلّم لاسيما الأجنبي بتمحّض الإشارة بالحاجب للنّفي والإشارة باليد للإيجاب. وبالتّالي فإن تعدّد المثال قد يكون في هذه الحالة مصدر لبس

---

(30) نجد على سبيل المثال في المعجم الفرنسي Le Petit Robert تحت المدخل الرئيسي **Signaler** ص 1813 في المدخل الفرعي عدد 3 منه ثلاثة أمثلة هي : Rien à signaler ; Un seul journal a signalé leur présence à Paris ; Permettez - moi de vous signaler que

(31) انظر الرّازي (فخر الدين) : التفسير الكبير ج1، ص ص 02-03.

بدل أن يكون مصدر توضيح. وبمقارنة المدخل بالمثالين السّابقين نتبيّن اختلافا في المعلومات التّركيبيّة فالفعل أَوْمَأَ يتعدّى في المدخل إلى مفعول واحد أما في المثالين فقد تعدّى إلى مفعولين. لذلك يستحسن وصف البنية المركبية للفعل في المدخل أو في التّعريف لا أن تستنتج استنتاجا من المثال.

- في المدخـــل : يمكن التّنصيص على عدد الفضلات التي ينتقيها الفعل، فنعامل المدخل على أنّه متلازمة Collocation وبذلك نقول : أو مأ إليه بكذا. ولعلّ اكتمال الوصف في معجم كبير يستدعي تعديد الفضلات التي ينتقيها «أومأ» في محل المفعول به الثاني لاسيما وأنّ ما شاع منه منذ القديم قد دوّن في أمّهات المعاجم مدعوما بالشّواهد، من ذلك : أَوْمَأَ إليه بإصْبعه :

إذا قلّ مالُ المرء قلّ صديقه   وأومت إليه بالعيوب الأصابع

وهذا البيت من كتاب القوافي للأخفش وقد خُفّفت فيه همزة «أَوْمَأ». ويمكن الاستشهاد به في معجم حديث لوضوح معناه وتداول لفظه، بل إن ما قاله اللّيث في شرح الإيماء يمكن أن يكون بدوره شاهدا طريفا ذا قيمة تعريفيّة وثقافيّة، فقد نسب إليه قوله : «الإيماء أن تومئ برأسك أو بيدك كما يومئ المريض برأسه للرّكوع والسّجود»(32). وإنّا لنفضّل بيت الأخفش أو قول اللّيث على مثال مصنوع من قبيل ما ذكر في المحيط كما نفضّل أن يكون المدخل متلازمة على أن يكون الفعل شكلا أصليا Forme canonique مجرّدا من كل المعلومات المركّبية.

- فـي التّعريـف : من الجائز وصف الخصائص التّوزيعيّة والدّلاليـة للمدخل ضمن التّعريف، ويكون المدخل حينئذ شكلا أصليّا أي مفردة، «أومأ : أشار إليه بيده أو رأسه أو حاجبه. . .» ثم نكمل التّعريف ببيت الأخفش الذي تضمّن الإيماء بالأصابع فيستنتج القارئ أن نصّ التّعريف لا يستنفد بالضّرورة كلّ الفضلات الممكنة، وإذا رمنا شاهدا مصنوعا مستوحى من البيئة الحديثة كان من قبيل «أومأ إليه بجريدة كانت في يده» وهو مثال ضمّن قيمة ثقافيّة: حمل الجريدة اليوميّة، وقيمة أخرى دلاليّة : الإشارة قد تكون بأيّ شئ كان في المتناول وليست بالضرورة بجارحة من الجوارح كاليد والإصبع ونحوهما.

---

(32) أنظر الشواهد في لسان العرب، مادة «ومأ».

ومن التمثيل الذي يعدّ ضربا من الحشو ما ورد بعد «داخل»، «الداخل من الشيء باطنه، غاص في داخل الموضوع / اكتشف من داخل الأمر جوانب كانت غامضة». فلا فرق هنا بين «أمر» و«موضوع» ما دام كلاهما من أسماء المعاني أو الأسماء المجردة. والمقترح عند التوسع في التمثيل هو البدء بمعنى محسوس من قبيل «اختفت عربات القطار داخل النفق» ثم إضافة معنى مجرد يكون أحد المثالين المذكورين في المحيط.

وخلاصة القول في هذا المجال أن تعدد الأمثلة والشواهد في نفس المدخل لابد له من حوافز مقنعة، وأن انتقاء السياقات لابد من إخضاعه لمقاييس واضحة ولعله يحسن تعميم الأمثلة والشواهد على كل المداخل بمعدل شاهد أو مثال واحد لكل مدخل بدل أن تتعدد في بعض المداخل لتصل الأربعة سياقات (33) وتظل مداخل أخرى كثيرة خالية تماما من كل تمثيل (34).

4 - 2. الخلط بين الآنيّات :

يكيف المعاجمي المثال المصنوع حسب تصوراته النظرية فيجعله مجسما لأهم الخصائص الصرفيّة التّركيبية والدلالية والثقافية للمدخل (35). ومن ضمن الخصائص الواجب مراعاتها نظريا تزامن السياق مع المدخل أي انتماؤهما إلى آنية واحدة وهو ما نلاحظه في المحيط بعد المدخل «اتفاقية» أي وثيقة تراض بين فريقين أو أكثر على موضوع مّا : «وقعت الدولتان اتفاقية تجارية». فالمدخل وبقية العناصر المعجمية المتواردة معه في السياق تنتمي إلى آنية واحدة وإلى مستوى واحد من الاستعمال الحديث.

ولئن كان هذا الاختيار ممكنا في آنية حديثة فإن إشكاليات الخلط الزماني تبدأ عند التمثيل بلغة حديثة لمداخل معجمية من القديم المهجور شأن العينات الموالية وهي من المحيط :

---

(33) انظر مثلا : عاهة.

(34) نذكر على سبيل المثال : خلب الشيء، عفك، نضر، نكه، من الأفعال، ومن الأسماء : القشريات - الغلوسيد - الكابول - اللحز - الشعل ... ومن التعابير والوحدات المعجمية المركبة : فت في ساعده، فتاة الأحلام ...

(35) اعتبرت «جوزيت راي - ديبوف» نفس تلك التصورات متحكمة في اختيار الشواهد. فالمعاجمي يختار الشاهد الأقرب إلى المثال الذي كان سيصنعه بنفسه. (انظر : Rey-Debove 1991, p.156).

- اتَشَب : - ـــــوا، تجمعوا واختلطوا، اتشب العمال في **الساحة** ليبدؤوا **مسيرتهم**.

- الخَيْصَاء : المنحة التافهة، ظفر **عمال المصنع** بخيصاء هزيلة (36)

- زَنِخَ الشخص : تقبضت أمعاؤه من العطش فلا يستطيع إكثار الطعام أو الشراب، زنخ أحد **المعتقلين السياسيين بعد إضرابه عن الطعام والشراب**.

- العَاقب : من يخلف السيّد وهو ثانيه في المرتبة، **رئيس المؤتمر** تولّى عاقبه رئاسة **الجلسة** (37).

- تَفَخَّذ : تأخّر، تفخذ عن **الموعد** (38).

إن القاسم المشترك بين الأمثلة السّابقة هو اشتمال السّياق الواحد على عناصر معجمية تنتمي إلى آنيّات متباعدة زمانيا. فالمداخل تنتمي إلى عصر الاحتجاج أي إلى آنيّة أو آنيّات تمتد إلى ما قبل الإسلام وتتواصل إلى أواخر القرن الرّابع للهجرة. أما العناصر السّياقية التي كتبت بالحرف الغليظ فهي تنتمي إلى الآنية الحديثة أي النصف الثاني من القرن الحالي. ويترتب على هذه الظاهرة افتعال الجمع بين عناصر معجمية قديمة مهجورة وأخرى جديدة محدثة في صلب بنى مركبيّة لا صلة لها بواقع الإنجاز في أية حالة من الحالات التي مرّت بها اللّغة عبر تاريخها. ومن الجائز التّساؤل عن دوافع هذا الخلط الزّماني أو الافتعال الأسلوبي، هل هي الرّغبة في النّهوض باللّغة العربيّة بإحياء ما تقادم من ألفاظها أم هو الطّموح إلى الارتقاء بصناعة المعجم العربي إلى المستوى الذي بلغته صناعة المعاجم لدى الأمم المتقدّمة وذلك بإثراء النص المعجمي وتعميم الأمثلة على جميع مداخله بما في ذلك القديم منها ؟

ومهما كانت الدّوافع فلا مبرّر لهذا الخلط التّاريخي ولا داعي إلى إحياء مفردات من قبيل خيصاء وعَاقبٌ واتشب وتفخّذ ما دام لنا في العربيّة الحديثة مرادفات شائعة مثل: منحة ونائب وتجمّع وتأخّر. فيقال تجمع العمّال ولا يقال اتشبوا ويقال تأخّر عن الموعد ولا يقال تفخّذ كما يقال في لغة الصّحافة نائب رئيس المؤتمر ولا يقال عَاقِبُهُ وهكذا...

(36) انظر كذلك في حرف الخاء : خفش، خفشت إدارة البلدية عددا من الأبنية القديمة. وخيفان، رأى خيفانا من التلاميذ عند باب المدرسة...

(37) ينظر كذلك في حرف العين الأمثلة المصنوعة لـ : عاجن، عافس - عامس...

(38) انظر الأمثلة في تأمّم - بحث - ابتهى... إلخ.

إنّ السّياقات التي صنعها مؤلّفو المحيط لمثل هذه المداخل لا تصلح البتة لأن تكون مثالا يحتذيه مستعمل المعجم لأنّها مصطنعة تتنافر في صلبها المحدثات مع المهجورات. فهي من قبيل الإنجاز الذي يولد ميتا وإن اعتقد أصحاب المحيط أنّهم سيفرضونه على المستعمل ويوجّهون به الاستعمال، فسلطة المعجم - في نظرنا - لا تكرّس إلا من خلال مادة معجمية تستجيب لمعايير اللّغة وتنبع من واقع الاستعمال الحيّ.

ولعلّ ما يؤكد جانب الافتعال في نسبة هامّة من السّياقات المصنوعة هو تمثيلها لمداخل قديمة لم نظفر لها بشواهد في أمهات المعاجم مثل لسان العرب وتاج العروس. ومن هذه المداخل خفّش، خيصاء، عامس، ظلّف... ويمكن أن نبرّر خلوّها من الشواهد بافتراضين:

- الأول: هذه المداخل كانت من الاستعمال المتداول في عصر جمع اللّغة إلى درجة أن القدامى لم يروا من الضّروري الاحتجاج على فصاحتها بشواهد وأمثلة.

- الافتراض الثاني - وهو الأرجح- أنّ تلك الموادّ المعجميّة تنتمي إلى الحوشي المنسوب إلى أعراب البوادي، وليس مستبعدا أن يكون من ضمنها الغريب المصنوع. فالنّحارير منهم كما قال الخليل «ربّما أدخلوا على النّاس ما ليس من كلام العرب إرادة اللّبس والتّعنيت» (39). وفي كتاب المزهر للسيوطي عيّنات من المصنوع نبّه إليها اللّغويون أمثال الخليل وابن فارس (40)؛ بل إنّ ابن دريد في الجمهرة لم يعن «بالجمهور المعروف من الألفاظ» (41) كما قصد في الأصل وإنّما خالف المنهج الذي وضعه وعني بالغريب إلى درجة أنّه «وُسِمَ بافتعال العربيّة، وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم» (42) وجمهرة ابن دريد لا تعدّ في الواقع استثناء، فالمعاجم العربيّة القديمة مثلما لاحظ السامرّائي قد «حفلت بالغريب المهجور الذي لم يسلم من الوضع والاختراع» (43).

---

(39) السيوطي (جلال الدين): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 1 ص 171.

(40) نفسه، ج 1 ص 182.

(41) نصّار (حسين): المعجم العربي، نشأته وتطوره، ج2 ص 173.

(42) هذا الرأي منسوب إلى الأزهري، انظر المرجع السابق، ج 2ص 330.

(43) ينقد السامرائي اللغويين والبلاغيين القدامى الذين لم يحفلوا إلا ببعض العينات من الحوشي الذي تقاربت مخارج حروفه مثل الهعخع «وفاتهم أن يقولوا شيئا في اجلنطى واسلنقى والجلنفع والجحدب والبحجز...» (انظر السامرائي (ابراهيم): الفعل زمانه وأبنيته، ص 147).

إن مثل هذه المعطيات يجب أن لا تغيب عن المعاجمي الحديث كلّما تعامل مع المادّة اللّغوية القديمة. فالغريب المهجور يجب إقصاؤه نهائيّا من المعاجم الحديثة والاعتناء بالمحدثات (44) لإلحاقها بأرصدة المعاجم ودعم تعريفاتها بالأمثلة والشّواهد المناسبة. أمّا المنهج المقترح لتوضيح المداخل القديمة دون خلط بين الآنيّات فهو الاستشهاد بسياقات من مدوّنات الأدب القديم أو التصرف في الشّواهد القديمة باختصارها وتحويلها إلى أمثلة.

4 - 3. تداخل معطيات النص المعجمي :

إنّ تنظيم المعطيات وإحكام وضعها من أهمّ الميزات الشّكلية التي تجعل المعاجميّة علما وفنّا في نفس الوقت، فالنّص المعجمي إذا كان واضح المعطيات محكم التّرتيب سهّل تقبّل المعجم ويسّر تداوله بين جمهور المستعملين والمتعلّمين، لذلك عاب المحدثون على المعاجم القديمة سوء ترتيبها المؤدّي إلى خلط المعلومات وتكرارها. وإذا كانت للمعاجم القديمة عيوبها فلا ننسى أن القدامى قد أنجزوا بوسائل تقليديّة وحِرفيّة أعمالا معاجميّة شامخة جعلت العرب من أعرق الشّعوب في مجال صناعة المعاجم. والأمر مختلف في هذا العصر بالنسبة إلى المعاجمي الحديث إذ تغيّرت ظروف الصّناعة المعاجمية وتوفّرت وسائل المعالجة المعلوماتيّة من تخزين وانتقاء وترتيب...، ويسّرت النّظريات المعجمية واللّسانية سبل التّصور ومناهج التطبيق. ورغم ذلك فإن المعاجمية العربيّة لم تبلغ بعد طور الاكتمال المنشود. فنحن نجد في المحيط - وهو من أحدث المعاجم عندنا - نقائص ناتجة أحيانا عن اضطراب في التصورّ المنهجي مثل الخلط بين المدخل والتّعريف والمثال أو الخلط بين المداخل الرّئيسية والمداخل الفرعية.

أ - الخلط بين المدخل والتّعريف والمثال :

كثيرا ما نجد في المحيط شرحا للأمثلة يقوم مقام المدخل الفرعي من قبيل ما ورد بعد **حاجة** : «رتّب حوائجه في الحقيبة أي وضع فيها ما يحتاجه (كذا) من الأمتعة». فهذه المعلومات التي قدّمت في شكل معطى واحد هي في الواقع ثلاثة معطيات يجب الفصل بينها كالآتي :

(44) لا نجد في المحيط أحيانا مداخل شائعة في العربية الحديثة مثل «تأمّل» ونجد في نفس الوقت «تأمّمه» أي قصده وقد مثلوا له بقولهم «تأممته لأسأله عن أحوال الوطن العربي» وكان من الأفضل الاستشهاد ببيت علي الحصري ;

ودعتك أعلام العلوم إمامها   وتيمّمتك من العراق العيس

- المدخل الفرعي : وهو وحدة معجميّة بسيطة تكون في صيغة الجمع : الحوائج.

- التّعريف : الأمتعة، الملابس.

- المثـال : رتّب المسافر حوائجه في الحقيبة.

إن المعطيات الثلاثة - المدخل والتّعريف والمثال - متى تداخلت طمست الخصائص المركّبية للمدخل، لذلك قد يتوهّم القارئ المدخل البسيط مركّبا مثل حوائج، والمركّب بسيطا مثل عبارة «جعلته نصب عيني» التي أخذت من لسان العرب مسندة إلى المفرد مجرّدة من التّعريف والتّمثيل وهو ما يجعل مكانتها في النّص المعجمي غير واضحة، فهي بين منزلة المدخل ومزلة المثال والأنسب أن نعدّ العبارة مدخلا فرعيّا وأن نورد شكلها الأصلي أي مسندة إلى ضمير الغائب ثم نعرّفها ونمثّل لها كما يلي : «جعله نصب عينيه : اتّخذه هدفا، جعلت النّجاح نصب عيني».

إن المداخل المتشعّبة عامّة تبقى في حاجة إلى مزيد الوصف، فبعض التعابير التّحليلية يستحسن في بعض الحالات أن نميّزها عن التعابير الاصطلاحيّة المتجانسة معها لفظا، مثل : «قضى حاجته» أي أنجز شأنا مّا من شؤونه و«قضى حاجته» التي تقال كياسة في معنى تغوّط. والفرق بين المعنى التأليفي والمعنى الاصطلاحي لا يتمّ إلاّ بالتّعريف والتّوضيح بشاهد أو مثال.

ومن بواعث الخلط بين المداخل والشّواهد ما يعود إلى تهميش الأمثال في المعاجم اللّغوية، ولا مانع نظريّا من إلحاق الأمثال الشّائعة في الاستعمال بالرّصيد اللّغوي العام. ولئن لاحظنا في المحيط اعتناء ملحوظا بالأمثال إذ كان بعضها مداخل فرعيّة مثل : «جوّع كلبك يتبعك : مثل يضرب فيما ينبغي أن يعامل به اللّئام» فإنّنا نلاحظ أحيانا تردّدا إزاء مكانة المثل في النصّ المعجمي فنراه في منزلة بين منزلتي المدخل والشّاهد شأن «ما حكّ جلدك مثل ظفرك» الذي ورد دون تعريف. وإن وجدنا بعض الأمثال معرّفة فإننا لم نصادف مثلا واحدا متبوعا بسياق مصنوع أو شاهد وكأنّ مؤلفي المحيط عدّوا المثل سياقا قائما بذاته لا يحتاج إلى توضيح، فالمثل من النّاحية السيميائية نصّ مستقلّ أو مغلق لكنه يبقى مهيّأ للظّهور ضمن نصّ آخر أكبر منه (45)، أمّا من النّاحية المعجميّة فهو مدخل مثل سائر

(45) Kleiber (G) 1994 : Nominales. Essais de sémantique référentielle, p. 219.

المداخل الأخرى، وما دام معناه غير حرفيّ فهو في حاجة إلى التّعريف والتّمثيل بسياق مصنوع أو شاهد.

ب- الخلط بين المداخل الرئيسية والمداخل الفرعية :

إن غياب التّصور الواضح لمكانة الأمثال في المعجم نتج عنه أحيانا خلط بين المداخل الرئيسيّة والمداخل الفرعيّة. فالمثل «ما كلّ بارقة تجود بمائها» عامله مؤلّفو المحيط معاملة الجملة العاديّة ذات المعنى التأليفي واعتبر سياقا موضّحا للمدخل الرئيسي «بارقة» أي السّحابة ذات البرق. في حين أنّ المعنى المقصود عند استعمال الجملة المثليّة ليس المعنى التّأليفي أي ما نحصل عليه بتجميع معاني الأجزاء المكوّنة للجملة، وإلاّ عدّ مثلا حرفيّا Proverbe littéral (46) يفضي إلى حصول تطابق بين المثل وتعريفه. فإذا فرضنا أن المثل السّابق ينتمي إلى الأمثال الحرفيّة فمن المنتظر أن يصحّ التطابق التّالي :

ما كلّ سحابة تجود بمائها = ليست كلّ سحابة ممطرة.

لا شكّ أنّ هذا المعنى يمكن أن يفهم من العبارة السّابقة إلاّ أنّ المقصود منها عند الاستعمال هو المعنى الاصطلاحي الذي من أجله يحفظ المثل ويمكن صياغته كالآتي : (ما كلّ خير متوقّع يحدث فعلا). فالملاحظ أنّ المعنى الثاني أعمّ من الأوّل وأنّ المقام الثاني أوسع من الأول إذ تمّ الانتقال من (متكلّم خاصّ ينتظر غيثا) إلى (متكلم في المطلق يكون قد انتظر نفعا مّا) (47). فالجملة المثلية إذن هي جملة أصليّة Phrase générique (48) تتضمّن حقيقة عامّة وتقبل الاندراج في عدد لا محدود من السّياقات المشابهة للسّياق الأصلي. وبفضل ما تتضمنه من صور مجازيّة يكمن دورها في « تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس» لأن «الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص» (49).

فلا مبرر إذن للتذبذب في معاملة الأمثال والوحدات المتشعبة عامة مادام المعاجميون

(46) المرجع نفسه، ص 215.

(47) عبّر كليبار عن اختلاف المتكلّم في المقامين كما يلي : في المقام الأول $\exists$loc (يوجد متكلم) وفي المقام الثاني $\forall$loc (أيّا كان المتكلّم)، لذلك تسبق الأمثال عادة بعبارة تفيد هذا الإطلاق مثل : يقال أو يقول المثل... (انظر المرجع السّابق).

(48) نفسه، ص 216 وما بعدها.

(49) السيوطي (جلال الدين) : معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1 ص 465.

واللسانيون(50) مجمعين على اعتبارها عناصر معجمية تفرد لها المداخل الفرعية في المعاجم، بل إن جورج كليبار(51) يذهب إلى حد اعتبار المثل تسمية Dénomination بل علَمًا un nom -name، ومن أدلته على ذلك :

- المثل وحدة مقنّنة unité codée تخزن في الذاكرة مرتبطة بمرجع وتكون جاهزة مسبقا للاستعمال.

- خاصية الثبوت fixité، فالبناء اللغوي للمثل لا يتغير(52) أمّا مرجعيا فيقترن المثل بكيان عامٍّ entité générale يشكل وصفُه معنّى المثل.

وبناء على ما تقدم يجب اعتبار «ما كل بارقة تجود بمائها» مدخلا فرعيا لا مجرد سياق موضح للمدخل الرئيسي «بارقة» الذي يمكن توضيحه بسياق مصنوع أو بنقل المثال الذي جاء في لسان العرب : «يقال : ما فعلت البارقة التي رأيتها البارحة ؟»(53).

وعلى العموم لا يقتصر إيراد الأمثلة والشواهد في غير مواضعها على المثال السابق فقط بل يمكن أن نعثر في المحيط على عينات أخرى: فالمثال الموضح لـ «جعراء» قد ورد بعد «جعري»، والشاهد القرآني الذي يجب أن يوضح المدخل المفقود «قطع دابره» نجده موضحا للمدخل «دابر» بمعنى آخر الشيء، وهكذا . . .

5 - الخاتمة :

إن الهنات التي نبهنا إليها سابقا مردّها إلى الغموض الذي اكتنف بعض المبادئ النظرية التي قام عليها المعجم. فاختيار المداخل والشواهد والأمثلة افتقر إلى التصور التاريخي السليم للمادة المعجمية وإلى رسم الحدود الواضحة بين المعجم والتركيب باعتماد مقاييس تميز بين المتواليات الجامدة التي يمكن أن تمثل مداخل في المعجم والمتواليات الحرة - ذات المعنى التأليفي - التي لا تنتمي إلى تلك المداخل. ولنفس تلك الأسباب النظرية كانت بعض المعطيات منقوصة في حين اتّسمت معطيات أخرى بالتّضخّم مثل حشو المداخل بتصريف الأفعال في الماضي والمضارع والأمر وهي معلومات يمكن الاستغناء عنها لسببين على الأقلّ :

---

(50) أنظر مثلا : Rey (A) 1977, p. 189; Dubois (J et C) 1971, p. 40
Guilbert (Louis) 1975 : La créativité lexicale p. 269.

(51) Kleiber (G) 1994, pp. 210-211.

(52) لاحظ القدامى أن «الأمثال لا تغير» لأن العرب تجريها على «ما جاءت»، وهي «قد تخرج عن القياس فتحكى كما سمعت» - انظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي، ج1، ص ص 487 - 488.

(53) لسان العرب، مادة برق.

- إن مداخل المعجم وحدات نظريّة أو تجريد لوحدات الخطاب أو هي تسميات لأقسام الكلام (54) وليست كلمات منجزة في الخطاب.

- إن مثل هذه المعلومات يمكن أن يولّدها المتكلّم انطلاقا من الجذور المعجمية بتطبيق القواعد الصّرفية التي سبق أن اكتسبها وهو ما عبّر عنه القدامى بمفهوم القياس الذي فسّره ابن جنّي بقوله «ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنّما سمعت البعض فقست عليه غيره»، وفي تعليقه على استعمال اسم المفعول وعدم استعمال الفعل من مادة «درهم» أي قولهم «رجل مدرهم» وعدم قولهم «درهم الرّجل»، يضيف قائلا : «إلاّ أنه إذا جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل في الكفّ ولهذا أشباه»(55). وإذن فالمعلومات الصّرفية التي نحصل عليها بالقياس تصلح للمعاجم الآليّة وهي عبارة عن بنوك معطيات معاجميّة توصف فيها اللّغة للحاسوب حتى يستعان به في البحث (56). أمّا في معاجم الاستعمال الجاري فهي حشو يجب الاستغناء عنه والاعتناء بنواح أخرى أولى بالاهتمام، منها محاولة الإحاطة بالمحدثات (57) وتعميم الأمثلة والشّواهد مع تنويعها لتشمل عينات من النثر القديم والحديث.

ورغم النّقائص التي ذكرناها فإنّنا نعتبر المحيط إضافة بارزة في تاريخ المعجم العربي الحديث لأنّه تميّز بأناقة الإخراج وثراء مادّة التّمثيل والاستشهاد إلى جانب العناية الواضحة بالمحدثات (58) في المجال اللّغوي العامّ وبالرّصيد المصطلحي الحديث في مجال العلوم والتكنولوجيا، وهي مزايا تبوّئه مكانة متميّزة لدى المختصّين وجمهور المتعلّمين والمستعملين خاصّة إذا تعهّده مؤلفوه بالتنقيح والتّجديد والتّطوير لا سيما وأنّهم قد عبّروا بأنفسهم عن هذه الرّغبة وعدّوا العمل المعجمي ولادة متواصلة (59).

عبد العزيز المسعودي

كليّة الآداب بسوسة - جامعة الوسط

---

(54) Dubois (J et C) 1971, pp 61-62.

(55) ابن جنّي (أبو الفتح عثمان) : الخصائص، ج1، ص 357.

(56) Courtois (Blandine), Silberztein (Max): Dictionnaires électroniques du français, in : Langue Française N° 87, sept 1990.

(57) من المحدثات الشائعة التي يمكن استدراكها على المحيط نذكر : تأمل - بيان - آفاقي - مبيت - مؤول - حِرَفيّ.

(58) نسبة إحاطته بها تفوق المنجد والمعجم الوسيط، وهو ما تؤكده الجرود والبيانات الإحصائيّة في بحث أنجزته في إطار شهادة التعمّق في البحث.

(59) مقدمة المؤلفين، ج 1، ص 3 وقد صدرت من المحيط طبعات دون أن يطرأ تغيير على مدوّنته الأصليّة.

منهجيـــة لتدريس
بنية الاسم المورفيميّة في اللغة العربية

بحث : محمد صالح بن عمر

إن مفـهوم المورفيم* هو، بلا جـدال، أهم مفهـوم أمكن ضبطه وتطبيـقه في علم الصرف التركيبي* وذلك لما يقدمه للمحلل من عون على تمثل بنية الكلمة تمثلا دقيقا وعلى تفكيكهـا تفكيكا صـحيـحا، بتـحديد الوحـدات المعنوية الدنيـا التي منها تتـألف. وهو ليس مقتبسا من مفهوم الصوتم* مثلما قد يتبادر إلى أذهان البعض لأنه - كما سنرى - أسبق إلى الظهور من جميع مفاهيم الوحدات اللغوية الدنيا كالمعنم* والمعيجمة* واللفظم*.

لكن المورفيم، على أهميته تلك وقدمه النسبي، لم يتطرق بعد إلى الدرس الصرفي العـربي سواء في الابتـدائي أو في الإعدادي أو حـتى في العـالي، بما في ذلك المؤسسـات التعليمية التونسيـة التي حققت فيها علوم العربية لا سيما علم النحـو تقدما ملموسا من جهة الإفادة من العلوم اللسانية الحديثة.

وقـد يُعْزَى هذا الاستـبعـاد لمفهـوم المورفـيم من الدرس الصـرفي العربي إلى عـدم استـقراره في المباحث اللسـانية العربيـة الحديثة بوجـه عام حيث تعـددت المصطلحات التي وضعت للدلالة عليه نحو «مورفيم» و«صـرفيم» و«صرفم» و «صيغم» و«لفظم» و«وحدة

* مورفيم (Morphème).
* علم الصرف التركيبي (Morpho-syntaxe).
* صوتم (Phonème).
* معنم (Sème).
* معيّجمة (Lexème).
* لفظم (Monème).

صرفية دنيا»، وكذلك إلى الاختلاف الشديد في تطبيقه على الكلمة العربية(1).

وهكذا فلئن كان المورفيم كلية من الكليات اللغوية - وهو ما يوجب دراسته في أي لغة من اللغات ومنها العربية - فإنه يتعين تحديد أنواعه وصور كل نوع منها في لغة الضاد. وذلك لما كشفت عنه المباحث اللسانية الحديثة من وجود أنواع محددة من المورفيمات في كل لغة ومن تشكل كل نوع في صور تختلف من لغة إلى أخرى(2).

فما هو حدّ المورفيم ؟ وما هي أقسامه في اللّسانيات الغربية الحديثة؟ وما هي أنواعه وصوره في اللغة العربية ؟ وكيف يمكن استثماره في تدريس الصرف العربي ؟

1 - المورفيم في اللّسانيات الغربية الحديثة :

لقد تعرّض إلى حدّ المورفيم وأقسامه جلّ اللغويين العرب المعاصرين الذين ألّفوا مداخل تعريفية باللّسانيات الحديثة. لذلك سنكتفي، هنا، بالتوقّف عند المفاهيم والإشكاليات الأساسية المتعلّقة بهذه الظاهرة. ويمكن لمن رام من القرّاء العرب الاطلاع على تفاصيلها أن يعود إلى بعض تلك المداخل(3).

1-1. مفهـوم المورفيـم :

إنّ للمورفيم معنيين مختلفين: الأول في اللسانيات الفرنسية الكلاسيكية حيث عنى كل زائدة * في الكلمة تفيد معنى مقوليا كالجنس و العدد و الحدث و الفاعلية و ما إليها (4). وطبقا لهذا المفهوم لم يعتبر الجذر مورفيما بل سُمّي سيمنتيما*(5).

---

(1) لعلّ من أبرز المحاولات في تطبيق مفهوم المورفيم على العربية محاولة محمد الأنطاكي في كتابه «دراسات في فقه اللغة، ط. 4، دار المشرق العربي، بيروت 1969 ص ص 229 - 274؛ ومحاولة محمود السعران في مؤلفه «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»، دار النهضة العربية، بيروت، 1962، ص ص 218 - 235؛ ونايف خرما في مصنّفه «أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة»، سلسلة «عالم المعرفة»، الكويت، ط.2، 1979، ص ص 278 - 280.

(2) انظر على سبيل المثال : خرما (نايف) : «أضواء»، ص ص278 - 280.

(3) من أهم تلك المداخل - على سبيل الذكر لا الحصر - المؤلفات الثلاثة التي أشرنا إليها في الهامش (1).

* زائدة (Affixe).

(4) انظر: Jakobson (Roman) : "Essais de linguistique générale", Ed. de Minuit, (Coll. "Argumants"), Paris 1963, Vol. 1, p.163.

- السعران (محمود) : «علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي» ص 210 وما بعدها.

* سيمنتيم (Sémantème)

(5) انظر : المرجع الثاني في الإحالة السابقة ص 210، ومحمد الأنطاكي: «دراسات في فقه اللغة»، ص 240.

والثاني في اللسانيات السلافية و الأمريكية(6) حيث أطلق على أصغر جزء من السلسلة الصوتية يحمل مفهوما ما (7). وبذلك أصبح الجذر يعدّ مورفيما أيضا(8).

1 - 2. أقسام المورفيم (9) :

قُسّم المورفيم إلى قسمين أساسيين : أطلق على أحدهما المورفيم الحر*. وهو الذي يمثّل وحدة مستقلّة منفصلة في اللغة نحو : إلى، بل، ثم، قد . . . .

وسُمّي الآخر مورفيما مقّيدا*. وهو الذي لا يمكن استعماله منفردا بل يرد وجوبا متصلا بالكلمة نحو حروف المضارعة والضمائر المتّصلة . . . .

وثمة نوع ثالث قليل التداول أشار اللسانيون إلى وجوده في بعض اللغات. وهو المورفيم الصفر*(10). وهذا المورفيم يستخلص من السّياق مثل الضمير المستتر في العربية أو عند انعدام المميّز بين عنصرين متماثلين شكلا مختلفين معنى كما في هذا المثال : رجل فَرُوقةٌ (أي جبان) وامرأة فَرُوقَةٌ (جبانة)(11).

2 - المورفيم في الكلمة العربية :

ينبغي التفريق بين مستويين مختلفين ترد فيهما الكلمة العربية هما المستوى المعجمي حيث تسمّى الكلمة - إن كانت اسما - وحدة معجميّة* أو مُعَيْجمة والمستوى التركيبي حيث تُعدّ - إن كانت اسما أو فعلا - وحدة تركيبية*.

2 - 1. البنية المورفيمّية للمُعيجمة :

إنّ المُعَيْجمَةُ هي صورة الكلمة حين تكون مدخلا من مداخل المعجم. وأهم خاصّة تختصّ بها هذه الصورة هي الخلوّ من الوسم. وللحصول عليها ينبغي تجريد

---

(6) انظر : Jakobson (Roman) : " Essais de linguistique générale", Vol. I, p. 163.

(7) انظر : "La linguistique" (Collectif). Encyclopédie Larousse. Librairie Larousse. Paris 1977, p.195.

(8) انظر النموذج التحليلي الذي أعدّه نايف خرما تطبيقا على الجملة العربية : «أستعلمونيها»، في : «أضواء»، ص 280.

(9) المرجع نفسه، ص ص 276 - 277.

* المورفيم الحرّ (Morphème libre)

* المورفيم المقيد (Morphème dépendant)

* المورفيم الصفر (Morphème zéro).

(10) المرجع نفسه، ص 279.

(11) انظر ابن يعيش (ت 643 هـ) : «شرح المفصّل»، عالم الكتب، بيروت (د.ت)، 100/5.

* وحدة معجميّة (Unité lexicale)

* وحدة تركيبية (Unité syntaxique)

الكلمة من كلّ العناصر الدالّة على الجنس والعدد والتعريف والتنكير والإعراب(12).

فالمعيجمة «ذئبٌ» - مثلا - ليست لفظا مفردا مذكّرا لأنّها تدلّ على جنس الذئاب عامة. كما أنّها، بهذا المعنى، ليست نكرة لأنّها لا تدلّ على ذئب غير معيّن يجهله المتكلّم.

أمّا إذا استعملت في جملة نحو : «عوى الذئبُ» أو «رأيتُ ذئبًا» فإنّها تتحوّل إلى وحدة تركيبيّة. وفي هذه الصورة تكتسب أربع سماتٍ هي : علامة التذكير (الخلوّ من تاء التأنيث وهو مورفيم 0) وعلامة الإفراد (الصيغة «فعْل» في تقابلها مع الصيغة «فعال») وعلامة التعريف (الألف واللاّم) أو التنكير (الخلوّ من الألف واللاّم + التنوين) وعلامة الإعراب الدالّة على الوظيفة (الضمة في المثال الأول والفتحة في المثال الثاني).

لكنّ المعيجمة قد ترد في صيغة الجمع إذا كانت جمعا لا واحد له من لفظه نحو «نساء» و«محاسن»... وفي صيغة المفرد المؤنث إذا كانت تعيّن أنثى من غير لفظ المذكّر نحو «لبؤة». وقد ذهب النحاة العرب القدامى إلى أن الهاء في مثل هذا المثال ليست لمجرّد التأنيث بل لتأكيده(13).

ولهذا فالمعيجمة في اللغة العربية، لا تتألّف إلاّ من مورفيمين : هما الجذر والصيغة. فـ«ذئبٌ» - مثلا - باعتباره معيجمة يتكوّن من الجذر [ذ/ء/ب] الذي يدل على الماهية، وهي، هنا، جنس الحيوان المخصوص المسمّى «ذئبا»، والصيغة «فعْل» التي تدلّ على مقولة الاسمية.

أمّا الفعل العربي فلا يصلح لأن يكون مدخلا من مداخل المعجم لأنه موسوم بديهيًا. والسماتُ التي يحملها تدلّ على الزمن التصريفي والشخص والحالة الإعرابية. لذلك فالمعيجمة المعبّرة عن الحدث لا تكون إلاّ المصدر الذي عنه يتفرّع الفعل الماضي والفعل المضارع وفعل الأمر. وهو ما ذهب إليه البصريون وأخذ به جمهور اللغويين من بعدهم(14).

وأمّا الحروف والأسماء الأدوات فليست بمعيجمات بل عناصر نحوية تنتمي إلى

---

(12) راجع مفهوم المعيجمية وخصائصها في كتابي شارل مولر (Charles Muller) التاليين :
-"Initiation aux méthodes de la statistique linguistique", Hachette Université, Paris 1973, 187 p.
- " Principes et méthodes de statistique lexicale", Hachette Université, Paris 1977, 206. p.

(13) انظر : ابن يعيش : «شرح المفصل»، 98/6.

(14) انظر : الأنباري (أبو البركات) : «الإنصاف في مسائل الخلاف...»، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، 1945، 1/ 235 - 245.

قوائم مغلقة لا علاقة لها بالمعجم(15) وإن كان ورودها في المعجم الصناعي أي القاموس ممكنا لغرض نفعي عمليّ.

2 - 2. البنية المورفيمية للاسم وحدةً تركيبيةً.

إنّ البنية المورفيمية للكلمة وحدةً تركيبية في اللغة العربية هي بنيتها الصرفيّة الإعرابية وهي تختلف عن المعيجمة - كما بيّنا - من حيث حملها لسمات الجنس والعدد والتعيين والوظيفة إن كانت اسما ولسمَات الزمن التصريفي والشخص والحالة الإعرابية إن كانت فعلا. وهي في كلتا الحالتينَ السمات التي تؤهلها لدخول الجملة أي لتكون وحدة من وحدات التركيب.

وتعدّ حروف المعاني والأسماء غير المتمكنة مورفيمات أيضا نحو: «عن»، «ما»... أو توليفات مورفيمية نحو: «اللذان»، «هذان»... وهي كذلك من وحدات التركيب وإن لم تكن موسومة نحو: «إلى»، «بل» أو كانت ضعيفة الوسم نحو: «ذلك»، «مَنْ»(16).

وسنقتصر في هذا الفصل على دراسة البنية المورفيمية للاسم وحدةً تركيبية، مرجئين تناول الفعل والأداة إلى مناسبة لاحقة.

إنّنا نقصد، هنا، بالاسم الاسم المتمكّن سواء أكان أمْكَنَ أي قابلا لحمل علامات الإعراب الثلاث أم غير أمْكَنَ أي ممنوعا من التنوين.

هذا القسم من أقسام الكلام يتألف، عادة، داخل الجملة من ستة مورفيمات هي:

- مورفيم الجذر؛
- مورفيم الصيغة؛
- مورفيم الجنس؛
- مورفيم العدد؛
- مورفيم التعيين؛
- مورفيم الوظيفة.

وقد أشرنا آنفا إلى أن الاسم في اللغة العربية يتضمّن المورفيم الأول (أي الجذر)

(15) راجع: Muller (Charles). "Principes et méthodes de statistique lexicale", p.10.

(16) مردّ هذا الضعف إلى أنها لا تحمل علامات شكلية تدل على الجنس والعدد والتعيين والوظيفة بل نستخلص منها تلك السمات بالاستنباط العقلي.

وجوبا. وقد يتضمّن المورفيم الثاني (إن كان في صيغة المفرد المذكّر شكلا) قبل التركيب. لكنّ لكلّ مورفيم من هذه المورفيمات الستة صورا ومعاني متنوعة تختلف باختلاف الأسماء التي تدخل في تركيبها.

2 -2 - 1. مورفيمـــات الجـــذور :

لقد أثار اللغويون العرب القدامى واللغويون المحدثون إشكاليات كثيرة تتعلق بأصول الكلم في اللغة العربيّة. واشتد خلافهم خاصة في شأن أصول الثنائي والثلاثي المضاعف والثلاثي المعتلّ والرباعي وما زاد على أربعة أحرف[17]. لكن لـمّا كان غرض مقالنا هذا تعليميّا فلن نلتفت إلى تلك الإشكاليات مفضّلين تبنّي ما استقرّت عليه آراء الجمهور في شأن تلك الأصول.

ولهذا فما نأخذ به هو أنّ جذر الاسم لا يتكوّن من أقلّ من ثلاثة أحرف ولا من أكثر من خمسة. وإذا جاء الاسم ثنائيا شكلا نحو : فم، يد، ردّ إلى أصل ثلاثي : فَمُوٌ، يديٌ. ولن نتوقف في تحليل الرباعي عند ما سمّي حروف الإلحاق التي قد تلتبس بالأحرف الأصلية كالجيم في [د/ح/ر/جْ] والراء في [خ/ر/م/شْ]. وذلك لاستحالة البتّ في أصول هذه المواد التي ترجع، بلا ريب، إلى عهود سحيقة من حياة العربية. وما على المدرّس وتلاميذه أو طلبته إلاّ أن يكتفوا عند تحديدهم لأمثال هذه الجذور بالرجوع إلى القواميس العربية المتداولة القديمة منها والحديثة كـ «اللسان» و«الصحاح» و«القاموس المحيط» و «المنجد» و«المعجم الوسيط».

2 - 2 - 2. مـــورفيمـــات الصيـــغ :

إنّ ما ينبغي تركيز العناية عليه في دراسة مورفيم الصيغة هو المعنى الصرفي الذي يفيده. ولهذا الغرض ينبغي التفريق بين صيغ الاسم المجرّد وصيغ الاسم المزيد.

فصيغ الاسم المجرّد قليلة نسبيّا. فهي عشر للثلاثي[18] هي : فَعْل (بَطْن)، فِعْل (قِرْد)، فُعْل (بُرْد)، فَعَل (جَرَس)، فُعَل (صُرَد)، فِعَل (عِنَب)، فَعِل (كَتِف)، فِعِل (إبِل)، فُعُل (عُنُق)، فَعُل (رَجُل)؛ وخمسٌ للرباعي هي[19] : فَعْلَل (عَنْبَر)، فُعْلُل

(17) انظر : العرض الجيّد لآراء القدامى والمحدثين في هذه القضية ضمن كتاب أنطوان عبدو «مصطلح المعجمية العربية»، المكتبة الجامعية، الشركة العمالية للكتاب، بيروت، 1991، ص ص 55 - 6.

(18) انظر : منصف عاشور : «ظاهرة الاسم في التفكير النحوي»، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1999، ص 89.

(19) المرجع نفسه، ص 91.

(بُرْثُن)، فعْلِل (زهْلِق)، فعْلَل (درْهم)، فعَلِّل (هزَبْر)؛ وأربع شهيرة للخماسي هي [20]: فَعَلَّل (سَفَرجل) وَفُعَلِّل (قُذَعْمِل)، وفعْلَلِل (جَرْدَحْل)، وفعَلّلِل (جَحْمَرِش).

هذه الصيغ كلّها هي مورفيمات تدلّ على مقولة عامة مشتركة هي مقولة الاسمية. وتتفرّع هذه المقولة إلى ثلاثة معان هي: الجنس الجوهري وهو المعنى الذي يدل عليه اسم الشيء الثابت نحو: «رأس»، «قَمَر»، والجنس العَرَضي وهو المعنى الذي يفيده المصدر. ويعيّن المصدر إمّا حدثا نحو: «ضَرْب» وإما معنى مجرّدا نحو: «عِشْق». والمعنى الثالث هو الصفة نحو: «صُلْب»، «صِرْف»...

نماذج تحليلية:

الاسم	مورفيم الصيغة	دلالته
بُرْد	فُعْل	الاسمية - الجنس الجوهري
صُلْب	فُعْل	الاسمية - الصفة
حُبّ	فُعْل	الاسمية - الجنس العرضي - معنى مجرّد
شُكْر	فُعْل	الاسمية - الجنس العرضي - حدث

أمّا صيغ الاسم المزيد فهي أكثر عددا: 28 وزنا مستعملا للثلاثي و 61 وزنا للرباعي و9 أوزان للخماسي [21].

هذه الصيغ أكثرها سماعي نحو: فَعَنْلُوَة (قَلَنْسُوَة) وفَوْعل (كوكب) وفَعَوْلَل (صَنَوْبر) وفُعْلُول (عُنْقُود) وفَعْلِيل (عَنْدَليب) وفَعَلْلَى (قَبَعْثَرَى) وفُعَالِل (دُلامس). لذلك اندثر أغلبها ولم يستقرّ منها إلاّ أوزان بعض المشتقات وصيغ مصادر الفعل المزيد.

ينبغي التفريق في الصيغ بين ما جاءت عليه أسماء الجوامد وما وردت عليه أسماء المشتقات. فالنوع الأول نحو: فعْلاَل (سرْداب)، فَعَوْلَلٌ (صَنَوْبر) حيث لا تدلّ الصيغة إلاّ على الاسمية والجنس الجوهري، إذ لا تفيد فيها الأحرف الزائدة أي معنى صرفي إضافي. والنوع الثاني نحو: فاعل (قاتل) ومفعول (مضروب) وفعّال (قتّال) حيث تفيد الصيغة معنى مقوليا لا تفيده أي صيغة من صيغ الاسم المجرّد. وهو، في هذه الأمثلة، على التوالي: الفاعلية والمفعولية والمبالغة. لكن لابدّ من التنبّه، هنا، إلى أن صيغ المشتقات ليست كلّها قياسية. فإذا كان اسم المكان - مثلا - يشتق من كل فعل ثلاثي مجرّد مضموم العين أو مفتوحها في المضارع على وزن مَفْعَل ومن مكسور العين في المضارع ومن

(20) المرجع نفسه، ص 92.

معتلّ الفاء على وزن مَفْعل فلا قاعدة في باب اسم الآلة تحدّد سبب استعمال مقصّ وعدم جواز مقصّة ومقْصاص، وفي باب صيغ المبالغة علّة استعمال منطيق وامتناع منْطاق ونطّاق ونَطِق. على أن ذلك لا يمثل عائقا عن تعرّف صيغ المشتقات ودلالاتها الصرفية. وهذا هو المهمّ بالنسبة إلى المدّرس والدارس على حد السواء. ولعلّ الإشكال الوحيد، في هذا المجال، يتعلق بإمكان استعمال الصيغة الواحدة لأكثر من معنى نحو : فاعل الذي يدل على الفاعلية (ضَارب) أو الصفة (شاهق) أو المبالغة (حابل)، وفَعيل الذي قد يأتي لإفادة الصفة (جميل) أو المبالغة (سميع). وتذليل هذه الصعوبة متيسّر بلَفْت انتباه المتعلّم إلى تعدّي الفعل أو لزومه ودلالته على الصفة أو الحدث.

2 - 2 - 3. مورفيمات الجنس :

إنّ القاعدة الأساسية التي يخضع لها الوسم الجنسي للاسم في اللغة العربية هي وجود مورفيمات شكلية ظاهرة خاصة بالمؤنث وانعدام أيّ مميّز من هذا القبيل في المذكر(22). وهو ما يمكن أن يطلق عليه المورفيم الصفر.

ولهذا نوجّه اهتمامنا في دراسة مورفيمات الجنس في الاسم إلى ما سمّاه النحاة العرب القدامى علامات التأنيث.

فالاسم المفرد قد يلحقه أحد مورفيمات التأنيث الثلاثة التالية :
- الهاء (نحو : «قطة»)؛
- الألف المقصورة (نحو : «لُبْنَى»)؛
- الألف الممدودة (نحو : «حسناء».

ويمكن أن نلحق بها التاء المفتوحة في نحو: بنْت وأخت. وهي قليلة التواتر في اللغة العربية لأنّها تنتمي، بدون شك، إلى الرصيد السامي الأول المشترك(23). لكن ورود هذه العلامات الثلاث لتمييز المؤنّث من المذكر ليس قاعدة مطّردة. فقد تلحق الهاء أسماء مذكّرة نحو: «حمزة» و«معاوية». وقد تلتبس بهاء المبالغة في نحو: «علاّمة» و«فهّامة». بل قد يخلو الاسم المؤنث من أي علامة للتأنيث نحو: «أمّ»، «يد»، «رجْل»، «ساق»، «عَيْن»، «أُذُن»، «نار»، «شمس»، «أرْض»... وهذا النوع من الأسماء هو، بلا ريب أيضا، من الرصيد السامي المشترك الذي كان يتألّف من الأسماء الدالة على القرابة وأعضاء

---

(21) المرجع نفسه، ص ص 122 - 123.

(22) أرجع النحاة العرب القدامى ذلك إلى أن المذكر أصل والمؤنث فرع. انظر مثلا: ابن يعيش : «شرح المفصل»، 88/5.

(23) لمزيد من التوسّع انظر: إسرائيل ولفنسون: «تاريخ اللغات السامية»، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1929؛ وبرجشتراسر: «التطوّر النحوي للغة العربية» مطبعة السماح، القاهرة، 1929.

جسم الإنسان والأشياء القريبة منه (24)، ومثل ذلك الأسماء الدالة على الصفات الخاصة بالمرأة نحو: «مُرْضع»، «حامل»، «عانس»، «ناشز». ومن الظواهر الخاصة بالعربيّة، في هذا الباب أيضا، أنّ من الأسماء ما يحمل علامة التأنيث الهاء ويدل على تأنيث بيولوجي لكنّه لا مذكّر له من لفظه نحو: «نملة»، «بطة»، «حمامة»... فالهاء، في هذه الأمثلة وما شابهها، ليست لتمييز المؤنث من المذكّر بل لتمييز اسم الجنس الإفرادي («نملة»...) من اسم الجنس الجمعي («نَمْل»...) (25). أمّا المذكّر فيعبّر عنه بإضافة اسم الجنس الإفرادي إلى لفظ «ذكر» فيقال: «ذبابة ذكر» و«حمامة ذكر»(26). وكذلك شأن بعض الأسماء الدالة على مذكّر بيولوجي لكن لا مؤنّث لها من لفظها نحو: «غراب» و«نسر». وللتعبير عن مؤنث هذه الأسماء يقال: «أنثى النسر» (27).

وإنّ الأمر لأشدّ تعقدا في طائفة من الأسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث نحو: «الجحيم» و«الخمر» و«الدلو» و«السلاح» و«السلّم» و«السوق» و«البئر» و«الصاع» و«الطريق» و«العسل» و«الفردوس» و«القِدْر» و«القمطر» و«المال» و«المسك» و«الموسى»(28). ولا يقلّ عن ذلك إشكالا التفريقَ بين المذكّر والمؤنث البيولوجيين معجميّا لا صرفيا نحو: «ولد» / «بنت»، «تَيْس»/ «عنز»، «حمار»/ «أتان»...

ومن الحالات اللافتة، أيضا، أنّ الهاء قد لا تُميّز بين مُؤنّث والمذكّر المقابل له بل بين كلمتين متباعدتي الدلالة نحو: «قِسْمَة» / «قسم»، «مصيبة» / «مُصيب» (29).

لكن كل هذه الحالات الخاصة هي عبارةَ عن قوائم صغيرة مغلقة من الأسماء لا يعسر على المتعلّم حفظها. أمّا الكثرة الغالبة من الأسماء في اللغة العربية فهي تخضع للوسم الجنسي بعلامة من علامات التأنيث الثلاث في حالة التأنيث وتركها في حالة التذكير.

---

(24) المصدران السابقان نفسهما.

(25) انظر: ابن يعيش: «شرح المفصّل»، 98/5.

(26) انظر: الاستراباذي (ت 688 هـ): «شرح الكافية»، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، 1973، 338/3.

(27) انظر: محمد الأنطاكي: «دراسات في فقه اللغة»، ص 278.

(28) انظر: عصام نور الدين: «سائر الأشياء القريبة مما يذكّر ويؤنّث»، في: «دراسات عربية»، العدد 10 السنة 24، أوت 1988، ص ص 89 - 136.

(29) انظر: محمد الأنطاكي: «دراسات في فقه اللغة»، ص 274.

نمـــــاذج تحليليـــــة :

الاسم	مورفيم الجنس	دلالته
كلب	0	مورفيم تذكير
كلبة	ة	مورفيم تأنيث
ليلى	ى	مورفيم تأنيث
صحراء	اء	مورفيم تأنيث
حمزة	0 (30)	مورفيم تذكير
علاّمة	0 (31)	مورفيم تذكير
زينب	Ø (32)	مورفيم تأنيث
أرض	Ø	مورفيم تأنيث
مرْضِعٌ	Ø	مورفيم تأنيث
نملة	ة (33)	مورفيم تأنيث
ذبابة ذكر	0 (34)	مورفيم تذكير
السوق	0 أو Ø	مورفيم تذكير أو مورفيم تأنيث
عَنز	Ø	مورفيم تأنيث
أنثى الغراب	Ø	مورفيم تأنيث
ناقة	ة	مورفيم يفيد تأكيد التأنيث

(30) لما لم تكن التاء في هذا المثال علامة تأنيث فإننا نعتبر مورفيم الجنس فيه مورفيما صفرا.
(31) لما كانت التاء في هذا المثال للمبالغة فإن مورفيم الجنس فيه مورفيم صفر.
(32) لما كان هذا الاسم يدل على مؤنث حقيقي ولا يحمل علامة تأنيث فإننا نعتبر تلك العلامة مقدرة.
(33) لئن كانت التاء في هذا المثال لتمييز اسم الجنس الإفرادي من اسم الجنس الجمعي فإننا نعتبرها أيضا علامة تأنيث لأنّها تلحق اسما يظهر تأنيثه في التركيب نحو : تدحرجت النملة الصغيرة.
(34) هذا الاسم ليس مؤنثا لأنه على هيئة مركّب إضافي ولا يحمل الجزء الثاني منه علامة تأنيث.

2 - 2 - 4. مورفيمات العدد :

لقد عـدّ النحاة العرب القدامى المفـرد أصلا والمثنى والجمع فـرعيْن منه. لذلك لم يحتج المفـرد، في نظرهم، إلى أن يُميّـز بزيادة أو نقـصـان (35). لكن الرؤية الـسنكرونيـة لأقسام العدد الثلاثة في العربية وهي : الإفراد والتثنية والجمع تقتضي اعتبار المفرد مّيزا مميزا بعدم وجود عـلامة للعدد فـيه أي بمورفـيم صفر. أمّـا المثنى فهومميّـز في الظاهر بمورفيـمين هما : الألف والنون (ان) في حـالة الرفع واليـاء والـنون (يْنِ) في حـالتي الـنصب والجـرّ. وإنّ الارتباط الوثيق بين هذيـن المورفيمين والحالات الإعـرابية الثلاث ليـثير مـشكل تصنيفهـما. فـهل هما مورفيـمان صـرفيـان للدلالة على العـدد أم هل هما مـورفيـمان إعـرابيان لإفـادة الوظيفة؟(36).

وفي رأينا أن للمثنى أربعة مورفيمات لا اثنين هي :

- ان (âni) في نحو : «ولدان» للمثنى المرفوع.
- يْن (ayni) في نحو : «ولديْن» للمثنّى المنصوب والمجرور.
- ا(â) في نحو : «ولدا صالح» للمثنّى المرفوع المضاف.
- يْ (ay) في نحو : «ولدي صالح» للمثّنى المنصوب المضاف.

والأرجح أنّ هذه المورفـيمـات هي، في الأصل، للتـثنيـة. والدليل على ذلك أنّ دلالتها على التـثنية ثابتة وأنّ الذي يتغيّـر فيها إنّما هو صورها حين تدلّ على حـالات إعرابية معيّنة وكذلك عند الإضافة أو عدمها. ومن ثّمـة فإنّ هذه العلامات مورفيمات ثنائية الدلالة تفيد مفهوم التـثنية وفي الآن نفسه تشير إلى وظيفة الاسم النحوية. وطبـيعتها المزدوجة هذه تنهض دليلا على مدى ترابط المستوييْن الصرفي والنحوي وقوة تعالقهما في اللغة العربية.

وأمّا الجمع فهو على ثلاثة أضرب : الأوّل هو جمع المذكّر السالم. وله مثل المثّنى أربعة مورفيمات هي :

- ون (ûna) في نحو : «معلّمون» لجمع المذكّر السالم المرفوع.
- ين (îna) في نحو : «معلّمين» لجمع المذكّر السالم المنصوب والمجرور.
- و(û) في نحو : «معلّمو القرية» لجمع المذكّر السالم المرفوع المضاف.
- ي (î) في نحو : «معلّمي القرية» لجمع المذكر السالم المنصوب والمجرور المضاف.

هذه المورفـيمـات متـعدّدة المعـاني. فهي تشـتـرك في الدلالة على الجمع والتـذكيـر والسلامة والعاقل والقلّة. وتختلف باختلاف الحـالة الإعرابية التي تدلّ عليها حسب ما إذا

---

(35) انظر : المنصف عاشور : «ظاهرة الاسم»، ص 207.

(36) راجع آراء سيبويه والأخفش وغيرهما في هذه القضية ضمن «شرح المفصّل»، 4/139 - 140.

كان الاسم مضافا أو غير مضاف.

لكن قد تلتبس هذه العلامات بعلامات مماثلة شكليا تلحق بعض أسماء الجوامد نحو: «أرضون»، «سنون»، «برُون» (37)، «قلون» (38)... حيث لا تدل على التذكير ولا على العاقل وتقتصر على إفادة بقية المعاني. وقد عدّت هذه الأسماء وأضرابُها ملحقة بجمع المذكّر السالم.

أمّا النوع الثاني من الجموع فهو جمع المؤنث السالم. وله مورفيمٌ واحد هو ات (ât) الذي يفيد الجمع والتأنيث والسلامة والقلّة. أمّا الضمّة أو الكسرة في آخره فهي علامة إعراب أي مورفيم آخر مستقلّ.

وأمّا النوع الثالث فهو جمع التكسير. ومورفيمه هو صيغة الاسم المجموع. وهي تدلّ إمّا على القلّة إذا كانت إحدى الصيغ الأربع التالية (39): أفْعُل، أفعال، أفْعِلَة؛ فِعْلَة؛ وإمّا على الكثرة إذا كانت غير ذلك.

نمـــاذج تحليليـــة:

الاسم	مورفيم العدد	نوعـــــه
ولدان	ان	مورفيم تثنية (ووظيفة)
ولدا صالح	ا	مورفيم تثنية (ووظيفة وإضافة)
معلّمون	ون	مورفيم جمع مذكر سالم (ووظيفة)
معلّمو القرية	و	مورفيم جمع مذكّر سالم (وإضافة ووظيفة)
فِيَلَة	فِعَلَةٌ	مورفيم جمع تكسير يفيد القلّة
جِمَـــالٌ	فِعَال	مورفيم جمع تكسير يفيد الكثرة
قوم	Ø	مورفيم جمع (40)
روم	()	مورفيم جمع (41)

(37) «بُرُونَ» مفردها «بُرَةٌ» وهي حلقة من صُفْر توضع في أنف الجمل. انظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط. 3، القاهرة، 1985، 1/55.

(38) «قُلُون» مفردها «قُلة»، وهي نوع من الكرة يلعب بها. انظر: «المنجد في اللغة» ط 20، دار المشرق، بيروت، 1969، ص 652.

(39) انظر: ابن يعيش: «شرح المفصّل»، 5/9 - 10.

(40) «قوم» هو اسم جمع صيغته صيغة إفراد ودلالته على اجمع. لذلك نعتبر مورفيم الجمع فيه مقدرا Ø.

(41) «روم» هو اسم جنس جمعي، مفرده روميّ. وهو يفترق عنه بالياء. لذلك فإن علامة الجمع في روم هي مورفيم ().

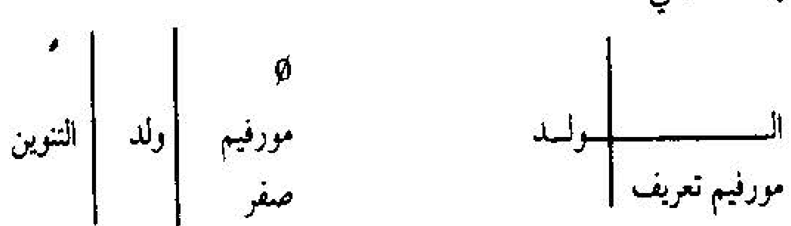
2 - 2 - 5. مورفيمات التعيين :

لقد قسّم النحاة العرب القدامى الأسماء من حيث التعيين وعدمه إلى قسمين : معارف ونكرات. وتبيّنوا في كل قسم درجات.

فالمعارف، مرتّبةً حسب قوّة تعريفها هي في نظر سيبويه كالآتي(42) : المضاف إلى معرفة، المعرّف بالألف واللام، المبهمات(43)، الضمائر.

أمّا النكرات فأولّها المتوغّل في الإبهام نحو : «شيء»، ثم يختص الاسم حسب دلالته إلى أن يقترب من المعرفة. لكن دون أن توجد مميّزات صرفية للتفريق بين كلّ هذه الدرجات إلاّ إذا كان الاسم النكرة مخصّصا بصفة أو بإضافة فيتميّز بذلك عن النكرة المحضة، وفي هذا يقول المبرّد : «أنكر الأسماء شيء لأنه مبهم في الأشياء كلها. فإن قلت جسم فهو نكرة. وهو أخصّ من شيء. كما أنّ حيوانا أخصّ من جسم وإنسانا أخصّ من حيوان ورجلا أخص من إنسان» (44). ويقول أيضا «رجل ظريف أخص من رجل» (45).

ويمكن القول إنّ أوضح مورفيم للتعريف هو الألف واللاّم. أمّا مورفيم التنكير المقابل له فهو مورفيم مركّب متقطّع يتألف من مورفيم صفر في أوّل الاسم والتنوين في آخره. وذلك كالآتي :



أمّا المضاف إلى المعرفة فلا أهمية فيه للمضاف في حدّ ذاته بل للمركّب الإضافي كله الذي يقوم مقام اسم. وهذا المركّب الإضافي معرّف ومورفيم التعريف فيه هو الألف واللاّم. مثال ذلك :

---

(42) انظر : المنصف عاشور : «ظاهرة الاسم»، ص 232.

(43) لم يذكر سيبويه أسماء الموصول ضمن المبهمات التي جعلها تقتصر على أسماء الإشارة، والحال أنها مثلها. انظر : سيبويه (ت 180 هـ) : «الكتاب»، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب وعالم الكتاب، بيروت، 5/2 - 6.

(44) انظر : المبرّد (ت 285 هـ) : «المقتضب»، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963، 186/3.

(45) المصدر نفسه، 280/4.

رَجل	الـــ	بيتٌ
	مورفيم تعريف	

وأمّا الضمائر وأسماء الموصول والإشارة فهي كلّها مورفيمات. منها ما هو بسيط نحو : «أنا» و«الذي» و«هنا»؛ ومنها ما هو مركّب نحو : «اللذان» و«هاتان» و «تانك».

والمشكل الوحيد الذي يبقى قائما هو مشكل الاسم العلم الذي عدّه النحاة العرب القدامى معرّفا في ذاته واعتبره المحدثون نوعا من الرمز لأنّه يحيل وجوبا إلى شفرة خاصة(40). والرأي عندنا أن الاسم العلم لا دلالة حقيقية لجذره. فمفهوم الصلاح في الاسم «صالح» لا يطابق بالضرورة المسمّى بهذا الاسم. كما أنّه لا قيمة لغوية لصيغته «فاعل» إذ ليس بصفة مشبهة. إنّما هو لفظ يقصد به تمييز المسمّى به عن غيره من الأشخاص. ولذا فهو مورفيم قائم الذات يفيد التعريف ويتألف فضلا عن ذلك من مورفيم للجنس وآخر للوظيفة. وذلك على النحو التالي :

ُ	0	صَالِح
مورفيم الوظيفة	مورفيم دال على التذكير	مورفيم تعريف

(40) انظر : Jakobson (Roman): Essais de linguistique générale". Vol.I, pp.177-178

2 - 2 - 6 مورفيمات الوظائف :

إنّ مورفيمات الوظائف هي علامات الإعراب بأنواعها، الأصلية منها والفرعية، الظاهرة والمقدّرة. ويؤلف بعضها مع مميّز العدد - كما رأينا - مورفيما واحدا.

تقودنا هذه التحاليل لمختلف أنواع المورفيمات التي منها يتألف الاسم في اللغة العربية إلى تصميم الجدول التالي. وهو عبارة عن أنموذج تحليلي عامّ يمكّن من تقديم صورة دقيقة لبنية هذا القسم من الكلام وتجزئتها إلى العناصر المورفيمية التي تتكوّن منها :

الجذر	الصيغة	السمة العددية	السمة الجنسية	السمة التعيينية	السمة الوظيفية
ثلاثي رباعي	تجريد زيادة	إفراد تثنية	تأنيث تذكير	تنكير تعريف	رفع نصب
خماسي	سماع قياس	جمع			جرّ
في المستوى المعجمي		في المستوى الصرفي التركيبي			

تطبيق على لفظ : «الوَلَدُ»

الجذر		الصيغة		السمة العدديّة		السمة الجنسية		السمة التعيينية		السمة الوظيفية	
المورفيم	نوعه	المورفيم	نوعه	المورفيم	نوعه	المورفيم	نوعه	المورفيم	نوعه	المورفيم	نوعه
[و/ل/دُ]	ثلاثي	فَعَل	مجرد سماعي	فَعَل # أفعال	مفرد	مورفيم صفر	مذكّر	الألف واللام	معرفة	الضمة	مرفوع
في المستوى المعجمي				في المستوى الصرفي التركيبي							

3 - خـاتمـــــة :

يتبين لنا، إذن، من هذه المحاولة المتواضعة في وضع منهجية لتدريس بنية الاسم المورفيمية في اللغة العربية، أن لمفهوم المورفيم ميزتين بارزتين : الأولى نجاعته في تقطيع الكلمة إلى عناصرها الدلاليّة الدنيا، الظاهرة منها والضمنية، والثانية تمكينه من توحيد عدّة مقولات درسها النحاة العرب القدامى في أبواب صرفية ونحوية ومعجميّة متباعدة ولم يتفطّنوا إلى إمكان إرجاعها إلى مفهوم واحد هو الوحدة المعنوية الدنيا. ولا يخفى ما لهذا التوحيد من أهميّة بالغة لأنه يضع حدّا لتشتّت رؤية الباحث والدارس لبنية الكلمة العربية. وذلك بتوجيهها إلى وحدات تنتمي، على تنوّعها، إلى مقولة واحدة. وفي هذا فائدتان : علمية وبيداغوجية.

محمد صالح بن عمر
جامعة تونس الأولى

موقف المعجم العربي المعاصر
من ترتيب الدلالات

بحث : حلام الجيلالي

إذا كان الرّصيد المفرداتي في المعجم اللّغوي، يستوجب ترتيبا معيّنا للمداخل : ألفبائيا أو موضوعيا، فإنّ تعريف أيّ مدخل من تلك المداخل يفرز بالضرورة عددا من الدلالات المتباينة، وذلك سواء على مستوى نوع المعنى أو مجال الاستعمال أو مستواه الفصاحي. ويفرض هذا تقنية خاصة لمعجمة تلك الدلالات تماشيا مع الأهداف العلمية والتربوية للمعجم.

وتتناول هذه الدراسة ترتيب الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة، وتخصّ بالمعالجة طرائق الترتيب، وموقف المعاجم اللغوية من استثمارها أثناء تعريف المداخل.

لقد أثار قضية ترتيب الدلالات في المعجم كثير من المعجميّين - قدماء ومحدثين ومعاصرين - فاقترحوا عددا من الطرائق للتّصنيف والترتيب، سواء على مستوى التأسيس النظري أو على مستوى الإجراء التطبيقي. ولعلّ أهمّ هذه الطرائق هي :

أ) - إدراج المعنى الحقيقي قبل المعنى المجازي، وقد حاول تطبيق هذه الطريقة الزمخشري (ت538 هـ/1144م) في معجمه أساس البلاغة. فسعى إلى إفراد المجاز عن الحقيقة(1). كما ذهب إلى ذلك أصحاب المعجم الوسيط (2).

ب) إدراج الدلالة اللغوية، أو المركزية قبل الدلالة السياقية والاصطلاحية، على غرار ما نادى به الخوارزمي الكاتب (ت. حوالي 387 هـ/ 997م) في معجمه المختصّ

(1) الزمخشري، أبو القاسم : أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1385هـ/ 1965م، ص ص 7-8.

(2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ط. 2، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، 1972، المقدمة، ص 11.

مفاتيح العلوم(3)، والجرجاني الشريف (ت816 هـ/1413م) في التعريفات(4)، وأكثر أصحاب المعاجم اللغوية الحديثة والمعاصرة، باعتباره طريقة مقاسية (Standard) عامة، كما سيأتي.

جـ) - إدراج المعنى الأكثر شيوعا وشهرة، قبل المعنى الأقل شيوعا، أو تداولا، بحيث يصبح معيار الاستعمال هو المقياس لترتيب الدلالات. وقد حاول هذا الترتيب معجم الأكاديمية الفرنسية(5)، ومعجم (D.F.C.) لجان ديبوا (J. Dubois)ورفاقه(6).

د) - إدراج المعنى الأقدم قبل المعنى الحديث أو المعاصر، وهو معيار تاريخي، يعتمد اللفظ القديم تأثيلا أو دلالة. وتتجلى هذه الطريقة في أثر المعاجم التأثيلية التاريخية مثل مشروع المعجم التاريخي للمستشرق الألماني أوغست فيشير (A. Fischer) المتوفّى سنة 1949م (7)، ومشروع المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومعجم روبير الصغير (P.R) لآلان راي (A.Rey) وآخرين(8).

هـ) - اعتماد المعنى المجرّد قبل المعنى الحسّي، أو العام قبل الخاص أو العكس، وهو معيار منطقي أرسطي، حاولت اعتماده كثير من المعاجم الحديثة والمعاصرة، على غرار المعجم الوسيط الذي ينص في مقدمته على تقديم المعنى العقلي والحقيقي على المجازي(9).

وإذا نحن حاولنا مناقشة هذه الطرائق في ضوء ما استقرت عليه بعض البحوث والدراسات المعجمية، تبيّن لنا أنّ إجراءات تطبيق تلك الطرائق في المعاجم التي ظهرت فيها، ليست في مستوى واحد ؛ فقد تكون طريقة الانتقال من الحقيقة إلى المجاز مجدية في معجم آني، يتوفر على الحقائق التاريخية والتطوّرات الدلالية للألفاظ، وقد تكون غير

---

(3) الخوارزمي، الكاتب، أبو عبد الله محمد: مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ص 2.

(4) الجرجاني، (الشريف): التعريفات، الدار التونسية للنشر، تونس 1971.

(5) Dictionnaire de l'Academie française. Hachette, Paris, 1979.

(6) Dubois, Jean, et al : Dictionnaire du français contemporain, Paris Larousse 1966.

(7) نصّار حسين : المعجم العربي، نشأته وتطوّره، ط.2، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968، 2/ 737. وانظر : عبد السميع، محمد أحمد : المعاجم العربية، دراسة تحليلية، ط.4، دار الفكر العربي، 1984، ص 195.

(8) Le Petit Robert, Dictionnaire de la Langue française, Paris, Le Robert. 1991.

(9) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ص 14

مجدية إذا لم يتوفّر لها ذلك.

كما قد تكون طريقة الانتقال من الأقدم إلى الأحدث أكثر نفعا عند توفر المعطيات التأثيلية، ولاتكون كذلك عند انعدامها، ومثل ذلك يقال عن الانتقال من الدلالة الأكثر شهرة أو استعمالا إلى الدلالة الأقل استعمالا، عندما تتوفّر معطيات ميدانية لمسار التداول المفرداتي وعند انعدامها.

ولعل أكثر الطرائق تداولا بين المعجميّين في ترتيب الدلالات، هي الطرائق (جـ، د، هـ) السالفة الذكر(10). ويذهب في هذا الصدد آلان راي (A.Rey) إلى انتقاد الطريقة (جـ) التي تعتمد معيار كثرة الاستعمال، ويرى أن هناك طريقتين فحسب هما (د، هـ) ؛ أي طريقة الانتقال من المعنى الأقدم إلى المعنى الأحدث ظهورا، أو الانتقال من المعنى المجرد إلى المعنى المحسوس، أو من العام إلى الخاص، حسب المنطق السائد للأشياء، ويحبّذ من بينهما المعيار التاريخي ويطبّقه في معجم «روبير الصغير» الذي أشرف على تحريره. وذلك على أساس أن المعيار التاريخي أكثر الطرائق نجاعة في تجنّب الأخطاء، وهذا دون أن يهمل المعيار المنطقي عند عدم توفر المعطيات التاريخية والتأثيلية(11). وبهذا ضيّق من مجال طرائق ترتيب الدلالات في المعجم اللغوي إلى طريقتين فقط.

و انطلاقا من هذه المعطيات النظرية يمكننا تتبّع تقنيات ترتيب الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة، ولا شكّ في أن المعاجم العربية المعاصرة قد أولت اهتماما لقضية الترتيب الداخلي للدلالات على خلاف المعاجم القديمة، بل والحديثة؛ غير أن هذا الاهتمام يتفاوت من معجم إلى آخر.

فالمعجم الوسيط يصرّح باعتماد المعيار المنطقي في الترتيب، وينصّ في المقدمة على «تقديم المعنى الحسّي على المعنى العقلي» (12)، ومثله المحيط، الذي ينصّ على الالتزام بهذه الطريقة مع المحافظة على ما اشتهر في المعاجم القديمة؛ فقد جاء في المقدمة: «وشرحنا المعاني المختلفة للمفردة، انطلاقا من الحسّي إلى العقلي، ومن الحقيقي إلى المجازي، دون إخلال بما جاء في المعاجم القديمة، مع إضافة المعاني الجديدة، بأسلوب واضح دقيق...» (13).

---

(10) Dubois, J. et Cl. : Introduction à la lexicographie Paris la Rousse, 1971, p. 88.

(11) Le Petit Robert. op.cit, p. XIII

(12) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 14.

(13) اللجمي، أديب وآخرون : المحيط، معجم اللغة العربية، دار المحيط، باريس، 1993، ص2.

ويذهب صاحب الرائد إلى اعتماد معيار الشهرة وكثرة الاستعمال، بالانتقال من الأهمّ إلى المهمّ. يقول : «وقدّمت من المعاني الأهمّ على لمهمّ، وقرّبت المعاني المتشابهة، بعضها من البعض الآخر، عملا بهدي المنطق»(14).

أمّا المعاجم الأخرى كالمعجم العربي الحديث والقاموس الجديد والمعجم العربي الأساسي، فلم تنصّ على أي ترتيب للدلالات في مقدماتها. على أننا نجدها تجنح في إجراءاتها التطبيقية إلى الترتيب المنطقي مرّة وإلى الانتقال من الدلالة اللغوية أو المركزية، إلى الدلالة السياقية أو الاصطلاحية مرة أخرى.

وباستقراء بعض العينات من النماذج المعجمة، يتّضح لنا أنّ المعاجم العربية المعاصرة لا تكاد تلتزم بطريقة محددة ؛ فقد تسلك الطريقة المنطقية دون اتخاذ منهجية مدروسة، وقد تتّبع طريقة تقليدية حرّة، وأحيانا تمزج بين عدّة طرائق، مما يجعل الترتيب لا يستقيم، كما في محاولة المزج بين الطريقتين المنطقية (من الحسّي إلى العقلي)، والطريقة الدلالية (من الحقيقي إلى المجازي)، كما يتّضح من الجدول التالي :

المعجم / المدخل	المنجد	الوسيط	الحديث	الرائد	القاموس	الأساسي
الجبر (15)	إصلاح مذهب كبْر علم (ريا)	شجاع عود مذهب علم (ريا)	إكراه شجاع إصلاح عود مذهب علم (ريا)	إصلاح عود كبْر شجاع ملك عبد علم (ريا)	إكراه إصلاح علم (ريا)	إكراه مذهب علم (ريا)
المجموع	4	4	6	7	3	3

جدول 1

(14) مسعود، جبران : الرائد، ط.3، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص 13.

(15) ينظر : معلوف، لويس : المنجد في اللغة والاعلام، ط. 21، دار المشرق، بيروت، 1973، ص 78 ؛ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ص 105 ؛ الجرّ، خليل : المعجم العربي الحديث لاروس، مكتبة لاروس، باريس، 1987، ص 37 ؛ جبران : الرائد، ص 420 ؛ ابن هادية وآخرين : القاموس الجديد للطلاب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1979، ص 1400 ؛ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم العربي الاساسي، باريس، مطبعة لاروس، 1989، ص 220.

ويتضح لنا من دراسة الجدول، مبدئيا، أن المعاجم العربية المعاصرة لا تتساوى من حيث عدد الدلالات المسجلة للمدخل (جبر). ففي الوقت الذي يثبت فيه الرائد سبع دلالات، والحديث ستّ دلالات، يكتفي كل من من المنجد والوسيط بأربع دلالات. ولا يثبت كلّ من القاموس الجديد والأساسي سوى ثلاث دلالات.

ولا تكاد تتّفق المعاجم المذكورة حول الدلالات المثبتة. فهناك دلالة واحدة فقط تشترك في ذكرها كل المعاجم وهي (الجبر كمصطلح من علم الرياضيات)، وتظهر دلالة (إصلاح الشيء) في خمسة معاجم، ودلالة (العود يُجبَّرُ به) في ثلاثة معاجم ومثلها دلالتا (الشجاع والإكراه)، ودلالة (مذهب نفي الاختيار) في أربعة معاجم، ودلالة (الإكراه) تصدّرت في كلّ من الحديث والقاموس والأساسي، بينما يفتتح كل من المنجد والرائد بدلالة (الاصلاح)، وينفرد الوسيط بالابتداء بدلالة (الشجاع)، وهي دلالة عقلية مجردة تخالف ما اشترطه على نفسه في المقدّمة، في مقابل دلالة (العود يجبر به) وهي دلالة حسية، ويأتي ترتيبها في الدرجة الثانية.

ونخلص من هذا النموذج إلى أن المعاجم العربية المعاصرة لا تلتزم في ترتيب الدلالات بطريقة معينة في جميع الحالات.

وإذا استثنينا ظاهرة التفاوت بين المعاجم العربية المعاصرة في عدد الدلالات المثبتة، فإن هذا استثناء لا يعفينا من التساؤل عن الطريقة التي تمّ بها جمع الرصيد الدلالي للمفردات، لما بين طريقتي الانتقاء والترتيب من تلازم.

ففي مدخل (عقدة)، [انظر جدول 2] نجد المنجد في اللغة يثبت عشر دلالات والوسيط ستّ عشرة دلالة والمعجم العربي الحديث عشرين دلالة، ويثبت كلّ من الرائد والقاموس الجديد أربع عشرة دلالة والمعجم العربي الأساسي سبع دلالات.

وقد جاء ترتيب أهم الدلالات المشتركة في المعاجم المذكورة على النحو التالي *:

- بمعنى الولاية :
- أ(1)، ب(7)، جـ(1)، د(4)، هـ(3)، و(5).
- بمعنى موضع العقد :
- أ(4)، ب(1)، جـ(6)، د(1)، هـ(2)، و(1).
- بمعنى الوثاق :
- أ(5)، ب(5)، جـ(7)، د(2)، هـ(1)، و(5).

* الحروف إشارة إلى المعجم والاعداد إشارة إلى رتبة الدلالة في المعجم.

بمعنى وحدة قياس أو سرعة :

- أ(9)، ب(4)، جـ(20)، د(14)، هـ(10)، و(3).

بمعنى عقدة نفسية :

- أ(0)، ب(15,3)، جـ(16)، د(8)، هـ(14)، و(7).

بمعنى عقدة أوديب وإلكترا :

- أ(5)، ب(16)، جـ(17)، د(5)، هـ(5)، و(4,5).

المعجم / المدخل	-أ- المنجد	ب الوسيط	جـ الحديث	-د- القاموس	-هـ- الرائد	-و- الأساسي
عقدة (16)	الولاية البيعة الكلأ موضع ع توثيق الإحكام سكون غ أصل ل وحدة ق فلك	موضع ع موضع ن ع نفسية وحدة ق توثيق جماعة ولاية لكنة عقار كلأ إحكام غموض عثم سكون غ ع. نفسية ع. أوديب	الولاية جماعة بيعة ضيعة عقار موضع ع توثيق بلاغ إحكام خصب عثم كلأ سكون غ لكنة فلك ع. نفسية ع. أوديب طب تشريح وحدة ق	موضع ع توثين جماعة ولاية لكنة عقار إحكام ع. نفسية بلاغ صيغة ملك كلأ الأرض وحدة ق	توثيق موضع. ع ولاية بيعة إحكام عقار ضيعة بلاغ/كفاية كلأ وحدة ق لكنة غموض سكون غ ع. نفسية	موضع. ع موضع. ن وحدة ق ع. إلكترا ع. أوديب لكنة ع. نفسية
المجموع	10	16	20	14	14	7

جدول 2

(16) انظر : المنجد ص 519، والمعجم الوسيط، ص 614، والمعجم العربي الحديث، ص 848، والقاموس الجديد، ص 687، والرائد ص 1030، والمعجم العربي الاساسي، ص 854.

وهكذا يتبيّن لنا أن تسجيل الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة يبرز تباينا كبيرا، فلا نكاد نقف على منهجية معينة، سواء من حيث العدد أو من حيث الترتيب؛ فباستثناء بعض الدلالات، كدلالتي (موضع العقد) التي تتصدّر الوسيط والقاموس الجديد والأساسي، ودلالة (الولاية) التي تتصدّر المنجد والمعجم العربي الحديث، لانكاد نلمس اتفاقا في ترتيب الدلالات الأخرى، فالمنجد يختتم بدلالة (الفلك)، والوسيط والرائد والأساسي بدلالة(العقدة النفسية)، والحديث والقاموس الجديد بدلالة (وحدة لقياس السرعة).

وإذا حاولنا التثبّت من المنهج المنصوص عليه في كلّ من الوسيط والرائد، وجدنا دلالات : (التوثيق، الكلأ، الاحكام)، تأتي متأخّرة عن الدلالات : (عقدة نفسية، ووحدة قياس) مع أن الأولى حسية والثانية عقلية مجازية.

كما أن الرائد يؤخّر دلالات : (إحكام، وحدة قياس، عقدة نفسية) وهي أكثر شهرة واستعمالا من دلالات: (ولاية، عقار، كلأ، كفاية، الرجل) وغيرها، وبذلك يبقى القصد غير واضح؛ فما تقديم الأهمّ على المهمّ؟

أما بالنسبة إلى ترتيب الدلالات في الأفعال، فإن المنهج القاضي بتقديم حالة لزوم الفعل على تعديه، كثيرا ما يتعارض مع طريقة الانتقال من الحسي إلى العقلي ومن الحقيقي إلى المجازي كما يتّضح من الأمثلة الآتية (17) :

1) - فتح بين الخصمين : قضى.

2) - فتح عليه : أرشده وهداه.

3) - فتح المغلق : أزال إغلاقه.

4) - فتح الكتاب : نشرطيّه.

5) - فتح الطريق : هيّأه.

فيتضح من المثالين (2.1) أن الدلالة العقلية والمجازية قد صاحبت لزوم الفعل. وبذلك جاءت قبل الدلالة الحسية مع الفعل المتعدّي في (5.4.3)، وهذا يعني أن التعارض موجود بين الطريقتين، إذا حاولنا تطبيقهما في آن واحد؛ لأن الفعل اللازم لا يكون بالضرورة دائما حاملا لدلالة حسية، كما لا يكون المتعدّي حاملا لدلالة عقلية أو مجازية بالضرورة.

وقد عاني الزمخشري في أساس البلاغة من هذه القضية ولم يستقم له الأمر إلا

---

(17) مجمع اللغة العربية : الوسيط، ص671.

في حالات قليلة (18) ؛ لأن ذلك يتطلب تأثيلا وتأريخا كاملين لأنواع الدلالات، وهذا لا يتأتى إلا للمعاجم التأثيلية.

وقد وجّهت لهذه الطريقة انتقادات عديدة، وبخاصة ما كتبه ابن الطيب الشرقي (ت 1170هـ / 1756م) حول القاموس المحيط للفيروزابادي(19)، وأحمد فارس الشدياق (ت 1305 هـ/1887م) في كتابه الجاسوس على القاموس، حيث يقول : «ومما أحسبه من الخلل أيضا : تقديم المجاز على الحقيقة، أو العدول عن تفسير الألفاظ بحسب أصل وضعها، مثل ذلك لفظة (كتب)، فإن الجوهري ابتدأ هذه المادة يقول : (الكتاب معروف)، وصاحب القاموس بقوله : (كتب كتبا وكتابا : خطّه)، ومثله صاحب المصباح والزمخشري. مع أن أصل (الكتب) في اللغة للسقاء. يقال : كتب السقاء، أي خرزه بسيرين، وهو معنى الضمّ والجمع، ومنه الكتيبة للجيش. ثم نقل هذا المعنى إلى كتب الكتاب. . وحقيقة معناه : ضمّ حرف إلى حرف . . .» (20).

ويتضح من هذا النصّ أن قضية فصل الدلالات الحقيقية عن الدلالات المجازية أمر عويص في معجم غير تأثيلي، وعلى الرغم من تمثّل الشدياق لإمكانية الفصل بينهما، والوقوف على أقدم دلالة، فإن ذلك لا يتحقق دائما؛ فقد يتمّ الانتقال من الحقيقة إلى المجاز وقد يتمّ عكس ذلك تماما، أي من المجاز إلى الحقيقة بعد اختفاء أصل الوضع؛ أو من العقلي إلى الحسّي أو من الخاص إلى العام، وفي جميع الاتجاهات.

ولعل هذا ما أدّى إلى ظهور خطل هذه الطريقة في جميع المعاجم التي حاولت تطبيقها. وقد ذهب أولمان (S. Ullmann) في هذا الصدد إلى الاعتقاد بخرافة المعنى الأصلي، ورأى أنه «عندما قاوم الباحثان أوجدن وريتشاردز الفكرة القائلة : إن الكلمات لها معنى واحد وأساسي محدّد [حقيقي]، كانا في الواقع قد قاما بثورة في علم المعنى، وفتحا آفاقا واسعة في اتجاهات مختلفة، ولو أنهما - من وجوه أخرى - قد أسرفا في الانطلاق حتى جاوزا الحدّ المعقول»(21).

---

(18) الجيلالي، حلام : المعجمية العربية الحديثة، دراسة في المعجم الوسيط : رسالة ماجستير مرقونة، بمعهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1992، ص 277.

(19) الشرقي، محمد بن الطيب إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس تحقيق عبد السلام الفاسي والتهامي الراجي، وزارة الاوقاف، الرباط، 1983، ص 277.

(20) الشدياق، أحمد فارس : الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1299 هـ، ص 11.

(21) أولمان، ستيفن : دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969، ص 216.

وأما بالنسبة إلى طريقة الانتقال من المعنى الأوسع انتشارا، أو من الأهمّ إلى المهمّ، كما جاء في مقدمة خليل الجرّ، فإن الأمر لا يخلو من الصّعوبة، سواء فيما يتصل بأنواع المجالات المعرفية، أو ما يتصل بالبيئات المختلفة للّغة، كما هو الشأن في البيئة العربية الواسعة.

ولعل هذا ما حدا ببعض المعجميين إلى انتقاد طريقة الشهرة أو كثرة الاستعمال، فقد أشار آلان راي (A.Rey) إلى أن الانطلاق من الأكثر استعمالا عمل مستحيل في الواقع ؛ لانعدام المعطيات العلمية الدقيقة (22)، وهو من ضمن الانتقادات التي وجّهت إلى معجم الأكاديمية الفرنسية الذي سلك هذه الطريقة معتمدا على نسبة تردّد الدلالات بين المتكلمين للغة.

ونخلص مما سبق إلى أن قضية ترتيب الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة، في حاجة ماسّة إلى معايير تقنية تستثمر طريقة من طرائق الترتيب أكثر فعالية وملاءمة لخصوصيات اللسان العربي، ويبدو أن الطرائق الأكثر نجاعة في هذا الصدد هي :

أ) الطريقة التأريخية التأثيلية، وفيها يتم الانطلاق من الدلالة الأقدم أو الأصل التأثيلي للكلمة المدخل ثم يُتدرّج من الأقدم إلى القديم، فالحديث فالمعاصر، حقيقة أو افتراضا.

ب) الطريقة اللغوية الاصطلاحية، وفيها يتمّ الانتقال من الدلالة اللغوية العامة أو المركزية وفق الحكم المنطقي للأشياء، إلى الدلالات السياقيّة فالاصطلاحيّة، حسب مجالات الاستعمال العامة، وهي طريقة ميسورة ومطبّقة - في بعض حالاتها - في المعاجم العربية المعاصرة.

جـ) طريقة الشهرة والمعاصرة، وفيها يتمّ الانتقال من الدلالات الأكثر استعمالا أو شهرة آنيا إلى الدلالات الأقل استعمالا أو شهرة، أو التي ظلّت مرتبطة بنصوص قديمة، ولم تتداولها الحياة المعاصرة، ويتمّ ذلك وفق إحصاءات لنسبة تردّد الدلالات.

حلام الجيلالي

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

(22) Le Petit Robert op.cit., p.XIII.

«القاموس الجديد الألفبائيّ» (*)

عـــرض ومنـاقشـة

بحث : شعبــان بن بـوبكر

«نحن في حاجة إلى معاجم نستعملها لا نزّين بها رفوفنا»

حسين نصّار

1 - معجـــم تونسيّ :

يعتبر إنجاز «القاموس الجديد الألفبائيّ» وإصداره في طبعتين تنقّح أخراهما الأولى تجربة معجمية تونسيّة جادّة جديرة بالاهتمام والاحترام. ومن المعلوم أنّ المعجم واجهة لقضايا اللّغة بمختلف جوانبها اللسانيّة والأدبيّة والبلاغيّة والاجتماعية. وذلك أنّه يتجاوز كونه مجرّد خزانة لغويّة. فقضايا المعجم تعكس بجلاء مشاغل المجتمع ومدى وعيه ودرجة تطوره.

وتحتّم مقاربة هذا القاموس من هذا المنطلق على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار جملة من المعطيات المفيدة. وهي تتّصل مجتمعة بنسبته مصدرا وصدورا. كما تتعلّق بنوعه اختصاصا ووظيفة وحجما. وترتبط كذلك بمحتواه مادّة وشواهد ورسوما. وهي تخصّ كذلك منهجه من جهة جمع الألفاظ وتعريفها وترتيبها. وتمثل هذه الخصائص المعجمية أهم الأسس التي تنبني عليها صناعة المعجم. وهذه محاور تشكل منافذ وجيهة لتثمين هذا المعجم وبيان حقيقة منزلته ودوره.

إنّ إشكاليات هذا القاموس بصورته التي بين أيدينا من قضايا المعجمية بوصفها فرعا من فروع اللسانيات. ومن رحم هذه القضايا تنبع أسئلة متعددة. هل يستند هذا المعجم إلى نظرية معجمية قديمة أو حديثة ؟ وما هي القيمة المضافة فيه ؟ وهل حقّق وظيفته من حيث هو معجم مدرسيّ ؟ وما حظه من المعاصرة من جهة توفّره على رصيد لغويّ عصريّ وعلى التقنيات المعجميّة الموفية بالغرض؟ وتلك هي مدارات المعجميّة بشقّيها النّظريّ والتّطبيقيّ. فالمعجميّة في أبسط تعريفاتها هي العلم الذي يهدف إلى ضبط المبادئ

(*) القاموس الجديد الألفبائي، أعاد النظر فيه ونقّحه وراجعه الجيلاني بن الحاج يحيى، ط. 10، تونس - بيروت، 1997.

والمناهج التي تعتمدها المعاجمية وهي صناعة تأليف القواميس.

وسننظر في هذا المعجم انطلاقا من مواضعات المفهوم الخاصّ الذي يكتنف مصطلح «معجم». فحسب هذا المفهوم يعتبر المعجم مدوّنة المفردات المعجميّة مرتّبة ومعرّفة بنوع ما من الترتيب والتعريف.

ويطلق على هذا النوع من المعاجم مصطلح «قاموس». وهو المعادل لمصطلح Dictionnaire. فعملنا إذَنْ من جنس الأعمال المتّصلة بالمعجميّة التطبيقيّة Lexicographie. وموْضوعها البحث في الوحدات المعجميّة من حيث هي مداخل تجمع بين مصادر ومستويات لغويّة معيّنة، ومن حيث هي مادّة كتاب اعتمد مؤلفوه نهجا في الترتيب والتعريف (1).

لقد مضى على صدور هذا المعجم في طبعته الأولى ما يقارب العقدين من الزّمن ولا نخال ظهوره في طبعة عاشرة مزيدة ومنقّحة سنة 1997 إلاّ دليلا على أهميته ورواجه بين الناس. وظننا أنه لم يستطع جهد البقاء والحضور وتجدد الظهور لو لم يكن جم الفوائد، سائغ المخبر والمنظر. إنه عمل جليل يستمد قيمته من كونه يمثل ريادة معجميّة لم يسبق لها مثيل في بلادنا. ويكتسب أهمّيته كذلك من خصوصيّته النابعة من قيمته التربويّة والبيداغوجيّة.

ولئن توافر في هذا القاموس مزايا كهذه فلأن علماء تونسيين قد اضطلعوا بإنجازه وضعا وتقديما ومراجعة. لقد عجموا عيدان لغته فأعجموا معتاصها. ومن نافل القول الاشارة إلى أن انتساب هذا القاموس إلى تونس ليس من قبيل القطرية العلمية الضّيّقة. وإنما المقصود بذلك أن هذا المعجم وهو تونسي المنبت، يعدّ الوليد الأوّل والوحيد من نوعه الذي ظهر ببلادنا. وهو بذلك تجربة معجمية تنضاف إلى التجارب المعجمية العربية. فبينها وبين نظائره منها من التشابه والتماثل والامتداد ما يؤكد وشائج الاتصال والقربى تقنيّا وعلميّا.

على أنّ هذا لم يمنع معجمنا من الاشتمال على مقوّمات اختصّ بها. وهي تستحق الإبراز. فلقد سعى واضعوه بتأليفه إلى تأسيس معجمية تونسية مغاربية. ولذلك فالقول بتونسيّة هذا المعجم يقودنا على الأقل إلى تصوّر رصيد لغوي معين فيه ينتظره جمهور معين يعرفه بالقوة أو الفعل من خلال ما تعلمه في دور الدراسة. وليس من المبالغة

(1) ابراهيم بن مراد: مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 7-8.

في شيء الإقرار بأننا انتظرنا طويلا صدور معجم تونسي كهذا. فنحن من الجيل الذي لم يكن له ملاذ في سنوات التحصيل الأولى غير المعاجم المشرقية المصرية واللبنانية. وهي ليست بأفضل منه سندا ومتنا.

2 - معجـــم مـــدرســـي :

هذا القاموس أداة تربويّة في المقام الأوّل. فعنوانه من جهة وبعض ما جاء في التوطئة ينصّان على أنه موجه إلى الناشئة أساسا. وهو بذلك معجم مدرسيّ. ولذا فله أهميّة بيداغوجية من هذه الناحية. ونعتقد أنّ هذه النوعيّة من المعاجم محكومة بوظيفتها، والغاية من وضعها. وعلى هذا الأساس فإنّ ما أودع من مادّة لغوية وشواهد ورسوم قد راعى أعمار الناشئة ومستوياتهم الذهنية والمعرفية والعلمية.

ولذلك خلا من الغريب وما يتصادم مع الأخلاق المرعية والأعراف الجارية في مجتمعنا. إن رصيد هذا المعجم رصيد وظيفي. ويناسب هذا الرصيد المستوى الاعدادي والثانوي، وقد يناسب بعض المستويات الدّراسية الجامعية الأولى. ونعلم أن نفس المؤلفين قد أصدروا معجما لتلاميذ الرحلة الأولى من التعليم الأساسي. وهذا ما يبرّر نزعة التيسير الواضحة في مستوى انتقاء المفردات ووضع المعاني المتعددة للفظ الواحد أحيانا. كما تتجلى هذه النزعة في انتهاج المنهج الهجائي الألفبائي. ولقد أصبح هذا النظام شائعا في جلّ المعاجم المدرسيّة الحديثة لسهولة استخدامه. وفي ذلك مراعاة من أصحاب المعجم لطبيعة معظم الناشئة ووعيهم بالصعوبات الذهنية والنفسية.

ومن مميزات هذا المعجم أنه جاء متوسط الحجم والوزن. وهو ما يسهّل حمله على حامله. وفي هذا اعتبار لعمر الطالب وهو المستهلك الأوّل لهذا المعجم. إن غرض هذا القاموس هو «أن يصبح المعجم في أيدي مرشدي العربية ومحبيها وطلابها أداة يسيرة طيّعة»(1). ويمثل هذا القاموس بهذا التصوّر جهازا بيداغوجيا يعين التلاميذ والطلبة على معرفة ما أشكل عليهم من مفردات اللغة وعلى إغناء زادهم اللّغوي والأدبي.

3 - المحتـــوى :

اشتمل المعجم في طبعته الجديدة على إضاءة ومقدّمتي الأستاذين محمود المسعدي وعبد القادر المهيري. ولقد وردت الإضاءة ممهورة باسم الأستاذ الجيلاني بلحاج يحيى، فهو الذي تولى إعادة النظر في القاموس وتنقيحه ومراجعته. وفي الإضاءة قصة

(1) عبد القادر المهيري: مقدمة (القاموس الجديد الألفبائي).

تأليف المعجم ومحتواه وإبراز لمنهجه ومكانته العلمية ضمن العائلة المعجمية العربية. أمّا مراجعة هذه الطبعة فتعاضد عليها الأساتذة عبد القادر المهيري مجددًا ومحمد اليعلاوي وابراهيم بن مراد. وتولّى مراجعة الآيات القرآنية فضيلة الشيخ عثمان الأنداري والأستاذ صلاح الدين القاسمي. وهؤلاء جميعا من شواهد العربية ببلادنا سهروا على إعداده حتى غدا على الوجه الذي هو عليه

نحن حيال طبعة جديدة لهذا القاموس. وقد لا تتضح قيمتها إلاّ إذا قارنّا محتواها بمادّة الطبعة الأولى. ونعتمد لذلك جدولا تفصيليّا:

المعـطـيات	الطبعة الأصلية(1979)	الطبعة المنقحّة (1997)
الحجم	1535 صفحة باعتبار الملاحق العلمية	1094 صفحة باعتبار الملحق اللغوي
المداخل	26.000 مفردة	27.000 مفردة
المصطلحات	367 مصطلحا	367 مصطلحا
القرآن	3.137 آية	3.137 آية
الحديث	387 حديـــثا	387 حديـــثا
الشعر	1.663 بيتا	1.663 بيتا
الأمثال	304 مثلا	304 مثلا
الملاحق	ملاحق علمية (30 صفحة)	ملاحق لغوية (32 صفحة) - خلاصة في الصرف والنحو - خلاصة في العروض

تُبينُ هذه المعطيات الاحصائية أهميّة محتوى هذا القاموس وبالتالي حجم الجهد المبذول في وضع مادته جمعا واختيارا. وهو جهد يترجم سعي واضعيه إلى الجمع بين بلاغتي القديم والحديث، وقد ذيل بخلاصة في الصرف والنحو مردفة بخلاصة في العروض جاءت في اثنتين وثلاثين صفحة اشتملت على ثبت بالبحور الشعرية ومثّل لكلّ بحر ببيت شعريّ حلل تحليلا عروضيا. وتضمن بالإضافة إلى ذلك جملة من التنبيهات ومعلومات تهمّ العروض كتابة صوتيّة ورموزا وتفعيلات. وزوّد المعجم بلوحات تصريفية تضمنت أهم أبنية الفعل العربي مجرده ومزيده وجداول تصريفية بحسب أنواع مادّته

المعجمية وأهم المشتقات المتصلة به.

4 - المـــــداخـــــل :

تمثل هذه المداخل ركنا ركينا في هذا المعجم. وهي مادّة لغوية متنوعة تفي بعددها حاجة مستعمليه وتزيد عن ذلك بـ 21.000 مفردة وذلك أن هذه الحاجة تقدر بـ 6000 مفردة بالنسبة إلى المواطن العربيّ. أما من حيث النوع فلقد تراوحت بين سجلات لغوية عديدة. فكانت فصيحة وعامية، قديمة وجديدة، غريبة مأنوسة وأدبية علمية.

ليس المعجم مجرد قوائم من المداخل. فالمداخل ألسنيا شبكة من الدوالّ تنتظم مدلولاتها جملة من الحقول الدلالية تنتمي إليها وتحيل عليها من خلال تعدد معانيها وسياقات استخدامها. وعلى هذا الأساس فإنّ مفردات هذا المعجم تتصل في الأعم الأغلب بمختلف وجوه المعيش القديم سواء أكان هذا المعيش مادّيا أم فكريا أم وجدانيا. وتمكننا نظرة عجلى في هذه المداخل من القول بأنها تثير قضية معجمية لسانية مهمّة هي قضيّة التسمية.

إن قيمة المعجم من قيمة تسمياته. ومن وظائف المعجم أن يستجيب لضرورة تحديد الكائنات والأحداث والصفات بما يوافقها من أسماء. ولذلك جاءت التسميات في هذا القاموس متنوّعة إذ تراوحت بين «الضيغم» و«الصّاروخ» و«الشّيشة» و«اللّيموناضة» و«القيثارة» و«فاشكة العطور» و«الفاكهاني». ولكن النسبة الطّاغية من هذه المفردات قد رجّحت الكفّة لصالح المفردات القديمة الفصيحة. على أن هذا الرّجحان لم يحل دون انفتاح المعجم على كثير مما جدّ في استعمالات العصر من ألفاظ. ففي المعجم قوائم بمداخل حديثة بعضها أدبي وبعضها الآخر اصطلاحي علمي وتقنّي. ونذكر من ذلك تمثيلا : «الأكاديمية» و«الدكتوراه» و«الانعكاس» و«المظلي» و«النارِيّة» و«الوجودية».

وظنّنا أن طبيعة هذا القاموس المدرسية قد قضت على مادته بالذي أشرنا إليه من طغيان القديم الفصيح وانحسار الحديث. وظننا أيضا إنّ إيراد مجموعة كبيرة من الألفاظ موثقة بشواهد نصية تراثية أو حديثة إحيائية ليمثل خير شاهد على ما ذهبنا إليه. وقد يرضي ذلك فضول عشاق القديم. ولهذا العشق صداه في جزء هام من المنتخبات الأدبية التراثيّة في الكتب المدرسية. وكان على المعجم أن يأخذها بعين الاعتبار. ولكن طائفة من الألفاظ بدت موغلة في ثنايا الفصاحة القديمة. ومن هذه الألفاظ «الفلزّ» وهو الرّجُل الشديد الغليظ، و«المرسة» وهي الحبْل، و«المنخُوبُ» وهو الذاهب اللحم هُزَالاً،

و«الكُتَافُ» أي مرض الكتفين. وهذه نماذج قليلة من أخرى كثيرة أردنا أن نبيّن من خلالها أنه لا جدوى من حشر هذا النوع من هذه الألفاظ التي تعوزها فاعلية الاستعمال وطواعيته ضمن هذا الصنف من المعاجم المدرسية.

من وظيفة المعاجم أن تكون «خزائن اللغة ومستودع مفرداتها الأمين وحصنها الحصين». ولكن ما الفائدة من إيراد «رصيد محجور وثروة ممنوعة وأداة معطّلة». وهنا تثار قضية الاختيار. علينا ألا نقدّس القديم لقدمه والجديد لجدته وإنّما الشأن في انتقاء مادة لغوية حيّة مرنة مواكبة لتطورات الحياة ملبية لكل متطلبات الحضارة (3).

لا شك في أن مأتى هذا المنزع اعتماد واضعي المعجم في جمع مادّتهم على مواد معاجم قديمة وحديثة. ولنا أن نشير إلى أن «المعجم الوسيط» يحتلّ صدارة مصادر هذا القاموس المعجمية. وليس لمعنى هذا التوافق من دلالة غير التمشي ضمن نسق التأليف المعجمي العربي العام. وينضاف إلى ذلك الحرص على مواكبة التآليف المعجمية الجديدة.

ونحن إذ نلحّ على مداخل المعجم من حيث مفرداتها وتنوعها واتصالها بمختلف جوانب الحياة المادية والفكرية فلأن ذلك مرتبط بدور الرصيد المعجمي في تكوين الإنسان لغة وانتماء وتربية وذوقا وشخصية. وهو ما يندرج ضمن مشاغل الدرس المعجميّ. فثمة قسم منه يعنى بالمفردات وترابطها من حيث علاقتها بالمجتمع الذي تعبّر عنه. وإن قضية الاختيار موصولة بقضية الجمع. نعني بذلك طريقة مؤلفي المعجم في جمع مادته وهو ما سعوا إلى تحقيقه. ونشير في هذا المقام إلى أنّهم اعتمدوا طريقتين في الجمع والوضع إذ اقتصروا على الرواية في المادة التراثية من جهة وانطلقوا من المدونة المستعملة في وضعهم للمادة المستعملة حديثا. ولا نريد تثمين نجحهم قدر رغبتنا في الإلماع إلى أن ورود بعض ما يُؤاخذ عليه هذا المعجم مردّه لى حداثة التجربة خاصة وعسر العمل المعجمي عامة. فمن المعلوم أن الدلالة وهي دراسة المعنى اللّغوي أقّل جوانب علم اللُّغة خضوعا للمعالجة العلمية. كما يعسر أن تفسّر على أسس تجريبية بشكل صارم (4). فالمعجمية تعدّ من أعوص الدراسات التي تواجهها اللّسانيات اليوم لأنها لم توفق تماما في وضع أسس «نظرية توفر له أسباب الانتساب إليها وإلى مقارباتها» (5).

---

(3) أحمد المعتوق : الحصيلة اللغويّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 320.

(4) محمد رشاد الحمزاوي : المعجم العربي، إشكالات ومقاربات، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص 331.

(5) المصدر نفسه، ص 287.

ويجدر التذكير في هذا المضمار بأن القاموس الجديد الألفبائي سعى إلى الاستناد إلى النظرية المعجمية العربية التقليدية والمعجمية العربية المعاصرة. ولكن حظ المقاربات اللسانية الحديثة في تصور مواد المداخل لم يكن متوفرا بالقدر المطلوب. نعني بذلك المقاييس السيميائية والتداولية في انتقاء المفردات. وهي مقاييس تنأى بالمفردات عن معانيها الحرفية الأصلية. فبهذه المقاييس تعتبر أن اللغة حركة زاحفة متطورة وأن المعجم فعل لازم لأنه قائم على التدوين وعليه أن يُجدَّد ليواكب تطوّر اللغة. إذ اللغة المنقّحة تزود المعاجم بمفردات مستخدمة في سياقاتها المختلفة والمتعددة. فهذا المعجم وقد ظهر في طبعته المنقّحة لم يرصد كثيرا من المفردات الجديدة.

5 - منهـج التـرتيـب :

أجري هذا القاموس من حيث منهجه في ترتيب مداخله مجرى المعاجم العربية والأوروبيّة الحديثة. فكان الترتيب المعتمد وفق حروف المعجم. ومن المعلوم أن المنهج الهجائي على ضربين المنهج الهجائي الجذري والمنهج الهجائي النطقي.

ولقد اعتمد واضعو هذا المعجم مبدأ الهجائية النطقية فوزعت مادته إلى أقسام بحسب عدد حروف الهجاء وتسلسلها. ورتبت الكلمات بحسب حروفها الأولى ولم يعتبر في ذلك مفهوم التجريد والزيادة في الصيغ الصرفيّة. ولقد قضى هذا النهج على واضعيه بأن يرتبوا الكلمات في المعجم دون مراعاة للجانب الاشتقاقيّ في الكلمة. ولذلك فالكلمة من حيث هي منتمية إلى عائلة اشتقاقية لا ترد مع أخواتها المشتقات تحت «جذر» ما، بل ترد موزّعة أفرادا في أبواب المعجم الهجائية. فكلمة «وثق» مثلا نجدها في باب «الواو» و«ثقة» في باب «الثاء»، و«استوثق» في باب الألف و«موثوق» في باب الميم... إلخ. إن هذا المنهج النطقي على نجاعته الوظيفيّة يباعد بين مشتقات المادة المعجمية الواحدة ويشتت شملها بين الأبواب والفصول. ورغم هذه المآخذ الناتجة عن اتباع المنهج الهجائيّ النطقي، فإن هذا الترتيب يظل مفيدا وناجعا. فهو منهج وظيفي عملي نفعي إذ يمكن الناشئ والمثقف العام من استخدام هذا المعجم بسهولة (1) ولقد اعتمد من هذه الناحية تصورا وظيفيا أقرّه استعمال المعاجم الأوروبيّة بالخصوص. فهو لم يقص شرائح اجتماعية واسعة من التعامل مع اللغة وذلك بحكم محدودية ثقافتها وامتلاكها حدًا ثقافيًا أدنى يمكنها من الاستفادة من المعاجم العربية التي اعتمدت المنهج الصوتي ككتاب «العين» للخليل بن

(1) عبد القادر المهيري، مقدمة (القاموس الجديد الألفبائي).

أحمد أو منهج القافية الذي اعتمده ابن منظور مثلا، وهي مناهج تقتضي من الباحث في هذه المعاجم أن يكون ملما بقواعد اللغة قادرا على إرجاع الكلمات إلى أصولها.

لقد استطاع هذا المعجم «أن يقوم بأوّل وظيفة يجب أن يقوم بها المعجم أي مدّ الإنسان بما يغمض عليه من الكلمات بدون مطالبته بثقافة لغويّة واسعة». وقد تخلص بذلك من الوضعيّة الصعبة التي خلقتها المعاجم التقليديّة. فإنّ وضعية المعاجم التقليدية دالّة على أن المعجم «مطلبٌ عسر المهلك ومَنْهَلٌ وعْرُ المسلك، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه. قد أخر وقدم وقصد أن يعرب فأعجم»(٦).

6 - التعريف :

لا تكتمل قيمة المداخل إلاّ بتعريفها بعد ترتيبها. ويقف الناظر في هذا المعجم على طرق مختلفة في التعريف. ويعزى هذا التنوع في التعريفات إلى طبيعة المداخل. فبعض الكلمات اقتضت تعريفا منطقيا. فالقوس مثلا : «هو آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام وهو كل ما كان منحنيا على هيئة القوس كالقوس والقنطرة وقوس النصر، وقوس الدائرة وقوس قزح»... واقتضت كلمات أخرى تعريفا لغويّا لفظيا يعتمد الاستشهاد. فعرفت كلمة القليل مثلا في معناها الأول بـ «ضدّ الكثير» واستظهر على ذلك ببيت لسموأل : [الطويل]

وما ضرّنا أنّا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين قليل

وقد احتاج واضعو المعجم أحيانا إلى إيضاح بعض التعريفات ودعمها بكثير من الصور الخطية والفوتوغرافيّة. وتمثلت الأولى في عدد كبير من الرسوم. والجدير بالذكر في هذا السياق أن الحاجة قد تدعو إلى إيراد رسوم مع بعض الكلمات التي قد تغيب معانيها عن ذهن الطفل كـ «القادوس» و«المحلاج» وهو «الخشبة التي يدق بها عجين الخبز» أو «الطرة» بمعنى «قصّة الشعر المصفّفة على جبهة المرأة». ولكن ثمة أيضا رسوم لأشياء معروفة «كالفراشة» و«العجل» و«الكُريك» وهي «الآلة التي ترفع بها السيارة لإصلاح عجلاتها»، أو «المرجل» و«الطنجرة».

ولقد وردت التعريفات في هذا المعجم متفاوتة من حيث الكم بحسب الكلمات. فثمة كلمات تعددت تعريفاتها بتعدد معانيها مثل كلمة : «سَفَعَ» التي وردت بثلاثة معان :

---

(٦) ابن منظور : لسان العرب (المقدمة).

1 - قبض عليه ؛
2 - لَطَمَ الطائر فريسته ؛
3 - الشمسُ الوجهَ : لفحتْهُ

على أن من المداخل ما لم يتجاوز التعريف فيه الواحد مثال ذلك «الممتلكات» وهي العقارات التي يملكها الخواصُ، و«الممتهن» وهو «المبتذل».

ومن أنواع التعريفات المتوفرة في هذا المعجم التعريفات اللغوية الصيغيّة والمعجمية. فالمرهون مثلا هو اسم المفعول من رهن ومعناه المتوقف عليه أو المقيد به. وغني عن البيان التذكير بأهمية هذه التعريفات اللّغوية في تكوين الطالب وإثراء زاده اللّغوي.

7 - الشاهد اللّغوي :

قيل «الشاهد اللسان» من قولهم «لفلان شاهد حسن» أي عبارته جميلة. ومجمل القول أن الشاهد يمثل بهذا المعنى السياقات التعبيرية التي تتضمّن استعمالا للمفردة المشروحة. ويكتسب الشاهد أهميته في المعجم من جهة دوره التوضيحي والداعم للشرح. وللشاهد فضلا عن ذلك بعد مرجعي يحيلنا على الخلفية الأدبية والفكرية والثقافية التي يتحرك ضمنها واضعو المعجم من جهة والقارئ من جهة أخرى. ويمكن أن نتناول هذه الشواهد من زاويتين : الزاوية الوظيفية والزاوية المرجعية.

وأول ما نلاحظه غزارة هذه الشواهد وتنوُّعها. ويتصدّرها الشّاهد القرآني والحديثيّ ويليه الشاهد الشعري فالشاهد المَثَليُّ. ولقد تميز الشّاهد الشعري بانتسابه إلى أبرز أعلام الشعر في عصور الأدب جاهليّها وإسلاميّها وحديثها ومعاصرها. ونذكر من الشعراء المستشهد بهم طرفة والشنفرى والخنساء وبشار وأبا نواس وأبا العتاهية وابن الرومي والبحتري والمعري والحصرى وشوقي والرّصافي والشابي ومصطفى خريف... وغير خاف ما لهؤلاء الشعراء من اتجاهات مخصوصة في أغراض الشعر وأساليبه. وفي ذلك غنم للناشئة إذ يمدّهم المعجم بعيون الكلام المنتقاة من هذا الشعر. على أنه لا يغيب عن مستخدم هذا المعجم انتصار واضعيه للشعر التّونسي بخاصة. ونذكر في هذا السياق وفرة أشعار مصطفى خريف وأبي القاسم الشابي.

وكانت أكثر هذه الشواهد وظيفيّة. فهي مستجيبة لما ينهض به الشاهد من وظيفة الدعم والتوضيح لأن «السياق الذي يخلقه الشاهد التوضيحي سواء كان نثرا أو شعرا

يعمل على تحديد أو تعيين معنى الكلمة ووصف توزيعها الدلالي بما يحتويه من قرائن لفظية ومعنوية» (8).

على أنّ بعض الشواهد كالشواهد القرآنية أو الأحاديث النبوية لم يُرد بها التفسير أكثر مما أريد بها الاحتجاج بالفصيح. وهنا يصبح الشاهد شاهدا على استعمال الكلمة تاريخيا أكثر ممّا هو شاهد على فحوى معناها. ويتجلى ذلك خاصة في المداخل اللغوية التراثية وهو أمر يؤكد نزعة المعجم التأصيلية.

8 - خـاتمـة :

لعلنا بما أسلفنا قد ساهمنا في تقديم صورة عن المعجم المدرسي التونسي «القاموس الجديد الألفبائي». وهو معجم أثرى ولا شكّ المكتبة المعجمية التونسية خاصة والعربية عامّة ولا يسع قارئه إلاّ أن يثني على جهد واضعيه ومراجعيه. ولا نخفي أنه عمل اغتصب منا الذهن واللّسان فأنطقنا بما وسعته النفس وما سمح به المقام وغايتنا من ذلك إيفاؤه حقه وتثمينه بما هو جدير به. فهذا المعجم من تلك المعاجم التي تقرأ فإذا هي وفيّة بمطالب المحاجّة والمقايسة لوضع معجم تستوي فيه اللّغة جوهرا ثمينا وعلقا نفيسا.

شعبان بن بوبكر
كليّة الآداب بمنوبة - تونس

(8) أحمد محمد المعتوق : الحصيلة اللغوية، ص 271.

معجم النـــابغة الذبياني اللغـوي

بحث :سهام عبد الوهاب الفريح

1 - تمهيـــــد :

الشعـر هو الفنُّ الأول في الحضارة العربيّـة : فهو الأول من حيث القـدم إذا قارناه ببقيّـة فنون التعبير، وهو الأول من حيث الأهميّة إذا قارناه بغيـره من المصادر التي وصفَتْ لنا حياة العرب في عـصورهم القـديمة، ثم هو الأول من حيث «الحُـجيّة» إذا قـارناه ببقـية المصادر التي اعتمدت في جمع لغة العرب ووصفها والاحتجاج لفصاحتها.

ولقد توفرت إلى حدّ الآن دراسات في فنّ الشعر عند العرب قد اهتمت بأغراضه وأشكاله، ولكن لم تنجز بَعْدُ أعمالٌ تُعْنَى بمعجمه، أي بالرصيد الذي يتجمّع من مفرداته وبالدلالات العـامّة والخـاصّـة التي ترتبط بتلـك المفـردات. وقـد عُنِيَ بعض الـعـرب والمستشرقين بمفـردات بعض الشعراء الذين حققوا نصوصـهم أو بمفردات بعض المجاميع الشعرية التي نشروها، مثل المعلقات والمفضليات والاصمعيات، ولكنَّ العناية فيما نعلم لم تصرف إلى مُعْجم الشعر القديم بجملته.

وليس ذلك في الحقـيقة بالمهمّة الـسّهْلة. فإن جمع المدوّنة المعـجمية للشـعر العربي القديم كله يتطلب تضافر جهود أطراف مختلفة : منهـا اللغوي المعجمي الذي يجيد معرفة العمل المعجـمي جمْعًا ووَضعًا، ومنهـا الأدبي ذو الخبرة بالنصوص الشعرية العـربية القديمة وبأصحابها وبأغراضها وأشكالها، ومنها الحاسُوبي الذي يجيد معالجة النصوص معْجميًا.

ولقد حاولنا الإقدام على ذلك الـعمل الصعب بجهد فردي منها، فـأعددنا معاجم عشرة من الشـعراء الجاهليين قد بلغ عدد المفـردات التي جمعناها لهم فيهـا ما يقارب ثلاثين (30) ألفا دوّناها كلها في الحاسوب، ممثلة بذلك معجمًا عامّا لعشرة من الشعراء القدامى.

وقد صدر من ذلك المشروع الجزء الأوّل، وهو «أوس بن حجر ومعجمه اللغوي»(1). وقد قام منهجنا في وضع معجم أوس على الأركان التالية :

(1) ذكر الجذر اللغوي الذي تنتمي إليه المفردة المدوّنة المستخرجة من الديوان ؛

(2) ذكر المفردة بعد الجذر مصنفة في المعجم بحسب نظام المعاجم في الترتيب الهجائي ؛

(3) ذكر قافية البيت الذي اشتمل على المفردة ؛

(4) ذكر البحر الذي وردت عليه القطعة أو القصيدة المشتملة على البيت ؛

(5) ذكر رقم القطعة أو القصيدة في الديوان ؛

(6) ذكر رقم البيْت في القطعة أو القصيدة ؛

(7) ذكر المعنى العامّ للمفردة أو معناها في السياق.

وما نقدمه في هذا البحث هو الجزء الثاني من المشروع، وموضوعه «معجم النابغة الذبياني اللغويّ». وقد أدخلنا على الأركان التي قام عليها المنهج في إعداد الجزء الأوّل بعض التّغيير في إعداد هذا الجزء الثاني، وذلك مراعاة لنشره في مجلة مختصّة في المعجميّة، وأصبحت أركان الوَضع لذلك ستة، هي :

(1) الجذر اللغويّ الذي تنتمي إليه المفردة المدوّنة ؛

(2) المفردة ذاتها بحسب صيغتها التي وردت عليها في الديوان. على أننا قد اكتفيْنا بذكر الصيغة في موضع واحدٍ إذا كانت قد ذكرت في أكثر من موضع في الديوان ؛

(3) ذكر الصفحة (ورمزها «ص») التي وردت فيها المفردة في طبعة الديوان التي نعتمد ؛

(4) ذكر رقم البيْت (ورمزه «ب») الذي وردت فيه المفردة في القطعة أو القصيدة المستقرأة ؛

(5) ذكر رقم القطعة أو القصيدة (ورمزها «ق») التي ورد فيها البيْت المشتمل على المفردة ؛

(6) ذكر المعنى العامّ أو المعنى السياقيّ للمفردة.

---

(1) سهام عبد الوهاب الفريح : أوس بن حجر ومعجمه اللغوي ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت. الحولية 19، الرسالة 131، 1998 - 1999 (176ص).

ثم إننا لم ندون في هذا المعجم أسماء أعلام الأماكن والأشخاص، وحصرنا الجمع في مفردات اللغة العامّة. على أننا قد أهملنا من هذه المفردات الأدوات (مثل منْ وعلى) والظروف (مثل بعْدَ وتحت).

وقد اعتمدْنا في تخريج معْجم النابغة التحقيق العلميّ الجيّد الذي أنجزه محمد أبو الفضل إبراهيم لديوانه (2). وقد اشتمل الديوان في هذا التحقيق على خمس وسبعين (75) قطعة وقصيدة قد صنّفت إلى ثلاثة أقسامٍ: الأول والثاني مستخرجان مما دوّنه الأعلم الشنتمري (ت. 476 هـ/1083م) في شرحه للشعراء الستة (وهم النابغة الذبياني، وعنترة، وطرفة، وزهير بن أبي سلمى، وعلقمة، وامرؤ القيس). على أن القسم الأوّل - وعدد نُصوصه اثنان وعشرون (ق1 - ق22) - قد رُوِي عن الأصمعيّ، والقسم الثاني - وعدد نصوصه سبْعَة (ق 23 - ق 29) - لم يرْوَ عن الاصمعي بل نقله الأعلم الشنتمري من روايات علماء آخرين مثل الطوسي وابن السكّيت. وأمّا القسم الثالث- وعدد نصوصه ستة وأرْبعونَ (ق 30 - ق75) - فلم يرد في شرح الأعلم بل أضيف عن ابن السكّيت الذي روى الديوان أيضا.

والفرق بيْن مَا أورده الأعْلم ومَا أضيف عن ابن السكّيت كبير. فإن الأوّل مشروح شرْحًا وافيًا، وأمّا الثاني فيكاد يخلو من الشرح.

2 - شعر النابغة ولغته :

والنابغة الذبياني الذي نقدم مُعجمه يعدّ من كبار شعراء الجاهلية وأجلّهم قدْرًا. وقد عاش خلال القرن السادس الميلادي وكانت وفاته حوالي سنة 602 للميلاد أو بعد ذلك بقليل. ونعلم من شعره أنه قد مدَح خلال النصف الثاني من القرن السّادس اللخميّين ملوك الحيرة - وخاصة النعمان بن المنذر الذي حكم من نحو 580 م إلى 602م - والغساسنة ببلاد الشام؛ وقد دلّ ذلك على أنه كان ذا صلة وثيقة بأحداث عصره السياسية. ثم إنه كان مَعْنيًا بشؤون قبيلته ذبيان وبما يصيبها من خير من أحلافها، وما

(2) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، (د. ت.)، ([illegible] ص).

يصيبها من شرّ من أعدائها ، وقد دل ذلك على أنه كان ذا دراية بشؤون الحياة القبلية في عصره. يضاف إلى ذلك أنه كان ذا منزلة مرموقة سواءً عند الملوك أو عند شعراء عصره الذين كانوا يأتونه في سوق عكاظ فيعرضون عليه أشعارهم ويحكّمونه فيها ويرتضون حكمه.

وقد نتج عن صلاته بحياة القبيلة في البادية وحياة الملوك في الحاضرة أن ظهر في شعره اتجاهان : اتجاه يمكن تسميته بدويًا تمثله القصائد والقطع التي قالها في وصف الواقع البدويّ الذي ينتمي إليه، والحديث في علاقة الإنسان ببيئته وبقبيلته وبالآخرين عامّة. ويندرج في هذا الاتجاه ما قاله في الهجاء، وفي الدفاع عن قبيلته وأحلافها، وفي وصف الحرْب، ومظاهر الطبيعة البدويّة.

والاتجاه الثاني يمكن تسميته اتجاهًا حضريًا. وتمثله القصائد والقطع التي قالها وهو مع الملوك وخاصّة في الحيرة. ويندرج في هذا الاتجاه ما قاله في المدْح وفي الاعتذار.

ولقد أثر الاتجاهان اللذان ذكرْنا في معْجم النابغة. فلقد مازجت فيه لغةَ البادية - وهي الأغلبُ - عناصرُ من لغة الحاضرة. فإن المعْجم الذي استخرجناه من شعره يدلّ على أن جُلّه تكوّنه المفردات التي استعملها شعراء الجاهلية في القرن السادس الميلادي. وهي مفردات مُسْتمدة من الواقع البدوي الذي وُجدُوا فيه، لكن صلة النابغة بحياة القصر ومظاهر الترف فيه، وحياة البلاط ومظاهر التعامل فيه بيْن أفراد الحاشية ثم بيْن الحاشية والملك، قد أتاحت له أن يستعمل في شعره مفردات ودلالات حضريّة يقلّ ورودها في شعر غيره (ينظر في الديوان مثلا : ق1، ب 41-49، ص ص 20-28، ق2، ب14-21، ص ص 33-34 ؛ ق 8، ب 1-12، ص ص 72-74؛ ق 13، ب 1-34، ص ص 89-97).

3 - معجم النابغــــة

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
أ ب د	تأبّد	149	3	27	توحّش موضع هذه الدّمن
أ ب د	أبَد	212	2	73	قد توحّشت
أ ب د	الأبَد	14	1	1	الدّهر
أ ب ر	المآبر	69	10	7	النّمائم. واحدها مئْبَرة ومأبورة ومؤبَرة
أ ب ل	مؤبّلة	52	10	4	الكثيرة
أ ب ي	تأبى	190	1	53	تستعصي
أ ب ي	أبى لي قبرٌ	156	18	28	منعني من الاتفاق قبر أخيك
أ ب ي	أبيتَ اللّعنَ	84	14	2	لم تأت ما تلعن عليه وتذم
أ ت ن	الأتان	172	1	38	أنثى الحمار
أ ت ي	أتيّ	15	5	1	مجرى المـــاء
أ ت ي	أُتيتَ	25	30	1	رُفع إليك
أ ث ث	أثيثٌ	150	5	27	كثيف ملتف
أ ث ث	أثيثٌ	96	20	13	الكثير الذي ركب بعضه بعضًا
أ ث ر	أثَر	180	3	43	العلامة، وبقية الشيء
أ ث ر	في إثرِ	90	6	13	في عقب
أ ث ف	تأثّفك	26	43	1	اجتمعوا حولك واحتوشوك
أ ث ل	أثّلَ	155	12	28	كثّر إليه
أ ث م	الإثم	101	4	15	الإثم والذنب
أ ث م	يأثَمن	35	21	2	يرتكب إثمًا
أ ج د	أُجُد	157	4	29	الموثّقة الخَلْق
أ ج ر	آجُر	93	16	13	ما يبنى به من الطين المطبوخ (معرب)
أ ج ل	آجال النعّام	142	5	20	جمع إجل، وهو الجماعة
أ ج ن	أُجنُ المياه	180	1	43	التي تغير طعمها ولونها ورائحتها
أ خ ذ	تأخذنّي	180	3	49	تعاقبني وتحاسبني
أ د م	الأُدَم	190	3	50	قراب السيف
أ د م	أُدم	57	15	5	الإبل البيض
أ د م	أدَما	64	15	6	الجلود المدبوغة الحمر
أ د م	الأَدَم	101	2	15	الجلود الحمر ووصف به السحاب الأحمر لا ماء فيه.
أ د م	الأُدْم	146	25	26	خالصة البيـــض
أ د م	الأديم	190	2	53	ظاهر الأرض
أ ذ ن	أذنت	21	23	1	سمحت
أ ذ ي	ذو الأذاة	114	15	20	صاحب الأذى
أ ذ ي	آذاني	126	3	23	الأذى
أ ر ض	بأرضنا	198	1	61	يريد منازل قومه

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
أ ر ط	أَرْطاة	203	30	65	نبات شجيري ينبت في الرمل
أ ر ق	تُؤَرِّقُهُ	51	9	4	تمنعه النوم
أ ر ك	أراكُ	153	6	24	شجر، ويريد أن الظبية في خصب
أ س ل	الأَسَلُ	167	3	34	الرمـــــاح
أ س و	آسو	205	4	66	أداوي
أ ش ب	أشائب	42	16	29	مناشير، شبه بها أضراسها في حدتها
أ ش ر	مآشير	158	8	65	التحزيز في الأسنان ومنه ثغر مؤشَّر
أ ش ر	بذي آشَر	202	15	3	الرحم والقرابة
أ ص ر	الأَصِرَة	153	2	28	الأخلاط
أ ص ل	الأصل	170	5	42	الأساس، وكرم النسب
أ ص ل	أُصَيْلانا	14	2	1	تصغير أصيل وهو العشي
أ ض م	أَضَم	183	2	46	غضب
أ ط ل	الأياطل	51	7	4	الخُصور
أ ف د	أفدَ	89	2	13	دنا وأسرع
أ ف ق	الأُفُقُ	101	2	15	الناحيـة، وخط دائري يرى فيـه المشـاهد السماء كأنها ملتقية بالأرض
أ ك ل	الأكائل	146	24	26	جمع أكيلة، وهي أكيلة السبع
أ ك م	الإِكامَ	58	19	5	الكدى ذات الحجارة، أو الأرض الغليظة الصلبة.
أ ل ف	ألأفِها	60	26	5	جمع إلْف وإلْفَة وهي التي تألف غيرها وتسكن إليه.
أ ل ف	إلْف	218	7	75	المألوف
أ ل ك	ألِكْني	71	18	7	أي بلّغ عني
أ ل ك	مَألُكَةٌ	171	1	37	الرسالة
أ ل ك	ألِكْني	126	6	23	أبلغ عني وكن رسولي
أ ل ه	اللهَ	72	3	8	المعبود بحق.
أ ل ه	الإله	20	22	1	كل ما اتخذ معبودًا
أ ل و	فَآلَيْتُ	69	11	7	أقسمت
أ ل ي	الألاء	150	6	27	شجرٌ من الأشجـار
أ م د	الأمَد	21	26	1	الغاية التي يُجرى إليها
أ م ر	أَمْرِيَ	222	38	75	شأني
أ م ر	المأمور	157	2	29	المقدور من الأمر واقع لا محالة
أ م ر	الأمر/ائتمَرُوا	206	4	67	الشأن والحال، ائتمروا: تشاوروا
أ م ل	يَأمُلْنَ	76	6	9	يطلبن فك الأسر.
أ م م	إمام	136	34	24	أي ائتمـوا بفعل من مضـي من آبائهم والإمام: حيطُ البناء الذي يقوم به البناء

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
أ م م	إِمَّة	35	21	2	الدّينُ والطريقةُ المستقيمة
أ م م	يؤمّ	148	31	26	يقصد
أ م م	إ ما مُها	223	40	75	الإمـام: من يأتمُّ به الناس من رئيس أو غيره.
أ م م	بإمَّة	60	28	5	الحالة الحسنة
أ م م	أمّوا	213	11	74	قصدوا
أ م ن	الأمانَة	222	42	75	الوفـاء
أ م ن	المؤمنِ	25	38	21	أي الله تعالى أمن الطيور أن تهاج، أو تصاد في الحرم
أ م ن	أمونًا	202	3	65	المطيَّة المأمونة لا تعثر ولا تفتُر
أ م ن	أمانَتَهُ الأمينُ	218	9	75	الوديعـةو والوفـاء، الأمين: الحـافظ الحارس، والمأمون
أ م ن	أمينَهُ	113	9	21	ذو الأمانة
أ م ن	مأمونٌ	37	27	2	ذو الأمن
أ م ي	الإمـاءُ	175	6	40	جمع أمَة، وهي المملوكة
أ ن ب	الأنابيب	53	15	4	جمع أنبوب وهو ما بين كعوب العصا والقناة.
أ ن س	أوانسٍ	139	8	25	يُؤنسْنَ بحديثهِن وحسنهنَّ
أ ن س	أنيسٍ	127	13	23	المؤانِس، وكلّ مأنوسٍ به
أ ن س	مستأنس	17	9	1	ثور يخاف الأنيس
أ ن م	الأنام	166	2	33	ما على ظهر الأرض من جميع الخلق - والإنس والجن
أ ن ي	استأن	200	7	63	استأن: تمهل وترفق
أ ن ي	آني	113	8	21	الشديد الحرارة. ويقال: هو الذي بلغ إناه أي وقته.
أ ن ي	الأناةُ	200	7	23	الأناة: الحلم والوقار.
أ هـ ب	الإهاب	158	10	29	الجلد قبل أن يدبغ
أ هـ ل	أهلُها	16	6	1	سكانها
أ و ب	آب	121	25	22	رجـع
أ و ب	تأوّبَني	221	30	75	عادني
أ و ب	تأويب	50	5	4	المجيء مع الليل
أ و ب	بآيِبِ	40	2	3	أي عائد إلى أهله، كراعي الإبل
أ و ب	أوبه	123	30	22	العادة والطريقة
أ و ب	التأويب	222	33	75	سيرُ النهار كلّه إلى الليل
أ و د	أوَدَ	20	17	1	الاعوجاج
أ و د	المتأوِّد	91	11	13	المتثني لطوله ونعمته
أ و ر	الأواريّ	15	3	1	محابس الخيل ومرابطها. واحدها آريُّ
أ و ف	الآفات	101	4	15	الآفات: جمع: آفة: وهي العاهة.

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
أ و ل	الأوائل	120	21	22	يعني أن ملكه متوارث عمّن سبقوه
أ و ل	الآل	219	15	75	السراب
أ ي د	مُؤَايَدَة	184	7	47	مفاعلة من الأيد وهي الشدة، ويجوز أنه أراد مفاعلة من المؤئدة وهي الداهية.
أ ي ك	أيْكَة	94	20	13	الأيكة الشجر الكثيف الملتف.
أ ي ن	الأيْن	27	46	1	الإعياء والتعب.
أ ي ي	آيَة	168	1	35	العلامة والأمارة والعبرة
أ ي ي	تَأيَّا	217	32	74	تَعَمَّدَ وقصد، وتأيّا: تمكّث وتطاول
ب أ و	بَأوِهِ	216	32	7	الكبْر
ب ؤ س	بأسِهِم	42	9	3	الشدة في الحرب
ب ؤ س	بؤسي	85	12	11	أي ذوو شدّة وبأس
ب ئ س	بؤس للجهل	82	1	11	تعنيف. كقولك بؤسًا لَهُ.
ب ئ س	بأساء	139	11	25	الشدة والبؤس
ب ئ س	البأساءُ	196	4	59	المشقة والحرب
ب ت ر	باترة	156	13	28	القاطعة
ب ث ث	فبثهن	18	13	1	أرسلهنّ عليه
ب خ ت	البُخْتُ	131	9	24	الإبل الخـــراســانيــــة، وذات السنامين واحدها بُخْتِي.
ب د د	لابُدّ	104	3	17	لا مفر
ب د ر	يَبْتَدِرْنَ	175	6	40	يُسارِعْنَ إليه.
ب د ر	بادِرَهْ	156	14	28	ما يبدر من رجل عند غضبه.
ب د ر	ابتدار	84	9	11	مبادرة وإسراع.
ب د ر	بادرة	155	8	28	الغضبة السريعة.
ب د ن	بادن	197	1	160	سمين ضخم
ب د و	بَدَا لكم	82	3	1	ظهر لكم
ب د و	باديهم	184	2	47	ساكن البادية.
ب د و	بادية	184	2	47	البادية: فضاء واسع فيه المرعى والماء.
ب ذ ر	بُذِّرَ	130	5	24	أي فُرِّقَ في ظلام الليل واشتد ضوؤه وحسن.
ب ر ء	البَرِيَّة	71	20	7	الخلق
ب ر ء	البراءة	37	26	2	الإعذار
ب ر ء	البَرِيْئَة	147	30	26	أي البريئة من القتل
ب ر ء	بَرِيئَات	18	13	1	سليمات
ب ر ث ن	براثنه	75	2	9	المخالب
ب ر ح	بارحًا	213	2	74	ما مرّ من جهة الشمال
ب ر ح	بَرَاحا	200	6	63	الفراق

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ب ر د	البَرَد	18	11	1	المطر الجامد ينزل من السّماء قطعًا صغارًا.
ب ر د	برود	150	7	27	ضرب من الثياب
ب ر د	بردُ الهواجرِ	22	30	51	أي هي في الهواجر في موضع بارد.
ب ر ذ ن	براذن	170	4	30	البرذون: غير العربي من الخيل أو البغال.
ب ر ر	بريرة	131	8	24	ثمر البشام
ب ر ر	أبرّ	222	45	75	أوفى
ب ر ر	برّه	55	4	5	الوفاء
ب ر ر	لِلْبِرِّ	156	15	28	البر: الخير والقلب
ب ر ز	برز	58	17	5	أي ظاهرة
ب ر ش	البَرْشاء	117	11	22	التي بوجهها أثر النار
ب ر ع	بارعا	104	3	31	الفائق نُظراءَه في أمر
ب ر غ ز	براغز	143	13	26	أولاد البقر، شبه الوِلْدان بها.
ب ر ق	برقاءَ	163	1	30	أرضٌ غليظة فيها حجارة ورملٌ وطين مختلطة.
ب ر ق	بُرْقَة	98	1	14	أرض ذات رمل وحَصى
ب ر ق	تَبْرُقُ	181	5	44	يلمع برقها
ب ر ك	بَرَكَتْ عليه	135	28	24	يعني الحرب أو الكتيبة، شبهها بناقة قد بركت.
ب ر م	البُرَم	61	3	6	جمع بُرْمة، وهو ثمر الأراكِ قبل أن يسودّ.
ب ر م	البَرَم	62	8	6	الذي لا يدخُلُ في المَيْسر إذا نحر القوم جزورًا، بخلًا منه ولؤمًا.
ب ر م	لا يَبْرَمُونَ	101	2	15	أي لا يكونون أبرامًا، وهم الذين لا يدخلون في الميسر لبخلهم.
ب ر ن	البَرُون	223	48	75	ماء الرجل، وهو سمّ قاتلٌ أو مُزمنٌ.
ب ر ي	يَبْري/ بارٍ	183	5	46	يَسوي طرف الشيء كالسّهم وغيره، الباري: الذي يقوم بالبري
ب ر ي	بَرَى	145	22	26	أذهب حدّ نسورها مشيها على الصوان
ب ر ي	براها	182	3	45	أهزلها.
ب ر ي	تُباري	30	23	2	أي تُعارضُها لسرعتها
ب ز خ	بَزاخيّة	99	6	14	أي فيها تقاعُسٌ لكثرة حملها، ويقال نسبتها إلى بَزاخة وهي موضع.
ب ز ل	بازلها	16	8	1	نابها حين بزل اللحم أي شقّه وخرج منه.

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ب س س	يُبسّ/مُبسّ	215	22	74	لم يُسقها سَوقًا سهلاً؛ مُبسّ : سائق الإبل وزاجرها بقول بس بس.
ب س ل	باسل	204	30	65	شديد، كريه الوجه
ب ش ر	يباشّرن	142	7	26	يجعلنه ملاصقًا لهن.
ب ش م	البشام	213	8	24	شجر
ب ص ر	بصيرة	68	9	7	أي حديدة النظر
ب ض ض	بضّة	92	13	13	الناعمة البيضاء.
ب ط أ	بطيء	40	4	3	أي طال الليل فكأن كواكبه لا تسير ولا تغيب.
ب ط ر	المُبَيطِر	19	15	1	البيطـــار
ب ط ل	بُطلاً	34	16	2	الباطل
ب ط ل	بَطَل	84	8	11	الشجاع المستبسل
ب ط ل	الباطل	195	2	58	نقيض الحق، أو ما فسد أو سقط حكمُه
ب ط ن	البُطونُ	221	27	75	يعني بطون الأرض، كثر نبتها والتّفت
ب ط ن	أُبطِنَ	147	27	26	جعل داخلهن البعر والرماد
ب ط ن	مستبطنٌ	35	18	2	مضمر
ب ط ن	بطونُ ضِنّةَ	103	4	16	من قَضاعة، والبطن فرع من قبيلة
ب ط ن	مبطَنات	150	7	27	خميصاتُ البطون
ب ط ن	البطان	200	6	63	حزامٌ يشدُّ على البطن
ب ع د	في البَعَد	20	20	1	البعيد.
ب ع د	تبعَدَنْ	120	22	22	لا تهلكن
ب ع د	بعادَهُمْ	127	12	23	أي لا يكن بينكَ وبينهم عمل
ب ع ق	تبعّق	141	4	26	اشتد مطره
ب غ ض	بِغضةٌ	35	18	2	كراهية
ب غ ض	بَغضاتهم	82	4	11	البغض والكراهية
ب غ م	البُغامَ	131	6	24	صوت الظبية
ب غ ي	البغايا	134	25	24	الطلائع، واحدها باغ
ب غ ي	أبغي	222	30	75	أطلب
ب غ ي	تبتغيه	32	9	2	تطلبه أصابع الأطباء
ب غ ي	أبتَغي	69	11	7	أطلب وأرجو
ب ق ر	باقِرة	154	5	28	جماعة البقر
ب ق ل	البقلَ	221	27	75	نبات عشبي ترعاه الماشية، ويتغذى به الإنسان
ب ق ي	أبقوا/مَباق	179	4	42	حفظوا، مبقٍ : محافظون
ب ق ي	استبقِ منهم	127	12	23	احذرهم
ب ق	بمستبقٍ	74	11	8	تارك

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــنى
ب ق ي	استَبْقِ	200	5	63	أبق واحفظ
ب ك ر	الأبكار	60	26	5	جمع بكر وهي التي وضعت أول بطنٍ
ب ك ر	بِكْر	81	86	10	أي حرب شديدة ليست ببكر
ب ك ر	البَواكرا	71	18	7	التي تأتي مبكرة
ب ك ر	أبْكارَها	75	3	9	عذاراها
ب ك ر	أبكار	183	3	46	وهي أول كل شيء، وأول ولد
ب ك ر	مِبْكار	203	27	65	ما تزل مُبكّرًا من المطر
ب ك ر	إبْكار	204	43	65	التبكير
ب ل غ	تَبَلّغَ	145	20	26	أي تشرف وتمد أعناقها
ب ل غ	تُبلِّغني	20	20	1	توصلني.
ب ل غ	مُبْلِغٌ	80	1	10	موصل خبرًا
ب ل ق	البُلْق	180	3	43	جمع أبلق وهو ما كان فيه سوادٌ وبياض
ب ل ل	يُبَلُّ	180	3	43	يصيبه بلل المطر
ب ل و	أبْلَيْتُهم	184	5	47	اختبرتهم وجرّبتهم
ب ل و	تَبَالِ	151	12	27	ابتلاء واختبار
ب ل و	البَلاءُ	82	2	11	معرفتنا بما جرّبنا منهم
ب ل ى	بال	188	4	51	الفاني
ب ل ي	البَوالي	149	1	27	المتغيرة
ب ل ي	البِلَى	115	2	22	البلى : تقادم العهد
ب ن ن	المبِنِ	125	1	23	أي المقيم بهذه المنازل من الربيع
ب ن ن	بَنَانَه	93	18	13	الأصابع المخضوبة
ب ن ي	مِبناة	31	6	2	يريد أن ذلك الحصير ظهر نطع
ب ن ي	يَبْنُونَ	21	23	1	يعمرون
ب ن ي	بَنَيْتَ	173	2	39	أي فيما أصلحت وأتيت فيما بينهم
ب هـ ج	نَبْتَهِجَ	107	1	19	نسر
ب هـ ج	بَهِجٌ	92	15	13	الفرح المسرور بهذه الدرة
ب هـ ش	بَهَشْنَ	216	34	74	تناولن وأخذن
ب هـ ش	الباهشين	140	17	25	جمع باهش وهو المسرع إلى الشيء سرورا به.
ب هـ ل	البُهلولا	170	2	36	الظريف الشمائل
ب هـ ل	استَبْهَلَتْها	117	11	22	أخرجتها وفاضت بها وأقامت بها مهملة مخلاةً
ب و ب	ليس لهنّ باب	109	3	20	أي لا آخر لهنّ ولا منتهى
ب و ر	مُبِير	90	4	14	مهلك لمن كابره
ب ب ر	يبير	71	21	7	يهلك.

المعـــنى	ق	ب	ص	الكلمة	الجذر
الحال والشأنُ	27	8	150	بالي	ب و ل
ضربٌ من الشجر ليِّنٌ، ورقه كورق الصفصاف.	74	8	213	البانات	ب و ن
السيوف	71	3	210	البِيضَ	ب ي ض
تثبت وانظر	65	17	202	تَبَيّن	ب ي ن
بَعُدَتْ و انفصلت	75	2	218	بانتْ	ب ي ن
فارقتها	69	4	208	بِنْتَ عنها	ب ي ن
البين	24	46	133	المُبَيَّنِ	ب ي ن
ظاهر	75	32	222	مبين	ب ي ن
تظهر لي وتتضح	1	3	15	أبينُها	ب ي ن
البُعْد	65	11	202	للبَيْنَ	ب ي ن
فارقت وابتعدت	6	1	61	بَانت	ب ي ن
البعد والفراق	24	3	130	البَيْن	ب ي ن
ملأها	4	6	50	أتأقها	ت أ ق
جمع تَوْأَم. يعني إذا كانت الخيل اثنين اثنين	24	24	134	التُّوَام	ت أ م
ترسل بصرها خلفه	1	33	24	تُتْبِعُهُ	ت ب ع
أولادها	5	26	60	توابِعُها	ت ب ع
نسبة إلى تُبَّع ملك اليمن	26	26	146	تُبَّعِيَّة	ت ب ع
أي سأثني عليه، وأذكره.	22	28	121	سأُتْبِعُهُ	ت ب ع
اللصيق بالقوم المتبع لهم	12	1	86	تابع	ت ب ع
ما يتبعها من المطايا	4	27	22	توابعها	ت ب ع
يتبع بعضه بعضاً	13	25	95	متتابع	ت ب ع
الثـــأر	75	1	218	إلي تِبال	ت ب ل
ما تهشّم من سيقان القمح والشعير بعد درسه تعلفه الماشية.	29	8	158	التبن	ت ب ن
واحدتها تاجرة، الناقفة الحسان	14	6	90	تواجر	ت ج ر
عظام الصـدر مما يلي التَّـرقُـوتَين، والواحدة تَريبةٌ	74	30	216	التَّرائب	ت ر ب
جعلت عليهَ التراب	29	10	158	تَرَّبْتَه	ت ر ب
المملوء	1	45	27	مترع	ت ر ع
ذاهبٌ عَنكم	30	1	196	تارككُمْ	ت ر ك
أيَ لا تتـــرك، ووضع (تاركـــة) هـنا موضع المصدر.	24	1	130	أتاركَةً	ت ر ك
ماورث عن الآباء	22	19	119	تلادي	ت ل د
ماورث عن الآباء	25	114	140	تالدي	ت ل د

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ت ل ع	التِّلاعُ	30		2	مجاري المياه إلى الأودية، وهي مسايلُ عظام الواحدة تلعة.
ت ل ف	متالفُ	62	5	6	مهالك
ت ل ل	التلال	152	19	27	واحد التلال: تَلٌّ وهو الجبل والرمل المشرف.
ت ل ل	تليل	145	21	26	العنق.
ت ل و	المتالي	150	5	27	التي نتج بعضها، فما بقي فهو المتالي وقيل المتالي التي تتلوها أولادُها.
ت م ك	تامكٌ	197	1	60	السنام
ت م م	التّمام	135	26	24	أطول الليل، إما لمقاساته، وإما لطوله على الحقيقة
ت م م	التَّمام	133	16	24	يريد تمام أمره وكماله.
ت ن ب ل	تنْبَال	165	4	32	القصير
ت هـ م	تَهامةَ	100	8	14	ضد نَجْد وهي لما سَفُلَ
ت و ج	التّاجَ	112	2	21	ما يتوج به الملك
ت و ر	تارةً	115	4	22	المدّةُ والحين
ت و ه	يتيه	151	11	27	يضل ويتحيّر
ت ي ح	المُتاحا	213	4	74	المتاح: المتهيأ
ت ي ح	تاح	213	4	74	تاح: تهيأ.
ث أ د	الثّأد	15	4	1	المكانُ النّديُّ
ث ب ت	مثبتًا	216	37	74	أصابته الطّعنَةَ
ث ب ت	أثبتَه	204	39	65	طَعَنه في موضعه
ث ج ج	ثجّاجٌ	141	4	26	الذي يثج بالماء، أي يصبه
ث ر ي	أثرى	214	19	74	كثر ماله
ث ق ف	الثقاف	53	15	4	خشبة تُقوِّم بها الرماح
ث ق ل	أثقال	188	3	51	جمع ثقل، وهو الحمل الثقيل، ما يشقُ على النفس من دين أو ذنب أو نحوه.
ث ل م	أثْلَمَ	30	4	2	الذي تثلّمَ وتهدّمَ
ث م د	بالإثمد	94	20	13	الكحل
ث م د	يثمدونَها	88	9	12	أي يلحّون في مَسْألَتها، أي يقيمون فيها ولا يخرجون في طلب الرزق.
ث م د	الثَّمد	23	32	1	الماء القليل
ث م ر	ثَمَّرَ اللّهُ	155	12	28	أي كثّره وأصلحه
ث م ر	ما أثْمرَ	26	42	1	أي أكثَرَ وأصْلحَ
ث م ل	الثّملِ	214	14	74	الذي أخذ فيه الشراب
ث م م	الثُّمامَ	202	5	65	نَبْتٌ، وقد يستعمل لإزالة البياض من

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
					العين، والواحدة : ثُمامة
ث ن ي	أثْنَيْتُ	175	1	40	وصفت بخير
ث ن ي	مثنى الأيادي	63	12	6	أي أعطيتهم يَدًا بعد يد من النعمة
ث ن ي	غير ذي مثنوية	41	5	3	أي لم استثن في يميني
ث ن ي	انْثَني	204	38	65	مال عليه
ث ن ي	أثْنوا	184	5	47	وصفوا بخير ومدحوا
ث ن ي	الثُّنيان	112	5	21	الذي دون البدء. والبدء : السيد.
ث ن ي	الثَّناءُ	27	48	1	المدح
ث و ر	تَثِرْنَ	142	7	26	ينثرن الحصى ويبعثرنه
ث و ر	تُثير	119	16	22	تستخرج وتبعث من غبار
ث و ر	الثَّور	203	35	65	الذكر من البقر، ويريد هنا الوحشي
ث و ي	أثْوى-المثوى	183	3	46	أثوى: أقام - المثوى : المنزل.
ث و ي	الثّاوي	188	2	51	المقيم والمستقر
ج أ ش	جَأشها	193	2	56	النفس أو القلب
ج أ ج أ	أبجؤْجُئُهَا	177	9	41	الصدر
ج ب ب	أجبَ الظهر	106	4	18	أي لا سنام له، كأن سنامه قطع من أصله
ج ب ر	الجابرُ	167	2	34	المصلح
ج ب ر	جبّار	219	16	75	الجبّار من النخل : ما فات يدَ المتناول
ج ب ل	الجبال	190	1	53	جمع جبل، وهو مَا علا من سطح الأرض واستطال وجاوز التلّ.
ج ب و	الجُباةُ	132	12	24	جمع جاب، وهم الذين يجبون مياه السحاب ويجمعونه
ج ث م	أجْثَمَ جاثِمًا	96	30	13	الأجثم: العريض في ارتفاع، جاثمًا : اتسع موضعه وتمكن
ج ح ر	جُحْر	156	14	28	بيت الحية
ج ح ف ل	جَحْفَلَة	172	1	38	وهي لذوات الحافر كالخيل والبغال بمنزلة الشفة للإنسان
ج د د	له جدٌّ	165	4	32	من المجادّة وهو الانكماش
ج د د	ذي جُدَد	203	25	65	الثور الوحشي فيه أجزاء يخالف لونها لون سائره. واحدتها: (جُدَّة)
ج د د	الجُدُد	22	29	1	جمع جديد
ج د د	أجدكُمُ	153	1	28	يريد أجدًا منكم، أي أتجدُّون في فعلكم هذا
ج د د	جَدٌّ	138	7	25	البخت والحظ
ج د ع	تُجادع	35	17	2	تُشاتم

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــــنى
ج د ل	أجادلُ	144	16	26	أي أسعى في ردّها عليكم
ج ذ م	انْجذَما	61	1	6	أي انقطع ما بينك وبينها من الوصال
ج ذ ب	كجذْم الحوض	30	4	2	الأصل
ج ر ب	مجرِّب	128	20	23	أي قد جُرِّب فذاق حلو الحروب ومُرَّها
ج ر ب	أجرِب	73	8	8	بعير أصابه الجرب
ج ر ب	جربن	45	20	3	اختبرن
ج ر ج ر	الجرجار	60	25	5	نَبْتٌ له نورٌ أصفر
ج ر د	المتجرِّد	92	13	13	الجسم المجرَّد
ج ر د	بجرداء	117	8	22	قصيرة الشعر
ج ر د	بالجَرَد	22	30	1	أرضٌ جرداء لا شجر فيها ولا نبات
ج ر ر	مجرِ الرّامسات	31	5	2	أي جرت الرياح عليه ذيولها
ج ر ر	جرّار	77	12	9	له إخوان وتوابع فيجر بعضه بعضاً ولا يكاد ينقضي
ج ر ر	الجرائر	175	2	40	جمع جرور وهي البئر
ج ر س	مجرِس	203	27	65	محنّك عارف بالأمور
ج ر ع	جرعاء	127	13	23	أرضٌ ذات رمل وطين
ج ر م	مجرِمًا	69	11	7	مرتكبًا جُرْمًا
ج ر ي	جرى	215	31	74	أي لكان يصب الماء صبًّا
ج ز ر	جَزَرا	206	5	67	اللحم الذي تأكله السّباع
ج ز ز	جَزّا	192	4	55	يريد جزّ النواصي
ج ز ع	الجزْع	131	7	24	جانب الوادي
ج ز ي	تجزية	151	17	27	جزاؤهم
ج ز ي	جَزى الله جزاء	191	11	54	جزى: كافأ وكفى، الجزاء: الثواب والعقاب
ج ز ي	جزَتْكُمْ	192	3	55	كأفأتكم
ج س د	من جسَد	25	37	1	الدَّمُ اللّازقُ
ج س س	المَجسة	97	31	13	موضع الجس
ج ش ش	أجشّ	212	2	73	في صوته بحّة
ج ع ج ع	جعجاع	192	1	55	كل أرض غليظة صلبة قوية
ج ع د	جعد	150	5	27	أي ترابه ثَد، وما كان فيه ندى فهو جَعْدٌ
ج ع ل	نَجعل الله بيننا	156	16	28	أي نحلف بالله ونتواثق به على ما بيننا
ج ف ل	جافلةً	65	18	16	مسرعة ماضية في سيرها
ج ف ن	الجَفْنَة	63	12	6	قصعة الطعام
ج ل ب	جالب	43	15	3	اليابس الذي قد علته جُلبَةُ البُرْء
ج ل ب	مجلبون	134	23	24	معينون مجتمعون
ج ل ب	الجَلَب	219	11	75	الإبلُ المجلوبةُ للتجارة بها

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ج ل د	الجلد	15	3	1	الأرض الصلبة
ج ل ز	جالِزًا	119	16	22	عاصبًا رأسه برداته
ج ل ز	جلّ مالي	151	15	27	معظمه
ج ل ل	جلّلها	212	10	73	عمّمها
ج ل ل	تجلّ	150	9	27	أي تجل عن أن تعيا أبدًا
ج ل ل	جلّله	101	2	15	غطاه
ج ل ل	بجلة	183	3	46	الإبل السمان
ج ل ل	الجليل	17	9	1	شجر وهو الثمام.
ج ل ل	يجلّل	136	35	24	أي يغشى ويحاط به
ج ل م	كالأجلام	145	21	26	جمع جلم، وهو المقراض
ج ل و	جليّة	121	25	22	أي بخبر صادق
ج ل و	تجلو	101	1	15	تكشف
ج ل ي	انجلت	203	31	65	انكشف
ج م د	جمادى	65	20	6	أراد ليلة من جُمادى وافقت زمن الشتاء والبرد
ج م ر	جمر	80	2	10	القطع الملتهبة من النار
ج م ع	بجمع	90	4	14	الجيش المهلك
ج م ع	الجوامع	35	20	2	الأغلال، والواحدة جامعة
ج م ع	الجمعان	43	13	3	الفريقان
ج م ع	بجمع	153	4	28	الجيش
ج م ل	جامل	144	16	26	جمع جمل، وهو اسم للجمع غير مكسر على الواحد
ج م م	الجمّة	176	5	41	كثرة الماء، وقيل: البئر يجتمع فيها الماء
ج ن أ	جنأت	182	3	45	انحنت
ج ن ب	جانب	73	5	8	أي متسع من الأرض
ج ن ب	جنوب	199	4	62	جمع جنب: وهو الناحية
ج ن ب	مجنوب	50	4	4	الفرس المقود
ج ن ب	تجنّب	93	2	14	لا تقرب
ج ن ب	جانب	41	3	3	طرف
ج ن ب	الجنوب	132	13	24	ريح تهب من جهة الجنوب
ج ن ج ن	الجناجن	197	2	60	عظام الصدر، واحدها جنجن
ج ن ح	الجناحا	213	1	74	الجانب
ج ن ح	جوانح	43	13	3	مائلات للوقوع على القتلى في المعركة
ج ن ح	جنوح	190	1	53	باقية على حالها لم تتصدع
ج ن ح	جناحا	200	1	23	الجانب، والعضد، وما يطير به الطائر
ج ن د ل	جنادل	117	10	22	الحجارة

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ج ن ن	جنٍّ	128	21	23	هم في نفوذهم ومضائهم كالجن
ج ن ن	مجنّي	127	15	23	الترس
ج ن ن	الجَنــانُ	181	4	44	القلب
ج ن ن	جِنَّةٌ	56	9	5	شبههم بالجن لنفوذهم في الحرب
ج ن ن	الجنِّ	21	23	1	خلاف الإنس
ج ن ن	الجنّي	159	13	29	يعني الصـائد، وهو بأرض فـلاة قـفـر فصير جنيًا لذلك.
ج ن نَ	جُنَّةٌ	155	11	28	سترةٌ ليقتل الحية
ج هـ د	جاهَدَتْهُ	117	9	22	عارضته وجهدت نفسها في السير
ج هـ د	جَهْدي	218	9	75	الغاية والنهاية والمشقة
ج هـ ل	الجهولا	170	7	36	الجافي، السفيه
ج هـ ل	اسْتَجهلَتْكَ	115	1	22	حملتكَ على الجهل والصّبا
ج هـ ل	جاهلٍ	172	2	38	السفيه الطائش.
ج هـ ل	جَهْلاً	109	1	20	الجفوة والسَّفَهُ.
ج هـ ل	جَهْلاً	109	1	62	عدم العلم، والجفاءُ والسَّفَهُ
ج هـ م	الجَهام	132	13	24	السحاب الّذي هَراق ماءَه، وجعله هنا ذا ماء.
ج و ب	انْجابَ	216	30	74	انشقّ.
ج و ب	مُجابُ	207	2	68	مقبول الدعوة.
ج و ب	جَوابًا	14	2	1	مـا يكون ردًّا على سـؤال أو دعـاء أو دعوى أو رسالة ونحو ذلك.
ج و د	الجَواد	21	26	1	النَّجيب من الخيل.
ج و د	بأجْوَدَ	27	47	1	أكرم.
ج و ر	الجُود	40	23	3	الكرم.
ج و ر	جائرَةٌ	155	10	28	مائلة وظالمة
ج و ر	جارًا	69	11	7	المجاور في السكن والحليف.
ج و ر	يجورِ	212	3	73	أي تعْدلُ بصَوته.
ج و ر	جيرةً	90	7	13	يريد إذ كان حيّه وحيُّها متجاورين في زمن الربيع
ج و ر	جيرانًا	101	1	15	جمع مفرده جار وهو المجاور في المنزل
ج و ر	استجرتَ جار	183	2	46	استـجـرت: طلبـت الغـوث واللّجـوء، الجار : الحليف
ج و ر	جائرَةٌ	153	1	28	العادلة عن الحق
ج و ز	الجوْزاء	18	11	1	من نَوْء الجـوزاء، ولأن نـوءها يكون في البرد الشديد
ج و ز	جاوَزَ	68	4	7	غادر

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ج و ل	تَجاوُلها	85	12	11	الذهاب والمجيء في الحرب
ج و ن	الجَوْنَ	104	2	17	هنا الأبيض، وهو أيضًا الأسود
ج و ن	الجَوْني	220	21	75	من الجون وهو من الأضداد يكون أسود وأبيض يعني الحُمر الوحشية
ج و ي	جَوَّة الباغوث	158	7	69	داخله
ج ي د	جيداء	131	6	24	الظبية الطويلة العنق.
ج ي د	جيد	202	14	65	العنق
ج ي ش	جاشَ	190	3	53	ارتفع
ج ي ش	تَجيش	118	15	22	يرتفع زَبدُها، ويشتد غليُها
ج ي ش	بالجيش	42	7	3	الجند، وجماعة القوم في الحرب
ح ب ب	الحُباحِب	46	21	3	دُوَيْبة تُضيءُ بالليل كالنار
ح ب س	يَحبِسُهُ	15	5	11	يمنعه
ح ب س	المحبِس	163	3	30	مكان الحبس والسجن
ح ب ل	حِبائل	202	8	65	جمع حبالة، وهي المصيدة
ح ب و	يحبي	189	2	52	يعطي
ح ب و	أحابيه	215	24	74	اختصه
ح ب و	حَبَوْتُ	48	29	3	أعطيت، وخصصت بالعطاء
ح ب و	حِباء	189	2	52	الحباء: العطاء
ح ت ف	حَتْفُ	214	17	74	الهَلاك
ح ث ث	يَحُثُّ	119	16	22	أي يعجلهم ويأمرهم بشدة السَّوْق
ح ج ب	الحواجِب	44	18	3	جمع حاجب وهو ما يعلو العين من شعر
ح ج ج	الحَجيجُ	151	14	27	جمع الحاج
ح ج ج	حجهم	36	24	2	زيارة الكعبة وأداء المناسك
ح ج ر	محجور	159	13		ممنوع لا يُلْحَق
ح ج ر	المُحْجَر	19	14	1	الملجأ
ح ج ز	حاجِزاً	170	5	30	فاصلاً، مانعًا
ح ج ز	حُجُزاتهم	48	25	3	أعفَّاء الفروج
ح ج ل	حِجْلَيْها	181	3	44	والمفرد حِجل وهو الخلخال
ح ج ن	حُجْن	38	29	2	جمع أحجن وهو المعوج
ح ج و	الحجى	167	5	34	العقل
ح د ب	حَدَبت	103	4	16	حدبت علي: أي عَطَفَتْ
ح د ث	الحَدَثان	81	6	10	حوادث الدهر
ح د ث	حَديثها	96	27	13	كلامها
ح د ث	أحاديث	67	2	7	يريد ما يحدث به نفسه
ح د ث	حادث	142	10	26	ما يجد ويحدث

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ح د ج	الحُدُوج	214	12	74	الهوادج، والواحد حِدْج
ح د د	فاحددها	20	22	1	أمنعها
ح د د	حُدَّاتُه	203	28	65	جوانبه
ح د ر	مُنحدراً	70	6	9	متساقطاً
ح د ي	الحُداة	119	16	22	الذين يسوقون الإبل واحدها حادٍ
ح ذ ذ	حذاء	177	11	41	خفيفة سريعةٌ قصيرة الذَّنَب
ح ذ ر	يَحْذَرونها	118	14	22	يخشونها ويخافون منها
ح ذ ر	حاذَرتْ	180	2	49	خفت وتيقظت
ح ذ ر	حذاراً	70	16	7	من أجل المحاذرة على أن تنال مقادتي وطاعتي
ح ذ ر	أحْذَرُ	205	4	66	أخشى وأتوقّى
ح ر ب	المحْروب	167	2	34	المسلوب جميع ما يملك
ح ر ب	الحارب	167	2	34	الطاعن، والسالب غيره ما يملك
ح ر ب	المحارِب	42	7	3	من حاربه والمعادي
ح ر ب	حَرِبْتَ	201	2	64	أغضبت
ح ر ب	حرب	196	4	59	القتال
ح ر ج	حَرِجٌ	222	37	75	ضيق الصدر، أو الذي يهاب الإقدام على الأمر
ح ر د	الحَرَدَ	18	13	1	استرخاء عصب البعير، واستعاره للثور، أي ليس بقوائمه عيب
ح ر ر	حَرارَتها	187	3	50	يريد غيظها
ح ر ر	حُرّة	52	14	4	يعني امرأةً كريمة النسب
ح ر ر	حَرَّة	148	31	26	أرضٍ ذات حجارة سود
ح ر ز	الحِرْزُ	79	2	10	يريد الحِرْزَ من حَرَّة ليلى وهي حَرَّة النار.
ح ر س	حُرّاساً	68	9	7	جمع حارس وهو الرقيب
ح ر ش ف	حَراشفُ	207	3	68	الجراد لم تنبت أجنحته، ومن الجيش: المشاة
ح ر ف	حَرْفٌ	157	4	29	الناقة الضامرة
ح ر م	لم يَحْرَموا	58	20	5	لم يعيشوا في بؤس وشدة
ح ر م	الحرام	105	3	18	هو موضع أمن كلّ مخافة لمستجير ونحوه
ح ر م	المحارم	174	8	39	ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حقّ
ح ر م	حرْميّة	64	15	6	امرأة من أهل الحرم
ح ز ب	حَزابية	116	7	22	الغليظ، شبه بحزباء الأرض وهو ما غلظ منها وصلب.

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ح ز ر	الحَزوَّر	97	32	13	الغلام القوي . المحتلم
ح ز م	حَزِم	121	25	22	رجل ذو حزم
ح ز م	الحُزَمَا	65	19	6	جمع حزمة . وهي من الحطب وغيره
ح ز م	محتزم	136	31	24	أحاط به القتام فصار له كالحزام
ح ز ن	الحزن	215	23	74	مـا غَلُظ من الأرض ولم يبـلغ أن يكون جبلاً
ح ز ن	الحُزَّان	203	22	65	ما غلظ من الأرض
ح س ب	حَسَبِي	62	8	6	ما يعدُّه المرء من مناقبه وشرف آبائه
ح س ب	حسبَة	25	36	1	العَدّ، وهي هيئة الفعل
ح س ب	حَسَّبوه	24	35	1	حسَّبوا القَطَا وعدوه
ح س س	مِن حِسٍ	158	12	29	من صوت الأطلس
ح س س	تحسس	64	14	6	تشعر
ح س ن	حَسَنًا	27	48	1	قولاً حَسَنًا
ح س ن	حُسنايَ	184	6	47	الحسنى : مـؤنث الأحـسن، والعـاقبـة الحسنة
ح س ي	يَستَحْسِينَ	180	4	43	يَستقين، من الحَسْي
ح ش و	أحاشيَ	20	21	1	أستثني
ح ص ب	بحاصِب	203	29	65	الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء
ح ص د	المُحْصَدَ	97	32	13	الشديد الفتل
ح ص ر	حصيرَ	31	5	2	ما ينسج من جريد ونحوه
ح ص ف	بِمُحْصَف	138	6	25	برأي مبرم
ح ص ف	مُستَحصِف	97	32	13	الشديد، الضيق
ح ص ن	حصنًا	222	39	75	الموضع المنيع، جمع حصون
ح ص ن	حَصانٌ	107	4	19	المرأة العفيفة، جمع حصون
ح ص ن	المحصنات	57	16	5	النساء الطاهرات من الحيض
ح ض ر	إحضار	204	42	65	ارتفاع الفرس في عدوه
ح ض ر	حاضِر	169	6	35	مقيم في الحاضرة
ح ط ط	حَطوطٌ	222	44	75	سريعة
ح ط م	تَحطمنَّكَ	64	16	6	تكسرك
ح ف ز	يَحْفِزُهُ	65	21	6	يرقب الحقف لئلا ينهال عليه
ح ف ظ	حفاظًا	203	36	65	الحفـاظُ : الذب عن المحـارم والمنع عند الحروب
ح ف ف	يُحفُّه	24	33	1	يحيط به
ح ف ف	حافَاتها	39	33	2	نواحيها
ح ف ل	الحوافل	141	4	26	كثير الأمطار
ح ف ي	حاف	144	19	26	يريد بين خيل وإبل

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ح ق ب	مستحقبي	83	7	11	حامليه في حقائبهم
ح ق ب	محقبات	146	20	26	في حقائبها المراجل التي يطبخون فيها
ح ق ب	محقبي	55	6	5	ما عليها في حقائب الرّحال
ح ق ف	بحقف	65	21	6	رمل منعطف معوج
ح ق ق	بالحق	35	19	2	الثابت بلا شكٍّ
ح ك م	احكم	23	32	1	أي كن حكيمًا في أمرك، مصيبًا في الرأي
ح ك م	بمُحكَمات	112	3	21	القصائد التي أحكمت
ح ك م	إحكام	82	2	11	تثبيت وتقوية
ح ك م	أحكِّم	73	6	8	آخذ ما أشاء منها
ح ك م	الحُكومَةُ	109	2	20	الحكم
ح ل أ	المُحلِّىء	104	5	28	الذي يمنع الابل أن ترد الماء
ح ل ب	ينحلب	176	2	41	يخرج منها
ح ل ب	يتحلّب	60	25	5	يتساقط بقية البعضيد والجرجار من أشداقها
ح ل ب	حَلوبتُهُ	217	41	74	الابلُ التي تُحلب
ح ل س	أحلاسَهُ	200	6	63	جمع حلْس وهو كل ما وِلي ظهر الدابة تحت الرّحْل والقتب والسّرج
ح ل ف	حلَفتُ	35	21	2	أقسمت
ح ل ف	مُحالف الصيِّد	203	33	65	ملازم الصيد
ح ل ف	حليفَها	154	7	28	المُعاقد
ح ل ف	حلفِي	184	4	47	التعاهد على التعاضد والتساعد
ح ل ق	حلّق	42	10	3	طار ورفرف فوق الرؤوس
ح ل ك	حالك	20	17	1	شديد السواد
ح ل ل	الحلائل	117	8	22	جمع حليلة وهي امرأة الرجل
ح ل ل	حلٍّ	213	8	74	مقيم
ح ل ل	محلتهم	47	24	3	مسكنهم وموضع حلولهم
ح ل ل	أحلّ	183	4	46	أنزل
ح ل ل	أحلّوا	174	8	39	ركبوا المحارم
ح ل ل	لا يَحلّ	62	6	6	ليس حلالاً
ح ل ل	حلّوا	104	1	17	نزلوا
ح ل ل	حُلولاً	134	22	24	نازلين
ح ل ل	بمَحل	213	3	74	المكان الآمن
ح ل ل	حلال	149	2	27	حلال: مقيمون
ح ل م	ذو الحلَم	185	1	48	دود يكون في جلد الشّاة
ح ل م	الأحلام	46	23	3	العقول

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ح ل م	بحلمكَ	109	3	20	العقل، والأناة وضبط النفس
ح ل م	أحْلاَمُ عادٍ	101	4	15	كان الحلم في عادٍ متعارفًا فيضرب بهم المثل.
ح ل و	حُلْوِ	22	27	1	متيسرة هينة
ح ل ي	حليْها	168	3	35	بلُجمها وأداة سروجها.
ح ل ي	الحَلْيُ	130	5	24	ما يتَزيّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة
ح م د	محْمَد	189	1	52	ما يحمد المرء به، والمحامد جمع محمدة
ح م ل	حَمُولَتي	179	1	42	الحمولة: ما يُحمل عليه من الدواب
ح م ل	المُحَمَّلَة	151	18	27	المملوءة بالأحمال
ح م ل	مَحْمولٌ	105	1	18	كان الملك إذا مرض حملته الرجال على اكتافها
ح م ل	الحاملُ	167	2	34	المعطي والضامن والكفيل
ح م ل	احْتَمَلوا	16	6	1	ارتحلوا
ح م ل	احتمَلتَ	55	4	5	التزمت
ح م ل	حَمالَة	209	2	70	الديَةُ أو الغرامة يحملها قوم عن قوم
ح م م	أحِم	91	9	13	الأسود
ح م م	حَميم	211	4	72	الحار
ح م م	الحمام	203	20	65	جنس طير من الفصيلة الحمامية
ح م م	الحميم	176	2	41	الماء الحار
ح م م	حمامة	94	20	13	أراد القمرية
ح م ي	المحامي	203	36	65	المانع والمدافع عن الشيء
ح م ي	مَحْميَة	203	36	65	محمية: دفاعًا
ح م ي	حمانا	49	2	4	كل ما حميته ومنعتَ منه
ح م ي	حَام	136	35	24	ما يحميه ويمنع منه
ح ن ج ر	بالحناجر	98	3	14	الحُلوق. واحدتها حنْجَرة
ح ن ج ر	الحناجر	99	5	14	أراد بها رؤوس النخل وأعاليها
ح ن ق	حنق	183	1	46	عقب
ح ن ك	أحناكها	158	12	29	جمع حنك وهو الأسفل من مقدم اللحيين.
ح ن ن	تَحِنُّ / حنين	219	11	75	تحنُّ: تصوتُ صوتًا يشبه حنين الإبل، الحنين: صوت الإبل، وشبه به صوت الريح
ح ن ن	حَنينٍ	219	10	75	لها حنين، أي صوتُ شديد
ح ن ي	الحَني	36	24	2	القسيُ: يريد أنهاضامرة دقيقة من شدة السَير معوجة

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ح و ب	حبتم بها	192	1	55	أصابكم الإثم
ح و ج	حاجي	202	7	65	جمع حاجة، وهي ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه
ح و ج	بحاجَة	93	19	13	أراد الكلام
ح و د	حَوْذانًا	121	28	22	نبتٌ طيبِ الرائحة
ح و ر	حواراً	75	3	9	أي اشتدَّ بياض العيون وسواد سوادها
ح و ر	حاورتَه	62	4	6	راجعته الكلام
ح و ر	يحور	97	34	13	أي لا يريد بدلاً عنها ويحور: يرجع
ح و ض	الحَوْضِ	30	4	6	مجمع الماء المستدير
ح و ل	محالة	37	27	2	حيلة
ح و ل	حَوْليَّاتها	86	3	12	جذْعاتها
ح و ل	لامحالةَ	55	8	5	لا حيلة ولا بُدَّ
ح و ل	أحاولُ	35	17	2	أريد هجاءَ غيرها
ح و ل	حالت	218	3	75	حَجَزَت بيننا
ح و ل	حَالَ	32	9	2	منع
ح و ل	الحالِ	165	1	32	تارةً يأتي بالخير وتارة يأتي بالشّر
ح و ل	الحالُ	120	22	22	أراد به هنا الموت
ح و م	حَوْماتِها	171	4	37	جـمع حَـوْمَـة، وهي من القـتـال أشـدُّ موضع فيه
ح و ن	اخْتانَتْكَ	222	35	75	خانَتْكَ، ويخاطب النعمان بن المنذر
ح و ي	أحوى	91	9	13	الذي به خطّتان سوداوان.
ح و ي	حَيَّة	165	2	32	يعني بالحية هنا النعمان
ح و ي	أحْوِي	222	43	75	أملك
ح ي د	حَادَ	112	6	21	مال عنه وابتعد
ح ي ر	محْيارِ	203	23	65	مضطرب ومتردد
ح ي ز	مَتحيزاً	96	30	13	قد جاز ما حوله وبرز
ح ي ن	تحين	218	2	75	تحين: يقرب وقتها
ح ي ن	الحَوائِنَ	218	2	75	الحوائن: جمع حائنةوهي النازلة المهلكة ذات الحَيْن.
ح ي ي	تَحيَّة	200	2	63	السلام
ح ي ي	حيِيتَ	208	1	69	عشت وبقيت
ح ي ي	حيَّاكِ	62	6	6	حياها على جهة الإغراض عنها والإبعاد لمواصلتها
ح ي ي	أحياء	149	2	27	جماعات كثيرة
خ ب أ	يَخْبأنَ	139	9	25	يسترْنَ
خ ب ب	يخبُ	222	41	75	يعدو

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
خ ب ب	خَبَبَ	60	26	5	الخبب: نوع من سير الإبل سريع
خ ب ر	الخُبور	140	25	26	جمع خَبْر، وهي المزادة
خ ب ر	أخبار	202	4	65	جمع خبر وهو ما يُنقل ويُتحدَّث به قولاً أو كتابة
خ ب ل	الخابلُ	195	5	58	الجنُّ
خ ت م	الختام	131	9	24	الطين أو الشمع يختم به على الشيْء
خ د ر	الخدور	130	3	24	كل ما تخدرت فيه فاستترت به
خ د م	الخدام	135	20	24	جمع خَدَمَة وهي الخلخال
خ د م	الخِدام	58	17	5	الخلاخيل، واحدها خدمة، وأراد بها هنا الأسورة
خ ذ رف	مُخَذْرَفَاتِ	215	30	74	أظلافٌ غير مُحَدَّدات، جيداتٌ كأنّهنَّ خذاريف. والخذاريفُ: الخَرَّاراتُ التي يلعب بها الصبيان
خ ذ ف	خذُفٌ	220	21	75	سمينةٌ، وأراد الأتان
خ ذ ل	أتخذّلُ	126	9	23	خَذَلَهُ: ترك عونه ونصرته
خ ذ ل	الخواذل	143	13	26	التي خذلت صواحبها وتخلفت عن أولادها
خ ذ ل	مُتخاذلُ	117	9	22	الذي يخذل بعض خلقه بعضًا برخاوته
خ ر ب	مُخْرِبَ	185	2	48	مُعطل بيت الغني
خ ر ج	الخارِجِيّ	138	6	25	الذي خرج بنفسه ومروءته وشجاعته، وكذلك هو من الخيل
خ ر ج	خوارجٌ	58	17	5	خرجت الأكف
خ ر ج	خراجة	165	3	32	يريد لا يستقر، يُغير على كل أحد، فهو يدخل ويخرج
خ ر د	خرائد	138	4	25	جمع خريدة، وهي الخَيِيَّةُ
خ ر ص	الخرصان	179	4	42	الرماح، أي ليس فيها مَيل ولا عصل
خ ر ط	مخروطين	216	30	74	القرنان
خ ر ط م	خرطومه	177	7	41	منقاره، وهو منسَرُهُ وأنفه
خ ر ق	بالخَرقاء	64	13	6	الناقة التي كأنَّ بها هوجًا من نشاطها
خ ر ق	الخَرْقَ	84	8	11	الأرض الواسعة التي تتخرق فيها الريح
خ ر ق	مُنْخَرِق	219	11	75	الموضع الذي تهبُّ فيه الريح علي غير استقامة
خ ز ر	الخيزرانة	27	40	1	هنا سُكان السفينة، كل خشبة ناعمة لينة فهي خيزراتة
خ ز ر	خُزْرًا	43	12	3	أي تنظر بمآخير أعينها
خ ش ع	خاشع	30	4	2	المطمئن اللاصقُ بالأرض الذي ذهب

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــــنى
					شخصه
خ ش ي	مَخْشِيَّة	182	4	45	تخيف بالموت
خ ش ي	خشيته/أحشائك	78	14	9	الخوف منه
خ ص ب	خصيب	213	3	74	ذو خصْب
خ ص ي	خصيّة	170	4	36	جمعَ خصيّ وهو المنزوع الخصيتين
خ ض ب	بمُخْضَب	93	18	13	أي بمعصم مخضب مصبوغ
خ ض ب	مختضب	177	7	41	ملطخ بالدماء
خ ض ب	خاضب	158	10	29	الظليم، وهنا الثور الذي خضبت أظلافه لطول السير، أو للربيع
خ ض ب	تُخْضَبُ لحية	113	8	21	تصبغ
خ ض ب	كالخاضبات	51	7	4	الظّلمان (جمع ظليم) اذا أكلت الربيع احمرَّت سُوقها وأطراف ريشها.
خ ض خ ض	خَضْخَضْتْ	118	14	22	حركت
خ ض د	والخَضَد	27	45	1	نبتة، وقيل : كلُّ ما تكسر من الشجر وغيره
خ ض د	خَضِيدٌ	205	3	66	المنزوع الشوك من الشجر، يريد كُسِرَت حدّتهم
خ ض ع	مُخْتَضِعٌ	177	8	41	مائل برأسه الى الأرض
خ ض ع	خواضع	36	24	2	خواشع ذليلون من الجَهد
خ ط ب	الخُطوب	151	12	27	الشدائد، واحدها خَطْبٌ
خ ط ر	تَخْطُر	195	3	58	تهتزُّ وتتبختر
خ ط ر	خطّار	203	24	65	المهتزّ
خ ط ط	يُخَطِّطْنَ	139	9	25	أي هن مأسورات محزونات، فاذا قعدن خططن بالعيدان في الأرض
خ ط ط	الخَطّيُّ	43	14	14	الرمح، ينسب الى الخطّ وهو موضع بالبحرين
خ ط ط	مَخْطوطَةُ	92	13	13	التي في متْنها خطّان
خ ط ط	خُطّتينا	55	4	5	القصة والخصلة
خ ط ف	خَطاطِيفُ	38	29	2	جمع خُطّاف البئر، وهو مثل القَعْو الذي فيه البكرة الا أنه من حديد
خ ط ف	خُطّاف	175	2	40	كل حديدة معقوفة تُجتذب بها الأشياء
خ ط ل	خَطِل اللّسان	172	2	38	أحمق اللسان
خ ط م	الخَطْم	177	10	41	المنقار
خ ط و	تخطّي	215	23	74	تجاوز في سيره
خ ف ض	أخفض	193	2	56	أسكنه وأهدئه
خ ف ف	مُخفكم	64	15	6	جمع مُخفّ: وهو من لم يثقل بعيره

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
خ ف ف	يستَخفُ	71	21	7	يرمي السفن بقوته واضطراب أمْواجه
خ ف ق	خفْق الناجيات	134	25	24	أن تخـفق برؤوسهـا من الكلال . وقـيل الخفق : السرعة
خ ف ق	تَخِفُ الأرْض	208	1	69	يقل ثقلها
خ ل ج	خلُجٌ	142	9	26	الطرق الصغار، واحدها خَلوج
خ ل ج	ستخلجهُ	218	8	75	ستَجذبه
خ ل ج	بالخُلُج	152	18	27	سفن دون العَدَوْليَّة.
خ ل د	الخلود	194	1	57	البقاء والدوام
خ ل د	خُلْدهُ	68	5	7	البقاء
خ ل ص	خالصة	47	27	3	من لون واحد
خ ل ص	استَخْلَصَتْ	209	2	70	اختصتْ
خ ل ط	الخَليط	144	15	26	النديم والملازم
خ ل ط	خالَطَهُ	223	48	75	مازجه
خ ل ع	إخْتَلعَ	214	13	74	أُخذَ ماله
خ ل ف	يخْلفْنَ	58	18	5	لا يُحققن
خ ل ف	خَـلَـفٌ	185	2	48	البدل، والولد الصالح
خ ل ف	خالَفَ	150	8	27	أي اخـتلف حـالي وحـالهـم، وانقطع مابيني وبينهم
خ ل ق	خَلَقًا	222	40	75	باليًا
خ ل ق	الخَليقة	188	3	51	الطبيعة التي يخلق المرء بها
خ ل ل	خُلَّة	195	1	58	الصداقة والمحبة تخللت القلب
خ ل ل	خلالَ	143	14	26	بين المطايا
خ ل ل	خَليلُك	213	1	74	الخليل : الصديق الخالص والناصح
خ ل ل	الخَلّ	213	5	74	الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة
خ ل ل	خَليل	84	11	11	البعل والزوج
خ ل و	خَلَوا	144	15	26	تركوا وفارقوا
خ ل و	خَلّتْ	15	5	1	كنستْهُ ونَحّتْ ما فيه من مدَر وغيره
خ ل و	خَال	149	3	27	لا أنيس فيه
خ ل و	خَلَتْ	131	7	24	تركت القطيع وانفردت بغزالها
خ ل و	الخالي	182	2	45	الماضي
خ ل و	خالوا	82	1	11	فارقوا
خ ل و	خلاءَ	82	2	11	المفارقة ونقض الحلف
خ ل و	خَلاء	16	6	1	خالية من أهلها
خ ل و	خَلّت	196	3	59	تَركَتْ
خ م ر	مخْمار	202	15	65	كأنما خالطته الخمر.
خ م س	ذاتُ خَمْس	222	35	75	يريد كفه

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
خ م س	خميس	128	18	23	الجيش
خ م ع	للخامعات	84	10	11	الضّباع
خ م ل	خامل	147	28	26	الذي لا ذكْرَ له
خ م ل	الخامل	167	1	34	الخفي السّاقط الذي لانباهة له
خ ن ذ	خناذيذ	170	4	36	الكرائم من الخيل
خ ن س	خنساء	138	3	25	البقرة القصيرة الأنف
خ ن ط ل	خناطيل	142	5	26	الفرَق والجماعات، واحدتها خنطلة
خ ن ي	أخنى	16	6	1	أفسَـد عليهـا الدهرُ الذي أفسد عـلي لُبدٍ وأفناه
خ و ص	خُوصٍ	62	7	6	الابل الغائرة العيون
خ و ف	خَوّفه	27	46	1	من خوفه الشيء : أي أفزعه
خ و ف	خَوْفَ	18	12	1	الفزع
خ و ف	مَخَافَتي	144	18	26	خوفي
خ و ل	خالَ	150	7	27	ضرب من ثياب الوشي
خ و ن	اختانتك	222	35	75	خانتك
خ و ن	لم تَخُنْها	222	42	75	لمْ تَغْدرْ
خ و ن	الخَوُونُ	218	5	75	الكثير َالخيانة
خ و ن	خَونًا	151	16	27	خيانة وغدراً
خ و ن	خيانة	72	4	8	أي أختَانُ ودَّك وأكفر نعمتك
خ ي ر	أخْيار	183	1	46	جمع خَيِّر وهو كثير الخير
خ ي ر	الخَيْر	120	22	22	يريدُ الخصْب والخير مع حياته وسلامته
خ ي س	خُيِّست	22	29	1	ذللت بالركوب
خ ي س	للمخَيَّسَة	152	20	27	الابل المذَلَّة
خ ي س	خيِّس	21	23	1	ذلّلهم
خ ي ل	الخُيَلاء	109	3	20	التكبر والبطر
خ ي م	الخيام	130	3	24	هنا الهوادج - وهي من خشب
د ب ر	إدْبار	204	41	65	فرار
د ب ر	دَبْرِ النّهار	131	8	24	أي ترعاه النهار أجمع
د ب و	مدبِرٍ	207	3	68	كثير المسيل كالجراد والنمل
د ج ج	المُدَجج	170	2	36	من عليه سلاحٌ تامٌّ
د ج و	دجى	160	3	32	ظلمة
د ح ض	مدْحضة	213	7	74	مَزلقة، أي ارتفاع
د خ س	د خيس	16	8	1	الكثير المتداخل
د خ س	دخيس	158	11	29	أراد هـنا لحـم أصـل الروق، والـروق: القرن
د خ ل	داخلٌ	119	18	22	الداء يداخل القلب

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
د ر ب	الدَّوارب	43	11	3	المتعوِّدات
د ر ب خ	دَرْبَخَتْ	191	4	54	قامت على أربع
د ر د	الأَدْرَد	97	33	13	الذي سقطت أسنانه
د ر ر	دُرَّة	92	15	13	اللؤلؤة العظيمة الكبيرة
د ر ر	دِرَّة	170	6	36	لبن الناقة
د ر ر	الدُّرِّيّ	204	42	65	الكوكب المتلألىء الضَّوء
د ر س	دَوارِسَ	149	2	27	قد زال أثرهن
د ر ع	الدِرع	202	13	65	للمرأة القميص
د ر ع	دارِع	86	2	12	صاحب الدرع
د ر ع	أدراعهم	55	6	5	أدراعهم : جمع درع، ما يلبس في الحرب.
د ر ك	مُدْرِكي	38	28	2	يدركني ويشملني بظلامه
د ر ك	أَدْرَكُوكَ	110	6	20	لحقوا بك وعاقبوك
د ر ن	الدرين	222	33	75	يَبيسُ البُهْمَى وهو ضرب من النبت
د ر و	بالمِدْرَى	19	15	1	القَرْنُ، وحديدة على شكل سنّ من أسنان المشط
د س س	دَسَّ أعدائي	69	10	7	النميمة
د ع ص	دِعص	202	13	65	قطعة من الرمل مستديرةٌ أو الكثيبُ منه المجتمع أو الصغير
د ع م	الدِّعام	96	29	13	جمع دعامة وهي ما يسند الكرْم
د ع م	دعائم	182	1	45	الأساطين، ومفردها دعامة
د ع و	ادعيت	174	8	39	من الإدعاء أي قلت لهم
د ع و	دَعْوَة	184	3	37	ما يُدعى إليه من اجتماع وغيره
د ع و	دعاءٌ	53	16	4	نداء وشعار
د ع و	تَداعتْ	163	2	30	نادى بعضهم بعضًا
د ف ع	تدافعُ	77	9	9	أي تمنعنا من الناس
د ف ع	الدوافع	30	1	2	التي تدفع إلى الوادي، وواحدتها دافعة
د ف ع	التدافع	36	22	2	أي يتحاملن من الجهد والإعياء، أو يتدافعن لشدة سيرهن
د ق ق	دُقاقُ التُرب	136	31	24	التراب الناعم
د ل ج	مُدْلجًا	186	21	40	رجل، والمدلج السائر من أول الليل
د ل ج	إدلاج	157	4	29	السير في آخر الليل
د ل ل	تَدَلُّلها	130	1	24	دلالها
د ل ل	الأدلَّة	134	25	24	جمع دليل
د ل ل	ادْلَلْهُ	21	24	1	أرشده ودلّه
د ل ل	الدَليلُ	127	13	23	المرشد

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
د ل و	الدلو	176	2	40	إناء يستقى به من البئر
د م ج	فانْدَمَجَتْ	206	3	67	دمـجت، يريد دخـلت في بعـضـهـا وطويت
د م خ	الدِّماخَ	104	1	17	أجبل عظام ضخام واحدها دمخ
د م ع	مدامعها	75	3	9	العيون، وهي مواضع الدمع
د م ع	دامعٌ	31	7	2	المترقرق في العين قبل أن ينصبّ
د م ن	دمنة الدار	202	1	65	آثار الدار
د م ن	الدِّمن	149	1	27	جمع دمنة، وهي آثار الدار
د م ي	دمية	93	16	13	التمثال والصورة
د م ي	بالدِّماء	43	11	3	جـمع دم، وهو سائل أحـمر يجـري في الشرايين
د م ي	دام	43	15	3	ينزف دمه
د م ي	داميات	80	2	10	اللواتي يقطرن دما.
د ن ف	دَنِفٌ	222	37	75	الشديد المرض والذي أشفى على الموت
د ن و	دنْيا	42	9	3	أراد الأدنين في النسب
د ن و	دَنَتْ	96	27	13	نزلت واقتربت
د ن و	دنَوْتُ	173	3	39	قربت
د ن و	الأدنى	170	8	36	القريب
د ن و	الدُّنيا	218	8	75	الحياة الحاضرة
د هـ ر	الدَّهر	151	17	27	الزمان الطويل
د هـ م	دهماء	175	4	40	قدر سوداء لكثرة استعمالها
د هـ م	بالدُّهْم	171	3	37	الخيول السود
د هـ م	الدَّهْمَ	171	3	37	الجيش
د هـ ن	دهينٌ	220	22	75	مدهون، والدّهين في غيره الأحمر
د هـ ن	مَداهِينَ	132	13	24	النُّقرة في الحجارة يكون فيها ماء قليل
د هـ ي	داهيَة	180	6	43	الأمر المنكر العظيم
د و أ	داءٌ	119	18	22	المرض ظاهراً أو باطناً
د و خ	دَوَّخْتَ	136	35	24	أي ذلّلت أهله وقهرتهم
د و ر	دارتِهَا	158	8	29	دارها، يعني مـوضعـها الذي أقـامت به في الحيرة
د و ر	الدَّار	202	4	65	المنزل الآهل بالسُّكان
د و م	المُدام	133	11	24	الخمر
د ي م	ديمة	121	27	22	المطر السائل الدائم
د ي ن	مداينة	126	8	23	المداينة : المجازاة
د ي ن	دينهم	47	24	3	اسم لجميع ما يتديّن به، والملّة
د ي ن	أدين	126	8	23	أجازي

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
د ي ن	الدُّيُون	221	29	75	جمع دَيْن، وهو ما تعطيه لغيرك من مال على أن يرده
د ي ن	الدِّينُ	62	6	6	هنا الحج
د ي ن	يَدين	196	4	59	يذل ويخضع
د ي ن	دين	223	46	75	والدين هنا الطاعةُ للمُلْك.
ذ أ ب	الذؤابة	133	17	24	وهي واحدة ذوائب الشعر، والذؤابة: شعرُ مُقَدَّم الرأس
ذ ب ح	ذُباحا	214	15	74	وجع في الحلق
ذ ب ذ ب	يتذبذبُ	73	9	8	يضطرب ويتعلق
ذ ب ل	الذّوابل	145	22	26	الصخور الصمّ الصّلاب
ذ ح ل	ذَحْل	187	5	50	الحقد والثأر
ذ ر ع	الذّراعيْن	182	3	45	القائمة الأمامية للناقة
ذ ر و	يَذْرين	76	6	9	أي يَصبُبْنَه ويرمين به
ذ ر و	تَذْري	149	4	27	تنثر
ذ ر و	الذُري	188	3	51	جمع ذُروة، وهي أعلى كل شيء
ذ ر و	يَذْرينه	144	17	26	يمسحنه
ذ ع ذ ع	مُذَعْذعَة	219	10	75	ريح شديدة تذعذع ما مرّتْ عليه، أي تزعزع
ذ ع ر	الذُّعْرُ	214	12	74	الخوف والفزع
ذ ع ف	ذُعاف	183	7	46	الذعاف: السمّ القاتل من ساعته
ذ ع ل ب	ذعْلبة	214	21	74	النّاقة السريعة
ذ ك ر	مذكّار	58	20	5	أي من عادتها أن تلد الذكور
ذ ك ر	ذكْرَة حُلُما	61	2	6	أي تذكرا كان من أجل رؤيتها في النوم
ذ ك ر	مذكرة	150	9	27	الناقة التي تشبه الذكر في خلقها
ذ ك ر	مُذكَّرة	156	13	28	فأس شديدة صلبة
ذ م م	مُذَمَّم	120	21	22	مذموم
ذ م م	بذمّة	222	45	75	العهد، والحق، والحُرْمة
ذ م م	ذمِيمَا	102	2	16	أي مذمومًا
ذ ن ب	الذّنَابى	177	8	41	الذّنَب
ذ ن ب	أذْنبوا	73	7	8	ارتكبوا ذنبًا
ذ ن ب	ذَنَب	37	25	2	الجمرم
ذ ن ب	ذُناب عَيْش	106	4	18	أي نبقى في شدة وسوء حال نتمسك بطرف عيش قليل الخير
ذ هـ ب	مَذاهبي	48	29	3	طرقي ومسالكي
ذ هـ ب	مَذْهبَها	126	7	23	الطريق والمسلك
ذ و	ذات الإله	47	24	3	يعني بيت المقدس وناحية الشام، وهي

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
					الأرض المقدسة ومنازل الأنبياء
ذ و د	الذود	221	29	75	ما بين الثلاثة إلى العشرة من الابل
ذ و د	يذود عنها	152	19	27	يدفع عنها ويطرد
ذ و ق	المَذاقَة	202	15	65	طعم الشيء
ذ ي ل	ذيّال	138	3		الثور الطويل الذيل
ذ ي ل	ذيولَها	31	5	2	مآخيرها
ذ ي ل	ذائل	146	26	26	الدرع الواسعة ذات الذيل
ذ ي ل	ذيّال	128	20	23	فرس طويل الذيل
ر أ د	رؤود	185	1	48	الفتاة الحسنة الشباب
ر أ م	آرام	143	13	26	جمع رئم وهو ولد الظبية
ر أ ي	تراءى	92	14	13	تعرض لنا نفسها وتتظاهر
ر أ ي	لرؤيتها	96	27	13	مشاهدتها بحاسة البصر
ر أ ي	تراءوه	196	2	59	حتى تروا عمرو بن هند قد اغار عليكم
ر ب ب	ربابه	212	2	73	سحابة
ر ب ب	ربّ الحجاز	195	5	58	سيدها
ر ب ب	الرّبّ	186	6	49	المالك والسيد
ر ب ب	متربب	91	9	13	المحبوس في البيت، الحزين
ر ب ب	أربت	141	2	26	اقامت
ر ب ب	تربيهن	219	16	75	ربّاهُنّ
ر ب ب	ربّ	71	20	7	أتمّ وأصلح
ر ب ذ	ربذة	170	7	36	الخرقة التي يُطلى بها البعير وكلّ شيء يشبه بها
ر ب ر ب	ربْربا	75	3	9	القطيع من البقر، وشبّه به النساء في حسن العيون وسكون المشي
ر ب ر ب	ربْربا	142	6	26	القطيع من الظباء أو البقر الوحشي والإنسي
ر ب ص	يتربّص	81	6	10	يتمنى لغيره الشر
ر ب ع	ربيع الناس	105	3	18	بمنزلة الربيع في الخصب لكثرة عطائه وفضله
ر ب ع	ربيعًا	194	2	57	يريد ما في الربيع من عطاء وخير
ر ب ع	ربيع	38	31	2	أنت بمنزلة الربيع وهو الغيث الذي ينزل في الربيع
ر ب ع	ربعيّ	148	31	26	بجيش ربعي، أي غاز في الربيع
ر ب ع	تربعهم	75	1	9	حلولهم زمن الربيع فيه
ر ب ع	ربعيّة	118	14	22	يعني كتيبة أو غزوة في الربيع
ر ب ع	رباع	220	23	75	يعني سنها

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ر ب ع	تَربَّعت	221	26	75	في الربيع
ر ب ع	مرابِع	30	2	2	أزمنة الربيع
ر ب ع	الرَبع	14	2	1	منزل القوم
ر ب ع	مربوعٌ	221	25	75	وتر على أربع قوى، والقُوى هي الطاقات
ر ب و	رابي	97	31	13	المرتفع
ر ب و	رابية	191	4	54	عالية ومرتفعة
ر ت ع	راتع	37	25	2	يرعى كيف شاء في خصب وسعة
ر ث ع ن	مرثَعِنٌّ	141	3	26	الذي لا يبرح، وقيل: هوَ المسترخي، وبذلك يوصف الغيث
ر ج ح	مُرْجَحِنَّةٌ	141	4	26	الثقيلة
ر ج ح	مرجحنّ	128	19	23	الثقيل
ر ج ع	ارتجاع	16	7	1	إعادة
ر ج ع	أرتجع	215	24	74	أعود به
ر ج ع	رجعِ العَيْن	177	9	41	أي سريعة الطيران
ر ج ع	تراجَع	34	13	2	تشتدُّ عليه
ر ج ف	رجّاف	142	6	26	الكثيرُ الارتجاف، أي الحركة والاضطراب
ر ج ف	رَجَفتْ	141	4	26	صوتت بالرعد
ر ج ل	المَراجلُ	118	15	22	القدور من نُحَاسٍ كانت أو من حجارة، واحدها مِرْجَلٍ
ر ج ل	المُرْجِلُ	167	2	34	الذي يجعل غيره رَاجلاً
ر ج ل	رَجِل	96	29	13	المرجَل المشوط
ر ج ل	الرَجْل	186	5	49	الرجَالة
ر ج ل	رِجْلَ الجَراد	187	4	50	القطعة من الجراد
ر ج و	يرجو	194	1	57	يُؤَمِّلُ
ر ج و	تَرجِي	158	9	29	تؤمّل
ر ج و	نرجِّي	68	6	7	نتمنى
ر ج و	رجيت	164	5	31	أمّلت
ر ج و	يرجون	47	24	3	يطلبون
ر ح ب	مرحبًا	90	4	13	في الرّحب والسّعَة
ر ح ح	الرَّح	197	1	60	المتسعة
ر ح ل	رِحلتنا	89	3	13	الارتحال
ر ح ل	رَحْل وراحلة	62	5	6	أي صاحب سفر، والراحلة البعير المتخذ للسفر
ر ح ل	رَحْلي	16	9	1	ما يوضع على ظهر البعير للركوب

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعــــــنى
ر ح ل	ارتحال	203	34	65	السير والمضيُّ
ر ح ل	رحْلتي	182	3	45	ارتحالي
ر ح ل	الرَّحائل	119	20	22	جمع رحالة وهي السرج
ر ح ل	رحالنا	80	2	13	جـمع الرحـل، وهو مـا يوضع على البعير
ر ح ل	الترحُّل	80	2	13	الرحيل
ر ح و	رَحًا	141	3	26	أراد معظم الغيث وهو مثل رحا الحرب
ر خ ص	رخْص	93	18	13	ناعم لين
ر د د	رددتُها	31	7	2	زجرتها
ر د ن	الأردان	47	27	3	الأكمام
ر د ن	رُدَيْنَة	150	6	27	قرية تُنسب إليها الرماح، وقيل : هي امرأة
ر د ه	الرَّدْه	215	28	74	الواحـدة رَدْهَة، وهي أماكن يكون فيهـا الماء
ر د ي	رَدايا	36	23	2	الساقطة المُعْيِيةُ التي لا تنبعثُ، فَأخذَتْ رحالُها عنها وتركت
ر د ي	تُردي	51	7	4	الرَّدَيانُ : ضربٌ من السير
ر ز أ	الرزايا	165	2	32	المصائب
ر ز أ	رُزِئْنا	165	2	32	أصبنا
ر ز أ	يرزأ	170	9	36	يصِبُ بمصيبة
ر ز ز	الرِّزّ	78	13	9	الرزّ : الصوت، يعني أنه جيش منيع لا يخفض صوته
ر س ل	رسولاً	173	3	39	حامل رسالة
ر س ل	رسالَة	153	1	28	ما يرسل، والخطاب
ر س ل	المراسل	116	5	22	اللواتي يسـرن سيراً سـهلا في سرعـة والواحدة مرسال
ر س م	رَسْمٌ	141	1	26	الأثر الباقي من الدار بعد ان عفت
ر س و	رسَتْ	208	2	69	ثبتت أصولها في الأرض
ر ش ح	رشَّحتُم	81	3	10	رويتم وحسنتم
ر ش د	الرَّشَد	21	24	1	الرشْد والصواب
ر ش و	بالرِّشاء	97	32	13	الحبل
ر ض ع	المُرضعات	191	3	54	جمع مرضعة وهي التي ترضع الصغير
ر ض ي	تَراضيَا	155	9	28	اتفقا ورضيا بالشرط
ر ع ب	رعابيب	143	12	26	النَّواعم البيض
ر ع ث	رعاثها	181	4	44	الرعاث : التَّقرُّط
ر ع ث	ارتَعَشت	181	4	44	تَقرَّطت، و الرعثة : القرْطُ

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ر ع د	الرَّعْد	219	12	75	صوت من السَحاب يدوي عقب البرق، والصون منه ما يأتي عقبه المطر
ر ع د	راعد	137	2	25	ذو الرعد
ر ع ل	أراعيل	212	2	73	جمع جمع لأرعال، وهذه جمع رَعيل، وهو القطيع من النوق الفتيّة.
ر ع ن	أرْعَنَ	128	19	23	الجيش العظيم الجرار أو المضطرب لكثرته
ر عن	الرَّعْن	214	21	74	أنف الجبل البارز الشاخص
ر ع و	تَرعوي	142	9	26	أي ترجع وتعود إليه
ر ع ي	تَراعي	64	17	6	تراقب
ر ع ي	راعٍ	69	14	7	من يرعى الابل التي يُحمل عليها
ر ع ي	رعْيًا	202	10	65	حفظًا وهو للدعاء
ر ع ي	يرعى	40	2	3	يراقب غروبها
ر ع ي	راعٍ	223	46	75	الراعي هنا الملك
ر ع ي	أرعى	218	9	75	أحفظ
ر ع ي	أرعي	69	13	7	يرعى الابل أو غيرها من الانعام
ر ع ي	رعيّة	223	47	75	عامة الناس الذين عليهم راعٍ يدبّر أمورهم
ر غ ب	الرَّاغبين	68	8	7	القاصدين إليه رَغبةٌ في معروفه
ر غ م	رَغم	222	43	75	كُرِه
ر غ م	رَغمًا	210	3	71	كرهًا وقسرًا
ر ف د	بالرَّفَد	26	43	1	تعاونُ الأعداء عليه
ر ف د	رَفَدْتُناكَ	186	5	49	دعمْنا لك
ر ف د	مرْفَد	212	8	73	كلّ قَدَح
ر ف ض	بمرفضّ الحبي	149	1	27	حيث انقطع وتفرق واتسع. والحبي: موضع
ر ف ض	يرْفَضّ	212	8	73	يتفرق
ر ف ع	رفّعته	15	5	1	قدّمته وأوصلته موضع السّجفين
ر ف ق	مرافقها	22	29	1	جمع مِرفَق وهو موصل الذراع في العضد
ر ف ق	الرِّفْقُ	200	7	63	اللين
ر ف ق	مرْتفقًا	159	13	29	أي يترفّق بها وهو عالم بإرسالها
ر ف ن	رفنّ	128	20	23	الضافي الكثير، وأصله رفلٌ فأبدل اللام نونًا لتقارب مخرجيهما
ر ق د	رَقْدَتها	202	16	65	نومها
ر ق ش	الرُّقْش	33	11	2	من الأفاعي التي فيها نُقطٌ، سواد وبياض

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ر ق ص	الراقصات	222	34		الإبل السّراع
ر ق ق	الرِّقّ	76	4	9	العبوديّة
ر ق ق	رقاق	44	17	3	رقاق المضارب : سيوفهم قاطعة ماضية
ر ق ق	رقاق	47	25	3	يريد أنهم ملوكٌ ليسوا بأصحاب مشي ولا تعب
ر ق ل	أرْقلوا	44	16	3	عدَوْا وأسْرعوا
ر ق ل	إرقال	44	17	3	عدْو وإسراع
ر ق م	مرقوم	140	3	27	الرسم
ر ق ي	الراقون	34	13	2	جمع الراقي، وهو القاريء على اللديغ
ر ك ب	راكبها	139	13	29	الذي يركب أدبارها، ويتبع آثارها
ر ك ب	ركابنا	89	2	13	الإبل واحدها راحلة ولا واحدَ لها من لفظها
ر ك ب	رُكْبان	25	38	1	القوم الراكبون
ر ك ب	الرّكاب/ركائبها	203	24	65	الإبل المركوبة أو الحاملة والجمع ركائب
ر ك ض	مركضة	176	2	41	تعدو بسرعة
ر ك ل	مراكلها	59	24	5	موضع أعقاب الغلمان حيث يحركونها
ر ك م	ركام	27	45	1	ما تراكم بعضه على بعض أي تراكب
ر ك م	ركام	212	1	73	الغيم المجتمع فوق بعضه
ر ك ن	بركن	26	43	1	ما يستند إليه الشيء ويقوم به، وذكره كناية عن الشدة
ر م ح	أرْماحنا	108	4	35	جمع رمح
ر م د	رَمادُ	30	4	2	ما يتبقى من النار
ر م د	الرَّمَد	24	33	1	مرض يصيب العين
ر م س	الرّامِسات	31	5	2	الرياح الشديدات الهبوب التي ترمس الأثر أي تعفّيه وتدفنه
ر م م	رِمُّها	145	21	26	بقية المخ
ر م ن	رمّانَ	139	9	25	هو شجرُ الرّمّان، شبّه الثديَّ به لأنها لم تنكسر بعد.
ر م ي	رَمِيٌّ	243	6	74	الزيادة
ر م ي	تَرمي	26	44	1	ترسل وتلقي
ر ن ب	المرانب	43	12	3	ثياب سود يقال لها المرنبانية، تشبه أثواب النسور، وقيل أكسيةٌ من جلود الأرانب
ر ن ن	مُرِنَّ	125	2	23	الذي تسمع له صوتًا ورنينا لشدّة وقعه، أو لصوت الرعد فيه
ر ن ن	مِرنان	91	8	13	صوت القوس عند الرمي

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ر ن و	رنَنَا	96	27	13	أدامَ النظر إليها
ر ن و	روانيا	181	5	44	مديمات النظر
ر هـ ب	راهب	95	26	13	المنقطع للعبادة في صومعته
ر هـ ب	ترهَبيني	240	1	71	تخيفيني
ر هـ ج	الرَهج	128	22	23	الغبار
ر هـ ط	رهط	55	6	5	الآل والقوم
ر هـ ن	رهين	218	1	75	مأخوذ به
ر و ح	الأرواح	137	2	25	اختلفت عليها ريح بعد ريح
ر و ح	أراح الليل	41	3	3	أي يردُّ الليل عليه همه، كما يريح العازب ماشيته إلى أهله
ر و ح	المُستراحا	214	17	74	الراحة
ر و ح	رائح	89	1	13	راحل
ر و ح	روحة	115	4	22	واحدة الرَّواح وتستعمل للمسير في أي وقت كان من ليل أو نهار
ر و ح	رَيحانٌ	121	27	22	جنس من النبات طيب الرائحة
ر و ح	الرِّياح	149	4	27	جمع ريح، وهي الهواء إذا تحرّك
ر و ح	تَراح	214	16	74	ترتاح
ر و ح	رواحا	200	1	63	السير في العَشيّ
ر و ح	راحَة	200	8	63	الارتياح
ر و ح	أراحا	213	3	74	ردَّ وعاد
ر و د	رائد	140	18	25	الذي يتقدم إلى المرعى ويسبق إليه، ويريد السّابق إلى الحمد
ر و د	تَرُودُ	131	8	24	أي تجيء وتذهب متتبعة للمرعى
ر و د	الرِّياد	203	25	65	الطلب
ر و د	مستراد	73	5	8	الإقبالُ والإدبار
ر و ع	ارتاع	18	12	1	فزع
ر و ع	الرَوع	57	13	5	الفزع
ر و ع	رائع	34	15	2	مفزع
ر و ع	لرَوعاتها	118	12	22	جمع روعة من راعه الشيء إذا أفزعه
ر و ق	الرَوْق	20	17	1	قَرْن الدابّة
ر و م	راموا / مَرام	136	32	34	أي طلبوا مطلبا
ر و م	رِيمَتْ	171	2	37	قُصدت
ر و ى	أروى	96	28	13	أنثى الوعل
ر و ي	رويّة	200	4	63	النظر والتفكير في الأمور
ر و ي	رِيًّا	92	13	13	الممتلئة
ر و ي	الرَّواة	135	30	24	القوم الذين يحملون معهم الماء وهم

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
					السّقاة
ر و ي	الرَّوِيُّ	112	3	21	حرف القافية
ر و ي	رَيّا	90	24	13	الريح الطيبة
ر ي ب	أُرِيبتْ	181	2	44	أسيءبها الظن
ر ي ب	يريبها	67	2	7	يشقّ عليها
ر ي ب	رِيبَةٌ	72	3	8	الشك
ر ي ش	يريشُ	183	5	40	يركب لهم الريش كما يركَّبُ للسهام
ر ي ط	الريط	22	30	1	الملاحف البيض مفردها رائطة
ر ي ق	ريقَها	142	7	26	شيء تراه بالهاجرة إذا اشتد الحر
ر ي ق	رَيقها	95	24	13	اللعاب
ز أ ر	زَأَر	26	41	1	صوته ووعيده
ز ب ب	الأزبُّ	112	6	21	الكثير شعر الحاجبين والأشفار
ز ب ب	زَبَبُ	178	14	41	كثرة الريش
ز ب د	بالزبد	26	44	1	مـا يطرحـه الوادي اذا جـاش مـاؤه، واضطربت أمواجه
ز ب ن	زبون	218	3	75	شديدة
ز ج ج	الزّجاجَة	24	33	1	القطعة من الزجاج، وقد شبّه صفاء العين بها.
ز ج ر	لا تَزجُرُوا	153	2	28	لا تكفوا وتمنعوا
ز ج ل	زَجَل	203	23	65	صوت
ز ج و	أُزجي	172	2	38	ساق ودفع
ز ج و	يزجين	63	10	6	يتدافعن ويتلو بعضهن بعضًا
ز ح ف	زحفُوا	128	19	23	أي برزوا لقتالهم
ز ر م	زَرِما	64	16	6	انقطع
ز ر ي	الزّاري	202	10	65	العائب عليه
ز ع ر	الزعِر	51	7	4	التي لا ريش عليها
ز ع ز ع	زعزعوها	179	4	42	حركوها بشدة
ز غ ب	أزيغب	177	13	41	تصغير أزغبَ، وهو فرخ القطا
ز غ ب	زَغَبٌ	177	10	41	الريش الناعم
ز ف ف	زَفوفٌ	220	19	75	سريعة
ز ل ل	تَزِلُّ	70	15	7	لا تثبت
ز م ع	زِماعٌ	213	4	74	سرعة
ز م ع	زَمعا	215	30	74	جمع زَمَعَة وهي هنة ناتئة وراء الظلف أو الرسغ
ز م ل	زُمّال	165	3	32	الضعيفُ لا خير عنده
ز م م	الزِّمام	222	44	75	ما تقادُ به الناقة

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــــنى
ز م م	مُزَمَّمَة	62	7	6	التي عليها أزمتُها
ز م ن	الزَمَنُ	167	4	34	الوقت قليله وكثيره
ز هـ د	زاهد	138	8	25	والزاهد : المعرض والتارك للشيء
ز هـ ز ق	تزَهْزَق	181	2	44	تضحك
ز هـ ق	زَهيقًا	216	37	74	ذهبت روحه
ز هـ و	زُهاءه	148	31	26	محزرته وكثرته ومقداره
زهـ و	زهاها	214	12	74	استخفها وذهب بها
ز و د	مزوِّد	89	1	13	حاملٌ الزّاد
ز و ر	زيارتَها	218	3	75	الاتيان الى دارها
ز و ر	زَائروكَ	56	10	5	آتوك
ز و ر	بزَوْراءَ	39	33	2	كأس مستطيلة من فضة
ز و ر	مزَارِها	218	5	75	زيارتها
ز و ل	الـمـزايل	144	15	26	الـمفارق
ز و ل	زَائلِ	120	22	22	متحول ومنتقل
ز و ل	يزَيّل	46	22	3	يفصل ويبعد
ز ي ن	مزينات	150	6	27	قد تزين
ز ي ن	زينها	22	28	1	جمّلها وحسّنها
س أ ل	أسائلُها	14	2	1	أسألها
س أ ل	أسـائلتي	199	1	62	يخاطب امرأة وجهت اليه السؤال
س ئ م	السّأمَا	64	13	6	الفتور والملل
س ب ب	أسبابِ	118	15	22	ج سـبـب، وهـو مـا يـتـوصّـل بـه الـى غيره
س ب د	تَسْبِيدِه	178	14	41	حين يطلع الريش بعد حلقه في موضع آخر
س ب د	سُبَدٌ	220	22	75	شعر
س ب س ب	السَّبَاسب	47	25	3	يوم السباسب : عيد من أعياد النصارى
س ب ق	سابقُهُ سَبَق	21	26	1	أي متفوق عليه
س ب ل	سَبِيل	15	5	1	المجرى والطريق
س ب ل	السّبال	199	2	62	جمع سَـبَلَة : وهي مـقـدّم اللحْـيـة، وأصـهب السبلة : عـدوّ، وهم صُـهْـب السبال
س ب ي	أسابيٌ	182	6	45	الواحـدة اسـبـاءة، وهي ظلـمـة الـليل وطرائقه
س ت ر	أسْتار	203	19	65	جمع ستر : وهو ما يُستر به
س ت ن	أستن	65	19	6	شجر سودٌ واحدتها أستنة
س ج ف	السجفين	15	5	1	ستْران رقيقان يكونان في مُقَدّم البيت

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــــنى
س ج ل	سَجْلاً	151	11	27	الدلو المملوءة
س ج ي	سَجِيَّة مشْيها	145	20	20	طبيعتها في المشي
س ح ب	السَّحَاب	70	15	7	الغيم
س ح ج	مُسَحَّج	116	7	22	الذي قد عضته الحمير ورمحته
س ح ح	تَسُحَّانِ سَحًا	147	29	20	أي تصبّان العطاء صبًا كما يسحُّ المطر
س ح ر	مسحوراً	156	17	28	الذاهب العقل المخدوع
س ح ق	سَحوق	213	7	74	طويلة
س ح ل	سَحْل	142	8	26	السحل : الثوب الأبيض
س ح ل	المِسَاحِل	116	7	22	جمع مِسحل وهو الذكر من الحمير
س ح م	السحم	150	6	27	السود
س ح م	سَحَم	168	4	35	ضرب من العشب مثل السَّبط
س ح و	المسحاة	15	4	1	أداة الجرْف
س خ ل	السَّخْل	146	24	26	جمع سَخَلة وهي الشاة، فاستعارها للفرس
س د ن	سَدِينُ	221	24	75	ثوب أبيض
س ر ب	السِّرْب	128	19	23	الطريق والوجهَة.
س ر ب	سِرْبنا	138	5	25	المال الراعي
س ر ب ل	سَرَابيل	163	2	30	يعني الدروع
س ر ح	سراحا	200	4	63	التَسريح
س ر د	متسرِّد	95	25	13	الذي يتبع بعضُه بعضًا
س ر ر	أسْراري	202	7	65	جمع سر، وهو ما تكتمه وتخفيه
س ر ر	أسِرتها	180	5	43	خيارها
س ر ر	سرير	194	1	57	النعش قبل أن يحمل عليه الميت
س ر ر	مُسِر دُعْر	216	34	74	يخفي الخوف
س ر و	سِرَاتها	220	22	75	الظهر
س ر و	سَرِيُّ دم	210	5	71	شريف دم
س ر و	سَراته	203	28	65	معظمه
س ر و	سَرَاةَ اليوم	202	3	65	وسطه ومعظمه
س ر و	سَراتنا	163	3	30	جمع سري وهو السيد الشريف
س ر ي	أسرَت	18	11	1	جاءت السحابة ليلاً
س ر ي	يَسْرِي	135	26	24	أي جعل يسير في الليل
س ر ي	السُّرِي	204	43	65	السير ليلاً
س ر ي	سارِيةٌ	18	11	1	سحابة تسير ليلاً وتمطر
س ط ع	يَسْطَعُ	182	5	45	ينتشر ويرتفع
س ط ع	ساطِعًا	136	31	24	أي أضحى الغبار قد سطع وارتفع
س ع د	بأسْعُدِ	212	9	73	اليُمْنُ. والأسعُد : برج الحمل

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
س ع د	سعدان	22	28	1	نبتٌ من أنجع ما ترعاه الإبل
س ع د	بالأسعد	92	14	13	برج الحمل
س ع د	سعادةٌ	200	7	63	الرضا والاطمئنان، وضد الشقاوة
س ع د	السَّعَد	25	38	1	الشجر الملتف
س ع د	ساعدَيَّ	35	20	2	الساعد : ما بين المرفَقِ والكتف
س ع ر	يسعرها	196	3	59	يوقدها
س ع ر	مساعير	51	8	4	واحدهم مسعر ومسعارٌ وهو الذي يسعر الحرب أي يهيّجها ويُقوّيها
س ع ي	السَّاعي	192	4	55	القاصد والماشي
س ع ي	يسعَى	189	3	52	يقصد ويمشي ويعمل
س ف ح	سَفَحت	125	4	23	أي سالت وانصبت
س ف ح	سفَاحا	215	31	74	سِفاحا : صبًا للماء.
س ف د	سفود	19	16	1	عودٌ من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى
س ف ر	أسفار	202	3	65	جمع سَفَر، وهو قطعُ المسافة
س ف ر	أسْفر، إسْفار	203	31	65	أسفر : وضح وانكشف. إسفار : الوضوح والانكشاف
س ف س ر	سِفْسِير	157	6	29	الخادم الذي يخدم الخيل ويقوم عليها وهو السمسار
س ف ع	تَسْفَعُهُ	203	29	65	تضربه الريح الحاصب
س ف ف	تَسفُّ	131	8	24	أي تأكله
س ف ف	أُسفَّ	94	20	13	ذُرَّ على لثاتها الإثمد
س ف ن	سَفينُ	213	10	74	جمع سفينة وهي الفُلك، ويقال للإبل سفائن البَرّ
س ف ه	السَّفاه	61	2	6	طيشًا
س ف ه	تَسَفَّهوا	185	1	48	خدَعوا
س ف ه	سفاهَتِها	199	1	26	الخفَّةُ والطيش
س ف ه	سَفيهًا	153	2	28	جاهلاً، طائشًا
س ف ي	يسفي	157	5	29	يذري
س ق ط	تُساقِطُني	64	14	6	تلقي ما على ظهرها
س ق ط	تَساقَطَ	117	9	22	أي ترك من عدْوه من غير أن يفتر
س ق م	السَّقيم	93	19	13	المريض
س ق ي	تستقي	99	5	14	أي تتغذى
س ق ي	يُستَسقَى	201	2	64	يُطلَب به السُّقيا من الغمام
س ق ي	سَقْيًا	202	10	65	ريًا، وهو للدعاء
س ق ي	يتساقون	44	17	3	أن يقتل بعضهم بعضًا، وضرب التساقي مثلاً لأنَّ أكثر مهالك الإنسان

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
					فيما يشرب من السموم وغيرها
س ك ك	تستكُّ	34	14	2	تصمُّ المسامع
س ك ك	سكاء	177	11	41	لا أذن لها
س ك ن	ساكنين	135	26	24	أي بات أعداؤه ساكنين لم يعلموا أنه سار إليهم
س ك ن	سكَنْتُ	140	15	25	هدأت نفسي
س ك ن	سكناته	46	22	3	الأعناق
س ل ب	يستلب	212	7	73	ينتزع الشيء من مكانه
س ل ب	مسلوب	52	13	4	الذي سُلب ما لديه
س ل ف	سالف	14	1	1	الماضي
س ل ف	سُلاَّف	77	11	9	المتقدمون من القوم
س ل ق	السلوقي	46	21	3	درْع منسُوبة إلى مكان تنسب إليه الدروع والكلاب
س ل ك	سلك	91	10	13	خيط النظام
س ل م	سَليمها	33	12	2	مَلدوغُها، وسميَ سليمًا على التفاؤل بالسلامة
س ل م	كالسِّلام	126	7	23	الحجارة، واحدُها سَلِيمةٌ
س ل م	لم يسلم	20	19	1	لم ينج
س ل هـ ب	سلْهَبَة	133	20	24	الفرس الطويلة
س ل و	فسَلَيْتُ	115	4	22	أي سلوت
س ل ي	أسْلائها	145	23	26	جمع السَّلَى وهو غشاءٌ رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه
س م ح ج	سَمْحَجٌ	117	8	22	الطويلة الظهر
س م ح ق	سماحيق	145	21	26	طرائق دقاق.
س م ر	أسمر	134	21	24	الرمح
س م ع	المسامعُ	34	14	2	الآذان
س م ك	سماكيا	212	2	73	منسوب إلى السماك، وهو أحد نجمين نيرين
س م م	السَمام	133	20	24	جمع سَموم، وهي شدة الحر
س م م	سماما	36	23	2	طيور تشبه السّماني
س م م	السم	33	11	2	كل مادة سامة
س م و	سَام	84	8	11	مرتفع
س م و	سمائه	95	21	13	المطر
س م و	يسمو	128	20	23	يعلو ويرتفع
س م و	سماؤهم	168	3	35	سحابهم
س ن ح	السَّانحاتُ	212	9	73	جمع سانحة : وهو الطائر أو الظبي

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
					يمر من الميامن، والعرب يتيمنون به
س ن د	السّند	14	1	1	سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد
س ن د	الْمسنَد	96	20	12	رفع واسند بعضه إلى بعض
س ن م	سنامٌ	106	4	18	كتل من الشحم محدبة على ظهر البعير. وسنام كل شيء أعلاه
س ن ن	السّنين	219	11	75	البلد الذي أُكلَ نباتُه
س ن ن	سـنّ	49	3	4	أي قيامه على الماشية وإصلاحه لها بحسن الرعي
س ن و	سَنا/برْقِ	203	13	65	الضوء
س هـ ب	سهْب	222	34	75	الواسع من الأرض
س هـ د	يسهّد	33	12	2	يمنع النوم
س هـ ك	يسهكُها	219	12	75	يعصف بها ويضرب
س هـ ك	سَهكين	56	9	5	أي عليهم سُهكةَ الحديد، وهي الرائحة المتغيرة
س هـ م	سهمها	90	6	13	السّهم : عود يرمى به عن القوس، وسَهم المرأة : الحبّ الذي توقعه في القلب.
س و أ	سؤْتَ ظَنّا	151	12	27	أسأت الظنّ
س و أ	سوءِ سَمّها	34	13	2	شدته ونكارته
س و أ	سيء	25	30	1	ما يسوء الإنسان
س و د	من السُّود	61	3	6	جمع سود وسوداء
س و د	سيّداً	164	2	31	المالك، والملك، والمولى
س و د	سؤْددٌ	107	2	19	الشرف
س و ر	ساورتني	33	11	2	واثبتني
س و ر	إسوارِ	204	30	65	الكبير من الفرس
س و ر	سورةٌ	73	9	8	المكانة الرفيعة
س و ر	سورةٌ	55	7	5	المنزلة الرفيعة
س و ر	سورةٌ	210	4	71	الشّدةُ والسّطْوَةُ
س و ر	سِرْنَ	216	34	74	وثبْن
س و ط	سوطي	25	20	1	ما يضرب به من جلدٍ، سواءٌ أكان مضفوراً أم لم يكن
س و غ	ساغ	211	4	72	طاب
س و ق	يسوقها	221	20	75	يحثها على السيْر
س و ق	سوقة	164	3	31	الرعية، ، وأوساط الناس
س و م	يسامُوا	207	1	68	سامه : أولاه أمْراً وأذلّه عليه

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
س و م	لم يُسمْ	210	3	71	لم يُرِدْ بذل
س و م	سوم الجراد	201	3	64	انتشاره إذا رَعَى
س و م	مسومات	128	21	23	مُعْلمات، عليهن علاماتٌ يعرفن بها في الحروب
س و م	المُسَوَّم	180	5	40	المُعلّم
س و ي	يسوين	135	20	24	يُعدلْن الذيُول ويجعلنها سويّة
س ي ب	سيبا	170	3	36	العطاء
س ي ر	كالسِّيَراء	91	11	13	الحريرةُ الصفراء
س ي ر	سيورِها	31	6	2	جمعِ سِير وهي الشّراك
س ي ر	سيرهِن	30	22	2	مشيهن
س ي ر	سائره	154	7	28	معروفة منتشرة
س ي ر	تَسْيَارِ	203	34	65	الذهاب
ش . ب	الشُّؤبوبِ	23	31	1	دفعةُ المطر وشدته
ش أ ز	أشأزه	221	20	75	أقلقه
ش أ س	الشَّأس	163	3	30	الموضع الغليظ
ش أ ن	شؤون	218	4	75	جمع شأن وهو الحالُ والأمر
ش أ و	شأتني	164	5	31	سبقتني
ش أ و	شأو الفَجاءة	176	3	041	الشوط، والأمد والغاية
ش ب ب	الشَّباب	109	1	2	الفتوةُ والحداثَة
ش ب ح	الأشْباح	203	25	65	جمع شبح وهو ما بدا لك شخصه غير جلي من بعد
ش ب ع	يشبَع	146	24	26	الشبع من الطعام : مَا كفي وأشبع
ش ب م	شبِما	63	10	6	الماء البارد
ش ب ه	يشبهه	20	21	1	يماثله
ش ج ب	المشاجب	47	26	3	أعوادٌ تُعلق عليها الثياب
ش ج ع	الأشاجع	203	32	65	عروق اليَد، واحدها أشجع
ش ج و	شَجاني	112	4	21	أحزنني
ش ح ج	مَشحاج	220	23	75	كثير النهيق
ش ح ح	شحاحا	200	3	63	جمع شحيح، وهو البخيل
ش ح ذ	مَشْحوذةٌ	210	3	71	قد أحدَت أسنّتُها
ش ح ط	تَشحَطُ	145	23	26	تضطرب
ش ح ط	الشَّحَط	218	7	75	البُعدُ
ش د د	الشَّدِّ	117	9	22	العدو الشديد
ش د د	يتَشدَّد	212	10	73	يبالغ
ش د ق	أشْداقها	60	25	5	جمع شدق وهو جانب الفم مما تحت الخذ

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ش د ن	شادن	91	9	13	الذي قد شدن وقوي على المشي
ش ذ ر	تَشَذَّرَتْ	203	24	65	تفرقت
ش ذ ر	تشَذَّرَتْ	116	6	22	أي تلوّنتْ وتصَـعّبَتْ لحِـدَّة نفـسـهـا ونشاطها
ش ذ ر	الشذر	131	6	24	شيء يعمل من فضة أو ذهب
ش ر ب	شَرْب	19	16	1	قوم يشربون، وأحدهم شارب
ش ر ب	شُرَب	176	6	41	جـمع شـرَبَة : وهي مـاء يـكون حـول الشجرة، وطعام ذو شربَة : إذا أكلتـه شربت عليه
ش ر ب	مَشْروب	50	6	4	مشـروب : يشرَبُ، وغـير مـشروب لا يشرب
ش ر ج	الأشْراج	30	2	2	واحدتها شَرْج، وهي شـعابٌ تدفع إلى الحَرَّة
ش ر ج ع	شَرْجَعُ	182	3	45	سرير الميت
ش ر د	شَرِيد النَّفْس	210	5	71	طريد النفس مُوَزَّعها
ش ر ر	شرِتها	52	11	4	مكروهها
ش ر ر	الشَرَرا	206	6	67	ما تطاير من النار
ش ر س	ذي شرِيسٍ	136	33	24	أي هو قوي على أعدائه، ذو شراسة
ش ر ع	شرعٌ	158	12	29	الكلاب.
ش ر ع	الشرائع	176	6	41	شرائع المياه والمواضع التي تورد
ش ر ع	شوارع	215	31	74	جمع شارع وهو البادىء
ش ر ع	شراعٍ	23	32	1	قاصدة الماء
ش ر ع	الشِّرعي	221	25	75	جمع شِرْع، وهو الوتر
ش ر ف	الأشراف	221	20	75	جمع شَرَف وهو المرتفع من الأرض
ش ر ق	كل شارق	86	2	12	كل صباح حين تشرق الشمس
ش ر ك	مُشارك	23	49	1	ملازم
ش ر ي	شرَى	215	27	74	يعني باع
ش ز ب	شوازِب	145	21	26	ضوامر، صفة للخيل والإبل
ش ز ب	شَزَرًا	76	4	9	أي ينظرن بمؤخَر أعينهن.
ش ز ر	شَزَرا	216	40	74	غضبا
ش ط ط	شطت بي الدار	70	17	7	نأت وابتعدت
ش ط ط	شطَّت نواها	133	15	24	أي بعدت
ش ط ن	شَطُونُ	218	1	75	مبعدة
ش ظ ي	تَشَظَّتْ	117	10	22	تكسرت الحجارة فصارت شظايا
ش ع ب	تَشعَبُهُ شَعُوبُ	214	19	74	تبعده، شَعُوب : عَلَم على المنية
ش ع ب	المُشاعب	204	37	65	الشَعاب، وهو الذي يثقب بالمِشْعَب

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ش ع ب	شُعَب العلافيات	57	16	5	جـمع شعبـة، وهي الفُـرجَةُ بين أعـواد الرحل وبين القربوس
ش ع ث	بشُعُث	135	30	24	أولاد النساء المتغيرون من السفر والجهد
ش ع ث	شُعثٌ	36	24	2	متغيرون من السفر
ش ع ث	بشُعْث القَوْمِ	222	34	75	جمع أشعث وهو المغبر المتلبدُ الشعر، والمتسخ
ش ع ث	شَعَث	74	11	8	ما تفرّق من الأمور
ش ع ر	مُستَشْعِرينَ	53	16	4	أي داعين بشعارِهم
ش ع ش ع	مشعشعًا	131	9	24	الذي أرقّ مزجه
ش ع ف	المشعُوفِ	213	4	74	من أصيبت شعفَةُ قلبه بحبٍ أو ذُعرٍ أو جنون
ش غ ف	الشّغاف	32	9	2	حجابُ القلب ووعاؤه الذي يكون فيه
ش غ ل	شاغلٌ	32	9	2	مالِيء
ش ف ر	الأشفار	76	6	9	جمع شفر، وشفر الجفن : حرفه الذي ينبت عليه الهدب
ش ف ع	مشفوعًا إليه	164	2	31	متوسّلاً به إلى غيره والشافع : صاحب الشفاعة
ش ف ع	شافعُ	35	18	2	المعين
ش ف ي	يَشفِي	19	15	1	يداوي
ش ف ي	شفَى / شفائها	187	2	50	أراد شفاء صدور الرجال
ش ق ذ	تُشقِذوني	81	4	10	تؤذوني
ش ق ق	شققتَ غباري	54	3	5	أي لحقني
ش ق ق	يَشُقُّ	54	2	5	يصعب
ش ق ي	شقيت بها	25	40	1	أي سببت لي الشقاء
ش ق ي	شقاوتُكُم	174	9	39	شقاوتكم، والشقاء، أي العسر والتعب
ش ك ك	شكّ	19	15	1	انتظم
ش ك ك	والشكُّ	200	4	63	الريب
ش ك ك	شكّتي	119	19	22	جملة السلاح
ش ك ك	شكّ	204	37	65	طَعَنَ وانتظم
ش ك ل	الشّواكل	142	9	26	النواحي واحدتها شاكلة
ش ك ل	مَشكُول	170	5	36	مقيدًا
ش ل و	تُشلَى توابعها	60	26	5	أي تُدعَى أولادُها إليها أو خيل أخرى تتبعها
ش ل و	أشلى	203	35	65	أغرى الكلب على الصيد
ش م ت	الشّامتون	222	32	75	جـمع شـامت : وهو الفـرحُ بمكروهٍ أصاب عدوه

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ش م ت	طوع الشوامت	18	12	1	في حالـة تشمت العـدو إذا بـات بها.
ش م ر	مُشْمَّرِينَ	62	7	6	أي جادين مسرعين
ش م س	شُمُس	58	18	5	أي نوافـر عن الفـواحش إذا طُلبت عندهن
ش م ط	الأشمط	62	8	6	هو الذي بدا الشيب في رأسه
ش م ل	شامِلٍ	115	1	22	أي شمل الشيب شعره وعمَّهُ
ش م ل	شَمَالٌ	212	3	73	ريح تهب من الشمال
ش م ل	شمائلُهُ	195	2	58	جمع شمال : وهي الخلق
ش م ل	مَشْمُولَ	202	16	65	الخمر التي عرّضت لريح الشمال فبردت
ش م م	شِيمِ	196	2	59	هو علامة الكرم
ش م م	شُمّ العرانين	31	8	4	أي هم أعزة وليسوا بأذلة
ش ن ج	شَنَج	176	1	41	نقصٌ في الرِّجْلين
ش ن ح	الشِّناح	214	20	74	الطويلة
ش ن ن	شَنٍ	125	4	23	القربة البالية
ش ن ن	بِشَنٍ	126	10	23	الجلْدُ البالي
ش ن ن	شَنُونٍ	220	23	75	بين السَّمين والمهزول
ش هـ ب	شَهْبَاءُ	203	29	65	ليلة ذات برد وريح
ش هـ ب	شِهابُ حَرْبِ	196	4	59	الماضي الماهر في الحربِ
ش هـ د	شُهْد	202	16	65	العسل ما دام لم يُعصر من شمعه
ش هـ د	بشاهد	140	15	25	حاضر
ش هـ ر	شهرًا	215	26	74	أحد اثنيْ عشر جُزءًا من السنة
ش و ر	مُشْتار	202	16	65	من يأخذ العسل من الخلية
ش و ظ	شواظهن	221	28	75	اللهيب بلا دخان
ش و ء	الشَّاة	159	13	29	الواحدة من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعـام وحمـر الوحش، يقـال للذكـر والأنثى
ش و ه	شَويّ	144	16	26	جمع شاة
ش ي ب	شابَ الغُرابُ	109	4	20	من قـولهم «دون هذا شَـيْبُ الغـراب» للأمر الذي لا يحدث أبدا
ش ي ب	المشيبَ	32	8	2	الشيب وزمانه
ش ي ب	مَشيب	181	1	44	الشيب
ش ي ح	الشِّيح	216	34	74	الحذَرُ، شاح : حَذِرَ
ش ي ح	تشيح	220	20	75	تجدُّ
ش ي ح	شاحَ	215	29	74	حَذِرَ وحرص على الهرَب وأجَدَّ فيه
ش ي خ	شيخا	198	2	61	منْ أدرك الشيخوخة، وهي غالبًا عند

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
					الخمسين وهو فوق الكهل ودون الهرم
ش ي د	مُشَيّد	156	14	28	مبني
ش ي د	يشادُ	93	16	13	يبني ويرفع بالشّيد وهو الجص
ش ي م	شيمتاه/ شيمة	183	7	46	الخلق
ش ي م	شامٍ	215	26	74	نظر إلى الشيء متحقّقا
ش ي م	شيمةٌ	46	23	3	طبيعة وخلق
ص ب ح	مصباحه	78	13	9	أي ضوء نيرانه
ص ب ح	صَبّحوا	170	2	42	أغاروا صبحًا
ص ب ح	المَصابيح	101	1	15	جمع مصباح وهو السراج
ص ب ح	صبّح	138	5	25	أي أتاه صباحًا وهو وقت الغارة
ص ب ح	صبّحهم	135	27	24	أي أتاهم صباحًا وسقاهم صبوحًا
ص ب ر	أم صبّار	77	9	9	اسم الحرّة، والصبّار : الحجارة، فكأن هذه الحرة أم الحجارة لكثرتها
ص ب ر	صابرٍ	98	2	14	ذو صبر على شدة القتال
ص ب ع	الأصابعُ	32	9	2	جمع أصبع : أي أصابع الأطباء المعالجين
ص ب و	الصّبا	32	8	2	الصّغر والحداثة
ص ب و	تَصابي المرء	115	1	22	تكلّفه الصّبا
ص ب و	التّصابي	214	16	74	تكلّف الصّبا
ص ح ب	صاحبٌ	41	5	3	المرافق
ص ح ب	يصاحِبْنَهم	43	11	3	يرافقنهم
ص ح ب	أصاحِ	219	14	75	يريد أصاحبي والترخيم للنداء
ص ح ب	بمُصْطَحِبات	36	22	2	يعني الابل لأنها تصطحب في السير الى الحج
ص ح ح	الصّحاح	215	23	74	من صحصح وصحصحان، وهي الأرض السّهلة
ص ح ر	صَحاري	58	19	5	جمع صحْراء، وهي الأرض الفقيرة الماء
ص ح ص ح	صَحْصَح	212	5	73	الأرض المستوية الواسعة
ص ح ن	الصحون	220	19	75	الصخور الملس
ص ح و	أصْحٍ	32	8	2	أفق
ص د د	صدود	112	5	21	هو الصدُّ، أي الردّ والمنع
ص د ر	صَدَر	97	34	13	من يصدر عن الماء بعد الورد
ص د ر	مَصادرا	67	2	7	جمع مصدر، ما يصدر عنه الشيء.
ص د ف	صدفيّة	92	15	13	منسوبة الى الصدف، وهو المحار
ص د ق	صادقات	128	17	23	أي صدقوا فيها القتال
ص د ق	الصّديق	200	3	63	الصاحب الصادق الودّ

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ص د ق	صَدْق	20	17	1	الصُلْب
ص د ي	الصَّدي	95	24	13	الشديد العطش
ص ر ح	صُراحَا	213	1	74	اذا أعلن وأظهر
ص ر د	غيرِ مصرَّد	39	33	2	غير مُقَلَّل للشرب ولا قاطع له
ص ر د	صرادها	63	9	6	سحابٌ بارد لا ماء فيه
ص ر د	صِرْدانًا	213	8	74	جمع صُرد وهو طائر أكبر من العصفور
ص ر د	صِرْدَ	18	12	1	شدة البرد
ص ر د	مصرِد	91	8	13	النافذ
ص ر ر	صرورة	95	26	13	الملازم لصومعته لا يريد حجًا ولا غيره وقيل الصرورة ها هنا الذي لا يأتي النساء
ص ر ع	صَريعًا	85	13	11	قتيلاً
ص ر ع	مَصرع	118	13	22	هلاك وموت
ص ر ف	صريف	16	8	1	صوت البازل
ص ر ف	صِرْف	202	16	65	الخالصة، غير الممزوجة
ص ر ف	صَرْفُ الدَّهر	125	2	23	تلونُه وتقلبه
ص ر م	مَصرَّمَة	157	4	29	التي لا لبن لها لأنها لم تنتج
ص ر م	أصراما	83	6	11	القطع والجماعات
ص ر م	مُصرم	186	3	49	مقطوع
ص ر م	مُنْصرِم	204	1	64	منقطع
ص ر م	صرمًا	63	9	6	القطع من السحاب
ص ر م	الصريم	143	13	26	المتقطع من الرمل
ص ع ب	المصاعب	44	16	3	جمع مُصعب وهو الفحل الذي لم يمسهُ حبلٌ قط
ص ع د	صاعد	138	7	25	النامي الزائد
ص ع د	الصِعَاد	145	22	26	جمع صعدة وهي قناةٌ ليست بطويلة
ص ع ل	صَعْلٌ	221	29	75	الدقيق العنق الصغير الرأس من الحمر او النوق
ص ف ح	صِفاحا	200	2	63	مُواجَهَة
ص ف ح	صَفْحتَه	19	16	1	جانبه
ص ف ح	بالصُّفَّاح	21	23	1	حجارةٌ عريضةٌ كالصَّفائح
ص ف ح	الصُّفَاح	216	30	74	جمع صفحة : وهي الجنبُ
ص ف د	بالصفد	27	48	1	العطاءُ جزاءً
ص ف ر	صُفار	168	4	35	شوك البُهمي كلها
ص ف ر	صُفْرًا	60	25	5	ذات لونٍ أصفر
ص ف ر	صَفار	60	27	5	يبيس البُهمى

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ص ف ر	أصْفار	75	1	9	جمع صَفَر، لأن صَفَرًا كان في الربيع يومئذ
ص ف ر	الصُّفْر	221	28	75	النحاس
ص ف و	ذات الصَّفا	154	8	28	الحية التي تتحدّث عنها العرب وتذكرها في أشعارها والصفا : الحجارة
ص ف و	صافيات	147	27	26	يعني أن الدروع صافية فغلائلها صافيات لصفائها
ص ق ل	الصَّيْقل	17	10	1	هو السيف
ص ل ب	صَليب	52	10	4	كان منصوبًا في الزوراء للنعمان وكان نصرانيّا
ص ل ب	أصْلابُها	197	2	60	فقار الظهر
ص ل ت	منصلتًا	66	23	6	الماضي الحاد
ص ل ح	الصَّالحات	207	2	68	جمع صالحة : الأمور النافعة
ص ل ح	صُلْحَ قَيْسٍ	173	2	39	إصلاح ما بينهم
ص ل ح	صَلاحكم	174	9	39	نفعكم
ص ل ح	صفحتُ	130	4	24	أي نظرتُ والتفتُّ
ص ل ل	صِلٌ	165	2	32	الصِّل : الحية
ص ل ي	تَصَلَّيْنا	186	4	49	اصْطلاءَنَا
ص ل ي	مصلّوه	121	25	22	أصحاب الصلاة، الرّهْبَان
ص ل ي	صلاء	80	2	10	الوقع الشديد
ص م ت	صَموت	146	26	26	الدرع لينة المتن ليست بخشنة ولا صَدِئة، فلا يسمع لها لذلك صوتٌ
ص م ت	صَمُوت	150	9	27	الناقـة التي لا ترغو، وانما ترغو من الضجر والاعياء
ص م ت	صَمُوتان	181	3	44	لا يصدر عنهما صوت
ص م خ	صماخها	158	11	29	أصل الأذن ويقال : مدخلها وسَمُّها
ص م ع	صُمْعَ الكعوب	18	13	1	أي لُسْنَ برهلات المفاصل
ص م م	المُصمِّم	186	6	49	الماضي في الأمر بعزيمة
ص م ن	الصَّمَّان	221	26	75	موضع، وهو في غير هذا الحجارةُ
ص ن ع	اصْطَنَعْتَهُم	73	7	8	أحسنت اليهم
ص ن ع	صُنْعه	71	20	7	عمله
ص ن ع	الصَّوَانع	31	5	2	جمع صانعة وهي صاحبة الصَّنْعة
ص هـ ب	صَهْباء	135	27	24	الصهباء : الخمر
ص هـ ب	الصُّهْب	199	2	62	جمع أصهب وهو ذو اللون الأصفر الضارب الى شيء من الحُمْرَة والبياض
ص هـ ر	صهْري	80	1	10	النسب والقرابة بالزواج

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعنى
ص و ب	تَصَوَّبَ	168	3	35	تجود بالمطر
ص و ب	أصابَ	212	10	73	أخذهم
ص و ب	صَوْبَ الغمام	166	4	33	المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي
ص و ب	أصابوا	140	5	20	أدركوا وأنزلوا
ص و ب	الصوابُ	107	2	20	السداد والحق
ص و خ	أصاخ	158	14	29	أصغي واستمع
ص و ر	صوار	57	15	5	قطيع بقر الوحش
ص و ع	الصاع	192	3	55	مكيال تكال به الحبوب ونحوها
ص و غ	الصائغ	170	7	36	من كانت حرفته الصياغة
ص و ل	صَوْل	206	6	67	السطوة والقهر
ص و ن	يُصان	173	5	39	يتوجّى، والوَجَى : الحفا
ص و ن	الصوّان	145	22	26	اليبيس من الأرض
ص و ن	يَصُنّ المشي	134	24	24	يتوقّين من التعب
ص و ن	يصونون	47	27	3	يحمون ويحفظون
ص و ن	تصونَ	212	8	73	أي تتوجّى، تَتَشكّى حوافرها من الحفا.
ص ي ح	الصياحُ	57	13	5	الصراخ للحرب
ص ي د	لم يصد	20	19	1	لم يحرز صيدا
ص ي ف	مصايفُ	30	2	2	جمع مصيف وهو زمن الصيف
ض ءول	ضئيلة	73	11	2	حيّة دقيقة أتت عليها سنون كثيرة، فقلَّ لحمها واشتد سمها
ض أ ل	تَضاءلُ	153	4	28	تصغر وتدق
ض أ ل	المتضائل	121	29	22	المتصاغر المتداخلُ
ض ب ر	مَضْبورة	116	5	22	المجموعة الخلق بعضه الى بعض
ض ج ع	ضجيعها	108	5	19	زوجها
ض ج ع	الضواجع	32	10	2	جمع ضاجعة، وهي منحنى الوادي ومنعطفه
ض ج ع	الضّجيعَ	202	15	65	المضاجع
ض ح و	تُضْحي	70	15	7	يكون في وقت الضحى.
ض ح و	ضاحية	171	3	37	علانية
ض ر ب	الضوارب	46	22	3	التي تضرب الفحل بأرجلها اذا أرادها
ض ر ب	ضوارب بالأيدي	143	13	26	أي قد لزمن أولادهن وضممنهم اليهن
ض ر ب	المضارب	44	17	3	مضرب السيف حدّه، وهو قدر شبر من أعلاه
ض ر ج	الضَّريج	47	26	3	الخزُّ الأحمر
ض ر ر	ضرّارا	82	1	11	كثير الضر
ض ر ر	ضراري	54	2	5	الضرار : الدنوُّ من الشيء واللصوق به

الجذر	الكلمة	ص	ب	ق	المعـــــنى
ض ر ر	أضَرَّ	164	1	31	أكثر ضرراً
ض ر ر	مضِر	152	19	27	أي دان اليها، لاصق بها
ض ر م	المتَضرِّم	186	4	49	المشتد والهائج
ض ر ي	ضَاريات	215	29	74	جمع الضاري : وهو المدرَّبُ على الصيد من الجوارح والكلاب
ض ر ي	الضَّاري	75	2	9	الأسد المتعود أكل الناس
ض ع ف	المضاعَف	40	21	3	الدرع الذي نسج حلقتين حلقتين
ض ع ف	تضاعف	41	3	3	أي تكرر وصار ضعفا فوق ضعف
ض غ ف	ذو الضَّغْنِ	37	26	2	ذو الحقد والعداوة
ض غ ن	ضَغنًا	200	6	63	حاقداً حقداً شديداً.
ض ل ع	ضالعُ	38	30	2	مائل عن الحقّ جائر
ض ل ع	ضُلوعها	107	4	19	جمع ضلع وهي عظام الصدر
ض ل ل	ضُلاَّلاً	180	3	43	جمع ضَالٍ، وهو الذي لا يهتدي
ض ل ل	المُضَلّلِ	112	1	21	الذي يضلّ صاحبه. والذي ينسب اليه الضلال
ض ل ل	ضَلّتْ	49	3	4	ذهبت وعزبت
ض م د	ضَمَد	21	25	1	الضَّمَدُ الذل والغيظ والحقد
ض م ر	المِضمَار	59	24	5	الساحة
ض م ر	ضُمرٍ	128	21	23	الخيول الضامرة
ض م ن	تَضمَّنَ	116	6	22	اشتمل على
ض ن ن	ضَنًا	130	1	24	البخل
ض و أ	يَسْتضيءُ	130	5	24	يزْدَادُ حُسنًا وبهجةً
ض ي ع	ضائعا	164	4	31	فقيراً، جائعًا
ض ي ف	الضَّيفَ	164	4	31	النازل عند غيره
ض ي ف	ضاف	219	13	75	واسع تميد به الغصون أي تميل
ض ي م	ضَيْمِي	210	2	71	الظلم والاذلال

(بقية البحث في العدد القادم)

سهام عبد الوهاب الفريح

كلية الآداب - جامعة الكويت

النظريات المعجميّة العربيّة

وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي

تأليف : محمد رشاد الحمزاوي
مؤسّسات بن عبد الله للنّشر والتّوزيع
تونس [1999] (282 ص)

تقديم : الحبيب النصراوي

تميّز الدّرسات المعجميّة الحديثة بين مفهوم «المعجميّة النظريّة» الذي يوافق في الفرنسية (la lexicologie)، ومفهوم «المعجميّة التطبيقيّة» الذي يوافق في الفرنسية (la lexicographie). والفارق بينهما هو في النّظرة إلى المفردة : فـ«المعجميّة النّظريّة» علم نظريّ موضوعه البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوّناتها وأصولها ودلالاتها وتولّدها... ؛ أما «المعجميّة التطبيقيّة» فعلم تطبيقيّ هدفه إنجاز المعاجم، وموضوعه البحث في الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجميّة تجمع من مصادر ومستويات لغويّة ما، ثم توضع في كتاب - هو المعجم المدوّن - بحسب منهج في الترتيب وفي التعريف معيّن (1). وهذا العلم إضافة إلى ما يقوم عليه من أسس خاصة به يحتاج في تطبيقاته إلى التنائج النّظرية التي تستنبطها «المعجميّة النظريّة» (2).

وقد تحوّل هذا التّمييز عند المعجميين الغربيين المحدثين إلى أساس لمدرسة جديدة في الدّرس المعجمي الحديث قائمة على اعتبار مكوّنيّ النظريّة المعجمية علمين منفصلين، نذكر من أعلامه : هرتمان (Hartmann)(3)، وهسمان (Hausmann)(4) وبرخانوف

---

(1) إبراهيم بن مراد : مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 31.

(2) Igor A. Mel'cuk. André Clas, Alain Polguère: Introduction à la lexicologie explicative et combinatoire, Duculot Louvain-la-Neuve, 1995 p.26.

(3) ينظر : Hartmann, R.R.K. (ed.) : Lexicography : Principles and Practice. London : Academic Press, 1983.

(4) ينظر : Hausmann Franz Josef, Oskar Reichemann, Herbert Ernst Wiegand and Ladislav Zgusta (eds) : Worterbucher, Dictionaries, Dictionnaires, Berlin-New York : W. De Gruyter, 1989.

(Burkhanov)(5) . ورغم انطلاقـهم من هذا التّمـييز، فـإنّهم يتجـاوزونه إلى إقامـة حدود نظرية وعملية لكلا العلمين. فلا يكون أحـدهما نظريّا محضا والآخر تطبيقـيّا محضا، بل إنّ لكليهما جانبه النّظريّ وجانبه التطبيقيّ(6). فإنّ المتعارف عليه هو أنّ «للمعجميّة النظريّة» مبـحثا نظريّا قـائما على دراسة مـعاجم اللغات الـطبيعـية في مسـتويي المنجز والممكن مـعا، ومبـحثا تطبـيقيـا قائما على الوصف التّـجريبي للمعـجم. وإذا كان المبحث الـنّظريّ مطالبا باستنباط قوانـين عامة للمعجم واقتراح نَظْمَنَـة له، فإنّ وظيفة المبحث التّطبيـقيّ هي معالجة هذه النّظمنة وتدقـيقـها بغـية الوصـول إلى المعـجم الأمثل. وهو مـا تتكفّل به في الحقـيقـة «المعجميّة الصّناعيّة».

لكن ما أصبح يميّز هذه «المعجـميّة التطبيقيّة» عند هؤلاء هو عدم اعتـبارها مجالا فنّيّا حرَفيّا تطبيقيّا فحسب، بل أصبحت تُعدّ - حسب هذه المدرسة - علما له هو الآخر بعداه: النّظريّ والتطبيـقي : فالنّظريّ هو الدّراسة الخصـوصية لمعجم لغـة ما في مستـوى المنجز، غـايته وضع قـواعد لتـأليف المعـاجم اعتـمادا على ركـنيْ الجمع (أي المصـادر والمستـويات اللغوية)، والوضع (أي التّرتيب والتّعريف)؛ أي إنّه علم قائم في النّهاية على «نظريّة تأليف المعاجم» ؛ أمّا التّطبيقيّ الذي لا بدّ منه في هذا العلم فهو الإنتاج الفعلي لمعاجم موجّهة إلى الاستعمال العام، وما يتّصل بذلك من مسائل الطباعة والتّرويج، وقضايا بيداغوجية ناجمة عن عملية نشر المعاجم، وتاريخ ظهورها والمقارنة بين طبعات نفس المعجم، أو بين معاجم مأخوذة من مصدر مشترك، أو بين مختلف المعاجم الصّادرة عن نفس النّاشر...

هذا المجـال من البـحث المعـجـميّ هو الـذي يقـابل مـا سـمّـاه بعض الدّارسين بـ «القاموسية» (dictionnairique)(7). وخصـائص «القاموسـية» بمظهـريها النّظريّ والتطبـيقي عُدّت المكوّن الأساسي في «المعـجمـية التطبـيقـيّة» (lexicolographie)، ولا تـدخل فـي اهتمامات «المعجمية النظريّة» (lexicologie) التي ألحقت بالمباحث النظريّة اللسانيّة الخالصة.

---

(5) يـنظر : Burkhanov, Igor : Lexicography. A Dictionry of Basic Terminology, Widawnictwo wyzszej skoly pedagogix znej Rzeszow, 1998 ؛ وينظر له أيضـا : (et al.) : On the Dictionary Status of Lexicography، مجلة المعجـمية 11 (1995)، ص ص 38-49.

(6) يـنظر : Igor Mel'cuk (et al.) : Introduction à la lexicologie explicative et combinatoire pp. 26-27.

(7) Ibid : p.27.

كما أنّ هذا التّمييز بين مكوّني «المعجمية التطبيقيّة» - أي «نظرية تأليف المعاجم» (métalexicographie)، و«الإنتاج الفعلي للقواميس» (lexicographie pratique) - قد أدّى إلى اعتبار «الانتاج الفعلي للقواميس» منتميا إلى اللسانيات التطبيقية، و«نظرية تأليف المعاجم» منتمية إلى اللسانيات النظريّة (8). وهو ما أضفى على دراسة المعاجم المدوّنة صبغة نظريّة فيها تلتقي عناصر لغوية وأخرى غير لغوية : فهي مطالبة باكتشاف منهجية المعجميّ في وضع معجمه، وإدراك الجوانب العلميّة والفنّية والخلفيات النظرية التي تقف وراء تأليف معجم ما، كما تُعنى بمعرفة أنواع المراجع التي اعتُمدت في تأليف المعجم، وكذلك فنّيات إخراجه (9). ويمكن بالنّظر إلى الحدود والأهداف التي وضعها لها أصحابها أن نتبيّن أهمّ مرتكزاتها النّظريّة وهي كما بسطها برخانوف تقوم على المبادئ التّالية :

أ - العناية بتأليف المعاجم عامة (La métalexicographie) ؛

ب - البحث في الأركان التي يحيل عليها المصطلح نفسه (La lexicographie)، وهي خمسة أركان : (1) نظرية النصّ المعجميّ ؛ (2) أنواع المعاجم ؛ (3) جمع المدوّنة وطريقة تدوينها ؛ (4) نظرية وضع المعجم (أي إشكالات الجمع والوضع)؛ (5) نظرية ما يُستخلص من المعجم (أي نظرية القارئ، نظرية طبع المعجم . . .)

ج - اتّخاذ المصطلح مرجعا لمبدإ واضح يكون مقبولا أكاديميّا، أو على نظام مبادئ تُعتمد لشرح الظاهرة القاموسية (10).

في هذا السّياق يتنزل الكتاب الذي نريد تقديمه وهو بعنوان **«النّظريات المعجميّة العربيّة وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي»** للأستاذ محمد رشاد الحمزاوي. ذلك أنّ المؤلف لم يعالج النظريات المعجمية العربية من منطلق إحيائي تراثيّ بل من خلال تصوّر نظريّ يعتبر البحث في تأليف المعاجم علما له خصوصياته واستقلاله وأسسه النظريّة التي يصرّح بها أصحاب المعاجم عادة في مقدمات معاجمهم ومن المفروض أن يطبقوها في متونها. وربّما كان الدّافع إلى هذا التّأليف هو الكشف عن البُعْد النّظري في تأليف المعاجم عند العرب مقارنة بما يُطرح اليوم من نظريات حديثة. وهو مطمح لم يُخف المؤلف تعلّقه به طيلة مراحل الكتاب رغبة منه في «تصحيح» مفهوم القاموسية والانتقال به من «الحِرفيّة» إلى «العلميّة».

(8) Burkhanov : Lexicography, p. 136.
(9) نفسه ص 135.
(10) نفسه، ص 136.

فالكتاب يندرج ضمن المباحث النظريّة في ما يمكن تسميته في الدّرس المعجمي الحديث بـ«النظرية القاموسية» كما رأينا. وأهميّته تكمن في مواكبته لهذه المفاهيم المستحدثة في الدّرس المعجمي الحديث. فرغم اهتمامه بالمعجمية التطبيقيّة، فإنّ البحث لم يفصل بين زاويتي المعالجة النّظرية والتّطبيقية، وهما المكوّنان الرّئيسيان للنّظرية القاموسية الحديثة. بل إنّنا نجده يعتمد أصلا على معاجم مدوّنة باعتبارها وثائق هامة يمكن الاستناد إليها في عملية استقراء علمية لسانية لحقيقة الخطاب المعجمي العملي عند العرب وما انبنى عليه من أسس منهجية ومنطلقات نظرية عقدية دينية وثقافية حضارية.

ومع أنّ الانطلاق كان من المقدّمات النظرية لعدد من المعاجم، فإنّ ما انتهى المؤلّف إليه من نتائج يتجاوز مجرّد التّرديد لبعض الآراء النظرية والقناعة بها، إلى معالجة علمية مقارنيّة لطبيعة العمل المعجمي في مستويه النظري والتطبيقي. فقد اعتمد في كتابه من ناحية، على مقدّمات المعاجم المدروسة وما انطوت عليه من تصوّر نظريّ في تأليف المعجم ؛ وحاول من ناحية ثانية، استخلاص أهمّ المرتكزات النّظرية من المدوّنة نفسها انطلاقا من نماذج مختارة من جميع هذه المعاجم المدروسة، دون أن يُسقط ذلك الكتابَ في السّرد أو التعقّب التّاريخي لمراحل المعجمية العربية، بل إنّ المؤلف تقصّد قراءة منهجيّة اعتمادا على ما توفّر له من معلومات لسانية حديثة رأى من المفيد الاستعانة بها ليبرز ما لذلك التّراث من حركية ورموز لينزلها من نفسها ومن غيرها ومن الحداثة (11) اعتمادا على قواعد النّظريّة القاموسية كما بيّنّا.

لذلك مهّد لعمله بمقدّمة نظرية استمدّ الكتابُ منها أهميّةً كبرى. ذلك أنّها فتحت المجال أمام القارئ لاستيعاب الأبعاد النظرية والمنهجية التي سعى الباحث إلى تحقيقها من عمله هذا. وقد امتدّت هذه المقدمة على مدى اثنتين وثلاثين صفحة بينما تعدّ أبواب الكتاب التطبيقية مائتين واثنتين وثلاثين صفحة، إضافة إلى خاتمة في خمس صفحات هي تكملة في الحقيقة لما طرحه من إشكالات نظرية في المقدّمة. ويمكن بالاستناد إلى المقدمة والخاتمة تصنيف التصوّر النظريّ والمنهجي للكتاب إلى محورين، أوّلهما : عوامل البحث في المعجم المدوّن العربي، وثانيهما : أهمّ إشكالات النّظرية القاموسيّة العربية.

(11) الحمزاوي : النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي، ص 207.

(**1**) **عوامل البحث في المعجم المدوّن العربي** : إنّ أبرز عوامل هذا الاختيار كما صرّح بذلك المؤلّف ثلاثة :

(أ) أهمية الإرث المعجمي العربي ؛

(ب) توزّعه على مختلف العصور ؛

(ج) قيامه على نظريات عربية عالميّة فذّة.

غير أنّ واقع الحال يثبت أنّ المعجميّة العربية لا تزال هامشية رغم صلتها بالقضايا اللغوية، فأغلب الدراسات القديمة كانت دراسات تقليدية قائمة على حياة المؤلّف ومنهجه في الترتيب، وهي تنتسب في الغالب إلى الممارسة التعليمية أكثر من انتسابها إلى الدراسة اللغويّة الأساسيّة. لذلك كان هذا التراث القاموسيّ العربيّ الضخم في حاجة إلى دراسة علمية لسانية حديثة للوقوف على ما تأسّس عليه من نظريات «طريفة وذاتية ومتطورة قتلها الغبن والدّرس التقليدي». وهذه النظريات الكامنة في نصوصها، لا يمكن الوصول إليها إلاّ من خلال استقراء المعاجم المدوّنة نفسها وعرضها في المستويين النّظريّ (مقدمات المعاجم)، والتطبيقيّ (المداخل في متونها المعجمية) (12).

فكانت منطلقات المؤلّف في هذا الكتاب اذن «المعاجم المدوّنة» لدراسة خلفياتها النظرية، أو ما أصبح يُعرف بـ«النظريات القاموسيّة» العربية اعتمادا على ما توفّره المعاجم المدوّنة من رؤى يمكن استخلاصها بالرّجوع إلى الأسس المنهجية والمعرفية لـ«المعجمية التطبيقيّة» (la lexicographie) عامّة.

ولهذا نجده في هذه المقدمة يسعى إلى إبراز مكوّنات النظرية القاموسية عند العرب. وهي نظرية قائمة في تصوّره على ثلاثة اعتبارات هي :

- المعجم رصيد معرفيّ وعلميّ له وظيفة تربوية ثقافية ولغوية ؛
- المعجم أداة لربط الصلة بين المخزون الماضي والموجود بالقوة المستقبلي ؛
- المعجم وسيلة لربط الصلة بالحداثة وهو ما يستدعي مواكبته لطبيعة المرحلة ثقافيا ولغويا (13).

وهذه النظريات القاموسية العربية على أهميتها ومكانتها في اللغة وما اقتضته من منهجيات وتطبيقات، لم تدرس ماضيا وحاضرا، ولم ينظر إلى المعجم المدوّن على أنّه

(12) نفسه، ص 7.

(13) نفسه، ص 11.

تأليف نظريّ وإلى مؤلّفه على أنّه مختصّ بـل نُظريّ في الغالب إلى المعجم على أنّه مجرّد تطبيقات (14). ولذلك ظلّت هذه الدّراسات التقليدية دون المأمول فـ «لم توفّر من المعلومات ما يفيدنا في شأن نظريات المعجم الواضحة وأسبابها وصلاتها» (15). وعلى العكس من ذلك تبدو هذه الدّراسة، بما استقام لـها من منهج وما توفّر لها من تصوّر نظريّ لأبعاد المعجمية التطبيقية، ضرورية. فإنّ صاحبها أرادها استخلاصا نظريّا من مظانّ تطبيقية. ولعلّه في ذلك لا يحقّق سبقا في تعاطيه مع النظريات المعجمية والقاموسية الحديثة فحسب، بل إنّه يردّ إلى المعجميين القدامى ما سلب منهم من رؤى بات من الضروريّ أن يطّلع عليها الباحثون والمختصّون لإبراز الصلات القائمة بين المعجم القديم والمعجم الحديث ودرجة تعلّقها بالمفاهيم اللسانية الحديثة كأساليب الترتيب البنيوية ومفاهيم الحقل الدلالي والحقل المعجمي والتطوّر والاستقرار، إلخ (16).

(2) أهمّ إشكالات النظريّة القاموسيّة العربية : لعلّ أوّل إشكالية تواجهها النظرية القاموسية هي مسألة «الإحاطة بالخطاب اللغويّ» ماضيا وحاضرا ومستقبلا. فالنّظريات المعجمية العربية كما حدّدها رشاد الحمزاوي تُعنى منذ نشأتها - على اختلاف منهجياتها ومفاهيمها - بكيفية التوقّق إلى استيعاب الفكر الانساني انطلاقا من أمثلة عربية قوامها اللغة العربية ومعجمها الأمثل. من هنا كانت العناية بما توصّلت إليه هذه النظريات العربية وتطبيقاتها سعيا إلى معرفة حصيلتها اللغوية من التّقليد أو التطوّر. وهي عنده من الأهمية بحيث لا يُخفي قابليتها للتّخريج تخريجا حديثا على غرار تخريج اللسانيين للتراث اليوناني واللاتيني باعتماد مشاريع قراءات جديدة (17).

أمّا الإشكالية الثانية فهي مسألة «النصّ المعجمي» (18). فالمعجم نصّ أكبر قائم على نصوص صغيرة عددها هو عدد المداخل التي يقوم عليها المعجم، وتسمّى «النّصوص الأساسية». ويقسّم «النصّ المعجمي» إلى قسمين هما المدخل ومحتواه. ويمثّل «النصّ المعجمي» أهمّ قضيّة في النظرية القاموسية لأنّ بناءه يستوجب التوفيق بين عناصر تبدو

(14) نفسه، ص 10.
(15) نفسه ص 14.
(16) نفسه ص 15.
(17) نفسه ص 18.
(18) ينظر : محمد رشاد الحمزاوي : النصّ المعجمي وقضاياه، ضمن : «المعجم العلمي العربي المختص»، (وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة لجمعية المعجمية العربية بتونس). دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 125 - 138.

متناقضة، كالأصل والفرع، والقياس والإحاطة، والإيجاز والتقريب، وهي من أعسر ما يعترض واضع المعجم باعتبار ما تتطلّبه من جمع بين المتناقضات وما تفرضه من حدود دون أن تغفر له تعثّره في إدراك النصّ المعجميّ النّموذجيّ. ولهذا سعى المعجميون العرب إلى الوصول إلى بنية معجمية عمليّة تربط النّظام المتصوّر بالنّظام المطبّق.

ويرى المؤلف أنّ أقرب ما يمثّل النصّ المثال من المحاولات النظرية المكتملة آراء ابن فارس في المقاييس وإشارات ابن سيده في مقدمة المحكم. وهي آراء لا يمكن أن تُعتمد بوضوح إلاّ من خلال تطبيقاتها الواردة في متون المعاجم التي تكيّفت نصوصها بحسب نظرة كلّ مدرسة معجمية، فهناك نموذج النصّ الموسوعي الشامل، وهناك النصّ المتحفّظ الانتقائي باعتبار الصحة أو التخصّص، وهناك النصّ الملخّص. . «من هنا ندرك أنّ مفهوم النصّ المعجمي (أي المداخل وتعريفها وترتيبها) مشروع مفتوح ممّا يدعونا إلى أن نؤكّد أنّ تاريخ المعجم هو تاريخ نصّه وخصائصه وفنّياته»[10].

هذه الأراء التي طُرحت في المقدمة وكذلك في الخاتمة هي التي أسّست الأبعاد النظريّة للقسم الرئيسيّ في الكتاب، فجاءت أقسامه معالجة نظرية وتطبيقية تفصيليّة لأهمّ الرّؤى المعجمية العربية وتطبيقاتها من خلال المعاجم التي اختار الباحث دراستها وهي واحد وعشرون معجما متنوّعة زمانا ومكانا. وقد صنّفها إلى سبعة أصناف هي التي مثّلت الأبواب السبعة للكتاب، بعد أن وضع لذلك مخطّطا اعتمده في تحليل كلّ باب يتكوّن من مراحل هي :

(أ) الرّؤى أي النّصوص النّظريّة المنتقاة من المعاجم المدروسة ؛

(ب) الممارسات أي النّصوص التطبيقية المركّزة على بعض المداخل المختارة المشتركة ؛

(ج) خصائص كلّ الرؤى والممارسات المعجمية المعروضة ؛

(د) حصيلة نموذجية تستخلص منها المعايير الثابتة والمتغيّرة للمعجم العربي قديما وحديثا.

والأبواب السبعة هي حينئذ سبع رؤى أو نظريات نوجزها فيما يلي :

1 - الباب الأول :(ص ص 33-68). عالج فيه المؤلف ما سمّاه «نظرية المعجم

---

(10) الحمزاوي : النظريات المعجمية العربية، ص 20

المثاليّ عند الخليل. وقد سبق للحمزاوي أن بسط هذه النظرية في بعض مؤلّفاته(20)، لذلك نوجز أهمّ ما استخلصه من هذه النظرية في النّقاط التالية : استنباط الخليل لنظام صوتيّ لكتاب العين ؛ إقراره مفهوم البنية العميقة التي تعتمد عليها مداخل المعجم ؛ استقراؤه لمفهوم الأبنية السطحية النّاشئة من تحويلات البنى العميقة اعتمادا على عملية التقليب الرياضية ؛ استنباط مفهوم المعجم اللغوي المكتمل المثالي الذي يستوعب اللغة وتتفرّع مداخله إلى مفهومين : المستعمل والمهمل (أو الموجود بالفعل والموجود بالقوة) ؛ إقرار مفهوم المعجم الوصفي التطوري الذي يستقرئ من اللغة صحيحها وغريبها وهما يعنيان كلّ المستويات اللغوية المدروسة، فهو ليس معجما تعليميا بل هو مشروع «مفتوح» مثل اللغة التي لا تستقرّ على حال.

ولعلّ أكثر ما كان المؤلّف يروم تبليغه هو أنّ هذه النظرية الخليلية صالحة لأن تطبّق على كلّ لغة لأنّ مقارباتها ترتكز على قواعد لسانية عامة، ويضرب لعالمية نظرية الخليل أمثلة كالمقدرة والأداء عند تشومسكي وهيمبولت مثلا.

أمّا القسم الثاني من هذا الباب فقد درس فيه مقاربات عدد من المعجميين ممّن التزموا أغلب مفاهيم نظرية الخليل، وأضافوا إليها : فالأزهري (ت370هـ/980م)صاحب معجم «تهذيب اللغة» أضاف عددا من المفاهيم اللسانية كالتمييز بين اللسان والكلام والخطاب ؛ وابن عبّاد (ت385 هـ)/995م) صاحب «المحيط في اللغة» أضاف اهتماما خاصا بمفهوم الكلمة ؛ وابن سيده، (ت 458هـ/1066م) صاحب «المحكم والمحيط الأعظم في اللغة» تعلّقت إضافاته بالنّص المعجمي وما يستوجبه من عناصر تُعرف اليوم بـ«مفاتيح نصّ المعجم».

ثمّ عالج المؤلّف في القسم الأخيرمن هذا الباب وهو «الممارسات»، أي التطبيقات، مدخل (عهد) في المعاجم الأربعة المذكورة، وذلك في مستويات المدخل والتعريفات والترتيب. وقارن بين طرائق المعاجم الأربعة في تعاملها مع هذا المدخل، وبيّن مواطن التقائها ومواطن اختلافها في المعالجة.

2 - الباب الثاني : (ص ص 69-104). عالج فيه ما أسماه «نظرية المعجم

(20) ينظر : مثلا الحمزاوي : المعجم العربي إشكلات ومقاربات، بيت الحكمة، قرطاج، 1991، ص ص 223-228.

التجريبي ومعجم المعنى». فوضع لهذه النظرية رأسين هما: ابن دريد (ت 321 هـ/933م) من خلال «جمهرة اللغة» ؛ وابن فارس (ت395 هـ /1005م) من خلال «مقاييس اللغة».

وأهمّ ما استقام لابن دريد في نظريته -حسب المؤلف - تطويره للمعجم من حيث الوضع وتأسيسه لمفهومين لسانيين هامين هما مفهوم الوظيفة المتغيّرة بحسب طبيعة المعجم، ومفهوم المستفيد أي القارئ، فهو عنده يجب أن يكون بعيدا عن الحيرة مُشْفِيًا على المراد. وقد خالف بذلك مفهوم المتكلم المثالي عند الخليل. على أنّ من مظاهر تطويره لنظرية الخليل أيضا استبداله لمفاهيم الخليل الثلاثة : المهمل والمستعمل والتقليب بمصطلح وحيد هو المعكوس. كما اقتصر في التطبيق على المستعمل، واستغنى عن مفهوم الأداء وسمّاه الجمهور.

أمّا ابن فارس فقد ركّز المؤلف في تحليل محتوى نظريته على مفهومين : أوّلهما هو المعنى بقطع النّظر عن بنية الكلمة، ويرى الحمزاوي أنّه بذلك قد أسّس لعلم التّأصيل : فالمقاييس هو المصطلح المعروف عند علماء اللسان التأصيليين بالمصطلح اليوناني (Etymon) ومعناه الأصل والأساس ؛ والثاني هو النّحت ونظريّته المعروفة (21).

3 - الباب الثالث : (ص ص 105-150). عالج فيه نظرية المعجم بين الصحة والموسوعية، فاعتبر الجوهريّ (ت 398 هـ/1007م) رأس هذه النظريّة من خلال معجم «تاج اللغة وصحاح العربية». وهي في نظره قائمة على ثلاثة مفاهيم هي : الصحّة وتتعلّق بمفهوم الجمع أي المدوّنة المعجمية ومصادرها المقوّنة والمكتوبة ؛ ومفهوم الترتيب وهو لغاية تركيز الصحّة كيفا من حيث البنية وجماليا من حيث الاستعمال ؛ ومعرفة العربية وهي بمعنى اللغة المثال، قصد الإحاطة بعلوم الدين والدنيا. هذه المفاهي تُنهي إلى أنّ الصحّة عند الجوهري عملية انتقائية لا تعني الإهمال بقدر ما هي إسقاط مقصود مبنيّ على ما اعتبره الجوهري صحيحا صوتا وصرفا ونحوا ومعنى واستشهادا. والهدف منها بناء استعمالية معجمية مثالية في عهد تنازعت فيه النظريات ممّا حتّم الدعوة إلى معيارية نواة للمحافظة على رصيد مشترك يُقاس عليه.

ثم يخلص المؤلف إلى تحليل المقاربات الثلاث المتّصلة بـ«نظرية الجوهري» وهي :

---

(21) نفسه، ص ص 247-204. وقد حلّل المؤلف نظرية ابن فارس تحليلا معمقا في كتابه نظرية النحت العربية، دار المعارف، سوسة، 1998، ص ص 17-50.

(أ) مقاربة ابن منظور (تـ711 هـ/1311م) من خلال «لسان العرب» وقد رأى أنها قائمة على خمسة عناصر هي : المفاضلة اللغوية الداعية إلى تقديس العربية ؛ منهجية الجمع والوضع ؛ اعتماد مفهوم المدونة ؛ مفهوم المعجم اللغوي الموسوعي ؛ اعتباطية اللغة ومن ثم استحالة استيعاب مآثرها.

(ب) مقاربة الفيروز ابادي (817هـ/1415م) من خلال «القاموس المحيط»؛ فقد امتاز هذا المعجم بكونه ثورة على التوقيفية اللغوية «الجوهرية»، وهي قائمة على المفاهيم التالية : اعتماد المدونة المكتوبة ؛ التميز بمفهوم المعجم الوظيفي ؛ التميّز بمفهوم معجم الأعلام والأماكن.

(ج) مقاربة الزبيدي (تـ1205/1790م) من خلال «تاج العروس». وهي قائمة على العناصر التالية : الانطلاق من مدوّنة القاموس المحيط ؛ الاستفادة من الرّصيد المعجمي النّقدي العربي ؛ التنظير للمعجم العربي من خلال مقاربة لغوية لسانية تناولت أهمّ قضايا المعجم النظرية؛ دعم المعجم العام بالمصادر اللغوية المختصة.

ثم ينتهي الباب بمعالجة مدخل (علم) في المعاجم الأربعة.

4) **الباب الرابع** :(ص ص 151-210) .وقد خصّصه المؤلف لنظرية «المعجم الأسلوبي والتربوي» اعتمادا على ثمانية معاجم ابتداء بأساس البلاغة للزّمخشري (تـ538هـ/1144م) وانتهاء بالمعجم العربي الأساسي (1989).

وأهمّ ما تقوم عليه «نظرية الزّمخشري» من خلال «أساس البلاغة» اكتشافه لمفهوم التطوّر اللغوي في نطاق الفصحى اعتبارا منه أنّ الفصحى تتفاعل مع محيطها. فلم يتنبه أحد قبله إلى أنّ المحافظة على اللغة لا يكون بتحنيطها بل بالدفاع عن حيويّتها. ولهذا كانت رؤية الزمخشري لا تعتمد على اللغة باعتبارها رصيدا جامدا بل باعتبارها تنطلق من مفاهيم أساسية : كالاستعمال، والفصل بين مفهومي الدراسة الآنية والدراسة التطوّرية للغة، إلى جانب ترتيب المداخل ترتيبا ألفبائيا جديدا.

وفي القسم الثاني من هذا الباب يعرض المؤلف مقاربات المعجميين التالين للزّمخشري والمنتمين إلى مدرسته وهم : بطرس البستاني في «محيط المحيط»، وسعيد الشرتوني في «أقرب الموارد»، ولويس المعلوف في «المنجد». ومجمع اللغة العربيّة بالقاهرة في «المعجم الوسيط»، والجيلاني بن الحاج يحيى وصاحباه في «القاموس الجديد»، وخليل الجرّ في «لاروس، المعجم العربيّ الحديث»، والألكسو في «المعجم العربي

الأساسي». ثم ينتهي الباب بالقسم التطبيقي المخصّص لمعالجة مدخل (إنسان) في المعاجم الثمانية.

5) الباب الخامس : (ص ص 211-229). عالج فيه المؤلف «نظرية المعجم النموذج»، من خلال رؤية أحمد فارس الشدياق (ت1304هـ/ 1887م) في «سرّ الليال في القلب والإبدال». وهي قائمة على : ترتيب معجمي جديد وفّق فيه الشدياق بين مختلف أنظمة الترتيب العربية، فبحث عن قانون للقلب والإبدال مستعينا بالخلفية العربية الإسلامية في ما يتعلّق بالترتيب خاصة ؛ وبالخلفية الأروبية فيما يتعلّق بمفهوم الدلالة المركزية. وينهي البابَ بمعالجة مدخل (بت-تب).

6) الباب السادس : (ص ص 231-247). عالج فيه «نظرية المعجم التاريخي»، من خلال رؤية فيشر في المعجم التاريخي، وهي قائمة على استيعاب جميع الكلمات العربية ومعالجتها حسب وجهات النظر التالية : التاريخية والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية. وهو ما مثّل مشروعا واضح المعالم. ويُنْهي المؤلّف البابَ بمعالجة مدخل (أب).

7) الباب السابع :(ص ص 249-265). عالج فيه «المعجم العام»، انطلاقا من رؤية مجمع القاهرة في «المعجم الكبير». وهو مشروع يهدف إلى وضع معجم جماعي متخصّص تطوّري يربط بين القديم والحديث، موسوعي قائم على فصاحة مفتوحة إذ يسعى إلى استكمال الموادّ اللغوية التي لم ترد في كتب اللغة. وينهي المؤلّف الباب بمعالجة مدخل (أبب).

بهذا يتّضح لنا أنّ ما قدّمته «النظريات القاموسية العربية» من رؤى لغوية ولسانية متميّزة ومتنوعة قد انبنت على أبرز المبادئ التي رأينا أنّ القاموسيّة الحديثة تنظّر لها مثل : الجمع والوضع والنصّ المعجمي والقارئ والممكن والمنجز والاستيعاب والتطوّر اللغوي والاستقرار إلخ. . . إضافة إلى أنّ الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي قد ربط تلك المبادئ النظريّة بخلفياتها العقائديّة واللغوية والفكرية والحضارية، فهي نتيجة لتطوّر البيئة والفكر العربيين ومدى انعكاس ذلك على واقع المعاجم وتطوّرها عامة. وكان لتنوّع هذه الرّؤى وتجدّدها وما اعتمدت عليه من نظم ومناهج مركّزة مترابطة ومقاربات داعية إلى التغيير والتطوير بغية استيعاب الفكر من زوايا متنوّعة، الأثر الحسمُ في اكتسابها بحقّ صفة النّظريات الفذّة والجريئة. لكنّ المقارنة بين جزئي المكوّن المعجمي (أي النظرية في المقدمة

والتطبيق في المتن) بيّنت أنّ الاجتهاد كان في الغالب في المذهب وبقيت المناهج التطبيقية غير خاضعة لذهنية معجمية متحرّكة منفتحة على التطوّر اللغوي وما يستدعيه من تجاوز الرصيد اللغوي المحنّط إلى الرّصيد اللاّحق والمتنوع، وهو ما يتطلب حيويّة في بنية النصّ العجمي، ووضوحا في وظيفته المعجمية من حيث الرؤية والمنهج والاستيعاب. ونرى أن القراءة التي قدمها الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي ببعديها النّظري والتطبيقي وما قامت عليه من استيعاب للماضي وانفتاح على المستقبل وما تأسّست عليه من نظرة لسانية مُعمّقة إلى التجربة المعجمية العربيّة عامّة، قراءة رائدة سيكون لها أثرها في تطوير المعجمية العربية وخاصة في مجال وضع قواميسها.

الحبيب النصراوي
كليّة الآداب بالقيروان، جامعة الوسط

الكلم الأعجميّة في عربية نفزاوة

(بالجنوب الغربي التونسي)

تأليف : ابراهيم بن مراد
نشـر : مَركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والإجتماعية
سلسلة اللسانيات عدد 10 - تونس 1999 (471 ص)

تقديم : هلال بن حسين

يتنزّل كتاب ابراهيم بن مراد «الكلم الأعجميّة في عربيّة نفزاوة» في إطارين : أحدهما عام، والثاني خاص.

فالإطار العام يشمل الدّراسات المعجميّة الوصفيّة التحليليّة وهي قليلة. وأقلّ منها المباحث المخصصة لمستوى الألفاظ الأعجميّة في اللسان العربي الحديث. وتكاد هذه المباحث تنحصر في مؤلّفين هما : «الاقتراض في العربيّة الحديثة» للطيّب البكّوش، وقد عالج فيه المقترضات في العربيّة التونسيّة الحديثة، وكتاب ابن مراد المذكور، وقد عالج فيه - كما يشير إلى ذلك العنوان - المقترضات في لهجة نفزاوة مع وضع قاموس لها.

ويتعلّق الإطار الخاصّ بتنزيل هذا الكتاب منزلته من مؤلفات ابراهيم بن مراد المعجميّة. وهذه المؤلّفات ثمرة مباحث وتجربة معجميّة عمرها حوالي ربع قرن. وقد شملت المعجميّة العامةَ والمختصّة والمخُصّصة لمستوى بعينه من ناحية، وجمعت من ناحية ثنية على الدّوام بين البحث النّظري والبحث التّطبيقي انطلاقا من رؤية تربط ربطا وثيقا بين العمل القاموسي الجيّد والنّظريّة المعجميّة المتماسكة.

وهذا الكتاب الذي نقدّم عمل معجميّ تطبيقيّ في قسمين : قسمه الأوّل مقدّمة عامّة في التّنظير التطبيقي وهو خلاف التّنظير المُجرّد الذي نجده مثلا في كتابه «مقدّمة لنظريّة المعجم»، والقسم الثاني في التّطبيق البحت وقد تمثّل في قاموس قد خُصّص لمستوى اللفظ الأعجمي في عربيّة نفزاوة بالجنوب التّونسي، ويُلاحظ أنّ للمؤلف اهتماما خاصّا بالألفاظ الأعجميّة مصطلحات وألفاظ لغة عامة.

1 - القســـم الأوّل :

تضمّن القسم الأوّل أربعة فصول متكاملة تشتمل على مقوّمات العمل القاموسي الجيّد. وقد تعلّقت الفصول الثلاثة الأولى بالعوامل التّداوليّة Pragmatiques التي لها أثر في القاموس.

1 -1. الفصـــل الأوّل :

تضمن الفصل الأوّل عامل المكان وهي منطقة نفزاوة حيث تنزل المجموعة الناطقة باللهجة موضوع البحث. وقد وفّر هذا المكان - بما اشتمل عليه من موجودات طبيعيّة أوصناعيّة - مكوّنات التجربة التي عاشتها تلك المجموعة. وقد رُسمت على أساسها خريطة الحقول المعجميّة التي التأمت في إطارها مفردات تلك اللهجة. من أجل ذلك جاء وصف نفزاوة دقيقا. وقد زاده دقّة وصف أهلها وهو ما يمثّل العامل الثّاني.

1-2. الفصـــل الثّانـــي :

تعلّق العامل الثّاني في الفصل الثّاني بالمجموعة النّاطقة وهم أهل نفزاوة بصفة عامة وسكّان بشري بصفة خاصّة، ومن ضمنهم المؤلّف. وانتماء المؤلّف إلى المجموعة التي يدرس لهجتها عامل بالغ الأهميّة في هذا العمل المعجمي لأنّه قد صار له - بفضل هذا الانتماء - حدس لغويّ لم يكن - على ما تحصّل له في هذا الموضوع من علم وتجربة- في غنى عنه لينجز عملا أقرب ما يكون للواقع اللساني الذي تنزّل فيه لهجة نفزاوة.

وقد اتّضح في هذا الفصل أنّ أهل نفزاوة بربر في الأصل ولكنّهم تعرّبوا تعرّبا تامّا. ولم يكن للأقلّيات التي مازجتهم مثل الرّومان والرّوم والزّنوج والفرنسيين وزن بينهم. لذلك سادت العربيّة سواها من الألسن التي دخلت المنطقة، وعدّت لهجة نفزاوة عربيّة واعتُبر ما دخل نفزاوة من ألسن هؤلاء الأقوام من غير العرب أعجميّا. وتلك النّتيجة يؤكّدها الفصل الموالي.

1 - 3 - الفصـــل الثـالـــث :

يُظهر الفصل الثالث العاملَ اللساني من خلال بحث في لهجة نفزاوة يؤكّدُ مدى انتمائها إلى العربيّة من ناحية، ويمثّل من ناحية ثانية - تحليلا لسانيّا يسبق الوضع القاموسي ويُمهّد له حتّى تكون بنية القاموس الموضوع وبنية مداخله نابعة من بنية معجم لهجة نفزاوة لما بين المعجم والقاموس الذي يُمثّله من علاقة وثيقة ينبغي مراعاتها إن أريد للقاموس ألاّ يكون مجرّد صناعة لا علاقة لها بعلم المعجميّة.

وقد تناول البحث في هذا الفصل الظّواهر اللسانيّة التي تُرجع لهجة نفزاوة إلى العربيّة. وهي ظواهر تتعلّق بالأصوات وكيفيّة تعاملها، وبالبنى الصّرفيّة فعليّة واسميّة، وبالمعجم وهو يشمل من الوحدات المعجميّة الفصيح والمولّد والأعجمي. فلهجة نفزاوة لم تنشأ بعيدا عن اللسان الأمّ، بل هي العربيّة الفصحى وقد أخذت وجهة معيّنة من التطوّر في ضوء عوامل معيّنة متصلة بالمستعملين وبيئتهم ومختلف أحوالهم النفسيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. وهي العوامل التي فصّل القول فيها في الفصلين السّابقين. وكان من الطبيعي أن تتفرّع عن لهجة نفزاوة - بفعل بعض تلك العوامل- لهيْجتان تمثّلان مستويين من التّعامل اللساني. وقد أخضعت اللهيْجتان في هذا الفصل للتحليل والمقارنة فظهر - في مستوى الأصوات - تميّز اللّهيجة الحضريّة بالتّرقيق، وتميّز اللهيْجَة البدويّة بالتفخيم، وقد تميّزت في مستوى الصّرف والتّصريف اللهيْجَة البدويّة بمحافظتها على الصّيغ الفصيحة، خلافا للّهيجة الحضريّة التي سمحت بظهور صيغ جديدة مثل اتّفعل. وإنّ دراسة لهجة نفزاوة بفرعيها الحضري والبدوي تُجلي نظم هذه اللهجة الصوتيّة والصّرفيّة والتركيبيّة وتفسّر طرق تعريب المقترضات المسجلّة في القسم الثاني من هذا الكتاب، وقد ضمّ هذه المقترضات قاموس اتّبع المُؤلّف في وضعه منهجا تطبيقيّا ضبط مقاييسه ومبادئه في الفصل الموالي.

1 - 4 - الفصـــــل الرّابـــع :

تضمّن الفصل الرّابع - إذن - المنهج التّطبيقي في الوضع القاموسي. وقد اكتسب هذا المنهج لدى المؤلّف، نتيجة البحث النّظري والتّجربة، درجة من الشكلانيّة العلميّة، صار يطبّقها باطّراد في أعماله المعجميّة. وتقوم هذه الشكلانيّة على مجموعة من المقاييس والمبادئ نوجزها فيما يلي :

1 - إقامة أيّ عمل قاموسي على ركنين هما ركن الجمع وركن الوضع ؛

2 - حصر قضايا الجمع في مسألتي المستويات اللغويّة التي تنتمي إليها الوحدات المعجميّة المداخل، والمصادر المعتمدة في جمع المدونة ؛

3 - تحديد أهمّ المستويات اللغويّة وهي الفصيح والمولد والعاميّ والأعجمي. وموضوع هذا المبحث هو اللفظ الأعجمي.

4 - معالجة اللفظ الأعجمي في إطار تصنيفه إلى صنفين هما المعرّب والدّخيل واعتماد معايير ثابتة للتّمييز بين النّوعين.

5 - اعتماد مبادئ لانتقاء الألفاظ الأعجمية التي يراد تسجيلها في القاموس. وقد أخذ في هذا العمل بمبدإ التعميم في إدراج الألفاظ الأعجمية أي بنوعيها المعرّب والدّخيل، وفي العناية بكلّ الألسن المقرضة عدا السّامية منها. وعلل المؤلف تفاوت هذه الألسن من حيث عدد مقترضاتها وبيّن خاصّة أسباب تفويق الفرنسيّة والفارسيّة واليونانيّة واللاتينيّة على سائر الألسن المقرضة الأخرى. وأخذ بمبدأ التّخصيص في اختيار ألفاظ اللغة العامة دون المختصّة، وفي تحديد فترة الاقتراض وهي تنتهي في حدود سنة 1965. وله في الأخذ بهذه المبادئ مبرّرات ذكرها في مواضعها من التّحليل.

6 - استعمال أحدث الطرق وأكثرها علميّة في تحديد مصادر وحدات القاموس ويتمثّل ذلك في اللجوء إلى متكلّمي اللسان المدروس والأخذ عنهم مباشرة. وهي طريقة اعتمدها العرب في أوّل عهدهم بالعمل المعجمي ثمّ تخلّوا عنها واستبدلوها بالنقل عن القواميس الجاهزة حتّى صارت القواميس ينقل بعضها عن بعض دون مراعاة للواقع اللغوي الذي يفترض أن يكون القاموس واصفًا له.

وقد أخذ المؤلف عن أهل بِشْرِي مسقط رأسه غير أنّه أضاف إلى ما استقاه من أفواههم ما وجده موثّقا سواء كان مكتوبا أو مسموعا فأجاز من كلّ ما تحصّل له ما رآه يصلح أن يكون وحدات معجميّة مقترضة راكنا في هذا الجمع إلى المبادئ التي أشرنا إليها وإلى ثقافته المعجميّة وكذلك إلى حدسه اللغوي باعتباره أصيل مدينة بشري، إحدى حواضر نفزاوة العريقة.

7 - إقامة الوضع على ركنين قارّين هما التّرتيب والتعريف. وقد رتّب المؤلّف المقترضات ترتيبا ألفبائيّا مطّردا بالنّظر إلى أنّها أعجميّة وأنّ جميع حروفها أصليّة فلا يجوز - بحسب مبادئ ترتيب الأعجمي - تعريتها تعسّفا من بعض حروفها ثمّ ترتيبها تحت جذور عربيّة أو وهميّة كما ترتّب عادة في القواميس العربيّة.

8 - تعريف اللفظ الأعجمي بحسب مبدإ مراعاة خصوصيّته. وقد ضبط المؤلّف للّفظ الأعجمي المدْخل في القاموس بنيةً أركانها هي:

(1) - تاريخ الاقتراض؛

(2) - درجة اندماج اللفظ المقترض في اللسان المتقبّل؛

(3) - اللسان أصل الاقتراض؛

(4) - الأصل الأعجمي للّفظ المقترض؛

(5) - الدّلالة في اللسان الأصلي ؛
(6) - البنيّة الصّوتيّة ؛
(7) - البنيّة الصرفيّة ؛
(8) - المظهر النّحوي ؛
(9) - الدّلالة.

غير أنّه نبّه إلى أنّه لم يلتزم بجميع هذه الأركان في تعريف اللفظ الأعجمي ولم يعامل الأركان التي ذكرها باطّراد بطريقة موحّدة. فقد التزم بذكر الأركان : الثالث والرّابع والخامس والتّاسع. ثمّ إنّه قصد التّوسّع في ركن الدّلالة بغاية تقصّي مراحل تكوّن الكلمة من خلال تطوّر دلالاتها ثمّ تحديد وضعها النّهائي.

2 - القسم الثاني : القاموس :

2 - 1 - البنية الكبرى :

سبق أن رأينا أنّ لهجة نفزاوة عربيّة أساسا. لذلك فإن نسبة ما فيها من ألفاظ أعجميّة لا ترقى إلى نسبة الألفاظ العربيّة الأصل. وقد نتج عن ذلك أنّ هذه المقترضات تسدّ ثغرات متفرّقة في معجم لهجة نفزاوة، وإن كانت لهجات عربيّة أخرى كثيرةٌ - كما بيّن المؤلّف - تشارك لهجة نفزاوة في عدد غير قليل من المقترضات التي اشتمل عليها القاموس. ولا يتسنّى لهذه المقترضات - إذن - أن تلتئم في إطار حقول معجميّة عامّة لتكوّن معجمًا متكاملا، ولا يمكن أن يتوفّر لقاموس يجمعها ما يتوفّر لقاموس شامل من شبكات دلاليّة متكاملة.

وإذ أنّها أعجميّة ولا جذور لها في العربيّة، فهي لا تلتئم كذلك في إطار حقول اشتقاقيّة، ومن أجل ذلك جاءت في شكل مدوّنة مرتّبة ترتيبا ألفبائيًا كما جاء ذكر ذلك في الفصل الرّابع من القسم الأوّل في هذا البحث.

2 - 2 - البنية الصّغرى : النصّ المعجمي Article :

يتكوّن كلّ نصّ معجمي ورد في قاموس «الكلم الأعجميّة في عربيّة نفزاوة» من وحدة معجميّة مدخل وشرح معجمي لذلك المدخل.

وقد وردت المداخل - من حيث درجة التركيب - بسيطة إذ لم توجد من ضمنها وحدات مركّبة - إلاّ ما تألّف من عنصر عربيّ وعنصر أعجميّ مثل المداخل التي بُدئتْ بـ

«بُو»، أي «أبو» - أو معقّدة أو تعابير معجميّة Phrasèmes. وقد ضُبطت طرق نطقها بدقّة، فبان من خلال ذلك الضّبط مدى تطوّر النّطق العربي في الاستعمال الحديث.

وقد جاءت الشروح متفاوتة من حيث توفرها على خصائص اللفظ الأعجمي، ومن حيث طول الحيز الذي يحتلّه كلّ شرح. وقد سبق أن ذُكرت مبرّرات ذلك التفاوت، غير أنّنا نضيف إلى ذلك القول إنّ الألفاظ الأعجميّة تجد من العناية بخصائصها بقدْر اشتراك الألسنة فيها، وبقدر اندماجها في اللسان العربي الفصيح أو العامي وما ينتج عنْ ذلك الإندماج من طاقة إنتاج تتمثّل خاصّة في الاشتقاق والتّوليد الدّلالي.

وقد بذل المؤلف جُهدًا في التعريف بكثير ممّا كان مجهولا من أصول الكلمات الأعجميّة في لهجة نفزاوة وخصائصها، فرفع بذلك عنها غبنا، وصار لها ما تملكه سائر المستويات اللغويّة الأخرى من مكانة في المعجم والقاموس. واستطاع في الوقت ذاته أن يزيل لبسا كان يكتنف علاقة لهجة نفزاوة بالفصحى. فبيّن أنّ هذه اللهجة عربيّة، وأنّ العناية بها تندرج في إطار العناية بالفصحى وخاصّة طرق تطوّرها في البلاد العربيّة المترامية الأطراف. فما حظيت به لهجة نفزاوة من تحاليل صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة ومعجميّة بصفة عامة يرقى بمنزلة اللهجات من ناحية، ويمكن الباحثين في هذا المجال من طلَبتهمْ من ناحية ثانية، ويوفّر من ناحية ثالثة للقراء العرب بصفة عامة والتونسيين بصفة خاصّة متعة اكتشاف أسرار كثير من الكلمات مألوفة على الألسنة شائعة في الاستعمال لكنها لم تكن مع ذلك معروفة لديهم.

هلال بن حسين
كليّة الآداب بسوسة
جامعة الوسط

معجم العربيّة الأندلسيّة

تأليف فيديريكو كورينتي

A Dictionary of Andalusi Arabic
by : Federico CORRIENTE
E.J Brill. Leiden, 1997 (623 p.)

تقـديم : سُهـا عبّود

1 - تمهيـــــد :

رغم اندثار العربـية بلهجـاتها المختلفـة التي كان يتحـدث بها سكان الاندلس بشـبه الجزيرة الايبـرية والتي اختفى وجـودها تماما مع خروج آخـر المسلمين الموريسكيين في بداية القرن السـابع عشر، فـإن الدراسات التي بدأت على أوجهـا في السنوات العشرين الماضـية بفضل جهود بعض المتخصّصين اللغوين - وأبرزهم الاستاذ فيديريكو كورينتي - استطاعت تحديد خـصائصهـا اللغوية على كل أشكالها وجـعلتها من بين اللهـجات العربيّـة في القرون الوسطى إحدى اللهجـات القليلة التي أصبحنا نعرف عنها الكثيـر. ويعود الفضل في ذلك إلى توافر الشواهد الوثائقيـة من شتى الانواع التي طرحت دراساتها نتائج علميـةجيّدة، منها هذا المعجم الذي نقدمه اليوم للقاريء العربي.

2 - مصادر المعجم :

تنقسم هذه المصادر الى مصادر مباشرة ذات طبيعة دراسية لغوية يسهل فيها، نسبيًا، استخلاص المعـلومات المنشودة، ومصادر غير مباشرة كتبت لأغراض غـير لغوية، ولكنّ دراستَها الدقيـقةَ ساعدت على استخراج معـلومات معجمية أساسيـة في مجال الدراسات التي عنيت بعربيـة الاندلس. ففي الفئة الأولى تندرج أعمـال المؤلفين الأندلسيين في «لحن العامة» مثل كتاب «لحْن العوامّ» لابي بكر الزبيـدي (القرن الرابع / العاشر) وكتاب «تثقيف اللسان وتلقيـح الجنان» لابي حفص عـمر ابن مكي (بداية القـرن السادس / الثاني عـشر) وكتاب «المدْخل إلى تقـويم اللسان وتعليم البيان» لابي عـبد الله محمد ابـن هشام اللخمي (القرن السادس / الثاني عشر) وكتاب «الجـمانة في إزالة الرطانة» لمؤلف مجهول، وكتاب

«إيرادُ اللآل من إنشاد الضوَال» لابن خاتمة الأنصاري (القرن الثامن / الرابع عشر).

كما تندرج فيها الكتب الجامعةُ للأمثال الملْحُونة المنقولة باللهجة العاميّة، نذكُر منها على سبيل المثال مجموعة «أمثال العوام» لأبي يحيى الزجالي (القرن السابع / الثالث عشر) المستخرجة من كتابه «ري الأوام»، ومجموعة أمثال العامّة الواردة في الفصل الخامس من كتاب «المدخل الى تقويم اللسان» لابن هشام، وكتاب «حدائق الأزهار» لابن عاصم الغرناطي (القرن التاسع / الخامس عشر)، ومجموعة أبي عثمان سعد بن أحمد ابن ليون (القرن الثامن / الرابع عشر).

وتعتبر الأزجال التي جمعها اللغويون الاندلسيورن من المصادر الأولية. ونذكُر منها كتاب أزجال أبي بكر محمد بن عبد الملك ابن قزمان (القرن السادس / الثاني عشر) ومجموعة الازجال المنسوبة إلى المتصوف الغرناطي أبي الحسن الششتري (القرن السابع / الثالث عشر). هذا بالاضافة الى عدة رسائل مكتوبة باللهجة الاندلسية مثل التي قام بدراستها الاستاذ سيكو دي لوثينا بعنوان «نصّ جديد باللهجة العربية الاندلسية»، والتي حقّقها الاستاذ أثين ألمانسا بعنوان «نصان من منطقة روندا من عهد المدجنين».

أمّا عن المصادر غير المباشرة فهي تشمل كتب الزّراعَة مثل «كتاب الفلاحة» لابن العوّام، وكتب الطبّ والصيدلة مثل «تفسير كتاب دياسقوريدوس» في الأدوية المفردة، لابن البيطار المالقي (من القرن السّابع/ الثالث عشر)، و«كتاب الطب القشتالي الملوكي»، كما تشمل كتب الحسبة مثل «كتاب الحسبة» لابن عبدون (القرن السادس/ الثاني عشر)، وكتب الوثائق والشروط مثل «كتاب الوثائق والسجلات» لابن العطار (القرن الرابع / العاشر)، بالاضافة الى وثائق توزيع الأراضي التي تعتبر مصدراً آخر لتلك الدراسة.

ولا تنحصر مصادرُ اللهجة الأندلسيّة في المكتوبة باللغة العربية إنما تتضمن مراجع باللغة اللاتينية والرومانسيةَ أيْضًا اهتم كاتبُوها بشرح اللغة الاندلسية الدارجة ووصفها. ويبرز من بين هذه المصادر لاهميته واتساع مادته معجم بدرو دي الكالا Pedro De Alcala (القرن العاشر/ السادس عشر) Vocabulisata aravigo en letra castellana، وما يُعْرفُ بمعجم ليدن المقارن للغتين اللاتينية والعربية (القرن الخامس / الحادي عشر). ويتميز هذا النوع من المصادر بأنّه نقل بدقة طريقة نطق الاندلسيين وسجّل الأصوات المنطوقة بالاحرف اللاتينية مما مكّن الباحثين من معرفة التشكيل الاندلسي وموقع النبرة في العبارة

وهو ما تعجز عن نقله المصادرُ المكْتُوبة بالعربيّة. هذا بالاضافة الى ما يُسْتَخْرجُ من معلومات عن اللهْجة الاندلسية من خلال دراسة الكلمات العربية الدخيلة على اللغة الاسبانية وتطوّرها، ودراسة أسماء الاماكن والبلدان ذات الأصل العربي أو المتأثرة باللغة العربية.

وضع الاستاذ كوريتي مصادره - وهي أكثر من خمسة وتسعين مصدرا - تحت المجهر لتأليف المعجم الذي نقدّمه. وكان الاستاذ كوريتي - المتخرّج من جامعة مدريد المركزية والذي عمل في جامعات مصر والمغرب والولايات المتحدة ومدريد والذي يشغل الآن منصب استاذ كرسي اللغة العربية بجامعة سرقسطة الاسبانية -، قد كرس جهده منذ بداية حياته الجامعيّة لدراسة اللغات السامية ومنها اتجه الى التعمق في اللهجات العربية واللهجة الاندلسية بوجه خاص. فانكب على دراسة مجموعات الازجال، وخاصة مجموعة ابن قزمان والششتري وتوصل من خلالها الى نتائج لغويّة في غاية الاهمية؛ وسمحت له دراسته للهجة الاندلسيّة من خلال النصوص بأن يجمع كمّا هائلا من المفردات التي تداولها سكان الاندلس وأن يضع هذا المعجم الثري لعربيّة أهل الأندلس.

3 - «معجم العربية الأندلسية» :

يقع معجم الاستاذ كوريتي في ستمائة وثلاث وعشرين صفحة وهو مكتوب باللغة الانجليزية ومرتب حسب الترتيب الألفبائي العربي المعتاد. يبدأ الكتاب باربع صفحات تمهيدية يعطي فيها المؤلف نبذة تاريخية وحضارية سريعة عن الكيان الاندلسي ويعلل فيها تسمية اللهجة العربية التي تحدث بها سكان هذه المنطقة باللهجة الاندلسية. وقد أنهى المؤلف هذه المقدمة الوجيزة بإشارة سريعة الى نوعية المصادر التي استخدمها لوضع المعجم وإلى منهج عرض المادة العلمية المتبع فيه. وفي نهاية هذه الفقرة الأولى يجد القارئ قائمة المصادر الواردة في المتن والمختصرات الدالة عليها، وقد زودها المؤلف بتعليقات لغوية يفصّل فيها مدى الاستفادة من هذا المصدر أو ذاك، كما يجد قائمة بأهم المصادر اللغوية التي يعتبرها المؤلف أساسية في وضع الكتاب إلى جانب قوائم اخرى ببقية المصطلحات.

4 - طبيعة المعجم :

بما أن الهدف الاساسي من هذا المعجم هو حصر استخدامات اللغة العربية التي

كان يتعامل بها عامة الاندلسيين فإنّ المفردات الواردة فيه من أسماء وأفعال وحروف هي التي استخرجت من طي النصوص والمصادر التي أشرنا الى بعض منها في بداية هذا المقال. أي أن المتصفح أو الدارس لن يجد في هذا المعجم معجما عاما للّغة العربية إنما سيجد قاموسا لما كان متداولاً بين المتحدثين بها في الاندلس أو ناقليها كتابة، قد أعيد إلى أصوله العربية المجردة وقد اتخذتْ هذه الاصول أساسا لوضع القاموس حسب الترتيب الهجائي. وأدرجت في هذا المعجم أيضا أصول تحتوي على أصوات غير عربية ظهرت في اللهجة الاندلسية نتيجة لتأثر اللسان الاندلسي باللغة الرومنسية التي تعايش معها. وقد وُضعت هذه الأصوات الدخيلة تحت أبواب الأصوات العربية الأصيلة القريبة منها في النطق مثل الباء والجيم والقاف واللام والنون. كما أعيدت كلّ الأفعال المعتلة والمضعفة الى أصولها الثلاثية أمّا الالفاظ الغريبة التي استحال إرجاعها إلى جذور، فإنّ المؤلّف قد اكتفى برسمها بحسب صورها التي وردت عليها في النصوص وبترتيبها دون مراعاة لمبدأ التجريد والزيادة.

ونظرا إلى طبيعة المعجم المبني على أساس الشواهد النصية المختلفة من عربية ورومانسية فقد نقلت الالفاظ والعبارات العربية كلها بالحروف اللاتينية حسب نظام نقل الحروف العربيّة الذي أوضحه المؤلف في مقدمة الكتاب والذي سعى فيه الى اتباع النظام الدولي المتعارف عليه. كما حرص كلّ الحرص على احترام كلّ حركات الشكْل الواردة في النص مزيدا عليها ومنقّحة في حالة سقوطها في النص الأصلي، على أن لا يثير التصحيح الشك أو الالتباس. أمّا في حالة عدم التأكد من كيفية الضّبْط الصحيح حسب النطق أو القواعد المعروفة عن اللهجة الاندلسية، فقد بدلت الحروف الصوتية بنقطة بعد الحرف الاصلي وبرزت النصوص المنقولة من العربية باللون الاسود. أمّا نقل النصوص الاسبانية فقد تم طبقا للاصل دون التغيير فيها إلا في بعض الحالات التي اتضح فيها وجوب التعديل بالحذف أو الزيادة وجاءت هذه النصوص بالخط المشبك.

5 - وصـف المعجـم :

قد رتّب المؤلف كما ذكرنا مداخل كتابه بحسب الجذور أو الأصول المجرّدة التي رتبت ترتيبًا الفبائيًا. وبعد ذكر الجذر أو الأصل المجرد، تبدأ المادة المعجمّية التي تقسّم عامّة بحسب المعنى العام للافعال المشتقة من هذا الأصل. فإذا كانت لمشتقات الأصل الواحد

عدة معان كُوّنت أقسام مختلفة داخل المادة المجموعة. وعلى سبيل المثال فإنّ الأصل المكون من (ق د م) قد تفرعت عنه ثلاثة أقسام مختلفة بمعنى التقدّم والقَدَم والقدم. وقد جمع المؤلف داخل كلّ قسم المشتقات المرتبطة بذلك المعنى موضحا أمام كلّ مثال أو مجموعة من الامثلة المصدر الذي وردت فيه دون تحديد الصفحة، وهو عامة ما يبدأ بالفعل إن كان قد سُجّل في أحد المصادر المدروسة. ويأتي بمثال عن كلّ زمن وعن استخدامه مع الضمائر المختلفة ثمّ يسرد كلّ المشتقّات المرتبطة به من اسم فاعل واسم مفعول وصفة مشبهة وصيغ مبالغة. وبعد الأفعال يورد لأسماء ويبيّن جمعها إن كان صحيحا أو جمْعَ تكسْير، كما يوضح صيغة التأنيث والمثنى. أما عن الحروف فقد جاء المؤلف بأمثلة لايضاح تركيباتها إن كانت متصلة بالاسم وبالضمائر أو غير متصلة. وقد دُعّمت كل هذه المفردات بالسّياقات الكاملة المستخرجة من النصوص والتي توضح معانيها واستعمالاتها. وقد اتّخذَ المؤلّف علامة الخطّ الافقي ليفصل بين موادّ كلّ مصدر بينما خصّص علامة الخط الأفقي المزدوج للفصل بين مختلف المعاني. ثمّ إن المؤلّف قد ترجم كل المفردات والعبارات المستخرجة من النصوص العربية والرومانسية الى اللغة الانجليزية. وأثرى المادة المعجميّة المستخلصة من النصوص ببعض التعليقات اللغوية. كما جمع في نهاية كلّ مدْخل الأصول الاخرى المرتبطة بالاصل المدروس حتى يرجع إليها القارئ.

6 - الخـــاتمـــــة :

«معجم اللغة العربية الاندلسية» عمل رائد في مجاله، وهو شاهد بخبرة المؤلّف ومعرفته العميقة بمجال البحث. وهو لذلك أداة لاغناء عنها للمهتم باللغويات العربية وخاصّة بعلم اللهجات (dialectology) الذي أصبح الآن مادة للدرس في جميع أقسام اللغة العربية بالجامعات الاسبانية، فهو يمدّ الباحث بمعلومات دقيقة عن اللهجة الاندلسية وهي من اللهجات العربية القديمة القليلة التي تمّت دراستها بأسلوب علميّ، وهو مفيد للباحث المهتم بالدراسات المقارنة بين اللهجات العربية في نفس الحقبة التاريخية وخاصّة المتوافقة مع ترعرع اللهجة الغرناطية، أي بين القرنيْن الرابع عشر والخامس عشر. كما أنه يعتبر مصدراً للبحث في أصول كلمات دخيلة على العربية. ونموذجا للعمل اللغوي الدقيق القائم على استنباط المعلومات من المصادر المختلفة ووضعها في خدمة هدف واحد

هودراسة لهجة قد اضمحلت بسبب فقدان أرضها وتشرد أهلها.

ثم إن هذا المعجم يسترعي انتباه الباحث في الحضارة الاندلسية لما يحتوي عليه من الشواهد الأدبية التي استخرجت من صميم الوثائق والنصوص: من أمثال وأبيات زجل وعبارات كانت متداولة في تلك البيئة العربية، كما انه يفيد الباحث في البيئات الاسلامية في العصور الوسطى إذ أن الشواهد تحمل في طياتها خصائص مميزة لهذه الحضارة من ملابس وأطباق تقليدية ومحاصيل زراعية ونباتات يدخل الكثير منها في صناعة الأدوية والعقاقير.

هذا وقد تتطلب قراءة اللغة العربيّة بالحروف اللاتينية مجهوداً إضافيا من الباحث العربي وخاصة إذا كان ممن لم يألفْ مثل هذا النوع من الابحاث، ولكننا قد نعلل هذه الصعوبة بأنها تعود إلى أن هذا المعجم لم يؤلّف للمتخصصين في اللغة العربية فقط بل هو موجّه إلى المتخصصين في اللغويات بشكل عام وفي لغويات القرون الوسطى والرومانسية بشكل خاص. لذا تطلّب الأمر من الأستاذ كوريتي أن يصب كل الشواهد العربية في الابجدية اللاتينية. وقد يشكّل تكدّسُ المادة العلمية تحت كلّ باب من الأبواب وعدم الإلمام بأسلوب عرضها وبمصطلحاتها كلّها بسبب قصر شرْح المؤلف في المقدمة عقبةً في سبيل الفهم السريع ولذلك فإنّ على القارئ التمهّل حتى يستفيد أكبر الاستفادة من منبع المعلومات الثريّ الذي يمثّله هذا المعجم.

إنّ هذا المعجم كما يقول مؤلّفه الأستاذ كوريتي في المقدمة لبنة صغيرة في صرح سيشمخ مع مرّ الأيام عندما تزْدادُ وتتضاعف أعمال التحقيق وعندما تعاد وتراجع مصادر نشرت في السابق بمنهج غير علمي.

سُهــــا عبّــود

جامعــة سلمنكــا - إسبانـــيا